

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سورة المزمل

مقصودها الإعلام بأن محاسن الأعمال تدفع الاخطار و الاوجال،
و تخفف الاحمال الثقيل، و لاسيما الوقوف بين يدي الملك المتعال،
و التجرد في خدمته في ظلمات الليال، فانه نعم الإملاء لقبول الافعال
و الأقوال، و محو ظل الضلال، و المعين الأعظم على الصبر و الاحتمال، ه
لما يرد^٢ من الكدورات في دار الزوال، و القلعة و الارتمال،
و اسمها المزمل أدل^٣ ما فيها على هذا المقال ﴿بسم الله﴾ الكافي من
توكل عليه في جميع الأحوال ﴿الرحمن﴾ الذي عم بنعمة الإيجاد
و البيان^٤ المهدي و الضال^٥ ﴿الرحيم ه﴾ الذي خص حزنه بالسداد في
الأقوال و الافعال لإيصالهم إلى دار الكمال .

١٠

لما تقدم في * آخر الجن من^٦ تعظيم الوحي و أن من تعظيمه

-
- (١) الثالثة والسبعون من سور القرآن الكريم، مكية، و عدد آياتها عشرون .
(٢) من ظ و م، وفي الأصل: يراد (٣) من م، وفي الأصل و ظ: ادق .
(٤-٤) من ظ و م، وفي الأصل: المهدي والضلال (ه) من ظ و م، وفي الأصل:
من (٦) سقط من م .

حفظ المرسل به من جميع الآفات المفترية عن إبلاغه بما^١ له سبحانه من إحاطة العلم والقدرة وندب نبيه الذي ارتقاه لرسالته والاطلاع على ما أراد^٢ من غيبه صلى الله عليه وسلم أول^٣ هذه إلى القيام بأعباء النبوة بالمناجاة بهذا الوحي في وقت الانس والخلو بالاجاب،
 هـ والبسط والجلوة لمن دق الباب، للاعتلاء^٤ والمتاب، المهيب، لمحل
 أعباء الرسالة، والمقوى على أثقال المعالجة^٥ لأهل الضلالة، فقال معبرا
 بالآداة الصالحة للقرب والبعد المختصة بأنها لا يقال بعدها إلا الأمور
 التي هي في غاية العظمة، أشار إلى أنه صلى الله عليه وسلم يراد به
 غاية القرب بالأمور البعيدة عن تناول الخلق بكونها خوارق للعادات
 ١٠. ونواقض للألوفات المطردات، وأما التزمل^٦ فهو وإن كان من

آلات ذلك إلا أنه من الأمور العادية، فهو دون ما يراد^٧ من التهيئة^٨
 لذلك الاستعداد، وبالتزمل^٩ لكونه منافيا للقيام في الصلاة:
 ﴿يَا أَيُّهَا الزَّمَلُ لَا﴾ أي الذي أخفى شخصه وستر أمره وما أمرناه به -
 بما أشار إليه التزمل الذي مدلوله التلفف في الثوب على جميع البدن

٥٥٦ / ١٥ والاختفاء ولزوم مكان واحد، ولأنه يكون منطرحا / على الأرض

كما قال صلى الله عليه وسلم في قتلى [احد - ^{١٠}]: زملوم بشياهم

(١) من ظ و م ، وفي الأصل: لم (٢) في م : أراد (٣) من ظ و م ، وفي

الأصل: او (٤) من ظ و م ، وفي الأصل: المعالجة (٥) من ظ و م ، وفي

الأصل: التزمل (٦ - ٧) من ظ و م ، وفي الأصل: للتهيئة (٧) من ظ و م ،

وفي الأصل: بالتزمل (٨) زيد من ظ و م .

ودمائهم، مع الإشارة إلى الإخفاء أيضا بادغام تاء الفعل، وربما أشار الإدغام إلى أن الستر بالثوب لم يعم جميع البدن، كما يأتي في المدثر على أن فيه مع ذلك إشارة إلى البشارة بالقوة على حمل أعباء ما يراد به، من قولهم: زمّل الشيء - إذا رفعه وحمله، والازدمال: احتمال الشيء، وزملت الرجل على البعير وغيره - إذا حملته عليه، ومن زملت الدابة في عدوها - إذا نشطت، والزامل من حمر الوحش الذي كأنه يطلع من نشاطه، ورجل إزميل: شديد، والزاملة: بعير يستظهر به الرجل لحمل طعامه ومتاعه عليه، ويقال للرجل العالم بالامر: هو ابن زوملتها، وقال ابن عطاء: يا أيها المخفى ما تظهره عليه من آثار الخصوصية! هذا أو أن كشفه، وقال [عكرمة - ١]: يا أيها الذي حمل هذا الامر، ١٠ وقال السدي: أراد يا أيها النائم، وقال غيره: * كان هذا * في ابتداء الوحي بالنبوة، والمدثر في ابتداء الوحي بالرسالة، ثم خوطب [بعد - ٢] ذلك بالنبي^١ والرسول: ﴿قم﴾ أي في خدمتنا^٢ بحمل أعباء^٣ نبوتنا والازدمال بالاجتهاد في الاحتمال، وارك التزمل فانه مناف للقيام^٤.

١٥

ولما كان الاجتهاد في الخدمة دالا على غاية المحبة، وكانت النية

(١) من انقاموس، وفي الأصول: اسامل (٢) زيد من ظ و م (٣) راجع البحر المحيط ٢٦ / ٨ (٤) راجع العالم ١٣٧ / ٧ (٥ - ٥) من ظ و م، وفي الأصل: هذا كان (٦) من م، وفي الأصل وظ: بالنبوة (٧ - ٧) من ظ و م، وفي الأصل: بأعباء (٨) من م، وفي الأصل وظ: في القيام.

خيرا^١ من العمل، وكان الإنسان مجبولا على الضعف، وكان سبحانه لطيفا بهذه الأمة تشريفا لإمامها صلى الله عليه وسلم، رضى منا سبحانه بصدق التوجه إلى العمل وجعل أجورنا أكثر من أعمالنا، لجعل إحياء البعض إحياء للكل، فأطلق اسم الكل وأراد البعض فقال: ﴿الْيَلَّ﴾ أى الذى هو وقت الخلوة والخفية والستر، فصل لنا^٢ فى كل ليلة من هذا الجنس^٣ وقف بين يدينا^٤ بالمناجاة والانس بما أزلنا عليك من كلامنا^٥ فانا نريد إظهارك وإعلاء قدرك فى البر والبحر والسر والجهر، وقيام الليل فى الشرع معناه الصلاة، فلذا لم يقيده، وهى جامعة لأنواع الأعمال الظاهرة والباطنة، وهى عمادها، فذكرها دال على ما عداها.

١٠ ولما كان للبدن حظ فى الراحة قال مستنيا من الليل: ﴿الْأَقْلِيلَا﴾ أى من كل ليلة، ونودى هذا [النداء لأنه - °] صلى الله عليه وسلم لما جاءه الوحى بغار حراء رجع إلى خديجة زوجته رضى الله تعالى عنها يرجف فؤاده فقال: زملونى زملونى^١ [لقد خشيت على نفسى، فسألته رضى الله عنها عن حاله، فلما قص عليها امره - °] قال: خشيت على نفسى يعنى أن يكون هذا مبادئ شر أو كهانة، وكل ذلك من الشياطين وأن يكون الذى ظهر له بالوحى ليس بملك، وكان صلى الله

(١) من ظ و م، وفى الأصل: خير (٢-٢) من ظ و م، وفى الأصل: من هذا الجنس فى كل ليلة (٣) من ظ و م، وفى الأصل: أيدينا (٤) من ظ و م، وفى الأصل: كرمنا (٥) زيد من ظ و م (٦) من ظ، وفى الأصل و م: وقال.

عليه وسلم يبغض الشعر والكهانة غاية البغضة، فقالت له وكانت
وزيرة صدق^٢: كلا والله لا يخزيك الله أبدا، إنك لتصل الرحم
وتقرى الضيف وتحمل الكل وتعين / على نوائب الحق - ونحو هذا ٥٥٧ /
من المقال الذى ثبت، وفائدة التزمّل أن الشجاع الكامل إذا دهمه
أمر هو فوق قواه ففرق أمره فرجع إلى نفسه، وقصر بصره وبصيرته
على حسه، اجتمعت قواه إليه فقويت جبلته الصالحة على تلك العوارض
التخيلية فهزمتها فرجع الى أمر الجبلّة العلية، وزال ما عرض من
العله البدنية.

وقال الإمام أبو جعفر^٣ ابن الزبير: لما كان ذكر إسلام الجن
قد أحرز غاية انتهى مرماها^٤ وتم مقصدها ومبناها، وهى الإعلام ١٠
باستجابة هؤلاء وحرمان من كان أولى بالاستجابة، وأقرب فى ظاهر
الأمر إلى الإنابة، بعد تقدم وعيدهم وشديد تهديدهم، صرف الكلام
إلى أمره صلى الله عليه وسلم بما يلزمه من وظائف عبادته وما يلزمه^٥
فى أذكاره من ليله ونهاره، مفتحا^٦ ذلك بأجل مكالة والطف
مخاطبة^٧ "بأيها المزمّل"^٨ وكان ذلك^٩ تسليّة له صلى الله عليه وسلم كما ١٥

(١) من ظ وم، وفى الأصل: فقال (٢) من ظ وم، وفى الأصل: صديقه.
(٣) العبارة من هنا إلى «هى الأعلام» ساقطة من ظ (٤) من م، وفى
الأصل: مرماها (٥) من ظ وم، وفى الأصل: يلزم (٦) من ظ وم، وفى
الأصل: مفتحتا (٧) من ظ وم، وفى الأصل: مخاطبته (٨-٨) سقط ما بين
الرقمين من ظ وم.

ورد «فلا تذهب نفسك عليهم حسرات» إلى آخره، وليحصل منه الاكثر
 بعناد من قدم عناده وكثرت لججه، وأتبع ذلك بما يشهد لهذا الغرض
 وبعضه وهو قوله تعالى - فاصبر صبرا جميلا - : «واصبر على ما يقولون
 واحجرهم حجرا جميلا وذرنى والمكذبين اولى النعمة ومهلهم قليلا»
 ه وهذا عين الوارد في قوله تعالى «فلا تذهب نفسك عليهم حسرات»
 وفي قوله «نحن أعلم بما يقولون وما انت عليهم بجبار» ثم قال «إن لدينا
 انكالا» فذكر ما أعد لهم، وإذا تأملت هذه الآي وجدتها قاطعة بما
 قدمناه، وبأن لك التحام ما ذكره، ثم رجع الكلام إلى التلطف به
 عليه الصلاة والسلام وأصحابه - رضى الله عنهم أجمعين - وأجزل
 ١٠ جزاءهم مع وقوع^١ التقصير عن يصح منه تعظيم المعبود الحق جل جلاله
 «علم أن لن تحصوه كتاب عليكم^٢ فافروا ما تيسر من القرآن» ثم ختم
 السورة بالاستغفار من كل ما تقدم من عناد الجاحدين المقدم ذكرهم
 فيما قبل من السور^٣ إلى ما لا ينفى العباد المستجيون به بما إشار إليه
 قوله تعالى «علم أن لن تحصوه» - انتهى .

١٥ ولما كان الليل اسما لما بين غروب الشمس و طلوع الفجر، وكان
 قيامه في غاية المشقة، حمل سبحانه من ثقل ذلك، فقال مبينا لمراده
 بما حط عليه الكلام بعد الاستثناء، ومبدلا من جملة المستثنى والمستثنى

(١) من ظ و م ، وفي الأصل : وجوب (٢) زيد في الأصول : الى قوله .
 (٣) من ظ و م ، وفي الأصل : السورة (٤) من ظ و م ، وفي الأصل : المراد .

منه^١: ﴿ نصفه ﴾ أى الليل ، فلم ان المراد بالليل المستثنى النصف ،
وسماه قليلا بالنسبة إلى جميع الليل ، و بالنسبة إلى النصف الذى وقع
إحياؤه ، لأن ما يلى بالعمل أكثر مما لا عمل فيه ، ويجوز أن يكون
نصفه^٢ بدلا من الليل ، / فيكون كأنه قيل : قم نصف الليل إلا قليلا
وهو السدس او انقص منه إلى الربع ، وجاءت العبارة هكذا لتفيد
أن من قام ثلث^٣ الليل بل ربه فافوقه كان محيا ليل كله .

ولما كانت المهم مختلفة بالنسبة الى الأشخاص و بالنسبة الى الاوقات
قال : ﴿ او انقص منه ﴾ أى هذا النصف الذى أمرت بقيامه ، أو من
النصف المستثنى منه القليل على الوجه الثانى وهو الثلث ﴿ قليلا ﴾^٤
فلا تقمه حتى لو أحييت ثلث الليل [على الوجه - ٤] الاول اوربه ١٠
على الوجه الثانى كنت محيا له [كله - ٤] فى فضل الله بالتضعيف
﴿ او زد عليه ﴾^٥ أى على^٦ النصف قليلا كالسدس مثلا ، فيكون
الذى تقومه الثلثين مثلا ، وعلى كل تقدير من هذه التقادير يصادف
القيام - وهو لا يكون إلا بعد النوم : الوقت الذى يباركه الله بالتجلى
[فيه - ٤] فانه صح أنه ينزل - سبحانه [عن - ٤] أن يشبه ذاته شيئا^٧ ١٥

(١) زيد فى الأصل : فقال ، ولم تكن الزيادة فى ظ و م لحذفها (٢) فى ظ :
سدس (٣) زيد فى الأصل : اى ، ولم تكن الزيادة فى ظ و م لحذفها (٤) زيد
من ظ و م (٥) من ظ و م ، وفى الأصل : على (٦ - ٧) من ظ و م ، وفى
الأصل : او زد عليه وهو (٧ - ٧) من ظ و م ، وفى الأصل : لشيء .

أو نزوله نزول^١ غيره [بل - ٢] هو كناية عن فتح باب السماء الذى هو كناية عن وقت استجابة الدعاء - حين^٢ يبقى ثلث الليل - وفى رواية : حين^٣ يبقى شطر الليل الآخر - إلى سماء الدنيا فيقول : هل من سائل فأعطيه ، هل من تائب فأنتوب عليه ، هل من كذا هل من كذا حتى يطلع الفجر . و كان هذا القيام فى أول الإسلام فرضا عليهم على التخيير بين^٤ هذه المقادير الثلاثة فكانوا يشقون على أنفسهم ، فكان النبى صلى الله عليه وسلم يقوم حتى يصبح يخافه أن لا يحفظ القدر الواجب ، و كذا بعض أصحابه رضى الله تعالى عنهم و اشتد ذلك عليهم حتى اتفخت أقدامهم ، و كان هذا قبل فريضة الخمس ، فنزل آخرها ١٠ بالتخفيف بعد سنة . علم ان لن تحضوه . الآيات ، فصار قيام الليل تطوعا بعد فريضة .

ولما أمر بالقيام و قدر وقته و عينه ، أمر بهيئة التلاوة على وجه عام للنهار معلم بأن القيام بالصلاة التى روحها القرآن فقال : (و رتل القرآن) أى اقرأه على تودة [و - ٥] بين حروفه بحيث ١٥ يتمكن السامع من عدّها [و - ٥] حتى يكون المتلو شيئا بالثغر المرتل و هو المفلج المشبه بنور الأقران^٦ ، فان ذلك موجب لتدبره فتكشف له مهماته و ينجلي عليه^٧ أسرار و خفياته ، قال ابن مسعود رضى الله عنه^٨ :

(١) من ظ و م ، وفى الأصل : كنزول (٢) زيد من ظ و م (٣) من ظ و م ، وفى الأصل : حتى (٤) من ظ و م ، وفى الأصل : فى (٥) زيد من م - (٦) من ظ و م ، وفى الأصل : الاتقى (٧) من ظ و م ، وفى الأصل : عنه - (٨) راجع المعالم ١٣٨/٥ .

ولا تنثروه نثر الدقل ولا تهذوه هذ الشعر، ولكن قفوا عند عجائبه
 وحركوا به^١ القلوب ولا يكن هم أحدكم آخر السورة. روى الترمذى
 عن عائشة رضى الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم قام حتى أصبح
 بآية، والآية^٢ "ان تعذبهم فانهم عبادك وان تغفر لهم فانك انت
 العزيز الحكيم" ولما أعلم سبحانه بالترتيل أعلم بشرفه بالتأكيد بالمصدر
 فقال: (رتبلا^٣) .

ولما كان المراد منه صلى الله عليه وسلم الثبات للنبوة ومن امته
 الثبات^٢ فى الاقتداء^٢ به فى العمل / والأمر والنهى، وكان ذلك فى
 ١٥٩ / غاية الصعوبة، وكان الإنسان عاجزا إلا باعانة مولاه، وكان العون
 النافع إنما يكون لمن صفت نفسه عن الكدّار وأشرقت بالأنوار،^{١٠}
 وكان ذلك إنما يكون بالاجتهاد فى خدمته سبحانه، علل هذا الأمر
 بقوله مينا للقرآن الذى أمر بقراءته ما هو وما وصفه، معلما أن
 التهجد يعد للنفس من القوى ما به يعالج المشقات، مؤكدا لأن الإتيان
 بما هو خارج عن جميع أشكال الكلام لا يكاد يصدق: (انا) أى
 بما لنا من العظمة (سنلقى) أى قريبا بوعد لا خلف فيه فنها^{١٥}
 لذلك بما يحق له .

ولما كان المقام لبيان الصعوبة، عبر بأداة الاستعلاء فقال:

(١) من نظم وم، وفى الأصل: له (٢) ١١٨/ المائة (٣-٣) من نظم وم، وفى
 الأصل: بالاعتدى (٤) من نظم وم، وفى الأصل: فيها .

(عليك) وأشار إلى اليسر مع ذلك إشارة إلى "و لقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر" بالتعبير بما تدور مادته على اليسر و الخفة فقال: (قولاً) يعنى القرآن (ثقيلاً) أى لما فيه من التكاليف الشاقة من [جهة - ١] حملها و تحميلها للدعوى^١ لأنها تضاد الطبع و تخالف النفس، و من جهة رزانة لفظه لامتلائه بالمعاني مع جلالة^٢ معناه و تصاعده فى خفاء فلا يفهمه المتأمل و يستخرج ما فيه من الجواهر إلا بمزيد فكر و تصفية سر و تجريد نظر، فهو ثقیل على الموافق من جميع هذه الوجوه و غيرها، و على المخالف من جهة أنه لا يقدر على رده و لا يتمكن من طعن فيه بوجه مع أنه ثقیل فى الميزان و عند ١٠ تلقيه وله وزن و خطر و قدر عظيم، روى فى الصحيح^٣ أن النبى صلى الله عليه وسلم كان إذا أتاه الوحي يفصم عنه و إن جينه ليتفصد^٤ عرقاً فى اليوم الشاق الشديد البرد، و كان - صلى الله عليه وسلم - إذا أزل عليه الوحي و هو راكب على ناقته^٥ وضعت جرائها فلا تكاد تتحرك حتى يسرى عنه . قال القشيري : و روى عن ابن عباس رضى الله ١٥ عنهما أن سورة الأنعام^٦ نزلت عليه جملة واحدة^٧ و هو راكب فبركت

(١) زيد من ظ (٢) من ظ و م، ووردت الكلمة ناقصة فى الأصل مع بياض يسير (٣) من ظ و م، وفى الأصل: جلالاته (٤) راجع بدء الوحي (٥) من ظ و م و الصحيح، وفى الأصل: ليقطر (٦) م: ناقته (٧) زيد فى الأصل: لما نزلت سورة الأنعام صلى الله عليه وسلم، ولم تكن الزيادة فى ظ و م لحذفها (٨) سقط من ظ و م :

ناقته من ثقل القرآن^١ وهيبته، وهو مع ثقله على الأركان خفيف على
اللسان سهل التلاوة والحفظ على الإنسان .

ولما أفهم هذا أن التهجّد في غاية العظمة، أكد ذلك حائثاً على
عدم الرضى بدون الأفضل الأجل الأكل بقوله، مؤكداً لينخف أمر
القيام على النفس : ﴿ ان ناشئة الليل ﴾ أى ساعاته التى كل واحدة هـ
منها ناشئة والعبادة تنشأ فيه بغاية الخفة، من^٢ نشأ أى نهض من
مضجعة بغاية النشاط لقوة الهمة ومضاء المريعة التى جعلتها^٣ كأنها
نشأت بنفسها، وقال ابن عباس رضى الله عنها^٤ : ما كان بعد العشاء
فهو ناشئة، وما كان قبله فليس بناشئة، وقالت عائشة رضى الله عنها^٥ :
الناشئة القيام بعد النوم، وقال الأزهري : الناشئة القيام، مصدر جاء ١٠
على فاعلة كالعافية بمعنى العفوة .

ولما كان ذلك / فى غاية الصعوبة لشدة منافرة للطبع، زاد فى
التأكيد ترغيباً فيه فقال : ﴿ هى ﴾ أى خاصة لما لها من المزايا ﴿ اشد ﴾
أى أثقل وأقوى وأمتن وأرصن^١ ﴿ وطأ ﴾ أى كلفة ومشقة لما
فيها من ترك الراحة وفراق الآلف والمحبوب، وأشد ثبات قدم - على ١٥
أنه مصدر وطئ فى قراءة الجماعة - بفتح ثم سكون، ومواطاة بين القلب

(١) زيد فى الأصل : هو مع (٢) فى ظ : عن، وفى م : عن (٣) من ظ وم ،
وفى الأصل : جعلها (٤) راجع البحر المحيط ٣٥٩ / ٨ (٥) راجع معالم التنزيل
١٣٩ / ٧ (٦) من ظ وم ، وفى الأصل : ارضى .

واللسان في الحضور وفي التزام الدين بالإذعان والخضوع على أنه
مصدر واطاً^١ مثل قاتل على قراءة أبي عمرو وابن عامر بالكسر والمد
[و - ٢] هي أبلغ لأن صيغة المفاعلة^٢ تكون بين اثنين يغالبان
فيكون الفعل أقوى .

٥ ولما كان التهجد يجمع القول والفعل، وبين ما في الفعل لأنه
أشق، فكان بتقديم^٣ الترغيب بالمدحة أحق، أتبعه القول فقال :
(واقوم قِيلاً^٤) أى وأعظم سداداً من جهة القيل في فهمه ووقعه
في القلوب بحضور القلب ورياقة^٥ الليل بهدوء الأصوات وتجلي الرب
سبحانه وتعالى بحصول البركات، وأخلص من الرياء والقصود^٦ الدنيات .
١٠ ولما بين سبحانه من أول السورة إلى هنا ما به صلاح الدين الذي
عصمة الأمر [بـه - ٢] صلاح الدارين، وأظهر ما للتهجد من
الفضائل، فكان التقدير حتماً : فواظب عليه لتناول هذه الثمرات، قال
[معللاً - ٢] محققاً له مبيناً ما به صلاح الدنيا التي هي فيها المعاش ،
وصلاحها وسيلة إلى صلاح^٧ المقصود، وهو الدين وهو الذي ينبغي
١٥ له لئلا يكون كلاً على الناس ليحصل من الرزق ما يعينه على دينه

(١) من ظ و م ، وفي الأصل : وطأ (٢) زيد من ظ و م (٣) من ظ و م ،
وم الأصل : الفاعلية (٤) من ظ و م ، وفي الأصل : تقديم (٥) من ظ و م ،
وفي الأصل : رياضته (٦) من ظ و م ، وفي الأصل : القصور (٧) من ظ و م ،
وفي الأصل : صلاحها .

و يوسع به على عيال^١ الله من غير ملل و^٢ لاضرر ولا كسل^٣
ولا مبالغة، مؤكدا لما للنفس من الكسل عنه: (ان لك) أى أيها
المتهجد^٤ أو يا أكرم العباد إن كان الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم
ليكون آكد في إلزام^٥ الأمة به (في النهار) الذى هو محل السعى
في مصالح الدنيا .

٥

ولما كان الإنسان يهتم في سعيه لنفسه حتى يكون كأنه لشدة
عزمه وسرعة حركته كالساج فيما لا عائق له^٦ فيه قال: (سبحا طويلا^٧)
أى تقلبا بمتد الزمان، قال بغوى^٨: وأصل السبح سرعة الذهاب،
وقال الرازى: سهولة الحركة^٩ .

ولما كان التقدير: فاجتهد في التهجد، عطف عليه قوله حائا على^{١٠}
^{١١} حضور الفكر: (واذكر اسم ربك) أى المحسن إليك والموجد والمدير
لك بكل ما يكون ذكرا من اسم وصفة وثناء وخضوع وتسبيح وتحميد
وصلاة وقراءة ودعاء وإقبال على علم شرعى وأدب مرعى ودم
على ذلك، فاذا عظمت الاسم بالذكر فقد عظمت المسمى بالتوحيد

(١) من ظ و م، وفي الأصل: عياله (٢-٢) من ظ و م، وفي الأصل:
لا كسل ولا ضجر (٣) في الأصل: يابض ملأناه من ظ و م (٤) من ظ و م،
وفي الأصل: اكرام (٥) سقط من ظ و م (٦) راجع للعالم ٧ / ١٤٠ (٧) من
ظ و م، وفي الأصل: الحركات (٨-٨) من ظ و م، وفي الأصل:
حصول التفكير .

و الإخلاص، و ذلك عون^١ لك على مصالح الدارين، أما الآخرة فواضح، و أما الدنيا فقد أرشد النبي / صلى الله عليه وسلم أعز الخلق عليه^٢ فاطمة ابنته^٣ رضى الله عنها لما سأله خادما يقيها التعب إلى التسييح و التحميد و التكبير عند النوم .

٥ و لما كان الذكر قد يكون مع التعلق بالغير، أعلم أن الذاكر^٢ في الحقيقة^٢ إنما هو المستغرق فيه سبحانه و به يكون تمام العون فقال : ﴿ و تبذل ﴾ أى اجتهد فى قطع نفسك عن كل شافل، و الإخلاص فى جميع أعمالها بالتدرج قليلا قليلا، متتها : ﴿ اليه ﴾ و لا تزل على ذلك حتى يصير لك ذلك خلقا فتكون نفسك كأنها منقطعة بغير قاطع ١٠ و مقطعة تقطيعا كثيرا بكل قاطع، فيكون التقدير - بما أرشد إليه المصدر "تبثلا" و تبثلا ﴿ تبثلا ﴾ فاعلم بالتأكيد بالمصدر المرشد إلى الجمع بين التفعّل و التفعيل بشدة^٤ الاهتمام و صعوبة المقام، و هو من البتل و هو القطع، صدقة^٥ بتلة^٥ أى مقطوعة عن صاحبها، و لذلك قال زيد ابن أسلم^٦ : التبتل رفض الدنيا و ما فيها و التماس ما عند الله تعالى، ١٥ و البتول مريم عليها السلام لانقطاعها إلى الله تعالى، عن جميع خلقه، و كذا فاطمة الزهراء البتول أيضا^٧ لانقطاعها عن قرين^٨ و مثيل و نظير^٩، فالمراد

(١) من ظ و م ، و فى الأصل : عونا (٢-٢) من ظ و م ، و فى الأصل : ابنته فاطمة (٣-٣) فى م : بالحقيقة (٤) من ظ و م ، و فى الأصل : لشدة (٥-٥) من ظ و م ، و فى الأصل : بتنيه (٦) فى المعالم ٧ / ١٤٠ : ابن زيد (٧) زيدت الواو فى م (٨-٨) من م ، و فى الأصل : نظير و قرين ، و فى ظ : قرين و نظير .

بهذا^١ هو المراد بكلمة التوحيد المقتضية للاقبال عليه و الإعراض عن كل ما سواه، وذلك بملازمة الذكر و خلع الهوى، والآية من الاحتباك و^٢ هو ظاهر^٣ : ذكر فعل التبتل دليلا على حذف مصدره، و ذكر مصدر بتل دليلا على حذف فعله^٤.

و لما كان الواجب على كل أحد شكر المنعم، بين أنه سبحانه الذى ه أنعم بسكن الليل الذى أمر بالتهجد فيه [و -] منتشر النهار الذى أمر بالسبح فيه، فقال واصفا الرب المأمور بذكره فى قراءة ابن عامر و يعقوب و الكوفيين غير حفص معظما له بالقطع فى قراءة الباقيين بالرفع : (رب المشرق) أى موجد محل الأنوار التى بها ينمحي هذا

الليل الذى أنت قائم فيه و يضيء بها الصباح "و عند الصباح يحمد القوم ١٠ السرى" بما أنالهم^٥ من الأنوار فى مرأتى قلوبهم و ما زينها به من شهب المعانى كما أوجد لهم فى " آفاق أفلاكهم " من شمس المعانى المثمرة لبدور الأنس فى مواطن القدس، فلا يطلع كوكب فى الموضع الذى هو ربه إلا بأذنه، و هو رب كل مكان، و ما أحسن ما قال الإمام

١٥ الربانى تقى الدين ابن دقيق العيد :

كم ليلة فيك وصلنا السرى لا نعرف الغمض ولا نستريح

(١) من ظ و م ، وفى الأصل : هذه (٢-٢) من ظ و م ، وفى الأصل : ظاهره .

(٣) من ظ و م ، وفى الأصل : فعل (٤) زيد من ظ و م (٥) من م ، وفى

الأصل و ظ : بالتسبيح (٦) من ظ و م ، وفى الأصل : قالها (٧-٧) من ظ و م

وفى الأصل : الآفاق املاكهم .

واختلف الأصحاب ماذا الذى يزج من شكواهم او يريح
ف قيل تعريسه ساعه^١ و قلت بل ذكراك وهو الصحيح
ولما ذكر مطالع الأنوار، لأنها المقصود لما لها من جلي الإظهار،

و وحده لأنه أوفق لمقصود السورة الذى هو^٢ / محطة لانجماح المدلول عليه / ٥٦٢

٥ بالتزمل، أتبعه مقابله فقال: ﴿والمغرب﴾ أى الذى يكون عنه الليل
و [الذى - ٢] هو محل السكن^٣ و موضع الخلوات و لذيد^٤ المناجاة،
فلا تغرب شمس ولا قر ولا نجم إلا بتقديره سبحانه، و إذا كان
رب ما فيه هذه الصنائع التى هى أبدع ما يكون كان رب
ما دون ذلك .

١٠ و لما علم بهذا أنه المختص بتدبير الكائنات، المتفرد بإيجاد الموجودات،

كان أهلا لأن يفرد بالعبادة و جميع التوجه^٥ فقال مستأنفا: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا
أَيْ مَعْبُودٌ بِحَقِّ﴾ (الاهو) أى ربك الذى دلت تربيته لك على جامع
العظمة و أنهى صفات السكال و التنزه عن كل شائبة نقص . و لما علم
تفرده سبحانه كان الذى ينبغى لعباده أن لا يوجه [أحد - ٢] منهم

١٥ شيئا من رغبته لغيره فلذلك سبب عنه قوله: ﴿فَاتَّخِذْهُ﴾ أى خذ به جميع
جهدك و ذلك بافراذك إياه بكونه تعالى ﴿وَكَلِّلْهُ﴾ أى على كل من
خالفك بأن تقوض جميع أمورك إليه فانه يكفيكها كلها و يكلوها

(١) من ظ و م و فوات الوفيات ١ / ٤٨٨، وفي الأصل: سمعته (٢) سقط

من ظ و م (٣) زيد من ظ و م (٤) من ظ و م، وفي الأصل: السكون .

(٥) من ظ و م، وفي الأصل: محل (٦) من ظ و م، وفي الأصل: التوحيد .

عاية السكلاية فانه المتفرد بالقدرة عليها، ولا شيء أصلا في يد غيره، فلا تهتم بشيء أصلا، وليس ذلك بأن يترك الإنسان كل عمل، فان ذلك طمع فارغ بل بالإجمال في طلب كل ما ندب الإنسان إلى طلبه، ليكون متوكلا في السبب لا من دون^١ سبب، فانه يكون حينئذ كمن يطلب^٢ الولد من غير زوجة، وهو مخالف لحكمة هذه الدار المبنية على الأسباب، ه ولو لم يكن [في - ٢] إفراده بالوكالة إلا أنه يفارق^٣ الوكلاء بالعظمة والشرف والرفق من جميع الوجوه فان وكيلك من الناس [دونك وأنت تتوقع أن يكلمك كثيرا في مصالحك وربك أعظم العظماء وهو يأمرك أن تكلمه كثيرا في مصالحك وتسأله طويلا، ووكيلك من الناس - ٣] إذا حصل مالك سألَكَ الأجرة وهو سبحانه يوفر مالك ويعطيك الأجر، ١٠ ووكيلك من* الناس ينفق عليك من مالك وهو سبحانه يرزقك وينفق عليك من ماله، ومن تمسك بهذه الآية عاش حرا كريما، ومات خالسا شريفا، ولقي الله تعالى عبدا صافيا مختارا تقيا، ومن شرط الموحد أن يتوجه إلى^٤ الواحد و يقبل على الواحد و يندل له نفسه عبودية و يآتمنه على نفسه و يفوض إليه اموره و يترك التدبير ١٥ و يثق به و يركن إليه و يتذلل لربوبيته، و يتواضع لعظمته و يترن بهائه و يتخذة عدة لكل نائبة دنيا و آخرة .

(١) من ظ و م ، وفي الأصل : بدون (٢) من ظ و م ، وفي الأصل : طلب .
(٣) زيد من ظ و م (٤) من ظ و م ، وفي الأصل : يعاق - كذا (هـ) من ظ و م ، وفي الأصل : في (٦) زيد في ظ : الله .

ولما كانت الوكالة لا تكون إلا فيما يعجز ، وكان الأمر بها
 مشيرا [إلى - '] أنه لا بد أن يكون [عن - '] هذا القول الثقيل
 خطوب طوال و زلازل و أهوال ، قال : ﴿ واصبر ﴾ و أشار إلى
 عظمة الصبر بتعديته بحرف الاستعلاء فقال : ﴿ على ما ﴾ و خفف
 ٥ الأمر بالإشارة إلى أنهم لا يصلون^٢ إلى غير الأذى بالقول ،
 [وعظمه - '] باستمرارهم عليه فقال : ﴿ يقولون ﴾ أى المخالفون
 المفهومون من الوكالة من مدافعتهم الحق بالباطل فى حق الله و خفك .
 ولما كانت مجانبة البغيض إلا عند / الاضطرار مما يخفف من
 أذاه قال : ﴿ و اجرم ﴾ أى أعرض عنهم جهارا دافعا للهرج مهما
 ١٠ أمكن ﴿ هجرا جملاء ﴾ بأن تعاشرهم بظاهرك و تباينهم بسرك و خاطرك ،
 فلا تخالطهم إلا فيما أمرك الله به على ما حده لك من دعائهم إليه
 سبحانه و من موافاتهم فى أفراحهم و أحزانهم فتؤدى حقوقهم و لا
 تطالبهم بحقوقك لا تصرىحا و لا تلويحا .

ولما كان فى أمره هذا بما يفعل ما يشق جدا بما فيه من احتمال
 ١٥ علوم ، اعلم بقرب فرجه^٢ بتهديدهم باخذم سريعا فقال : ﴿ و ذرى ﴾
 أى اتركنى على أى حالة اتفقت منى فى معاملتهم ، و اظهر فى موضع
 الإضمار تعليقاً للحكم بالوصف و تعميما فقال : ﴿ و المكذبين ﴾ أى
 العريقين فى التكذيب فأنى قادر على رحمتهم و تعذيبهم .

(١) زيد من ظ و م (٢) من ظ و م ، وفى الأصل : لا يسلوك (٣) من ظ
 و م ، وفى الأصل : فوجه .

و لما ذكر وصفهم الذى استحقوا به العذاب ، ذكر الحامل عليه
تزهيدا فيه و صرفا عن معاشرة أهله لئلا تكون المعاشرة فتنة فكون
حاملة على الاتصاف به و جارة إلى حب الدنيا فقال : (اولى النعمة)
أى أصحاب التعم بغضارة العيش و البهجة التى أفادتهموها^١ النعمة -
بالكسر و هى الإنعام و ما ينعم به من الاموال و الأولاد ، و الجاه الذى ه
أفادته النعمة - بالضم و هى المسرة التى تقتضى الشكر و هم أكار قریش
و أغنياؤهم .

و لما كان العليم القدير إذا قال مثل هذا لولى من أوليائه عاجل
عدوه ، قال محققا للراد بما أمر به من الصبر من هذا فى النعم الدنيوية
بأن زمنها قصير : (و مهلهم) أى أتركهم برفق و تأن و تدريج ١٠
و لا تهتم^٢ بشانهم .

و لما سره بوعيدهم الشديد بهذه العبارة^٣ التى مضمونها أن اخذهم يده
صلى الله عليه وسلم و هو سبحانه يسأل فى تأخيرهم^٤ لهم ، زاد فى البشارة
بقوله : (قليلا ه) أى من الزمان و الإمهال إلى موتهم أو الإيقاع بهم قبله ،
و كان بين نزول هذه الآية و بين وقعة بدر بسير^٥ - قاله المحب الطبرى ، ١٥
وفيه بشارة له صلى الله عليه وسلم بالبقاء بعد أخذهم كما كان ، و انه ليس
محتاجا فى أمرهم إلى غير وكلهم سبحانه و تعالى بالقائهم عن باله صلى الله

(١) من م ، وفى الأصل : أفادتموها ، وفى ظ : أفادتموها (٢) من ظ و م ، وفى
الأصل : تقيم (٣) من م ، وفى الأصل و ظ : العبارات (٤) من ظ و م ، وفى
الأصل : تأخيرهم (٥) من ظ و م ، وفى الأصل : سير - مع يسير من الياض .

عليه وسلم وتفرغ ظاهره وباطنه لما هو مأمور به من الله سبحانه
وتعالى من الإقبال على الله سبحانه، ففي الآية أن من اشتغل بغيره
وكله الله إلى نفسه، فكان ذلك كالمانع من^٢ أخذ الله [له -^٤]، فإذا توكل
عليه فقد أزال [ذلك المانع -^١] .

٥ ولما كان هذا متاديا بعذابهم، وكان وصفهم بالنعمة مفهما لأنهم
معتادون بالآكل الطيبة، وكان منع^٣ اللذيق من المآكل لمن اعتاده لا يبلغ
في نكايه النفس بحد^١ نكايه البدن إلا بعد تقدم إهانة، استأنف قوله
بيانا لنوع ما أفهمه التهديد من مطلق العذاب، وأكد لاجل تكذيبهم^٥ :
/ (ان) وأشار إلى شدة غرابته وجلالته وعظمته وخصوصيته
١٠ وتحقق حضوره بقوله : (لدينا) دون "عندنا". ولما كان أشد ما على

الإنسان منعه مما يريد من الانبساط به بالحركات، قال ذاكرا ما يضاد
ما هم فيه من النعمة والعز : (انكالا) جمع نكل بالكسر وهو
القيد الثقيل الذي لا يفك أبدا إهانة لهم لآخوفا من فرارهم، جزاء على
تقيدهم [أنفسهم^٤] بالشهوات عن اتباع الداعي وإيساعهم في المشي
١٥ في قضاء الأهوية . ولما كان [ذلك -^٤] محرقا للباطن أتبعه حريق الظاهر
فقال : (وجحيلا) أى نارا حامية جدا شديدة الاتقاد بما كانوا

(١) من ظ و م ، وفي الأصل : الى ما (٢) من ظ و م ، وفي الأصل : بعذره .

(٣) في م : في (٤) زيد من ظ و م (٥) من ظ و م ، وفي الأصل : مانع .

(٦) في ظ : حد (٧) زيد في الأصل : فقال ، ولم تكن الزيادة في ظ و م

لخذلتها .

يتقيدون [به - ١] من تبريد الشراب^٢، و التنعم برقيق اللباس والثياب،
و تكلف أنواع الراحة .

ولما أتم ما يقابل تكذيبهم، أتبعه ما يقابل النعمة فقال :
(و طعاما ذا غصة) أى صاحب انتشاب فى الحلق كالضريع والزقوم
يشتبك فيه فلا يسوغ^٣ : لا ينزل ولا يخرج بما^٤ كانوا يعانونه من تصفية هـ
المآكل و المشارب^٥، و إفراغ الجهد^٦ فى الظفر بجميع^٧ المآرب . ولما
خصص عم فقال : (و عذابا الباقى) أى [مؤلما - ٧] شديد الإيلام
لا يدع لهم عذوبة بشيء من الأشياء أصلا بما كانوا يصفون به أوقاتهم
و يكفرون على من يدعوهم إلى ما ينفعهم بالخلاص من قيود المشاهدات
و العروج^٨ من حضيض الشهوات إلى أوج الباقيات الصالحات . ١٠
ولما ذكر هذا العذاب ذكر ظرفه فقال : (يوم ترجف) أى
تضطرب و تنزل زلزالا شديدا (الأرض) أى كلها (و الجبال)
التي هى أشدها . ولما كان التقدير : فكانت الأرض قاعا صفصفا
لا ترى فيها عوجا و لا أمنا، عطف عليه قوله : (وكانت الجبال)
أى التى هى مراسى الأرض و أوتادها ، و عبر عن شدة الاختلاط ١٥
و التلاشى بالتوحيد فقال : (كشيئا) أى رملا مجتمعا ، فعيل بمعنى

(١) زيد من ظ (٢) من ظ و م ، وفى الأصل : الشرب (٣) زيدت الواو فى
الأصل ولم تكن فى ظ و م فحذفناها (٤) من ظ و م ، وفى الأصل : كما .
(٥) من ظ و م ، وفى الأصل : المشرب (٦-٧) من ظ و م ، وفى الأصل :
الظفر فى جميع (٧) زيد من ظ و م (٨) من ظ و م ، وفى الأصل : العروض .

مفعول، من كُتِبَ - إذا جمعه، و مادة كُتِبَ [بتركيبها كُتِبَ - ']
 و كُتِبَ تدور على الجمع مع القرب، و تلزمه القلة، فان حقيقة القرب
 قلة المسافة زمانا أو مكانا، و النعومة، من كُتِبَ القرب: درسته،
 و كُتِبَ عليه - بمعنى حمل أو كر. معناه قارب إن يخاطبه^٢، و كُتِبَ الرمل:
 ٥ قطعة تنقاد محدودة^٣ - ناظر إلى القلة من معنى قطعة، و كل ما انصب^٤ كذلك
 أيضا لأن الانصباب^٥ عادة يكون^٦ لما قل، و أما^٧ نعم كتاب^٨ بتقديم
 التاء و بتأخيرها أيضا أى كثير لجماعته الكثرة من الصيغة، و الكاتبة
 من الفرس هو^٩ أضيق موضع^{١٠} فى عرضها، و الكُتِبَ من الأرض:
 المطمئنة بين^{١١} الجبال - لأنها تكون صغيرة غالبا، و "الكبات كسحاب"
 ١٠ النضيج^{١٢} من ثمر الأراك، و قيل: ^{١٣} ما لم ينضج^{١٤}، و قيل: حله إذا كان
 متفرقا، فان أريد النضيج منه فتسميته به لأنه مجتمع، و إن أريد
 / ما لم ينضج فهو من مقارنة النضج، و إن أريد المتفرق^{١٥} فلقرب بعضه

/ ٥٦٥

- (١) زيد من ظ و م (٢) من م، و فى الأصل و ظ « و » (٣) من ظ و م،
 و فى الأصل: يخاطبه (٤) من ظ و م، و فى الأصل: محدودة (٥) فى ظ: انصب.
 (٦-٦) من ظ و م، و فى الأصل: يكون عادة (٧) من ظ و م، و فى الأصل:
 لا (٨) فى ظ: كئائب (٩-٩) من ظ و م، و فى الأصل: موضع صيق .
 (١٠) من ظ و م، و فى الأصل: من (١١-١١) من ظ و م، و فى الأصل:
 الكتاب كالسحاب (١٢) زيد فى الأصل: منه فتسميته به لأنه مجتمع، و لم
 تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (١٣-١٣) تكرر ما بين الرقین فى الأصل فقط .
 (١٤) من ظ و م، و فى الأصل: المتفرقة .

من بعض لأن الإراك نفسه صغير الشجر، وكبت اللحم - كفرح :
 بات مغموما فتغير أو أروح ' أى جمع ' على إنائه الذى هو فيه إناء
 آخر، أو جمع ما هو فيه حتى تضايق فهو من الجمع لهذا، وأما
 الكنبت كقنفذ و الثاء مؤخرة : الصلب الشديد، فهو فى الغالب من جمع
 أجزائه و تداخل بعضها فى بعض، وتكبيث ' السفينة أن تجنح إلى
 الأرض، هو من الجمع و القرب معا، وأما كشب كناتته - بمعنى
 نكبتها، فكان فعل استعمل هنا للإزالة، أى أزال اجتماعها أو بمعنى
 أنه قربها من رمية بتسييرها لسرعة التناول .

ولما كان الكتيب ربما أطلق مجازا على^٢ ما ارتفع وإن لم يكن
 ناعما قال : (مهلاه) أى رملا سائلا رخوا لينا مثورا، من هاله - إذا
 نشره، و قال الكلبي : هو الذى إذا أخذت منه شيئا تبعك^٤ ما بعده .
 ولما ذكر العذاب ووقته وقدمها ليكون السامع أقبل لما يطلب منه،
 أتبعهما السبب فيه مشيرا إلى ما به إصلاح أمر الآخرة التى فيها المعاد
 وإليها^٥ المنتهى والمآب^٥، فقال مؤكدا لأجل تكذيبهم^٦ :
 (أنا أرسلنا) أى بما لنا من العظمة (اليكم) يا أهل مكة شرفا
 لكم خاصة، وإلى كل من بلغته الدعوة عامة (رسولا) [أى -]

- (١-١) من ظ و م، وفى الأصل : بجمع (٢) من ظ و م، وفى الأصل : تكبيث .
 (٣) من ظ و م . وفى الأصل : الى (٤) من ظ ، وفى الأصل : معك، وفى م :
 ينفك (٥-٥) من ظ و م، وفى الأصل : المآب والمنتهى (٦) فى ظ : تعذيبهم .
 (٧) زيد من ظ و م .

جدا [و - '] هو محمد صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين وإمامهم
صلى الله عليه وسلم (شاهدا عليكم) أى بما تصنعون ليؤدى الشهادة
عند طلبها منه^٢ بما هو الحق^١ يوم ننزع من كل أمة شهيدا وهو
يوم القيامة .

٥ ولما كانت هذه السورة من أول منازل و الدين ضعيف و أهله
فى غاية القلة و الذلة ليعتبر بهم من آل [به - '] أمره إلى ان كان^٣
فى زمان صار فيه الدين غريبا كغرفته إذ ذاك، و كان فرعون أعتى^٤
الناس فى زمانه و أجبرهم، و أشد هم خداعا و أمكرهم، [و - '] كان
بنو إسرائيل فى غاية الذل له و الطواغية لأمره، و مع ذلك فلما أرسل الله
١٥ إليه موسى عليه السلام الذى ذبح فرعون أبناء بنى إسرائيل لأجل أن
يكون فى جملة من ذبحه لأنه قيل له انه يولد لبنى^٥ إسرائيل مولود
يكون هلاك القبط على يده أظهره به و أهلكه على قوته و أنجى منه
بنى إسرائيل على ضعفهم، قال [تعالى - '] تنبيها لقريش و العرب
و غيرهم على أن من كان الله معه لا ينبغي أن يقاوى^٦ و لو أنه أضعف
١٥ الخلق، و تنبيها لهم على الاعتبار بحال^٧ هذا الطاغية الذى يزيد عليهم
بالمملك و كثرة الجنود و الاموال^٨: (كما أرسلنا) أى بما لنا من

(١) زيد من ظ و م (٢-٢) سقط ما بين الرقيين من ظ و م (٣) من ظ و م،
و فى الأصل: صار (٤) من ظ و م، و فى الأصل: اعز (٥) من ظ و م، و فى
الأصل: فى بنى (٦) فى ظ: يقاويه (٧) من ظ و م، و فى الأصل: بحالة ٣
(٨) زيد فى الأصل: فقال، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فخذناها .

العظمة ﴿ الى فرعون ﴾ أى ملك مصر ﴿ رسولا^١ ﴾ ولعله نكره
للتنيه على أنه ليس من قوم فرعون^٢ فلا مانع له منه من حيم ولا شفيح
يطاع^٣، ليعلم أنه^٤ من كانت / له قبيلة تحامى عنه أولى بالنصرة .

٦٦ /

ولما كان الإرسال سببا للقبول أو الرد قال : ﴿ فعصى فرعون ﴾
أى بما له من تعوج الطباع ﴿ الرسول ﴾ أى الذى تقدم أنا أرسلناه ه
إليه فصار معهودا لكم بعد ما أراه من المعجزات اليفات^٢ والآيات
الدامغات - بما أشار إليه مظهر العظمة، ولذلك سبب عن عصيانه قوله :
﴿ فاخذنه ﴾ أى بما لنا من العظمة، وبين أنه^٣ أخذ قهر و غضب^٤
بقوله : ﴿ اخذا ويلاه ﴾ أى^٥ ثقيل شديدا متعبا^٦ مضيقا ردئ العاقبة،
من قولهم^٧ : طعام ويل - إذا كان وخما لا يستمرئى أى لا ينزل^٨ فى ١٠
المرى ولا يخف عليه، وذلك^٩ بأن أهلكناه ومن معه أجمعين لم ندع
منهم أحدا، وسيأتى إن شاء الله تعالى فى «الم نشرح» قاعدة إعادة
النكرة^{١٠} والمعركة .

ولما علم بهذا أنه سبحانه شديد الأخذ، وأنه لا يغنى ذا
الجد منه الجدد، سبب عن ذلك قوله محذرا لهم الاقتداء بفرعون :

-
- (١) من ظ و م ، وفى الأصل : مصر (٢) سقط من ظ و م (٣) من ظ و م ،
وفى الأصل : ان (٤-٤) من ظ و م ، وفى الأصل : اخذه قهرا و غضبا وكيدا .
(٥-٥) من ظ و م ، وفى الأصل : شديدا مثقلا متعبا (٦) زيدت الواو فى
الأصل ولم تكن فى ظ و م فحذفناها (٧) من ظ و م ، وفى الأصل : لا يترك .
(٨) من ظ و م ، وفى الأصل : كذلك (٩) من ظ و م ، وفى الأصل : التنكير .

(فكيف تتقون) أى توجدون الوقاية التى تقى انفسكم ، و [لما - ١]
 كان التنفير^٢ من سبب التهديد أهم لأنه أدل على رحمة المخذر و أبعث
 على اجتنابه ، قال مشيرا بأداة الشك إلى أن كفرهم بالله مع ما نصب
 لهم من الأدلة العقلية المؤيدة بالنقلية ينبغى أن لا يوجد بوجه ، وإنما
 ٥ يذكر على سبيل الفرض و التقدير : (ان كفرتم) أى أوقعتم الستر
 لما غرس فى فطركم من أنوار الدلائل القائدة إلى^٣ الإيمان بقيقتم على
 كفركم - على أن العبارة مشيرة إلى أنه عفا عنهم الكفر الماضى فلا
 يعدم عليهم رحمة منه وكرما و لا يعد عليهم إلا ما أوقعوه بعد مجيء
 الرسول صلى الله عليه وسلم (يوم) [اى - ١] هو مثل فى الشدة
 ١٠ بحيث [أنه - ١] يقال فيه (يجعل) لشدة أهواله و زلزاله و أوجاله
 (الولدان) اى عند الولادة أو بالقرب منها (شيئا) جمع أشيب
 و هو من ابيض شعره ، و ذلك كناية عن كثرة المصوم فيه لأن
 العادة جارية بأنها إذا تفاقمت أسرع بالشيب ، و المعنى إنكار أن يقدروا
 على أن يجعلوا لهم وقاية بغاية جهدهم تقيهم عذاب ذلك اليوم الموصوف
 ١٥ بهذا الهول الأعظم ، و ذلك حين يقول الله : يا آدم قم فابعث^٤ بعث
 النار من كل ألف تسعمائة و تسعة و تسعين ، و أسند الجعل إلى اليوم
 لكونه واقعا فيه كما جعله المتقى ، و إنما المتقى العذاب الواقع فيه .

(١) زيد من ظ و م (٢) من م ، وفى الأصل وظ : التنكير (٣) من ظ و م ،
 وفى الأصل : على (٤) من م ، وفى الأصل وظ : بعيد (هـ) من ظ و م ، وفى
 الأصل : وابعث .

ولما كان هذا امرا عظيما ، صور بعض احواله زيادة في عظمه
 فقال^١ : ﴿ السماء ﴾ أى على عظمها و علوها وشدة إحكامها . ولما كان
 المراد الجنس^٢ الشامل لكل ذكر فقال : ﴿ منفطر ﴾ أى منشق متزايل
 من هية الرب تزايل المنفطر من السلك ، ولو أنث لكان ظاهرا في
 واحدة من السماوات ، وفي اختيار التذكير ايضا لطيفة / أخرى ، ه ٥٦٧ /
 وهى إفهام الشدة الزائدة في الهول المؤدى إلى انفطاره^٣ ما هو في
 غايه الشدة لأن الذكر في كل شيء أشد من الأنثى ، وذلك كله تهويلا
 لليوم المذكور^٤ ﴿ به^٥ ﴾ أى بشدة ذلك اليوم و باؤه للآلة ، ويجوز
 كونها بمعنى فيه ، أى يحصل فيه التفطر و التشقق بالغام و نزول
 الملائكة و غير ذلك من التساقط و الوهى على شدة وثاقها^٦ فما ظنك ١٠
 بغيرها . ولما كان هذا عظيما ، استأنف بيان هوانه^٧ بالنسبة إلى عظمته
 سبحانه و تعالى فقال : ﴿ كان ﴾ أى على [كل - ^٨] حال و بكل
 اعتبار ﴿ وعده ﴾ أى وعد الله الذى تقدم ذكره في مظاهر العظمة ،
 فالإضافة للصدر إلى الفاعل ﴿ مفعولا^٩ ﴾ أى سهلا مفروغا^{١٠} منه في
 أى شيء كان ، فكيف إذا كان بهذا اليوم الذى هو محط الحكمة ، ١٥

(١) زيد في الأصل : مشيرا اليه ، ولم تكن الزيادة في ظ و م لحذفها .

(٢) من ظ و م ، وفي الأصل : لذكر (م) من ظ و م ، وفي الأصل : الانقطاره .

(٣) سقط من ظ و م (هـ) من ظ و م . وفي الأصل : وثاقها (٦) من ظ

وم ، وفي الأصل : هوله (٧) زيد من ظ و م (٨) من ظ و م ، وفي

الأصل : مطروقا .

أو الضمير لليوم فالإضافة إلى المفعول ، إشارة إلى ان الوعد الواقع به وفيه لا بد منه ، و معلوم أنه لا يكون إلا من الله .
 و لما كان ما مضى من هذه السورة من الاحكام و الترغيب و التهيب مرشدا^١ إلى معالى الاخلاق منقذا من كل سوء ، قال مستأنفا
 ٥ مؤكدا تنبيها على عظمها و أنها بما ينبغي التنبيه عليه : (ان هذه) أى القطعة^٢ المتقدمة من هذه السورة (تذكرة^٣) أى تذكير عظيم هو أهل لأن يتعظ به المتعظ و يعتبر به المتعبر ، و لا سيما ما ذكر فيها بأهل الكفر من أنواع العقاب . و لما كان سبحانه قد جعل للانسان عقلا يدرك به الحسن و القبيح ، و اختيارا يتمكن به من اتباع ما يريد ،
 ١٠ فلم يبق له مانع من جهة اختيار الاصلح و الاحسن إلا قسر المشيئة التى لا اطلاع له عليها و لا حيلة [له - ٢] فيها ، سبب عن ذلك قوله :
 (فمن شاء) أى التذكر ، للاتماظ (اتخذ) أى أخذ بغاية جهده (الى ربه) أى خاصة ، لا إلى غيره (سيلا) أى طريقا يسلبه حظوظه لكونه لا لبس فيه ، فيسلك على^٤ وفق ما جاءه من التذكرة ،
 ١٥ و ذلك الاعتصام حال السير بالكتاب و السنة على وفق ما اجتمعت عليه الأمة ، و متى زاغ عن ذلك هلك .

و لما كان ربما تعالى بعض الناس فى العبادة و شق على نفسه ،

(١) من ظ و م ، وفى الأصل : برشد (٢) من ظ و م ، وفى الأصل : العظيمة .
 (٣) زيد من ظ و م (٤) من ظ و م ، وفى الأصل : التذكير (٥) من م ، وفى الأصل و ظ : اخذا (٦) زيد فى الأصل : غير ، ولم تكن الزيادة فى ظ و م لخدفتها .

وربما شق على غيره، أشار سبحانه وتعالى إلى الاقتصاد تخفيفا لما يلحق الإنسان من نصب، مشيرا إلى ما يعمل حالة اتصال الروح بالجسد وهي حالة الحياة، لأن منفعتها التزود من ^١ كل خير لما أدناه ^٢ هول المقابر، فإن الروح في غاية اللطافة، والجسد في غاية الكثافة، لأنها من عالم الأمر، وهو ما يكون الإيجاد فيه بمرة واحدة من غير ه تدريج وتطوير، والجسد من عالم الخلق فهي غريسة فيه تحتاج إلى التأنيس، وتأنيسها بكل ما يقربها / إلى العالم الروحاني المجرد عن علائق الأجسام، وذلك بصرف ^٣ القلب كله ^٢ عن هذه الدنایا والتلبس بالأذكار والصلوات وجميع الأعمال الصالحات، فإن ذلك هو المعين على اتصالها بعالمها العالی العزیز العالی ^٤، وأعون ما يكون على ذلك ^{١٠} الحكمة، وهي العدل في الأعمال والاقتصاد في الأقوال والأفعال، قال مستاقفا الجواب عن تيسير السيل وبنائه على الحنفية السمحة بحيث صار لا مانع منه إلا يد القدرة: ﴿ ان ربك ﴾ أى المدبر لأمرك على ما يكون إحسانا إليك ورققا بك وبأمتك ﴿ يعلم انك تقوم ﴾ أى في الصلاة كما أمرت به أول السورة .

١٥

ولما كانت كثرة العمل بمدوحة وقلته بخلاف ذلك، استعار للاقل [قوله - °] : ﴿ ادنى ﴾ أى ^٦ زمانا أقل، والأدنى ^٧ مشترك

(١) من ظ وم، وفي الأصل « و » (٢) من ظ وم، وفي الأصل : ارداه من .

(٣-٢) في م : القلب، وما بين الرتين ساقط من ظ (٤) سقط من ظ (٥) زيد

من ظ وم (٦) سقط من ظ وم (٧) من ظ، وفي الأصل وم : أدنى .

بين الأقرب ، و الأدون للانزل^١ رتبة لأن كلا منهما^٢ يلزم منه قلة المسافة (من ثلثي الليل) في بعض الليالي (ونصفه و ثلثه) [أى - ٢] و أدنى من كل منهما في بعض الليالي - هذا على قراءة الجماعة ، و المعنى على قراءة ابن كثير و الكوفيين بالنصب تعيين النصف و الثلث ٥ الداخل تحت الأدنى^٣ من الثلثين ، و هو على القراءتين مطابق لما وقع التخيير فيه في أول السورة بين قيام النصف بتمامه أو الناقص منه و هو الثلث أو الزائد عليه و هو الثلثان ، أو الأقل من الأقل من النصف و هو الربع .

و لما ذكر سبحانه قيامه صلى الله عليه وسلم ، أتبعه قيام أتباعه ، ١٠ فقال عاطفا على الضمير المستكن^٤ في " تقوم " و حسنه الفصل : (و طائفة) أى و يقوم كذلك جماعة فيها أهلية التحلق بأقبالهم^٥ عليك^٦ و إقبال بعضهم على بعض . و لما^٧ كانت العادة أن^٨ صاحب ربما أطلق [على - ٩] من مع الإنسان بقوله دون قلبه عدل إلى قوله : (من الذين معك) أى بأقوالهم و أفعالهم ، أى على الإسلام^{١٠} ، وكأنه

-
- (١) من ظ و م ، وفي الأصل : لك انزل (٢) من ظ و م ، وفي الأصل : منها .
 (٣) زيد من ظ و م (٤) زيدت الواو في الأصل ولم تكن في ظ و م لحذفها .
 (٥) من ظ و م ، وفي الأصل : المستتر (٦) من ظ و م ، وفي الأصل : بأقبالها .
 (٧) زيد في الأصل : بأقبالهم عليها ، ولم تكن الزيادة في ظ و م لحذفها .
 (٨-٨) في ظ و م : كان (٩) زيد من م (١٠) من ظ و م ، وفي الأصل : الانسان .

اختار هذا دون ان يقول "من المسلمين" لانه يفهم ان طائفة لم تقم بهذا 'القيام' فلم يرد^١ ان يسميهم مسلمين ، و المعية أعم .

و لما كان [القيام - ٢] على هذا التفات مع الاجتهاد في السبق

في 'العبادة دالا على عدم العلم بالمقادير على ما هي عليه قال تعالى :

(والله) أى تقومون هكذا لعدم * علمكم بمقادير الساعات على ٥

التحرير و الحال أن الملك المحيط بكل شيء قدرة و علما وحده

(يقدر) أى تقديرا عظيما هو في غاية التحرير (الليل و النهار)

فيعلم كل دقيقة منها على ما هي عليه لانه خالقهما^١ و لا يوجد شيء

منها إلا به " الا يعلم من خلق " .

و لما علم من هذا المشقة عليهم في قيام الليل على هذا الوجه علما ١٠

و عملا ، ترجم ذلك بقوله : (علم) أى الله سبحانه (ان لن تحصوه)

أى تطبقوا التقدير علما و عملا ، و منه قوله صلى الله عليه و سلم

/ استقيموا و لن تحصوا ، (قتاب) أى قسب عن هذا العلم أنه سبحانه / ٥٦٩

رجع بالنسخ عما كان أوجب (عليكم) بالترخيص لكم في ترك القيام

المقدر أول السورة ، أى رفع التبعة^٢ عنكم في ترك القيام على ذلك ١٥

(١ - ١) في ظ : هذا (٢) من ظ و م ، وفي الأصل : فلم يراد (٣) زيد من

ظ و م (٤) من م ، وفي الأصل و ظ : على (٥) من ظ و م ، وفي

الأصل : لعلم (٦) من م ، وفي الأصل و ظ : خلقهما (٧) زيد في الأصل :

الى آخره ، و لم تكن الزيادة في ظ و م لخذفها (٨) من ظ و م ، وفي

الأصل : نسخته .

التقدير الذى قدره كما رفع عن التائب ، وكأنه سماه توبة وإن لم يكن
ثم معصية لإشارة إلى أنه من شأنه لثقله أن يجر إلى المعصية
ولما رفعه سبب عنه أمرهم بما يسهل عليهم فقال معبرا عن الصلاة
بالقراءة لأنها أعظم أركانها إشارة إلى أن التهجد مستحب لا واجب :
٥ (فاقروا) أى فى الصلاة أو غيرها فى الليل والنهار (ما تيسر)
أى سهل و هان إلى الغاية عليكم ولأن واقاد لكم (من القرآن)
أى الكتاب الجامع لجميع ما ينفعكم ، قال القشيري : يقال : من خمس آيات
إلى ما زاد ، ويقال : من عشر آيات إلى ما يزيد ، قال البغوى ^٢ : قال
قيس بن أبى حازم : صليت خلف ابن عباس رضى الله عنهما بالبصرة ،
١٠ ققرأ فى أول ركعة بالحمد وأول آية من البقرة ، ثم قام فى الثانية
ققرأ بالحمد والآية الثانية . وقيل : إنه أمر بالقراءة مجردة إقامة [لها - ^٢]
مقام ما كان يجب عليهم من الصلاة بزيادة فى التخفيف ، ولذلك
روى أبو داود ^٤ وابن خزيمة وابن حبان فى صحيحه عن عبد الله
ابن عمرو بن العاص رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه
١٥ وسلم : من قام * بعشر آيات * لم يكتب من الغافلين ، ومن قام
بمائة آية كتب من القانتين ، ومن قام بألف آية كتب من المقنطرين ^٥ .
قال المنذرى : من سورة الملك إلى آخر القرآن ألف آية .

(١) من ظ وم ، وفى الأصل : زاد (٢) راجع المعالم ١٤٢/٧ (٣) زيد من ظ وم .

(٤) راجع السنن ٢٠٥/١ (٥ - ٥) من ظ وم والسنن ، وفى الأصل : بأيات .

(٦) من ظ وم والسنن ، وفى الأصل : المقنطين .

ولما كان هذا نسخا لما كان واجبا من قيام الليل اول السورة
لعلمه سبحانه بعدم إحصائه، فسر ذلك العلم المجمل بعلم مفصل بيانا
لحكمة أخرى للنسخ فقال: ﴿ علم ان ﴾ أى أنه ﴿ سيكون ﴾ ' يعنى
بتقدير لا بد لكم^٢ منه ﴿ منكم مرضى^٣ ﴾ جمع مريض، وهذه السورة
من أول ما أنزل عليه صلى الله عليه وسلم، ففي هذا بشارة بأن أهل
الإسلام يكثرون جدا .

ولما ذكر عذر المريض وبدأ به لكونه أعم ولا قدرة للمريض
على دفعه، أتبعه السفر للتجارة لأنه يليه في العموم، فقال مبشرا
مع كثرة أهل الإسلام باتساع الأرض لهم: ﴿ و' آخرون ﴾
[أى-^٤] غير المرضى ﴿ يضربون ﴾ أى يوقعون الضرب ﴿ فى الأرض ﴾ ١٠
أى يسافرون لأن الماشى يجد واجتهاد يضرب^٥ الأرض برجله، ثم استأنف
بيان علة الضرب بقوله: ﴿ يتغنون ﴾ أى يطلبون طلبا شديدا، وأشار
إلى سعة ما عند الله بكونه فوق أمانهم فقال: ﴿ من فضل الله لا ﴾
أى بعض ما أوجده الملك الأعظم لعباده ولا حاجة^٦ به إليه^٧ بوجه
من الربح فى التجارة أو تعلم العلم ﴿ و' آخرون ﴾ أى منكم أيها المسلمون ١٥
﴿ يقاتلون ﴾ أى يطلبون ويوقعون قتل أعداء الله، ولذلك بينه بقوله:

(١) زيد فى الأصل: أى، ولم تكن الزيادة فى ظ وم لحذفها (٢) سقط من ظ
وم (٣) زيد من ظ وم (٤) زيد فى الأصل: فى، ولم تكن الزيادة فى ظ
وم لحذفها (هـ - هـ) من ظ وم، وفى الأصل: له اليكم .

(في سبيل الله) أى ذلك القتل مطروف لطريق الملك الاعظم
 لينزول عن سلوكه المانع لقتل قطاع الطريق المعنوى والحسى، وأظهر
 ولم يضمّر تعظيماً للجهد ولثلاً يلبس بالعود إلى المتجر، وهو ندب لنا
 من الله إلى رحمة العباد والنظر فى أعذارهم، فمن لا يرحم لا يرحم،
 ٥ قال البغوى^٢ : روى إبراهيم عن ابن مسعود رضى الله عنه قال : أما رجل
 جلب شيئاً من مدينة من مدائن المسلمين صابراً محتسباً فباعه بسعر يومه
 كان عند الله بمنزلة الشهداء، ثم قرأ عبد الله ” وَاخْرُونَ يَضْرِبُونَ فِي
 الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ “ الآية . وعن عبد الله بن عمر رضى الله عنها [أنه -^٣
 قال : ما خلق الله مائة أمواتها بعد القتل فى سبيل الله أحب إلى من أن
 ١٠ أموت بين شعبي رجل اضرب فى الأرض أبتنى من فضل الله .

ولما كانت هذه أعذاراً أخرى مقتضية للتريخىص أو أسباباً لعدم
 الإحصاء، رتب عليها الحكم السابق، فقال مؤكداً للقراءة يانا لمزيد
 عظمتها : (فافروا) أى كل واحد منكم (ما تيسر) أى لكم (منه)
 أى القرآن، أضمره^١ إعلالاً بأنه عين السابق، فصار الواجب قيام شىء
 ١٥ من الليل على وجه التيسير، ثم نسخ ذلك بالصلوات الخمس . ولما كان
 صالحاً لأن يراد به الصلاة لكونه أعظم أركانها وأن يراد [به -^٢
 نفسه من غير صلاة زيادة فى التخفيف، قال ترجيحاً لإرادة هذا الثانى

(١) من م، وفى الأصل و ظ : بطريق (٢) راجع معالم التنزيل ١٤٢ / ٧ .

(٣) زيد من ظ و م (٤) من ظ و م، وفى الأصل : مضى .

أو تنصيصاً على إرادة الأول : ﴿ و اقيموا ﴾ أى أوجدوا إقامة ﴿ الصلوة ﴾ المكتوبة بجميع الأمور التى تقوم بها من أركانها وشروطها ومقدماتها ومتمماتها وهيئاتها ومحسناتها ومكملاتها .

ولما ذكر بصفة الخالق التى هى [احد - ١] عمودى الإسلام البدنى والمالى ، أتبعها العمود الآخر وهو الوصلة بين الخلائق فقال : ه ﴿ و اتوا ﴾ من طيب أموالكم التى أنعمنا بها عليكم ﴿ الزكوة ﴾ أى المفروضة ، ولما كان المراد الواجب المعروف ، أتبعه سائر الانقاقات المفروضة والمندوبة ، فقال : ﴿ و اقرضوا الله ﴾ أى الملك الأعلى الذى له جميع صفات الكمال التى منها ' النقى المطلق ، من أبدانكم وأموالكم فى أوقات صحتكم ويساركم ﴿ قرضا حسناً ﴾ من نوافل الخيرات كلها ١٠ فى جميع شرعه برغبة تامة وعلى هيئة جميلة فى ابتدائه وانتهائه وجميع أحواله ، فانه محفوظ لكم عنده ٢ مبارك فيه ليرده عليكم مضاعفاً أحوج ما تكونون إليه .

ولما كان هذا الدين جامعاً ، وكان هذا القرآن حكيماً لأن منزله ٣ له صفات الكمال ٤ فأمر فى هذه الجمل بأمهات الأعمال اهتماماً بها ٥ ، ١٥

(١) زيد من ظ و م (٢) من ظ و م ، وفى الأصل : فيها (٣) زيد فى الأصل : وانه ، ولم تكن الزيادة فى ظ و م لحذفناها (٤) زيد فى الأصل : وانتم ، ولم تكن الزيادة فى ظ و م لحذفناها (٥) زيد فى الأصل : يكون ، ولم تكن الزيادة فى ظ و م لحذفناها (٦) من ظ و م ، وفى الأصل : الكلام (٧) زيد فى الأصل : ثم ، ولم تكن الزيادة فى ظ و م لحذفناها .

أتبع ذلك أمرا عاما بجميع شرائع الدين فقال: ﴿وما تقدموا﴾
 وحث على إخلاص النية بقوله: ﴿إلا أنفسكم﴾ أى خاصة سلفا لأجل
 ما بعد الموت لا تقدرّون على الأعمال ﴿من خير﴾ أى أى خير
 كان من عبادات^٢ البدن و المال^٢ ﴿تجدوه﴾ محفّوظا لكم ﴿عند الله﴾
 هـ أى المحيط بكل شيء قدرة وعلما ﴿هو﴾ أى لا غيره^٤ ﴿خيبرا﴾
 أى لكم، وجاز وقوع الفصل بين غير معرفتين لأن «أفعل» من، كالمرقة،
 ولذلك يمنع دخول أداة التعريف^٦ عليها.

ولما كان [كل -^٧] من عمل خيرا جوزى عليه سواء كان
 عند الموت^٨ أو فى^٨ الحياة سواء كان كافرا أو مسلما^٩ مخلصا أولا،
 ١٠ إن كان مخلصا كان جزاؤه فى الآخرة وإلا فى الدنيا، [قال -^٧]:
 ﴿واعظم اجرا﴾ أى مما لمن أوصى فى مرض الموت، [وكان -^٧]
 بحيث يجازى [به -^٧] فى الدنيا.

ولما كان الإنسان إذا عمل ما يمدح عليه ولا سيما إذا^{١٠} كان المادح

(١) سقط من ظ و م (٢-٢) من ظ و م وفى الأصل: المال والبدن.
 (٣) زيد فى الأصل: الله تعالى، ولم تكن الزيادة فى ظ و م لحذفناها (٤) زيد
 فى الأصل: يدخر لكم، ولم تكن الزيادة فى ظ و م لحذفناها (٥) من م، وفى
 الأصل، الأفعال، وفى ظ: أفعال (٦) من ظ و م، وفى الأصل: النصرف.
 (٧) زيد من ظ و م (٨-٨) من ظ و م، وفى الأصل: أم (٩) من ظ و م،
 وفى الأصل: المسلم (١٠) فى م: إن، والعبارة من هنا بما فيها هذه الكلمة ساقطة
 من ظ إلى «بوجه على».

له ربه ربما أدركه الإعجاب ، بين له أنه لا يقدر بوجه على أن يقدر الله
حق قدره ، فلا يزال مقصرا فلا يسهه إلا العفو بل الغفر فقال حاثا
على أن يكون ختام الأعمال بالاستغفار والاعتراف بالتقصير في خدمة
المتكبر الجبار مشيرا إلى حالة انفصال روحه عن بدنه وأن صلاحها
الراحة من كل شر: ﴿ واستغفروا الله ﴾ أى اطلبوا وأوجدوا هـ
ستر الملك الأعظم الذى لا تحيطون بمعرفته [فكيف - '] بأداء حق
خدمته لتقصيركم عينا واثرا بفعل ما يرضيه واجتناب ما يسخطه .

ولما علم من السياق ومن التعبير بالاسم الأعظم أنه سبحانه
بالغ في العظمة إلى حد يؤيس من إجابته ، علل الأمر بقوله مؤكدا
تقريبا لما يستبعده من يستحضر عظيمته سبحانه وشدة^٢ انتقامه وقوة^{١٠}
بطشه: ﴿ ان الله ﴾ وأظهر إعلاما بأن^٢ صفاته لا تقصر آثارها على
المستغفرين ولا على مطلق السائلين ﴿ غفور ﴾ أى بالغ الستر لأعيان
الذنوب و آثارها حتى لا يكون عليها عتاب ولا عقاب ﴿ رحيم ٤ ﴾
أى بالغ الإكرام بعد الستر إفضالا وإحسانا وتشريفا و امتانا ، وقد
اشتملت هذه السورة على شرح قول النبي صلى الله عليه وسلم فيما أوتى ١٥
من جوامع الكلم د [اللهم - '] أصلح لى دينى الذى هو عصمة
أمرى وأصلح لى دنياى التى فيها معاشى وأصلح لى آخرتى التى إليها
(١) زيد من ظ و م (٢) من ظ و م ، وفى الأصل : قدرة (٣) من ظ و م ،
وفى الأصل : ان .

منقلبى واجعل الحياة زيادة لى فى كل خير واجعل الموت راحة لى
من ' كل شر' ، كما أشير إلى كل جملة منها فى محلها ، ولقد رجع آخر
السورة - بالترغيب فى العمل وذكر جزائه - على أولها الأمر بالقيام بين
يديه وبإشارة ^٢ الاستغفار إلى عظم المقام وإن جل العمل ودام وإن
كان بالقيام فى ظلام الليلى والناس نيام ، فسبحان من له هذا الكلام
المعجز لسائر الأنام لإحاطته بالجلال والإكرام ، فسبحانه من إله جابر
القلوب المنكسرة ^٣ .

(.)

(١ - ١) من ظ و م ، وفى الأصل : مضر (٢) من ظ و م ، وفى الأصل :

بالإشارة إلى (٣ - ٣) سقط ما بين الرقيين من ظ و م .

سورة المدثر^١

مقصودها الجد والاجتهاد في الإنذار بدار البوار لاهل الاستكبار، وإثبات البعث في أنفس المكذبين الفجار، والإشارة بالبشارة لاهل الادكار، بحلم العزيز / الغفار، واسمها المدثر^٢ أدل ما فيها على ذلك، هـ ٧٢ / وذلك واضح لمن تأمل النداء^٣ والمنادى به والسبب ﴿ بسم الله ﴾ الملك الأعلى الواحد القهار ﴿ الرحمن ﴾ الذي عم بنعمى الإيجاد والبيان الأبرار والفجار ﴿ الرحيم هـ ﴾ الذى خص اهل اصفياه بالاستبصار، والتوفيق إلى ما يوصل إلى دار القرار.

لما ختمت "المزمل" بالبشارة لأرباب^٤ البصارة بعد ما بدئت ١٠ بالاجتهاد^٥ فى الخدمة المهيبة للقيام بأعباء الدعوة، افتتحت هذه [بمحط - ^٦] حكمة الرسالة وهى النذارة لأصحاب^٧ الحسارة، فقال معبرا بما فيه بشارة بالسعة فى المال والرجال والصلاح وحسن الحال فى الحال والمآل، ومعرفا بأن المخاطب فى غاية اليقظة بالقلب وإن

(١) الرابعة والسبعون من سور القرآن الكريم، مكية، وعدد آياتها ست ونهمسون (٢) زيد فى الأصل وظ : على ، ولم تكن الزيادة فى م لحذفها . (٣) من م ، وفى الأصل وظ : انداز (٤) زيد فى الأصل : اى ، ولم تكن الزيادة فى ظ وم لحذفها (٥) من م ، وفى الأصل وظ : ولما (٦) من ظ وم ، وفى الأصل : لأهل (٧) زيدت الواو فى الأصل ولم تكن فى ظ وم لحذفها (٨) زيد من ظ وم (٩) من ظ وم ، وفى الأصل : لأرباب .

ستر القلب: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ﴾ المشتمل بثوبه، من تدثر^١ بالثوب: اشتمل به، والدثار - بالكسر ما فوق الشعر من الثياب، والشعار ما لاصق البدن "الأنصار شعار والناس دثار" والدثر: المال الكثير، ودثر الشجر: أورق، وتدثير الطائر: إصلاحه عشه، والتعير بالأداة ٥ الصالحة للقرب والبعد يراد به غاية القرب بما عليه السياق وإن كان التعبير بالأداة فيه نوع ستر^٢ لذلك مناسبة للتدثر^٣، واختير التعبير بها^٤ لأنه لا يقال بعدها إلا ما جل وعظم من الأمور، وكان الدثار لم يعم بدنه الشريف بما دل عليه التعبير بالإدغام دون الإظهار الدال على المبالغة لأن المراد إنما كان ستر العين ليجتمع القلب، فيكفي في ١٠ ذلك ستر الرأس وما قاربه من البدن، والإدغام شديد المناسبة للدثار .

ولما كان [في - °] حال تدثره قد لزم موضعا واحدا فلزم من ذلك إخفاء نفسه الشريفة، أمره صلى الله عليه وسلم بالقيام، وسبب عنه الإنذار إشارة إلى أن ما يراد^٥ به من أنه يكون أشهر الخلق بالرسالة العامة مقتض لتشمير الذيل والحمل على النفس بغاية الجد ١٥ والاجتهاد اللازم عنه كثرة الانتشار، فهو مناف للتدثر بكل اعتبار

فقال: ﴿قم﴾ أى مطلق قيام، ولا سيما من محل تدرك بغاية العزم والجد .

(١) من ظ وم، وفي الأصل: تدثره (٢-٢) تكرر ما بين الرقنين في الأصل فقط (٣) من م، وفي الأصل وظ: به (٤) من ظ وم، وفي الأصل: بدون . (٥) زيد من ظ (٦) من ظ وم، وفي الأصل: ايرا .

ولما كان الأمر عند نزول هذه السورة في أوله والناس قد
عمهم^١ الفساد، ذكر أحد وصفي الرسالة إيدانا بشدة الحاجة إليه
فقال مسيئا عن قيامه: { فأنذرهم } أى فافعل الإنذار لكل من يمكن
إنذاره فأنذر من كان راقدا في غفلاته، متدبرا بأثواب^٢ سكراته، لاهايا
عما أمامه من أهوال يوم القيامة، و لذا من كان مستيقظا ولكنه ه
متدثر بأثواب تشويهاة وأغشية قتراته، فانه [يجب - ٢] على كل^٣
مريوب أن يشكر ربه وإلا عاقبه بعناده له أو غفلته عنه^٤ بما أقله
الإعراض عنه، وحذف المفعول إشارة إلى عموم الإنذار لكل من
يمكن منه المخالفة عقلا وهم جميع الخلق، وذلك / أنه صلى الله عليه
٥٧٣ / وسلم كان^٥ نزل عليه جبريل عليه السلام بـ "اقرأ باسم ربك^٦" ونحوها ١٠
^٨ فكان بذلك نبيا^٧ ثم نزلت^٨ عليه هذه [الآية - ١٠] فكان بها
رسولا، وذلك أنه نودى وهو في جبل حراء، فلما سمع الصوت نظر^٩
يمينا وشمالا فلم ير شيئا، فرفع رأسه^{١٠} فاذا جبريل عليه الصلاة والسلام
جالس على عرش بين السماء والارض، ففرق^{١١} من ذلك^{١٢} أشد الفرق،

(١) في م: عم (٢) من ظ وم، وفي الأصل: في أثواب (٣) زيد من ظ وم.
(٤) زيد في الأصل: من كان، ولم تكن الزيادة في ظ وم لحذفها.
(٥) من ظ وم، وفي الأصل: منه (٦) زيد في الأصل: اذا، ولم تكن الزيادة
في ظ وم لحذفها (٧) زيد في الأصل: الذى خلق خلقى، ولم تكن الزيادة في
ظ وم لحذفها (٨ - ٨) ما بين الرقين بياض في الاصل ملأناه من ظ وم.
(٩) من ظ وم، وفي الأصل: نزل (١٠) زيد من ظ (١١) من ظ وم،
وفي الأصل: طرقة.

فبادر المجيء إلى البيت ترجف بواده^١ وقال: دثروني دثروني، لقد خشيت على نفسي، صبوا عليّ ماءً بارداً.

و لما كان الإنذار يتضمن مواجهة الناس بما يكرهون، وذلك عظيم على الإنسان، و كان المقتر عن^٢ اتباع الداعي أحد أمرين: تركه بما يؤمر به، و طلبه عليه الأجر، كما أن الموجب لاتباعه عمله بما دعا إليه، و بعده عن أخذ الأجر عليه، أمره بتعظيم من أرسله سبحانه فانه إذا عظم حق تعظيمه صغر كل شيء دونه، فهان عليه الدعاء^٣ و كان له معيناً على القبول فقال: ﴿و ربك﴾ أي 'المربي لك' خاصة ﴿فكبراً﴾ أي 'وقم' فتسبب عن قيامك بغاية الجد^٤ و الاجتهاد أن تصفه وحده بالكبرياء قولاً و اعتقاداً على كل حال، و ذلك تنزيهه عن الشرك أول كل شيء، و كذا عن كل ما لا يليق به من وصل و فصل، و من سؤال غيره، و الاشتغال بسواه.

[و - ٢] قال الإمام أبو جعفر بن الزبير: ملامتها^٥ لسورة المزمل واضحة، و استفتاح السورتين من نمط واحد، و ما ابتدئت به كل واحدة منهما من جليل خطابيه عليه الصلاة و السلام و عظيم تكريمه "يا أيها المزمل"^٦ "يا أيها المدثر" و الأمر فيهما بما يخصه "قم الليل الا قليلاً نصفه" الآي، و في الأخرى "قم فأنذر

(١) من ظ و م، وفي الأصل: فواده (٢) من ظ و م، وفي الأصل: علي (٣) زيد في الأصل: لا، و لم تكن الزيادة في ظ و م لحذفها (٤ - ٥) إسقط ما بين الرقيين من ظ (٥ - ٥) من م، وفي الأصل: و ظ: نعم (٦) من ظ و م، وفي الأصل: الحمد (٧) زيد من ظ و م (٨) من ظ و م، وفي الأصل: لملامتها (٩ - ٩) سقط ما بين الرقيين من م.

و ربك فكبر " اتبعت في الأولى بقوله " فاصبر على ما يقولون " وفي الثانية بقوله " ولربك فاصبر " وكل ذلك قصد واحد ، و اتبع أمره بالصبر في المزمّل بتهديد الكفار ووعيدهم " وذرنى والمكذّبين " الآيات ، وكذلك في الأخرى " ذرنى ومن خلقت وحيدا " الآيات ، فالسورتان واردتان في معرض واحد وقصد متحد - انتهى .

ولما كان تنزيه العبد عن الأدناس لأجل تنزيه المعبود ، قال آمرا بتطهير الظاهر والباطن باستكمال القوة النظرية في تعظيمه سبحانه ليصلح أن يكون من أهل حضرته وهو أول مأمور به من رفض العادات المذمومة : (وثيابك فطهر ^١) أى وقم فخص ثيابك الحسية بابعادها عن النجاسات بمجانبة عوائد المتكبرين من تطويلها ، وبتطهيرها ^{١٠} لتصلح للوقوف في الخدمة بالحضرة القدسية ، و^١ المعنوية وهى كل ما اشتمل على العبد من الأخلاق المذمومة والعوائد السقيمة من الفترة^٢ عن الخدمة والضجر والاسترسال مع شيء من عوائد النفس ، وذلك يهون باستكمال القوة النظرية .

ولما أمر بمجانبة القدر في الثياب وأراد الحسية والمعنوية ، / وكان ١٥ / ٧٤ ذلك ظاهرا^٣ في الحسية ، وجعل ذلك كناية عن تجنب الأقدار كلها لأن من جنب ذلك [ملبسه - ^٤] أبعد عن نفسه من باب الأولى ،

(١) زيد في الأصل : هـ ، ولم تكن الزيادة في ظ و م لخذفائها (٢) من ظ و م ، وفي الأصل : العمرة (٣) من ظ و م ، وفي الأصل : ظاهر (٤) زيد من ظ و م .

حَقَّقَ الْعُمُومَ وَأَكَّدَ فَقَالَ: ﴿وَالرَّجْزُ﴾ أَيْ كُلُّ قَذَرٍ فَانَهُ سَبَبُ الدُّنْيَا الَّتِي هِيَ سَبَبُ الْعَذَابِ، قَالَ فِي الْقَامُوسِ: الرَّجْزُ بِالْكَسْرِ وَالضَّمِّ: الْقَذَرُ وَعِبَادَةُ الْأَوْثَانِ [وَالْعَذَابُ] وَالشَّرْكَ. ﴿فَاجْهَرْ بِهِ﴾ أَيْ جَانِبَ جَهَارًا وَعِبَادَةً، لِيَحْصَلَ لَكَ الثَّوَابُ كَمَا كُنْتَ تَجَانِبُهَا سِرًّا وَعَادَةً، لِحَصْلِ هـ لَكَ الثَّأْنُ الْحَسَنُ حَتَّى أَنْ قَرِيشًا إِنَّمَا تَسْمِيكَ الْأَمِينَ وَلَا تَنَاطُرَ لَكَ أَحَدًا مِنْهَا.

وَلَمَّا بَدَأَ بِأَحَدِ سَبَبِي الْقَبُولِ^١، اتَّبَعَهُ الثَّانِي الْمُبْعَدُ عَنْ قَاصِمَةِ الْعَمَلِ مِنَ الْإِعْجَابِ وَالرِّيَاءِ وَالْمُلَلِّ فَقَالَ: ﴿وَلَا تَمْنَنَّ﴾ [أَيْ -^٢] عَلَى أَحَدٍ بِدَعَائِكَ لَهُ أَوْ بِشَيْءٍ تَعْطِيهِ لَهُ عَلَى جِهَةِ الْهَبَةِ أَوْ الْقَرْضِ بِأَنْ تَقْطَعَ لَذَّةً ١٠ مِنْ أَحْسَنَتْ إِلَيْهِ بِالثَّقِيلِ عَلَيْهِ بِذِكْرِكَ عَلَى جِهَةِ الْاسْتِعْلَاءِ وَالِاسْتِكْثَارِ بِمَا فَعَلْتَهُ مَعَهُ،^٣ أَوْ لَا تَعْطِ شَيْئًا حَالِ كَوْنِكَ ﴿تَسْتَكْثِرُ بِهِ﴾ أَيْ تَطْلُبُ أَنْ تَعْطِيَ أَجْرًا أَوْ أَكْثَرَ بِمَا أُعْطِيتَ - قَالَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا^٤، وَهُوَ مِنْ قَوْلِهِمْ، مَنْ - إِذَا أُعْطِيَ، وَذَلِكَ لِأَنَّ الْإِلَاقَ بِالْمَعْطَى مِنَ الْخَلْقِ أَنْ يَسْتَقِلَّ مَا أُعْطِيَ، وَيَشْكُرَ اللَّهَ الَّذِي وَفَّقَهُ لَهُ، [و-^٥] بِالْأَخْذِ أَنْ ١٥ يَسْتَكْثِرَ [مَا أَخْذَ -^٦]، فَأَمَرَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ لَا يَفْعَلَ شَيْئًا لَعَلَّ أَصْلًا، بَلِ اللَّهُ خَالِصًا، فَانَهُ إِذَا زَالَ الْاسْتِكْثَارُ حَصَلَ الْإِخْلَاصُ، لِأَنَّهُ لَا يَتَعَلَّقُ بِهِمْهُ بَطْلِبُ الْاسْتِمْتَالِ، فَكَيْفَ بِالِاسْتِقْلَالِ، فَيَكُونُ [الْعَمَلُ -^٧] فِي غَايَةِ الْخُلُوصِ لَا يَقْصُدُ بِهِ ثَوَابًا أَصْلًا، وَلَا يُرَادُ لغير وجه الله تعالى، وَهَذَا هُوَ النِّهَايَةُ فِي الْإِخْلَاصِ.

(١) مِنْ م، وَفِي الْأَصْلِ وَظ: الْقَوْلُ (٢) زَيْدٌ مِنْ ظ وَ م (٣-٢) مِنْ ظ وَ م، وَفِي الْأَصْلِ: لَوْ (٤) رَاجَعَ الْبَحْرَ الْمَحِيطَ ٨ / ٣٦٩.

ولما كان الإنذار شديدا على النفوس يحصل به من المعالجات ما الموت دونه، لأن ترك المألوفات أصعب شيء على النفوس، وكذا ترك الفوائد، قال أمرا بالتخلي بالعاصم^١ بعد التخلي عن القاصم، معلما^٢ بأن الأذى^٣ من المنذرين أمر لا بد منه فيدخل^٤ في الطاعة على بصيرة، فاقضى الحال لذلك أن الإنذار يهون^٥ بالغنا^٦ عن الفانين والكون^٧ مع الباقي وحده، فأشار إلى ذلك بتقديم الإله معبرا عنه بوصف الإحسان ترغيا فقال: ﴿ ولربك ﴾ أى المحسن إليك، المربى لك، المدبر لجميع مصالحك وحده ﴿ فاصبر ﴾ [أى - °] على مشاق التكاليف أمرا ونهيا وأذى^٨ المشركين وشظف^٩ العيش وجميع البلايا^{١٠}، فانه يحزل عطاءك من خير الدارين بحيث لا يحوجك إلى أحد، ويحوج^{١١} الناس إليك، ويهون عليك حمل المشاق فى الدارين ولا سيما أمر يوم البعث، فان [من - °] حمل العمل فى الدنيا حمله^{١٢} العمل فى الآخرة .

ولما كان المقام للإنذار، وكان من رد الأوامر تكذيبا كفر، ومن تهاون بها^{١٣} ما أطاع^{١٤} ولا شكر، حذر من الفتور عنها بذكر^{١٥}

- (١) من ظ و م، وفى الأصل : بالمعاصى (٢-٢) من م، وفى الأصل و ظ : بالأذى - كذا (٣) فى م : ليدخل (٤) من ظ و م، وفى الأصل : بالفا - كذا .
(٥) زيد من م (٦-٦) من ظ و م، وفى الأصل : للمشركين وشظفا (٧) من ظ، وفى الأصل و م : العطايا (٨) زيد من ظ و م (٩) من ظ و م، وفى الأصل : حمل (١٠-١٠) من ظ و م، وفى الأصل : لا اطلاع .

ما للكذب بها ، فقال مسيبا عن ذلك باعثا على اكتساب الخيرات من غير كسل ولا توقف ، مذكرا بأن الملك ' التقمم القرن وأصنى بجبهته انتظارا ' للأمر بالنفخ ، مشيرا بالبناء للفعول إلى هوانه لديه وخفته عليه مؤذنا بأداة التحقق أنه لا بد من وقوعه : (فاذا نقر) أى نفخ ه و صوت بشدة و صلابة و نفوذ و إنكاء (فى الناقورة) أى الصور وهو القرن الذى اسرافيل عليه / السلام ملقمه الآن وهو مصغى لا انتظار الأمر بالنفخ فيه للقيامة ، ويجوز أن يراد الايام التى يقضى فيها بالذل على الكافرين كيوم بدر والفتح وغيرهما كما جعلت الساعة والقيامة كناية عن الموت ، فقال صلى الله عليه وسلم ١٠ من مات فقد قامت قيامته ، عبر عنه بالنقر إشارة إلى أنه فى شدته كالنقر فى الصلب فيكون عنه صوت هائل ، وأصل النقر القرع الذى هو سبب الصوت فهو أشد من صدعك لهم بالإنذار للخطر من دار البوار ، فهناك ترد الارواح إلى أجسادها ، فيبعث الناس فيقومون من قبورهم كنفس واحدة ، وترى عاقبة الصبر ، ويرى أعداؤك عاقبة ١٥ الكبر ، والتعبير فيه بصيغة المبالغة وجعله فاعلا كالجاسوس إشارة إلى زيادة العظمة حتى كأنه هو الفاعل على هيئة هى فى غاية الشدة والقوة ، وحذر النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه رضى الله عنهم من النفخ فى

(١-١) من ظ ، وفى الأصل : المتقمم القرآن واضع جبهته ، وليست العبارة واضحة فى م (٢) جاءت صفحة من الأصل مطموسة فانتسخناها من ظ .

(٣) من م ، وفى ظ : لايام (٤) فى م : شدة .

الصور وقربه فقالوا: كيف تقول يا رسول الله؟ قال: قولوا: حسبنا الله ونعم الوكيل. ويجوز أن يكون التسبب عن الأمر بالصبر، أى اصبر فلأخذن بآرك فى ذلك اليوم بما يقر عينك، فيكون تسلياً له صلى الله عليه وسلم و تهديدا لهم .

ولما ذكر هذا الشرط هل (٩) الذى صورته [بصوره - ١] هائلة، ه
أجابه بقوله: (فذلك) أى الوقت الصعب الشديد العظيم الشدة جدا البالغ فى ذلك مبلغا يشار إليه إشارة ما [هو - ١] أبعد بعيد، وهو وقت النقر، ثم ابدل من هذا المبتدأ زيادة فى تهويله قوله: (يومئذ) أى وقت إذ يكون ذلك النقر^١ الهائل (يوم عسير^٢) أى بالغ العسر (على الكافرين) أى الذين كانوا يستهينون بالإنذار و يعرضون عنه ١٠ لأنهم راسخون فى الكفر الذى هو ستر ما يجب إظهاره من دلائل الوحداية . ولما كان العسر قد يطلق على الشئ [و - ١] فيه يسر من بعض الجهات أو يعالج فيرجع يسيرا، بين أنه ليس كذلك بقوله: (غير يسير^٣) لجمع فيه بين إثبات الشئ ونفى ضده تحقيقا لأمره و دفعا للجواز عنه^٤ وتأيدا لكونه ولأنه غير منقطع بوجه، و تقييده ١٥ بالكافرين يشعر بتيسره على المؤمنين .

ولما آذن هذا بأن أكثر الخلق يوافي يوم القيامة على كفره و خبت طويته^٥ وسوء أمره و كان ذلك مما بهم لشفقته صلى الله عليه
(١) زيد من م (٢) من م، وفى ظ: النقيير (٣-٣) من م، وفى ظ: للجازنة.
(٤) من م، وفى ظ: طينته .

وسلم على الخلق، ولما يعلم من نصيهم^١ للعداوة، هون امرم عليه وحقر شأنهم لديه بوعده بالكفاية بقوله مستأنفا منها على أسباب الهلاك التي أعظمها الغرور وهو شبهة زوجته شهوة: ﴿ذرني﴾ أي أتركني على أي حالة اتفقت ﴿ومن﴾ أي مع كل من ﴿خلقت﴾ أي أوجدت من العدم وأنشأت في أطوار الخلقة، حال كونه ﴿وحيداً﴾ لا مال له ولا ولد^٢ / ولا شيء، و حال كوني أنا واحداً شديد الثبات في صفة الوحدانية لم^٣ يشاركني في صنعه^٤ أحد فلم يشكر هذه النعمة بل كفرها بالشرك بالله^٥ سبحانه القادر على إعدامه بعد إيجاده^٦.

/ ٥٧٦

ولما كان المطغى للانسان المسكنة^٧ التي قطب دأرتها المال قال:
 ١٠ ﴿وجعلت له﴾ [أي -^٨] بأسباب أوجدتها أنا وحدي^٩ لا حول منه^{١٠}
 ولا قوة بدليل أن غيره أقوى منه بدنا وقلبا وأوسع فكرا وعقلا
 وهو دونه في ذلك ﴿مالاً ممدوداً﴾ أي مبسوطاً واسعاً نامياً^{١١}
 [كثيراً جداً -^{١٢}] عاماً لجميع أوقات وجوده، والمراد به كما يأتي الوليد
 ابن المغيرة، قال ابن عباس رضى الله عنهما^{١٣}: كان له بين مكة والطائف
 ١٥ إبل^{١٤} وحجور ونعم وجنان وعبيد وجوار^{١٥}.

(١) من م، وفي ظ: نصيهم (٢) وإلى هنا انتهى الطمس في الأصل.
 (٣) من ظ وم، وفي الأصل: لا (٤) من ظ وم، وفي الأصل: صني.
 (٥-٥) سقط ما بين الرقيين من ظ وم (٦) زيد في الأصل: هي، ولم تكن
 الزيادة في ظ وم لخذفناها (٧) زيد من ظ وم (٨) زيدت الواو في الأصل
 ولم تكن في ظ وم لخذفناها (٩) من ظ وم، وفي الأصل: له (١٠) راجع
 البحر المحيط ٣٧٣/٨.

[ولما كان اول ما تمتد إليه النفس بعد كثرة المال الولد ،
وكان أحب الولد الذكر - '] ، قال : ﴿ وبنين ﴾ ولما كان الاحتياج
إلى فراقهم ولو زمتنا يسيرا شاقا ، وكان الزمهم ' له واغنام عن
الضرب في الأرض نعمة أخرى قال : ﴿ شهودا ١ ﴾ أى حضورا معه
لغناه عن الأسفار بكثرة المال وانتشار الخدم [و - '] قوة الأعوان ، ه
وهم مع حضورهم في الذروة من الحضور بتمام العقل وقوة الخلق ،
فهم في غاية المعرفة بما يزيدهم الاطلاع ' عليه حيثما أرادهم وجدهم وتمتع
ببقيامهم ، ومع ذلك فهم ' اعيان المجالس و صدور المحافل كانه لا شاهد
بها غيرهم . منهم خالد الذي من الله باسلامه ، فكان سيف الله تعالى
وسيف رسوله صلى الله عليه وسلم .

١٠

ولما كان [هذا كناية - '] عن سعة الرزق وعظم الجاه ،
وكان من بسط له في المال والولد والجاه تتوق نفسه إلى إتمام ذلك
بالحفظ والتيسير ، قال مستعظفا لمن كان هكذا * بالتذكير بنعمه :
﴿ ومهدت ﴾ أى بالتدريج والمبالغة ﴿ له ﴾ أى وطأت وبسطت
وهيات في الرئاسة بأن جمعت له إلى ملك الاعيان ملك المعاني التي ١٥
منها القلوب ، وأطلت عمره ، وأزلت عنه موانع الرغد في العيش ،
ووفرت أسباب الوجاهة له حتى دان لذلك الناس ، وأقام يبلده
مطمئنا يرجع إلى رأيه الأكبر ، قال ابن عباس رضى الله عنهما :

(١) زيد من ظ وم (٢) في الأصل : انزامهم (٣) من ظ ، وفي الأصل وم :

للاطلاع (٤) من ظ وم ، وفي الأصل : هم (٥) من ظ وم ، وفي الأصل :

كهذا (٦) راجع البحر المحيط ٨ / ٣٧٣ .

وسعت له ما بين اليمن إلى الشام^١ فأكلت له من سعادة الدنيا ما
أوجب التفرد في زمانه من أهل بيته ونحذه بحيث كان يستغنى الوحيد
وريحانة قريش فلم يزغ هذه النعمة العظيمة : [و-٢] أكد ذلك
بقوله : ﴿تمهيدا﴾ .

٥ ولما كان قد فعل به ذلك سبحانه ، فأورثته هذه النعمة من أبطر
والاستكبار على من خوله فيها ضد ما كان ينبغي له من الشكر
والازدجار^٢ ، قال محققا أنه سبحانه هو الذى وهبها له وهو الواحد
القهار ، مشيرا بأداة التراخي^٣ إلى استبعاد الزيادة له على حاله هذه من
عدم الشكر : ﴿ثم﴾ / أى بعد الأمر العظيم الذى ارتكبه من

/ ٥٧٧

١٠ تكذيب رسولنا صلى الله عليه وسلم ﴿يطمع﴾ أى بغير سبب بدلى^٤
به إلينا مما جعلناه سبب^٥ المزيد من الشكر : ﴿ان ازيد﴾ أى فيما
آتته من دنياه أو آخرته وهو يكذب رسولى^٦ صلى الله عليه وسلم .
ولما كان التقدير : إنه ليطمع فى ذلك لأن المال والجاه يحمران
الشرف والعظمة بأيسر سعى ، هذا هو المعروف المتداول المألوف ،
١٥ استأنف زجره عن ذلك بمجتمع الزجر ، علما من أعلام النبوة ،
وبرهانا قاطعا على صحة الرسالة ، فقال ما لا يصح أن يقوله غيره سبحانه

(١) فى ظ : اشبال (٢) زيد من ظ وم (٣) من ظ وم ، وفى الأصل : الادخار .
(٤) من ظ وم ، وفى الأصل : الريادة (٥) جاءت العبارة هنا مطبوعة فى
الأصل فالتسغتها من ظ (٦) من م ، وفى ظ : يدل (٧) من م ، وفى ظ :
سبها (٨) من م ، وفى ظ : رسول الله :

لأنه منع أنه لا ترد فيه ولا امتراء طابق الواقع ، فلم يزد بعد ذلك شيئاً ، بسبل لم يزل في نقصان حتى هلك وتمت كلمات ربك صدقا وعدلا ، لا يبدل لكلماته : ﴿ كَلَّا ﴾ أى وعوتنا وجلالنا لا تكون له زيادة على ذلك أصلا ، وأما النقصان فسيرى إن استمر على تكذيبه فليرتدع عن هذا الطمع ، ويزدجر و ليرتجع^٢ ، فانه حق محض ، ٥ وزخرف بحت ، و غرور صرف . ولما رده هذا الردع المقتضى ولا بد للاذعان و صادق الإيمان ممن لم يستول عليه الخيومان ، علله بقوله مؤكدا لإنكارهم العناد^٣ و المعاد : ﴿ انه ﴾ أى هذا الموصوف ﴿ كان ﴾ بخلق كأنه جلة [له -^٤] و طبع لا يقدر على الانفكاك عنه ﴿ لايتنا ﴾ على ما لها من العظمة خاصة لكونها هادية إلى الوحدةانية ، ١٠ لا لغيرها من الشبه القائدة إلى الشرك ﴿ عنيداه ﴾ أى بالغ العناد على وجه لا يعد عناده لغيرها بسبب مزيد قبحه عنادا ، و العناد - كما قال الملوى : من كبر فى النفس أو يبس فى الطبع أو شراسة فى الأخلاق أو خبل فى العقل ، و قد جمع ذلك كله إبليس ، لأنه خلق من نار . وهى من طبعها اليوسة و عدم الطواعية ، و حقيقته ميل عن الجادة ، و مجاوزة ١٥ للحد مع الإصرار و اللزوم ، و منه مخالفة الحق مع المعرفة بأنه حق . ولما كان هذا محرا للتشوف إلى^٥ بيان هذا الردع ، و كان العناد غلظة فى الطبع و شكاسة فى الخلق يوجب^٥ التكد و المشقة جعل

(١) سقط من م (٢) ق م : ليرجع (م) من م ، وفى ظ : العنادة (٤) زيد من م .

(٥) فى ظ بياض ملائمة من م .

جزاءه^١ من جنسه فقال: ﴿سارقه﴾ أى الحقه بمنف و غلظة و قهر إلخا
 يغشاه و يحيط به بوعد لا خلف فيه ﴿صعودا^٢﴾ أى شينا^٣ من
 الداهى و الإنكاد كأنه عقبة، فان الصعود لغة العقبة شاق المصعد جدا،
 و روى الترمذى^٤ عن أبى سعيد رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم
 ه أنه جبل من نار يتصعد فيه سبعين خريفا تم يهوى، و فى رواية^٥: أنه
 كلها وضع يده فى معالجة الصعود ذابت، فاذا رفعها عادت و كذا رجله،
 و قال الكلبي^٦: إنه صخرة منسأة فى النار يكلف أن يصعد بها يجذب
 / ٥٧٨
 من أمامه بسلاسل الحديد، و يضرب من خلفه بمقامع^٧ الحديد
 فيصعدها^٨ فى أربعين [عاما - ^٩]، فاذا بلغ ذروتها أسقط إلى أسفلها
 ١٠ ثم يكلف أن يصعد بها، فذلك دأبه أبدا.

و لما حصل التشوف إلى بعض ما عاند به الآيات، فال ميثا
 لذلك مؤكدا لاستبعاد العقلاء لما صنع لبعده عن الصواب و معرفته
 كل ذى لب أنه كذب: ﴿انه﴾ أى هذا العنيد ﴿فكر﴾ أى
 ردده^{١١} فكره و اداره تابعا لهواه لاجل الوقوع على شيء يظن به فى
 ١٥ القرآن ﴿وقدر﴾ أى أوقع تقديرا للامور التى يظن بها فيه و قايتها.

(١) من م، و فى ظ: جزاء (٢-٢) ما بين الرقين بياض فى ظ ملأناه من م .
 (٣) راجع الجامع ١٦٨/٢ (٤) راجع المعالم ١٤٦/٧ (٥) وإلى هنا انتهى الطمس فى
 الأصل (٦) من ظ و العالم، و فى الأصل: مقامع (٧) من ظ و م و العالم، و فى
 الأصل: فصعد (٨) زيد من ظ و م و العالم (٩) من م و العالم، و فى الأصل
 و ظ: فى (١٠) من ظ و م، و فى الأصل: رد.

في نفسه ليعلم ايها اقرب ^١ إلى القبول . ولما كان تفكيره و تقديره
قد أوقع غيره في الهلاك بمنعه من حياة الإيمان أصيب هو بما منعه ^٢
من حياة نافعة في الدارين ، وذلك هو الهلاك ^٣ الدائم . ولما كان الضار
إنما هو الهلاك لا لونه من معين ، سبب عن ذلك بانبا للفعول قوله
مخبرا [و - ^٤] داعيا دعاءا مجابا لا يمكن تحلفه : (قتل) أى هلك ولعن ^٥
و طرد في دنياه هذه . ولما كان التقدير غاية التفكير ، وكان التفكير
ينبغي أن يهديه إلى الصواب ، فقادهم إلى الفنى ، عجب منه فقال منكرا
عليه معبرا بأداة الاستفهام إشارة إلى أنه مما يتعجب منه ويسأل عنه :
(كيف قدر لا) أى على أى كيفية أوقع تقديره هذا ، وإذا أنكر
[مطلق - ^٦] الكيفية لكونها لا تكاد ابطالانها تتحقق ، كان إنكار ^٧
الكيف أحق .

ولما كان وقوعه في هذا الطعن عظيما [جدا لما فيه من الكذب
المفضوح ومن معاندة من هو القوى المتين المنتقم القهار العظيم - ^٨]
ومن غير ذلك من الوجوه المبعدة عن الوقوع فيه ، أكد المعنى زجرا
عن مثله وخنا على التوبة منه ، فقال معبرا بأداة البعد دلالة على عظمة ^٩
هذا القتل بالتعبير بها وبالتكرار : (ثم قتل) أى هلك ولعن هذا
العنيد هلاكا ولعنا هو في غاية العظمة فيما بعد الموت في البرزخ والقيامة
(كيف قدر لا) ولما كان ^{١٠} الماهر بالنظر إذا فكر وصح فكره ^{١١} نظر في

(١-١) في ظ : لا قبول (٢) في ظ : يمنعه (٣) من ظ وم ، وفي الأصل : النعيم .
(٤) زيد من ظ وم (٥) زيد في ظ : الانسان (٦) زيدت الواو في الأصل ولم
تكن في ظ وم فخذناها .

لوازمه قال مشيراً إلى طول ترويه: ﴿ثم نظراً﴾ أى فيما يدفع به امر القرآن مرة بعد أخرى، وفى ذلك إشارة إلى قبح أفعاله، فظهور الحق له مع إصراره^١ فان تكرار النظر فى الحق لا يزيده على كل حال إلا ظهوراً، وفى الباطل لا يزيده إلا ضعفاً وفتوراً.

٥ ولما كان من فعل كذلك^٢ فظهر له فساد رأيه ووقف مع حظ نفسه يصير يعبس^٣ ويفعل أشياء تغير لها خلقته من غير اختياره قال: ﴿ثم عبس﴾ أى قطب وجهه وكبح قتريد وجهه مع تقبض جلده^٤ ما بين العينين بكراهة شديدة كالمهتم المتفكر^٥ فى شيء وهو لا يجد فيه فرجا لأنه ضاقت عليه الحيل لكونه لم يجد فيما جاء به النبى صلى الله عليه وسلم مطعناً ﴿وبسراً﴾ إلتباع لعبس تأكيذاً لها، وربما افهمت أنه سب^٦ ما قاله ووزنه بميزان الفكر وتبعه تبعاً مفرطاً حتى رسيخت فيه قدمه، كذا قالوا إنها إلتباع إن أريد به التأكيد وإلا فقد وردت مفردة، قال فى القاموس: بسر - إذا عبس، وبسر الحاجة: طلبها فى غير أوانها، وبسر الدين: تقاضاه قبل محله، فكأنه لما طال عليه التفكير صار يستعجل حصوله إلى مراده، ويقال: بسر - إذا ابتدأ الشيء، فكأنه لما عبس خطر له السحر فابتدأ فى إبداء ما سنع له من أمره، قال ابن برجان:

(١) فى ظ: اضطرابه (٢) من ظ وم، وفى الأصل: بذلك (م) من م، وفى الأصل و ظ: يعيش (٤) فى م: الجلد (٥) فى ظ وم: التفكير (٦) جاءت العبارة هنا مطموسة فى الأصل فانتسخناها من ظ (٧) من م، وفى ظ: بصره (٨) من م، وفى ظ: فيه - كذا.

البسور هية في الوجه تدل على تحزن في القلب .

ولما كان هذا النظر على هذا الوجه أمدح شيء للنظر فيه إذا لم يوصل^١ منه إلى طعن، وكان ظاهره أنه لتطلب الحق، فكان الإصرار معه على الباطل في غاية البعد، قال دالا على ذلك من المدح و عدم وجدان الطعن معبرا بأداة البعد : ﴿ ثم ﴾ أي بعد هذا التروى العظيم^٥ ﴿ ادبر ﴾ [أي -^٢] عما اداه إليه فكره من الإيمان بسلامة المنظور فيه و علوه عن المطاعن، فحاد عن وجوه الأفكار إلى أفتائها ﴿ واستكبر^٣ ﴾ أي [و -^٢] أوجد الكبر عن الاعتراف بالحق إيجاد من هو في غاية الرغبة فيه، و كان هذا غاية العناد، فكان معنى العنيد ﴿ فقال ﴾ أي عقب ما جره إليه طبعه الخبيث من إيقاع الكبر على هذا الوجه لكونه^{١٠} رآه نافعا لهم في الدنيا و لم يفكر في عاقبة^٢ ذلك من جهة الله، وأنه سبحانه لا يهدى كيد الخائنين ولا ينجح مراد الكاذبين، ونحو هذا مما جربوه في دنياهم فكيف رقى نظره إلى أمر الآخرة، و أكد الكلام لما يعلم من إنكار من يسمعه فقال : ﴿ ان ﴾ أي ما ﴿ هذا ﴾ أي [الذي -^٢] أتى به محمد صلى الله عليه و سلم ﴿ الاسحر ﴾ أي أمور^{١٥} تخيلية لا حقائق لها، و هي لدقتها بحيث تخفى أسبابها .

ولما كان من المعلوم لهم^١ أن محمدا صلى الله عليه و سلم ما سحر قط و لا تعلم سحرا، فكان من ادعى ذلك علم كذبه بأدنى نظر بعد

(١) زيد في ظ : شيئا، و لم تكن الزيادة في م لحذفناها (٢) زيد من م (٣) من

م، و في ظ : عقبة (٤) سقط من م .

الامر بقدر استطاعته فقال: ﴿يُؤْذِرُ﴾ أى من شأنه ان ينقله السامع له عن غيره، فهو لقوة سحرية وإفراطها فى بابها يفرق^١ بمجرد الرواية بين المزمع وزوجه وبين المزمع وأبيه وابنه إلى غير ذلك من العجائب التى تنشأ عنه. ولما كان السامع يجوز أن يكون مأثورا عن الله فيوجب له ذلك الرغبة فيه، قال من غير عاطف كالمبين للأول والمؤكد له، وساقه على وجه التأكيد بالحصر لعله أن كل ذى بصيرة ينكر كلامه و ﴿ان﴾ أى ما ﴿هذا﴾ أى القرآن ﴿الاقول البشره﴾ أى ليس فيه شيء عن الله فلا يغتر أحد به ولا يرج عليه، وقد مدحه بهذا الذم بعد هذا التفسير كله من حيث انه اثبت أنه معجوز عنه لأغلب ٥٨٠ / ١٠ الناس^٢ / كما يعجزون عن السحر فسكت ألفا ونطق خلفا، فكان شيها من بعض الوجوه بنا قاله بعضهم^٣:

لوقيل كم خمس وخمس، لا غدى يوما وليلتنه يعد ويحسب
ويقول معضلة عجيب أمرها ولئن عجبت لها لأمري أعجب
حتى إذا خدرت، يدها وعورت عيناه^٤ بما قد يخط ويكتب
١٥ أوفى على شرف^٥ وقال ألا انظروا ويكاد من فرح يحن ويسلب
خمس وخمس ستة أو سبعة قولان قالها الخليل وتعلب
وهكذا كل حق يحمد المبالغ فى ذمه لا ينفك ذمه عن إفهام مدح له

(١) من م، وفى ظ: يفرط (٢) وإلى هنا انتهى الطمس فى الأصل (٣) زيد فى الأصل: حيث قال، ولم تكن الزيادة فى ظ وم فحذيناها (٤) من ظ وم، وفى الأصل: اخدرت (٥) من ظ وم، وفى الأصل: يمتاه (٦) من م، وفى الأصل وظ: خطر.

ينقض كلامه ، و لكن أين النقاد المعداد من الأفراد بين العباد^١ ، وهذا الكلام صالح لعموم كل من خلقه سبحانه هكذا في الروغان من الحق لما تفضل الله به عليه من الرئاسة لأن أهل العظمة في الدنيا هم في الغالب القائمون في رد الحق و التعاضم على أهله كما ذكر هنا ولا ينافي ذلك^٢ ما قالوه : إنها نزلت في الوليد بن المغيرة المخزومي ، بل ذلك من إعجاز كلام الله تعالى أن نزل^٣ الآية في شخص قتين حاله غاية البيان و يعم غيره ذلك البيان ، قالوا : كان للوليد هذا عشرة من البنين ، كل واحد منهم كبير قبيلة ، و لهم عبيد يسافرون في تجارتهم و يعملون احتياجاتهم ، و لا يحوجونهم إلى الخروج من البلد لتجارة و لا غيرها ، و أسلم منهم ثلاثة : الوليد بن الوليد و خالد و هشام ، و قيل^٤ : أنه لما نزل^٥ على النبي ١٠ صلى الله عليه وسلم أول سورة غافر إلى قوله^٦ ” المصير “ أو أول ” فصلت “ قرأها النبي صلى الله عليه وسلم في المسجد و الوليد يسمعه ، فأعاد القراءة فانطلق الوليد حتى أتى مجلس قومه بنى مخزوم ، فقال : و الله لقد سمعت من محمد صلى الله عليه وسلم [آقا -^٧] كلاما ما هو من كلام الإنس و لا من كلام الجن ، إن له لحلاوة و إن عليه لطلاوة ، ١٥ و إن أعلاه لمثمر^٨ و إن أسفله لمعذب ، و إنه ليعلو ولا يعلو^٩ ، ثم انصرف

(١) من ظ ، و في الأصل و م : الأفراد (٢) من ظ و م ، و في الأصل : ذكر (٣) من م ، و في الأصل و ظ : تنزلت (٤) راجع المعالم ١٤٦/٧ (٥) من ظ و م ، و في الأصل : نزلت (٦) سقط من ظ و م (٧) زيد من ظ و م و المعالم . (٨) من ظ و م و المعالم ، و في الأصل : لم - كذا (٩) زيد في الأصل و ظ : عليه ، و لم تكن الزيادة في م و المعالم فحذفناها .

فقال قريش: صبا والله الوليد، والله لتصبون قريش كلها،^١ و كان يقال للوليد^١ ربحانة قريش، فقال ابن أخيه أبو جهل: أنا اكفيكموه، فقعده إلى جنب الوليد حزينا، فقال الوليد: مالي أراك حزينا يا ابن أخي؟ قال: وما يمنعني وهذه قريش تجمع لك نفقة تعينك بها على كبر سنك ٥ وتزعم أنك صبوت، لتدخل على ابن أبي كبشة وابن أبي قحافة لتتال^٢ من فضل طعامهم، فغضب الوليد وقال: ألم تعلم قريش أني^٣ من أكثرها^٢ مالا ولدا، وهل شبع محمد وأصحابه من الطعام فيكون لهم فضل؟ ثم قام مع أبي جهل حتى أتى مجلس قومه و^٤أداروا الرأي^٤ فيما يقولونه في القرآن فقالوا له: ^٥ما تقول^٥ في هذا [الذي - ^٦] ١٠ جاء به محمد صلى الله عليه وسلم؟ قال: قولوا أسمع لكم، قالوا: شعر، قال: ليس بشعر، قد علنا الشعر كله، وفي رواية: هل [رأيتموه - ^٦] يتعاطى شعرا؟ قالوا: كهانة، قال: ليس بكهانة، هل رأيتموه يتكهن؟ فعدوا أنواع البهت التي رموا بها القرآن فردها، وأقام الدليل على ردها، وقال: لا تقولوا شيئا من ذلك إلا أعلم أنه كذب، قالوا: قتل ١٥ أنت وأقم لنا فيه رأيا نجتمع عليه، قال: أقرب ذلك إليه السحر، هو يفرق بين المرء وأبيه وبين المرء^١ وزوجه وعشيرته، فافترقوا على ذلك، وكان

(١-١) من ظ و م والمعلم، وفي الأصل: لونه الوليد (٢) من ظ و م، وفي الأصل: لتناول (٣-٣) من ظ و م، وفي الأصل: اعظمهم، وفي المعلم: من أكثرهم (٤-٤) من ظ وفي الأصل: دارونها - كذا، ومن هنا يتحول السياق من المعلم (٥ - ٥) من ظ، وفي الأصل: انك، وهنا سقطت في م (٦) زيد من ظ و م (٧) زيد في الأصل: وابنه، ولم تكن الزيادة في ظ و م فحذفناها.

قوله هذا سبب هلاكه فكان كما قال بعضهم :

احفظ لسانك أيها الإنسان لا يلدغك إنه ثعبان

كم في المقابر من قتل لسانه كانت تخاف لقاءه الشجعان

ولما انقضى بيان عناده فحصل التشوف لتفصيل جزائه في معاده، قال

مبينا لبعض^٢ ما أفهمه إرهابه الصعود : (ساصيله) أى بوعيد لابد ه

منه عن قرب (سقره) أى الدركة النارية التى تفعل فى الأدمغة

من شدة حرها ما يحل عن الوصف، فأدخله إياها والوَحْه فى الشدائد

حرها وأذيب دماغه بها، وأسيل ذهنه وكل عصاراته بشديد حرها

جزاء على تفكيره هذا الذى قدره وتخلله وصوره بإدارته^٦ فى طبقات

دماغه ليحرق أكباد^٧ أولياء الله وأصفياه^٨ .

١٠

ولما أثبت له هذا العذاب عظمه وهوله بقوله : (وما ادركك)

أى أعلمك وإن اجتهدت فى البحث (ما سقره) يعنى ان علم هذا

خارج عن طوق البشر لا يمكن^٩ أن يصل اليه أحد منهم إلا بأعلام الله

له لأنه أعظم من أن يطلع عليه بشر . ولما أثبت لها هذه العظمة ،

زادها عظما ببيان فعلها دون شرح ماهيتها [فقال - '] : (لاتبقي) ١٥

أى 'سقر هذه لا تترك' . شيئا يلقى فيها على حالة البقاء على ما كان

(١) فى ظ : تهاب (٢) من م ، وفى الأصل وظ : من (٣) من ظ وم ، وفى

الأصل : تنقص (٤) من ظ وم ، وفى الأصل : من (٥) من م ، وفى الأصل

وظ : غصاراته (٦) من ظ وم ، وفى الأصل : بإداراته (٧-٧) فى ظ وم :

اصفياه الله وأوليائه (٨) من ظ وم ، وفى الأصل : لا يقدر (٩) زيد من ظ وم .

(١٠-١٠) فى ظ وم : لا تترك سقر .

عليه ﴿ولا تدرج﴾ أى تترك على حالة من الحالات ولو كانت أقبح الحالات فضلا عما دونها ، بل هى دائمة الإهلاك لكل ما أذن لها فيه ، والتغير لأحوال ما أذن لها فى عذابه ، ولم يؤذن فى محقه بالكلية ، لكل شئ فترة وملا ل دونها .

٥ ولما كان تغير حال الإنسان إلى دون ما هو عليه غائظا له موجهه إذا ' كان ذلك تغير لونه لأن الظاهر عنوان الباطن ، قال الله تعالى دالا على شدة فعلها فى ذلك : ﴿لواحة﴾ أى شديدة التغير بالسواد والزرقة واللح والاضطراب [والتعطيش ونحوها - ٢] من الإفساد من شدة حرها ، تقول العرب : لاحت النار الشئ - إذا أحرقت وسودته ١٠ ﴿البشرج﴾ أى للناس أو الجلودهم ، جمع بشرة وجمع البشر أ البشر ﴿عليها﴾ أى مطلق النار بقرينة ما يأتى من الحزنة ﴿تسعة عشر﴾ أى ملكا ، لطبقة المؤمنين وهى العليا ملك واحد ، ولست ٢ الباقية ثمانية عشر ، لكل واحدة ثلاثة ، لأن الواحد يؤزر بثان ، وهما يعمرزان بثالث ، فلذا والله أعلم كانوا ثلاثة ، أو لأن الكفر يكون بالله وكتابه ورسوله ١٥ صلى الله عليه وسلم ، فكان لكل تكذيب فى كل طبقة من طبقاتها الست ملك أو صنف من الملائكة ، وعلى الأول فى كونهم أشخاصا بأعيانهم أكثر المفسرين ، وقد علم مما مضى أنهم غلاظ شداد ' كل واحد منهم يكفى ' لأمله الأرض كلها كما أن ملكا واحدا وكل

(١) من ظ وم ، وفى الأصل : ان (٢) زيد من ظ ، والعبارة فى م مطموسة :

(٣) من ظ ، وفى الأصل وم ، للسنه (٤-٥) فى ظ : يكفى كل واحد منهم

بقبض جميع الأرواح، وجاء في الآثار^١ ان أعينهم كالبرق الخاطف،
 و أنيابهم كالصياحى، يخرج لهب^٢ النار من أفواههم، ما بين منكبي
 أحدهم مسيرة سنة، نزع مناهم الرحمة^٣، يدفع أحدهم سبعين ألفا فيرميهم
 حيث أراد من جهنم، قال عمرو بن دينار: إن واحدا^٤ منهم يدفع
 بالدفة الواحدة^٥ أكثر من ربيعة ومضر . وقيل: إن هذه العدة هـ
 لمكافأة ما فى الإنسان من القوى التى بها يتنظم قوامه، وهى الحواس
 الخمس الظاهرة: السمع والبصر والشم والذوق واللمس، والخمس الباطنة:
 المتخيلة والواهمة والمفكرة والحافظة والذاكرة، وقوتها الشهوة
 والغضب، والقوى الطبيعية السبع: الماسكة والماضية والجاذبة والدافعة
 والغاذية والنامية والمولدة، وقيل: اختير هذا العدد لأن التسعة نهاية ١٠
 الآحاد، والعشرة بداية العشرات، فصار مجموعها^٦ جامعا لا كثير القليل
 وأقل الكثير، فكان^٧ أجمع الأعداد، فكان إشارة إلى ان خزنتها أجمع
 المجموع، ويروى^٨ عن ابن مسعود رضى الله عنه أن قراءة البسملة تنجى

(١) راجع المعالم ٧ / ١٤٧ (٢) من ظ والمعلم، وفى الأصل وم: لهيب .
 (٣) زبدت الواو فى الأصل ولم تكن فى ظ وم والمعلم لحذفناها (٤) من ظ
 وم والمعلم، وفى الأصل: الواحد (هـ) زيد فى الأصل: فيجمع فيها عدد، ولم
 تكن الزيادة فى ظ وم لحذفناها، وزيد فى المعالم: جهنم (٦) زيد فى الأصل:
 وهى، ولم تكن الزيادة فى ظ وم لحذفناها (٧) من ظ وم، وفى الأصل:
 مجموعا (٨) من ظ وم، وفى الأصل: وكان (٩) من م، وفى الأصل وظ: روى.

من خزنة النار^١ فانها تسعة عشر حرفا، كل حرف منها ملك منهم .
 ولما كان هذا غير مبرز للعدود^٢، وكانت الحكمة في تعيين هذا^٣
 العد غير ظاهرة ، وكان هذا العدد مما يستقله المتعنت فيزيده كفرا،
 [قال تعالى - ٤] مينا لذلك : ﴿ وما جعلنا ﴾ أى بما لنا من العظمة
 ٥ و إن خفى وجه العظمة فيه على من عمى قلبه^٥ ﴿ اصحب النار ﴾ أى
 خزنتها ﴿ الا ملائكة ﴾ أى^٦ إنهم ليسوا^٦ من جنس المعذنين فيرقوا
 لهم و يطبق المعذبون محاولتهم أو يستريحوا إليهم و هم أقوى الخلق،
 و قد تكرر عليكم ذكرهم و علمتم أو صافهم و أنهم ليسوا كالبشر بل
 الواحد منهم يصبح صبيحة واحدة فيهلك^٧ مدينة كاملة كما وقع للمود،
 ١٠ فكيف إذا كان كل واحد من هؤلاء الخزنة رئيسا^٨ تحت يده من
 الجنود ما لا يحصىه إلا الله تعالى ﴿ وما جعلنا ﴾ على ما لنا من العظمة
 ﴿ عدتهم ﴾ أى مذكورة و محصورة فيما ذكرنا ﴿ الا فتة ﴾ أى
 حالة مخالطة بميلة محبلة ﴿ للذين كفروا ﴾ أى أوجدوا هذا الوصف
 و لو على أدنى الوجوه، فانهم يستقلونه و يستهزئون [به - ٩] و يتعتون
 ١٥ أنواعا من التعنت بحيث أن^٩ بعض أغبياء قريش^{١٠} و هو أبو جهل،

(١) من ظ و م ، وفى الأصل : جهنم (٢) من ظ ، وفى الأصل و م : للحدود .
 (٣) من ظ ، وفى الأصل و م : هذا تعيين (٤) زيد من ظ (هـ) من ظ و م ،
 وفى الأصل : عليه (٦-٦) فى ظ : فليسوا (٧) زيد فى الأصل : أهل ، ولم تكن
 الزيادة فى ظ و م لحذفها (٨) من ظ و م ، وفى الأصل : رئيس (٩) زيد من
 ظ و م (١٠) و من هنا تعرضت صفحة من الأصل للطمس فاتسختها من ظ ،
 و نسخة م أيضا مطموسة بعض الطمس (١١) راجع العالم ٧ / ١٤٧ .

قال: ثكلتكم امهاتكم، اسمع ابن ابى كبشة يقول كذا وأنتم الدم،
 أيسجز كل عشرة منكم أن يطشوا برجل منهم، فقال أبو الأشد بن
 أسيد بن كلدة الجمحي - وكان شديد البطش: أنا أكفيكم سبعة عشر
 فاكفوني أنتم اثنين، وهذا كله على سبيل الاستهزاء، فانهم مكذبون
 بالبعث الذى هذا من آثاره، وكان فى علم أهل الكتاب^١ أن هذه
 العدة عدتهم، وأن العرب إذا سمعوا هذه العدة كانت سببا لشك أكثرهم
 وموضعا للتعنت، فلذلك علق بالفتنة أوب^٢ "جعلنا" قوله: (ليستيقن)
 لمى يوجد اليقين لإيجادا تاما كأنه بفاية الرغبة (الذين اوتوا الكتب)
 بناء للفعل لأن مطلق الإيتاء^٣ كاف فى ذلك من غير احتياج إلى تعيين
 المؤتى^٤ مع أنه معروف أنه هو الله، قال البغوى^٥: مكتوب فى التوراة ١٠
 والإنجيل أنهم تسعة عشر. (ويزدا الذين امنوا) أى أوجدوا هذه
 الحقيقة ولو على أدنى الوجوه إلى ما عندهم من الإيمان (إيمانا)
 بتصدق ما لم يعلوا وجه حكمته لاسيما مع اقتنان غيرهم به وكثرة
 كلامهم فيه، فان الإيمان بمثل ذلك يكون أعظم.

و لما أثبت لكل من الجاهل والعالم ما أثبت، اكده بنى ضده ١٥
 مبينا للفتنة فقال: (ولا يرتاب) أى يشك شكاً يحصل بتعمد وتكسب
 (الذين اوتوا الكتب) لما^٦ عندهم من العلم المطابق لذلك، قال
 ابن برجان: وروى جابر بن عبد الله رضى الله عنهما أن قوما من أهل
 (١) زيد فى ظه^٧ به، ولم تكن الزيادة فى م فخذفناها (٢) من م، وفى ظ: الإعطاء.
 (٣) من م، وفى ظ العطى (٤) فى العالم ٧ / ١٤٨ (٥) من م، وفى ظ: ما .

الكتاب جاؤا اليه في قضية - فيها طول، وفيها انهم^١ سالوه عن خزنة
 جهنم، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده هكذا وهكذا، في
 مرة عشرة وفي مرة تسعة، فقالوا: بارك الله فيك يا أبا القاسم، ثم
 سألهم: ما خزنة الجنة؟ فسكتوا هية [ثم -^٢] قالوا: خزنة
 ه يا أبا القاسم، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: الخزنة من الدرهم
 ﴿والمؤمنون لا﴾ أي لا يرتاب الذين رسخ الإيمان عندهم لما راوا من
 من الدلائل التي جعلتهم في^٣ مثل ضوء النهار ﴿وليقول الذين﴾
 استقر ﴿في قلوبهم﴾ مرض أي شك أو فقاق وإن قل، ونزول
 هذه السورة قبل وجود المناهقين علم من أعلام النبوة، ولا ينكر جعل الله
 ١٠ تعالى بعض الامور علة لمصالح ناس وفساد آخرين، لانه لا يسئل عما
 يفعل على أن العلة قد تكون مقصودة لشيء بالقصد الاول، ثم يرتب
 عليها شيء آخر يكون قصده بالقصد الثاني تقول: [خرجت -^٤]
 من البلد لمخالفة أكثر ومخافة الشر لا يتعلق بها الغرض ﴿والكافرون﴾
 أي ويقول الراضون في الكفر الجازمون بالتكذيب المجاهرون به
 ١٥ الساترون لما دلت عليه الأدلة من الحق ﴿ماذا﴾ أي أي شيء
 ﴿اراد الله﴾ أي الملك الذي له جميع العظمة ﴿بهذا﴾ أي العدد
 القليل في جنب عظمته ﴿مثلاً﴾ أي من جهة أنه صار بذلك مستغنياً
 استغراب المثل، أو أن ذلك إشارة إلى أنه ليس المراد به ظاهره بل
 (١) في م: ان (٢) زيد من م (٣) من م، وفي ظ: من (٤) الى هنا انتهى
 الطمس في الأصل.

١٨٤ /

مثل شيء لم يفهموه وفهموا أن / بين استجماعه للعظمة وهذا العدد
 عناوا، وما علموا أن القليل من حيث العدد ^١ قد يكون أعظم بقوته
 من الكثير العدد، ويكون أدل على استجماع العظمة . ولما كان
 التقدير ^١ : أراد بهذا إضلال من ضل ^٢ وهو لا يبالى، وهداية من اهتدى
 وهو لا يبالى، ^٣ كان كأنه ^٤ قيل : هل يفعل ^٥ مثل هذا في غير هذا ؟ ه
 فقال جوابا : (كذلك) أى مثل هذا المذكور من الإضلال والهداية
 (يضل الله) أى الذى له مجامع العظمة ومعاقد المز (من يشاء)
 بأى كلام شاء (ويهدى) بقدرته التامة (من يشاء ^٦) بنفس ذلك
 الكلام أو ^٧ بغيره ، وذلك من حكم جعل الحزنة تسعة عشر والإخبار
 عنهم بتلك العدة فان إبراز الأحكام على وجه الغموض من أعظم ^٨
 المهلكات والمسعدات، ^٩ لأن المنحرف الطباع يبحث عن عللها بحث
 متعنت، فاذا عجمت عليه قطع يطلان تلك الأحكام أو شك، وربما
 أبى الانقياد، وذلك هو سبب كفر إبليس، والمستقيم المزاج [يبحث - ^{١٠}]
 مع التسليم فان ظهر له الأمر ازداد تسليما وإلا قال : آمنت بذلك
 كل من عند ربنا - فكان فى غاية ما يكون من تمام الانقياد لما ^{١١}

(١ - ١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢) من ظ و م ، وفى الأصل : اصل .
 (٣ - ٣) من ظ و م ، وفى الأصل : كأنه كان (٤) من ظ و م ، وفى الأصل :
 الفعل (٥) من ظ و م ، وفى الأصل : قال (٦) من ظ و م ، وفى الأصل :
 « و » (٧ - ٧) من ظ و م ، وفى الأصل : لا من مسخرف (٨) زيد فى ظ ،
 لا - كذا .

يعلم سره - رزقنا الله التسليم لأمره و أعاننا على ذكره و شكره .
 ولما كان هذا مما يوم^١ قلة جنوده تعالى ، أتبعه ما^٢ يزيل ذلك
 فقال : ﴿ وما ﴾ أى و الحال انه ما ﴿ يعلم جنود ربك ﴾ أى المحسن
 إليك بأنواع الإحسان المدبر لأمرك بغاية الإتقان من جعل النار و خزنتها
 ه و جعلهم على هذه العدة و غير ذلك ، فلا تعلم عدتهم لأجل كثرتهم
 و خروجهم عن طوق المخلوق و ما هم عليه من الأوصاف فى الأجساد
 و المعانى ﴿ الا هو ﴾ أى الملك الأعظم المحيط بصفات الكمال ، فلو أراد
 لجعل الخزنة أكثر من ذلك ، فقد روى أن البيت المعمور يدخله كل
 يوم سبعون ألفاً من الملائكة لا تعود إليهم^٣ نوبة أخرى ، و قد ورد أن
 ١٠ الأرض فى السماء كحلقة ملقاة [فى فلاة -^٤] و كل سماء فى التى فوقها
 كذلك ، و قد ورد فى الخبر^٥ : أطت السماء و حق لها أن تثط^٦ ما فيها
 موضع قدم إلا و فيه^٧ ملك قائم يصلى . وإنما خص هذا العدد لحكم لا يعلمها
 إلا هو ، و من اراد^٨ إطلاعه على ذلك من عباده مع أن^٩ الكفاية تقع
 بدون ذلك ، فقد كان فى^{١٠} الملائكة من اقتلع مدائن قوم لوط و هى
 ١٥ سبع " و رفعها " إلى عنان السماء . و كل ما فى الإنسان من الجواهر

(١) من ظ ، و فى الأصل : يفهم (٢) من ظ ، و فى الأصل : بما (م) من ظ
 و م ، و فى الأصل : اليه (٤) زيد من ظ و م (٥) راجع جامع الترمذى - الزهد
 (٦) من ظ و م ، و فى الأصل : توط (٧) من ظ و م ، و فى الأصل : فيها .
 (٨) من م ، و فى الأصل و ظ : اراده (٩) من ظ و م ، و فى الأصل : من .
 (١٠) فى الأصل : سبعة ، و زيد فى الأصل بعد : مدائن و لم تكن الزيادة فى
 ظ و م لخذلناها (١١-١٢) سقط ما بين الرقعتين من ظ .

والإعراض من جنود الله ' لو سلب ' عليه شيء من نفسه لأهلكه :
لو تحرك عرق ساكن أو سكن متحرك أو انسد مجوف أو تجوف
منسد لهلك .

ولما ذكر شيئا من أمرار سوق الأخبار عنها غامضا ، و كان ذلك
من رحمة العباد ليفتح لهم بابا إلى التسليم لما يغمض من تذكيرهم
بأمر مليكهم لأن العاجز لا يسعه في المشي على قانون الحكمة إلا التسليم
للقادر وإلا أهلك نفسه و ما ضر غيرها ، خص أمرها في التذكير تأكيدا
للاعلام تذكيرا^٢ بالنعمة لأجل ما^٣ لأغلب المخاطبين من اعوجاج
الطباع المقتضى للرد و الإنكار ، المقتضى / لسوق الكلام على وجه
٥٨٥ / التأكيد فقال : (وما هي) أي النار التي هي [من - ٢] أعظم جنوده ١٠
سبحانه و تعالى (الا ذكرى للبشر) أي تذكرة عظيمة ' لكل من '
هو ظاهر البشارة فبدنه أقبل شيء للتأثر بها لأجل ما يعرفون منها في
دنيائهم ، و إلا فهو سبحانه و تعالى قادر على إيجاد ما هو أشد منها و أعظم
و أكثر إبلا ما بما لا يعلمه الخلائق .

و لما كان حصرها في الذكرى ربما أوهم نقصا في أمرها يوجب ١٥
لبعض المعاندين رية في عظمه و بأنه لا حقيقة لها و لا عذاب فيها ،
قال رادعا من ذلك و منها على الاستعداد^٤ و الحذر^٥ بكلمة الردع

(١-١) من ظ و م ، وفي الأصل : يسلب (٢-٢) من ظ ، وفي الأصل و م :
للنعمة يجعل ما (٣) زيد من ظ و م (٤-٤) من ظ ، وفي الأصل و م : لمن .
(٥) من ظ ، وفي الأصل و م : لو (٦-٦) من ظ ، وفي الأصل و م : فالحذر .

والتنبيه: ﴿كلا﴾ أى إياك أن ترتاب في^١ أحوالها وعظيم أمرها وأحوالها وأوجالها لأن الأمر أظلم وأعظم مما يخاطر بالبال، فليرتدع السامع^٢ ولينزجر^٣.

ولما حصر^٤ أمرها في الذكرى ونقن أن يقطن بها^٥ قص فيما جعلت له تأكيداً للكلام إشارة إلى ما لا غالب المخاطبين من الشكاسة والعوج إيقاظاً مما هم فيه من الغفلة وتلطيفاً لما لهم من اللوم والكثافة وتنبيهاً لهم على السعى في تقويم أنفسهم بما يستعملونه من الأدوية التي يرشدهم سبحانه إلى علاج أمراض القلوب بها، زاد الأمر تأكيداً فأقسم على ذلك بما هو ذكرى للناس ولا يظهر معه ظلام الليل كما أن ضياء القرآن لا يظهر معه ظلام الجهل لمن اعمل عين فكرته، وألقى حظوظ نفسه،^{١٠} فقال: ﴿والقمر﴾ [أى الذى - °] هو آية الليل الهادية لمن ضل بظلامه ﴿واليل اذا دبر﴾ أى مضى فانقلب راجعاً من حيث جاء فانكشف ظلامه فزال الجهل بانكشافه، وانصرفت^٦ الريب والشكوك بانصرافه ﴿والصبح اذا اسفر﴾ فأقبل ضياؤه فجلى العلم بحلوله، وحصلت الهداية بحصوله، او دبر بمعنى أقبل، قال قطرب^٧: تقول العرب: دبرنى فلان أى جاء خلفى.

ولما أقسم على ما أخبر به من ذكرها، وأكده لإنكارهم العظيم لبلاياها

- (١) من ظ و م، وفى الأصل: من (٢-٢) تكرر ما بين الرقنين فى الأصل.
(٢) من ظ و م، وفى الأصل: عظم (٣) العبارة من هنا جاءت مطموسة فى الأصل فانتسخناها من ظ (٥) زيد من م (٦) من م، وفى ظ: انصرف.
(٧) راجع المعالم ١٤٨/٧.

استأنف تعظيمها والتخويف منها تأكيذا للتخويف لما تقدم من الإنكار فقال: ﴿ انها ﴾ أى النار التى سقر دركة من دركاتها، وزاد فى التأكيد على مقتضى زيادتهم فى الاستهزاء فقال: ﴿ لاحدى الكبر ﴾ أى من الدواهي والعظائم، جمع كبيرة وكبرى، وهو كناية عن شدة هولها كما يقال: هو أحد الرجال أى لا مثل له، أو ' المراد بها واحدة ه سبع هى غاية فى الكبر أى دركات النار، وهى جهنم فلفظى فالحطمة فالسعر فسقر فالجحيم فالهاوية، هى إحداها فى عظيم أقطارها^٢ وشديد إيلامها وإضرارها، حال كونها ﴿ نذيرا ﴾ عظيما أو من جهة نذارتها أو إنذارا بالغا: فعيل بمعنى المصدر مثل " فكيف كان نكير " أى إنكارى؛ وعبر بقوله: ﴿ للبشر ﴾ لما تقدم من الإشارة إلى إسراع الجسم ١٠ العادى فى قبول^٣ التأثر / لا سيما بالنار .

٥٨٦ /

ولما كان التقدم^٤ عند الناس لا سيما العرب محبوبا والتأخر^٥ مكروها، وكان سبحانه وتعالى قد خلق فى الإنسان قوة واختيارا بها يفعل ما قدره^٦ الله له وغطى عنه علم العاقبة حتى صار الفعل ينسب إليه وإن كان إنما هو بخلق الله، قال تعالى باعناهم على الخير ومبعدا ١٥ من^٧ الشر مستافا أو مبدلا جوابا لمن يقول: وما عسى أن تفعل؟ أو ينفع

(١) من م، وفى ظ " و " (٢) فى م: شدايد (٣) إلى هنا انتهى الطمس فى الأصل (٤) من ظ و م، وفى الأصل: التقدير (ه) من ظ و م، وفى الأصل: ان التأخر (٦) من ظ و م، وفى الأصل: يقدره (٧) من م، وفى الأصل وظ: ع .

الإنذار وقد قال إنه هو الهادي^١ المضل "يضل الله من يشاء [ويهدي من يشاء]"^٢: ﴿ لمن شاء ﴾ أى بارادته ، وصرح بالمقصود ثلثا تبعت متعتهم فيقول : المراد غيرنا ، فقال : ﴿ منكم ﴾^٣ أى ايها المعاندون^٤ ﴿ ان يتقدم ﴾ أى إلى الخيرات ﴿ او يتأخره ﴾^٥ أى عنها ، فيصل إلى ٥ غضب الله تعالى والنار التى هى أثر غضبه ، التى جعل ما عندنا من مؤلم الحر ومهلك البرد متأثرا عن نفسها تذكيرا لنا ورحمة بنا ، وحذف المفعول لأن استعماله كثير حتى صار يعرف وإن لم يذكر ، وترجمة ذلك : لمن شاء أن يتقدم التقدم بما له من المكنة والاختيار فى ظاهر الأمر ، ولمن شاء أن يتأخر التأخر ، و "أن يتقدم" مبتدأ ، وهو مثل ١٠ ﴿ لمن يتوضأ^٦ أن يصلي^٧ ، ويجوز أن تكون الجملة بدلا من «البشر» على طريق الالتفات من الغائب إلى الحاضر ليصير كل مخاطب به كأنه هو المقصود بذلك بالقصد الأول فيتأمل المعنى فى نفسه فيجده صادقا ثم يتأمل فلا يجد مانعا من تعديته إلى غيره من جميع البشر ، ويكون «أن» والفعل على هذا مفعولا لـ «شاه» .

١٥ ولما كان التقدم [والتأخر -^٨] بالافعال ، وكان أكثر افعال الإنسان الشر لما جبل عليه من التقصان ، قال مبينا لما يقدم وما يؤخر : ﴿ كل نفس ﴾ أى ذكر أو أنثى على العموم^٩ ﴿ بما كسبت ﴾ أى خاصة

(١) زيد فى الاصل : او ، ولم تكن الزيادة فى ظ و م لحذفها (٢) زيد من ظ و م (٣ - ٣) سقط ما بين الرتين من ظ و م (٤ - ٤) من ظ و م ، وفى الأصل : عنا (٥ - ٥) من ظ و م ، وفى الاصل : ليصلي (٦) زيد فى الأصل : ما ، ولم تكن الزيادة فى ظ و م لحذفها .

لا بما كسب غيرها (رهينة ١) أى مرتبهة بالفعل ، اسم بمعنى الرهن كما فى [قول - ١] الحماسى ٢ :

أبعد الذى بالنصف نصف كويكب ٣ رهينة رمس ذى تراب و جندل
لا تأنيث " رهين " الذى هو وصف ، لأن فعلا بمعنى [مفعول - ٤]
يستوى مذكوره و مؤنثه ، و لو كانت الفواصل التى يعبرون بها عن السجع ه
تأديا تراعى فى القرآن بوجه لقليل : [رهين - ٥] - لأجل يمين ، و لكن
لا نظرا ٦ فيه لغير المعنى ، و يجوز ان تكون [الهاء - ٥] للبالغة بمعنى
موثقة إثاقا بليغا محبوسة حبسا عظيما فهى فى النار ، فجعل الأصل فى
الكسب الموثق ٧ .

ولما كان الرهن تارة يفك و تارة يغلط ، و كان أكثر الخلق هالكا ، ١٥
جعل 'رهينة' بمعنى 'هالكة' ، ثم استثنى الممدوح فقال : (الآصحب اليمينه)
أى الذين تقدم رصفهم و هم الذين تحبوا إلى الله فاستمروا ٨ بأوامره
و انتهوا ٩ بنواهيهم ، فانهم لا يرتهنون بأعمالهم ، بل يرحمهم الله فيقبل
حسناتهم و يتجاوز عن سيئاتهم .

ولما أخرجهم عن حكم الارتهان الذى أطلق على الإهلاك لأنه ١٥

(١) زيد من ظ و م (٢) زيد فى الأصل : حيث قال ، و لم تكن الزيادة فى ظ
و م لحدفاها (٣) من البحر المحيط ٢٧٩/٨ و روح المعاني ٢٢٦/٩ ، و فى الأصل :
بكوكب (٤) زيد من ظ (٥) زيد من م (٦) من ظ و م ، و فى الأصل : نظيره .
(٧) فى م : الموفق (٨) من ظ و م ، و فى الأصل : ياتمرون (٩) من ظ و م ،
و فى الأصل : ينتهون .

سبه، استأنف بيان حالهم فقال: ﴿فِي جَنَّتٍ قَدْ﴾ أي بصاتين في غاية / ٥٨٧
المعظم لأنهم اطلقوا أنفسهم وفكوا رقابهم فلم يرتهنوا، فالآية من
الاحتباك: أثبت أولا الارتهان دليلا على حذف ضده ثانيا، وأثبت
ثانيا الجنة دليلا على حذف ضدها أولا.

٥ ولما كان السؤال عن حال الغير دالا دلالة واضحة على الراحة
والفراغ عن كل ما يههم النفس، عبر عن راحتهم في أجل وعظ
وألف تحذير بقوله: ﴿يَتَسَاءَلُونَ﴾ أي فيما بينهم يسأل بعضهم بعضا
﴿عن المجرمين﴾ أي 'أحوال العريقين في قطع ما أمر الله به
أن يوصل.

١٠ ولما كان يوم القيامة في غاية الصعوبة^٢ وكان أحد مشغولا
بنفسه، فكان لا علم له بتفاصيل ما يتفق لغيره، وكان أولياء الله إذا
دخلوا دار كرامته أرادوا العلم بما فعل بأعدائهم فيه سبحانه، فتساءلوا
عن حالهم^٣ فقال بعضهم لبعض: لا علم لنا، فكشف [الله -^٤] لهم
عنهم حتى رأوهم في النار^٥ وهي^٦ تسعر بهم ليقر الله أعينهم بعذابهم،
١٥ زيادة في نعيمهم و ثوابهم، كما تقدم في الصافات عند قوله "قال قائل
منهم اني كان لى قرين" وكان [بساط -^٧] الكلام دالا على هذا
كله، أشار لنا سبحانه إليه بقوله -حكاية عما يقول لهم أولياؤهم تويخا

(١) زيد في الأصل: عن، ولم تكن الزيادة في ظ و م لحذفها (٢) زيد في
الأصل: يصير، ولم تكن الزيادة في ظ و م لحذفها (٣) من ظ و م، وفي
الأصل: احوالهم (٤) زيد من ظ (٥ - ٥) سقط ما بين الرقنين من ظ و م.

و تعنيفا و شتماة و تقریعا^١ تصديقا لقوله تعالى " فالיום الذين آمنوا من الكفار يضحكون " - الآية ، و لتكون حكاية ذلك موعظة للسامعين و ذكرى للذاكرين : (ما) هى محتملة للتوبيخ و التعجيب^٢ (سلككم) أى أدخلكم أيها المجرمون إدخالا هو فى غاية الضيق حتى كأنكم السلك فى الثقب (فى سقره) فكان هذا الخطاب مفهما لأنهم لما تساءلوا ه نقوا العلم عن أنفسهم ، و كان من المعلوم أن نفي العلم لأنهم شغلوا^٣ عن ذلك بأنفسهم^٤ و أنهم ما شغلوا - مع كونهم من أهل السعادة - إلا لأن ذلك اليوم عظيم الشواغل ، و كان من المعلوم أنه إذا تعذر عليهم علم أحوالهم من أهل الجنة و هم غير مریدين^٥ الشفاعة فيهم فلم يبق لهم طريق إلى علم ذلك لا يظن به التعريض للشفاعة إلا السؤال ١٠ منهم عن أنفسهم فى أنهم يخاطبونهم^٦ بذلك^٧ فيعلمون عليهم^٨ ليزدادوا بذلك غبطة و سرورا بما نجاهم الله من مثل حالهم و يكثر^٩وا من الثناء على الله تعالى بما وفقهم له و ليكون ذلك عظة لنا بسماعنا إياه فحكى الله أنهم لما سألوهم (قالوا) ذاكرين علة دخولهم النار بافساد قوتهم العملية^{١٠} فى التعظيم لأمر الله فذلك^{١١} جميع ما تقدم [من - ١٠] ١٥

- (١) زيدت الواو فى الأصل ، ولم تكن فى ظ و م لحذفناها (٢) من ظ و م ، وفى الأصل : التعجب (٣ - ٢) من ظ و م ، وفى الأصل : بذلك لأنفسهم . (٤) من م ، وفى الأصل و ظ : مریدون (٥) فى ظ : مخاطبون (٦ - ٦) من ظ و م ، وفى الأصل : فعملوا عملهم (٧) من ظ و م ، وفى الأصل : يكثر^٩ون . (٨) من ظ و م ، وفى الأصل : العلية (٩) من ظ و م ، وفى الأصل : لذلك . (١٠) زيد من ظ و م .

مهمات السورة بما حاصله أنهم لم يتحلوا بفضيلتين ولم يتخلوا عن
 رذيلتين تعريفاً بأنهم كانوا مخاطبين بفروع الشريعة^١، وفي البداية
 بالعمل تنبيه على أنه يجب على العاقل المبادرة^٢ إلى ما يأمره به الصادق^٣
 لأنه المصدق لحسن^٤ الاعتقاد، والمبادرة إلى التلبس بالعمل أسهل
 من المبادرة إلى التلبس بالعلم، لأن العمل له صورة و حقيقة، و مطلق
 التصوير أسهل من التحقيق، و من صور شيئاً كان أقرب إلى تحقيقه
 ممن لم يصوره، فكان أجدر بتحقيقه ممن لم يباشر تصويره، فقيه حث
 على المسابقة إلى الأعمال الصالحة وإن^٥ لم تكن النية خالصة، وإيدان
 بأن من أدام ترك الأعمال^٦ قاده إلى الانسلاخ من حسن الاعتقاد،
 ١٠ وورطه في الضلال: ﴿لم نك﴾ حذفوا النون دلالة^٧ على ما هم^٨
 فيه من الضيق عن النطق حتى يحرف يمكن الاغتناء عنه، و دلالة
 على أنه لم يكن لهم نوع طبع جيد^٩ يحثهم على الكون في عداد
 الصالحين، وكان ذلك مشيراً إلى عظيم ما هم فيه من الدواهي الشاغلة
 بضد ما فيه أهل الجنة من الفراغ الحامل لهم على السؤال عن أحوال
 ١٥ غيرهم^{١٠}، و كان ذلك منبهاً على فضيلة العلم: ﴿من المصلين﴾ [أى-^{١١}]

(١) من ظ و م، وفي الأصل: الشرع (٢) من ظ و م، وفي الأصل: البداية.
 (٣-٢) من ظ و م، وفي الأصل: لأن الصدف بحسن (٤-٤) من ظ و م،
 وفي الأصل: تكون (٥) زيد في الأصل: له، ولم تكن الزيادة في ظ و م
 لحذفها (٦-٦) من ظ و م، وفي الأصل: عما (٧) من ظ و م، وفي الأصل:
 حيلة (٨) من ظ و م، وفي الأصل: العبر (٩) زيد من م.

- صلاة يعتد بها، فكان هذا^١ تنبيها على أن رسوخ القدم [في الصلاة - ٢] مانع من مثل^٢ حالهم، وعلى أنهم يعاقبون على فروع الشريعة وإن كانت لا تصح منهم^٣، فلو فعلوها قبل الإيمان لم يعتد بها، وعلى أن الصلاة [أعظم - ٢] الأعمال، وأن الحساب بها يقدم على غيرها.
- و لما نفوا الوصلة^٤ بالخالق، أتبعوه إفساد القوة العملية بعدم وصلة^٥ الخلائق بترك الشفقة على خلق الله [فقالوا - ٢]: ﴿ ولم نك ﴾ بحذف النون أيضا لما^٦ هم [فيه - ٢] من التكدر ونقيا لأدنى شيء من الطبع الجيد ﴿ نطعم المسكين ﴾ أى لأجل مسكنته، نفوا هنا وجود إطعامه لأنهم إن اتفق إطعامهم له فلعلة أخرى غير المسكنة، وأما الصلاة فهم يوجدونها [لله - ٢] بزعمهم، لكن [لما - ٢] ١٠ كانت على غير ما^٧ أمروا به^٨ لم تكن مقبولة فلم يكونوا^٩ من الراشدين^{١٠} في وصفها. ولما سلبهم التحلى بلباس الأولياء أثبت لهم التحلى بلباس الأشقياء بإفساد القوة النطقية جامعا القول إلى الفعل فقالوا: ﴿ وكنا ﴾ أى بما جبلنا عليه من الشر ﴿ نخوض ﴾ أى نوجد الكلام الذى هو فى غير مواقعه ولا علم لنا به لإيجاد المشي [من الخائض فى ماء غمر - ٢] ١٥

(١) من ظ و م، وفى الأصل: ذلك (٢) زيد من ظ و م (٣) من ظ و م، وفى الأصل: مثلهم (٤) من ظ و م، وفى الأصل: منه (هـ) من م، وفى الأصل وظ: الوصل (٦) من ظ و م، وفى الأصل: لم (٧-٧) فى ظ و م: أمر. (٨-٨) من ظ و م، وفى الأصل: راشدين.

(مع الخائنين لا)^١ بحيث صار لنا هذا [وصفا راسخا فنقول في القرآن : إنه سحر ، وأنه شعر ، وأنه كهانة وغير هذا -^٢] من الأباطيل ، لا تتورع عن شيء من ذلك ، ولا نقف مع عقل ، ولا نرجع إلى صحيح نقل ، فليأخذ الذين يادرون إلى الكلام في كل ما يسألون عنه ه من أنواع العلم من غير تثبت منزلتهم [من -^٣] هنا .

ولما كان الإدمان على الباطل يجر إلى غلبة الهزء والسخرية ، وغلبة ذلك ولا بد توجب إفساد القوة العلية^٤ بتصديق الكذب وتكذيب الصدق ، قالوا يانا لاستحبابهم^٥ الخلود : (وكنا نكذب) أى بحيث صار لنا ذلك وصفا ثابتا (يوم الدين لا)^٦ ولما كان التقدير : ١٠ واستمر تكذيبنا لصيرورته لنا أوصافا ثابتة . بنوا عليه قولهم : (حتى^٧ اثنا) أى قطعا (اليقين^٨) أى بالموت أو مقدماته التى قطعنا عن [دار -^٩] العمل فطاح الإيمان بالغيب .

ولما أقرروا / على أنفسهم بما أوجب^١ العذاب الدائم ، فكانوا بمن / ٥٨٩
فسد مزاجه فتعذر علاجه ، سبب عنه^٢ قوله : (فما تنفعهم) أى فى حال ١٥
اتصافهم بهذه الصفات وهى حالة لازمة لهم دائما (شفاعة الشفيعين^٣)
أى لو شفّعوا فيهم . ولما كان هذا الإخبار بنعيم المنعم وعذاب المعذب

(١) زيد فى الأصل : فى مساء عمر مع الخائضين ، ولم تكن الزيادة فى ظ و م
لحذفناها (٢) زيد من ظ و م (٣) زيد من م (٤) من ظ و م ، وفى الأصل :
العملية (٥) من م ، وفى الأصل : لاستحقاقهم ، وفى ظ : لاستحباب (٦) من م ،
وفى الأصل وظ : يوجب (٧) من ظ وفى الأصل : عن .

موجبا للتذكر، سبب عنه الإنكار عليهم فقال : ﴿ فإ ﴾ أى أى شيء
 يكون ﴿ لهم ﴾ حال كونهم ^١ ﴿ عن التذكرة ﴾ أى التذكر العظيم خاصة
 بالقرآن خصوصا وبغيره عموما ﴿ معرضين ﴾ وعلى الباطل وحده مقبلين ،
 وذلك من أعجب العجب ، لأن طبع الإنسان إذا حذر من شيء حذره
 أشد الحذر كما لو حذر المسافر من سبع في طريقه فانه يبذل جهده في الحيدة
 عنه والحذر منه ^٢ وإن كان المخبر كاذبا ، فكيف يعرضون عن هذا
 المحذور الأعظم والمخبر أصدق الصادقين ^٣ ، فأعراضهم ^٤ هذا دليل على
 اختلال ^٥ عقولهم واختبال فهمهم ^٦ ، وزاد ذلك عجا شدة نفارهم حتى
 ﴿ كأنهم ﴾ فى إعراضهم عن التذكرة من شدة النفرة والإسراع فى
 النفرة ^٧ ﴿ حمر ﴾ أى من حمر الوحش وهى أشد الأشياء نفارا ، ولذلك ^٨
 كان أكثر تشبيهات ^٩ العرب فى وصف الإبل بسرعة السير بالحر فى
 عدوها إذا وردت ماء فأحست عليه ما يريها ، وفى تشبيه الكفرة
 بالحر ولاسيما فى هذه الحالة مذمة ظاهرة وتهجين لحالمهم بين ، وشهادة
 عليهم بالبله وقلة العقل وعدم الثبوت ^{١٠} ﴿ مستنفرة ﴾ أى موجدة للنفار

(١) زيد فى الأصل ، فى غفة دائمة ، ولم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها .

(٢) من ظ و م ، وفى الأصل : عنه (م) من ظ و م ، وفى الأصل : القائلين .

(٤) زيد فى الأصل : عن ، ولم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (ه) من ظ

وم ، وفى الأصل : اختلاف (٦) من ظ و م ، وفى الأصل : قولهم (٧) من

ظ و م ، وفى الأصل : العرة - كذا (٨) من ظ و م ، وفى الأصل : تشبيها

من تشبيها (٩) فى ظ و م : التثيت .

بغاية الرغبة فيه حتى كأنها تطلبه من انفسها لانه من شأنها وطبعها - هذا
على قراءة الجماعة، وقرأ أهل المدينة و الشام بالفتح بمعنى أنه نقرأها منفرد .
ولما كان ذلك لا يكون إلا لسبب عظيم يتشوف إليه ، استأنف
قوله : ﴿ فرت من قسورة^١ ﴾ أي أسد شديد القسر عظيم القهر فنشبت
ه في جبال سقر أو صيادين .

ولما كان الجواب قطعاً : لا شيء لهم في إعراضهم هذا ، أضرب
عنه بقوله : ﴿ بل يريد ﴾ أي [على - '] دعواهم وبزعمهم
﴿ كل امرئ منهم ﴾ أي المعرضين ، مع ادعائه^٢ الكمال في المروءة
﴿ ان يؤتى ﴾ أي من السماء ، بناء للفعول لأن مرادهم معروف ﴿ صحفاً ﴾
١٠ أي قراطيس مكتوبة ﴿ منشرة^٣ ﴾ أي كثيرة جدا وكل واحد منها منشور
لا مانع من قراءته واخذة ، و ذلك أنهم قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم :
لن تتبعك حتى تأتى كلامنا بكتاب من السماء^٤ فيه : من الله^٥ إلى فلان
اتبع محمداً صلى الله عليه وسلم .

ولما كان ذلك إنما هو تمنى^٦ ، لا أنه على حقيقته قال :
١٥ ﴿ كلا^٧ ﴾ أي ليس لهم غرض في الاتباع بوجه من الوجوه لا بهذا
الشرط ولا بغيره : ﴿ بل ﴾ علتهم الحقيقية في هذا الإعراض^٨ أنهم
﴿ لا يخافون ﴾ أي في زمن من الأزمان^٩ ﴿ الآخرة^{١٠} ﴾ ولما كان

(١) زيد من ظ و م (٢) من ظ و م ، وفي الأصل : ادعائهم (٣-٢) من ظ
و م ، وفي الأصل : من الله فيه (٤) من ظ و م ، وفي الأصل : تقلب وتقلب .
(٥) زيد في الأصل : كون ، ولم تكن الزيادة في ظ و م لحذفها (٦) زيد في
الأصل : أي ، ولم تكن الزيادة في ظ و م لحذفها .

فعلهم هذا فعل / من يعتقد في القرآن انه ليس بوعظ صحيح يستحق ان يتبع ، قال رادعا^١ لهم عن هذا اللازم : ﴿ كلاً ﴾ أى ليس الامر قطعا كما تزعمون من أن هذا القرآن لا يستحق الإقبال عليه ، ثم استأنف قوله مؤكداً لأجل ما تضمن هذا الفعل من إنكارهم : ﴿ انه ﴾ أى القرآن ﴿ تذكرة ﴾ أى موضع وعظ عظيم يوجب إعجاباً عظيماً اتباعه^٥ وعدم الاضغالك عنه بوجه فليس لاحد أن يقول : أنا^٢ معذور لأنى لم أجد مذكراً ولا معرفاً فان^٣ عنده أعظم مذكر وأشرف معرف .

ولما كان في غاية السهولة والحلاوة لكل من عرفه بوجه من الوجوه ، وكان الله سبحانه قد خلق القوى والقدر ، وجعل للعبد ١٠ اختياراً ، قال مسنياً عن كونه موضعاً للتذكر : ﴿ فن شاء ﴾ أى أن يذكره ﴿ ذكره ﴾ ثبت^٤ في صدره و علم معناه وتخلق به ، فليس أحد [يقدر - °] أن يقول : إنه صعب التركيب عظيم التعقيد عسر الفهم ، يحتاج في استخراج المعاني منه إلى علاج كبير وممارسة طويلة فأنا معذور في الوقوف عنه ، بل [هو - °] كالبحر الفرات ، من شاء ١٥ اغترف ، لأنه خوطب به أمة أمية لا ممارسة لها شيء من العلوم ، فسهل في لفظه ومعناه غاية السهولة مع أنه لا يوصل^٦ إلى قراره ولا

(١) في ظ : ردعا^(٢) من ظ و م ، وفي الأصل : اى^(٣) من ظ و م ، وفي الأصل : فانه^(٤) من ظ و م ، وفي الأصل : فيثبت^(٥) زيد من ظ و م .
(٦) من ظ و م ، وفي الأصل : يوصل بها .

يطمع في مناظرة أثر من آثاره، بل كلما زاد الإنسان فيه تأملا زاده ' معاني .

ولما كان [هذا - ٢] ربما أوم أن للبد استقلالاً بالتصرف، قال معلما بأن هذا إنما هو كناية عما له من السهولة والحلاوة والعذوبة التي توجب عشقه لكل ذى لب منها على ترك الإعجاب وإظهار الذل والالتجاء والافتقار إلى العزيز الغفار في طلب التوفيق لأقوم طريق :
(وما يذكرون) أى [و - ٢] لا واحد منكم هذا القرآن ولا غيره في وقت من الأوقات ﴿ إلا ان يشاء الله ﴾ [أى - ٢] الملك الأعظم الذى لا أمر لاحد معه ، وهو صريح فى أن فعل العبد من المشيئة ، وما يشأ عنها [إنما هو - ٢] بمشيئة الله . ولما ثبت أنه سبحانه الفعال لما يريد وأنه لا فعل لغيره بدون * مشيئته ، وكان من المعلوم أن أكثر أفعال العباد بما لا يرضيه ، فلولا حله ما قدروا على ذلك ، وكان عفو القادر مستحسنا ، قال مينا لأنه أهل [للرهبه و - ٢] الرغبة : ﴿ هو ﴾ أى وحده ﴿ اهل التقوى ﴾ أى أن يتقوه عباده ١٥ ويحذروا غضبه بكل ما تصل قدرتهم إليه لما له من الجلال [و - ٢] العظمة والقهر ، ويجوز أن يكون الضمير للتعق ﴿ وأهل المغفرة ﴾

(١) من ظ و م ، وفى الأصل : لاده - كذا (٢) زيد من ظ و م (٣) زيد من ظ (٤ - ٤) من م ، وفى الأصل : أثبت ان ، وفى ظ : أثبت انه (٥) زيد فى الأصل : امره و . ولم تكن الزيادة فى ظ و م لخصفها (٦) من ظ و م ، وفى الأصل : العبد .

أى لأن يطلب غفرانه للذنوب لا سيما إذا اتقاه المذنب لأن له الجمال^١
 واللفظ وهو قادر ولا قدرة لغيره ولا ينفعه شيء ولا يضره شيء،
 فهو الحقيق بأن يجعل موضع^٢ الإنذار الذى امر^٣ به أول السورة
 البشارة، ويوفق عباده لتكبيره وهجران الرجز، وكذا فعل سبحانه
 بقوم هذا النبي الكريم صلى الله عليه وسلم، روى أحمد^٤ والترمذى^٥
 والنسائي وابن ماجه^٦ والطبراني فى الأوسط والحاكم^٧ وأبو يعلى
 والبغوى^٨ والبخارى عن أنس رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم
^٩ أنه قرأ هذه الآية ثم قال: يقول الله: أنا أهل أن أتقى، فمن اتقى
 أن يشرك بى غيرى فأنا أهل [أن - ١٠] اغفر له . وقال الترمذى
 وابن عدى والطبراني: تفرد به سهل ابن [أبى - ١١] حزم القطعى، فقد^{١٠}
 رجع آخر السورة على أولها، وانطبق مفصلها على موصولها، بضم
 البشارة^{١١} إلى النذارة، وصار كأنه قيل: انذر العاصى فانه أهل لأن يرجع
 إلى طاعاته، فيكون سبحانه أهلاً لأن يعود عليه بستر زلاته .

(•)

-
- (١) من ظ و م ، وفى الأصل : الجلال (٢) من ظ و م ، وفى الأصل : مع .
 (٣) من ظ و م ، وفى الأصل : امره (٤) راجع السند ٣ / ١٤٢ و ٢٤٣ .
 (٥) راجع الجامع - التفسير (٦) راجع السنن - الزهد (٧) راجع المستدرک ٨ / ٢٠٠ .
 (٨) راجع المعالم ٧ / ١٥٠ (٩ - ٩) من ظ و م ، وفى الأصل : ان فراره .
 (١٠) زيد من م (١١) من ظ و م ، وفى الأصل : الاشارة .

سورة القيامة^١

مقصودها الدلالة على عظمة المدثر المأمور بالإنذار صلى الله عليه وسلم لعظمة مرسله سبحانه وتعالى تمام اقتداره بأنه كشف له العلوم حتى صار إلى الأعيان^٢ بعد الرسوم^٣ بشرح آخر سورته من أن هذا القرآن تذكرة عظيمة لما أودعه [الله -]^٤ من وضوح^٥ المعاني وعذوبة الألفاظ وجلالة النظم^٦ ورويق السبك وعلو المقاصد، فهو لذلك معشوق لكل طبع، معلوم ما خفي من أسرار^٧ وإشاراته بصدق النية وقوه العزم بحيث يصير بعد كشفه إذا أثر^٨ كأنه كان^٩ منسيا بعد حفظه فذكر^{١٠} فمن شاء ذكره، لحفظه^{١١} وعلم معانيه وتحقق بها، وإنما المانع عن ذلك مشيئة الله تعالى، فمن شاء حجب عنه أصلا ورأسا، ومن شاء حجب عنه^{١٢} بعضه، ومن شاء كشف عنه الحجاب، وجعله يعينه على

-
- (١) الخامسة والسبعون من سور القرآن الكريم، مكية، وعدد آياتها أربعون.
 (٢) من ظ و م، وفي الأصل: العيان (٣) من ظ و م، وفي الأصل: رسول.
 (٤) زيد من ظ و م (٥) من ظ و م، وفي الأصل: عظيم (٦) من ظ و م، وفي الأصل: المنظوم (٧) من ظ و م، وفي الأصل: إشارات (٨-٨) من ظ و م، وفي الأصل: كان كأنه (٩) من ظ و م، وفي الأصل: لحفه (١٠) من ظ و م، وفي الأصل: من .

اعظم صواب، دون شك ولا ارتياب، وجلى عليه أوانسه وعرائسه
وحباه جواهره ونفائسه، وحلاه به؛ فكان ملكه وسائسه، كما كان
المدثر صلى الله عليه وسلم حين كان خلقه القرآن، واسمها القيامة واضح
في ذلك جدا، وليس فيها ما يقوم بالدلالة عليه غيره إذا توملت الآية
مع ما أشارت إليه دلاء النافية للقسم أو المؤكدة مع أنها في الوضوح ه
في حد لا يحتاج إلى الإقسام [عليه - ٢] لأنه لا يوجد أحد يدع من
تحت يده يعدو بعضهم على بعض، ويتصرفون فيما خولهم فيه من غير
حساب، فكيف بأحكم الحاكمين الذى وكل بعبيده أضعافهم من الملائكة
فهم يديرون في كل لحظة فيهم كؤوس المنايا، يأخذون من أمرهم به
سبحانه إلى داره^٢ البرزخ للتهيئة للعرض ويسوقونهم زمرا بعد زمرا ١٠
إلى العود فى الأرض حتى ينتهى الجمع فى القبور، و يقيمهم بالنقر^٤
فى الناقور، و النفخ فى الصور، إلى ساحة الحساب للثواب و^٥ العقاب،
/ ولم يحجب عن علم ذلك حتى ضل عنه أكثر الخلق إلا مشيئته سبحانه ٩٢/
بتغليب النفس الأمارة حتى صارت اللوامة منهمكة فى الشر شديدة
اللوم عن الإقصار عن^٦ شيء منه كما أن ما جلاه لئيه محمد صلى الله ١٥
عليه وسلم حتى كان خلقه، ولمن أراد من أتباعه إلا إرادته سبحانه
(١) من ظ و م، وفى الأصل: ان (٢) زيد من ظ و م (٣) من ظ و م، وفى
الأصل: دارا (٤) من ظ و م، وفى الأصل: فى النقر (٥) من ظ و م، وفى
الأصل: أو (٦) من ظ و م، وفى الأصل: فى .

بتغليب^١ المطمئنة حتى صار الكل روحا صرفا [و-^٢] نورا خالصا
 بحتا ﴿بسم الله﴾ الذى شرف رسوله صلى الله عليه وسلم فأعجز
 الخلق بكتابه بما له من الجلال ﴿الرحمن﴾ الذى عم بنعمتى الإيجاد
 والبيان أهل الهدى والضلال ﴿الرحيم﴾ الذى خص أهل العناية
 ه بالسداد فى الأقوال والأفعال .

لما ذكر سبحانه الآخرة أول سورة^٢ المدثر و خوف منها بالتميز
 بالناقور وما تبعه، ثم أعاد أمرها آخرها، وذكر التقوى التى هى
 أعظم أسباب النجاح فيها و المغفرة التى هى الدواء الأعظم لها، و كان
 الكفار يكذبون بها، و كان سبحانه قد أقام عليها من الأدلة من
 ١٠ أول القرآن إلى هنا تارة مع الإقسام و أخرى مع الخلو عنه ما صيرها
 فى حد البديهيات، وكانت^١ العادة قاضية بأن المخبر إذا كذبه السامع
 حلف على ما أخبره به، و كان الإقسام مع تحقق العناد لا يفيد،
 أشار سبحانه وتعالى إلى أن الأمر قد صار غنيا عن الإقسام
 لما له من الظهور الذى لا يضكره [إلا-^٢] معاند، فقال مشيرا إلى
 ١٥ تعظيمها و التهويل فى أمرها بذكرها^٢ و إثبات أمرها بعدم^٣ الإقسام
 أو تأكيده: ﴿لأقسم﴾ أى لا أوقع^٤ الإقسام أو أوقعه^٥ مؤكدا
 ﴿يوم القيمة لا﴾ على وجود يوم القيامة أو بسبب وجوده لأن الأمر^٦

(١) من م، وفى الأصل و ظ : بالارادة (٢) زيد من ظ و م (٣) سقط من
 ظ و م (٤) من ظ و م، وفى الأصل : كان وكان (٥) سقط من ظ (٦) من
 ظ و م، وفى الأصل : بعد (٧) من ظ و م، وفى الأصل : اقع (٨) من ظ
 و م، وفى الأصل : اقع (٩) من ظ و م، وفى الأصل : امر .

غنى فيه [عن ذلك - ١] ، و على القول بأنه قسم هو مؤكد بالنافي ،
 و دخوله فى التأكيد سائق بل شائع فى كلامهم جدا ، و جاز القسم
 بالشيء على وجوده إشارة إلى أنه فى العظمة فى الدرجة العليا كما يقول
 الإنسان : والله ان الله موجود ، أى لا شيء أحلف به على وجوده
 - يا أيها المنكر - أعظم منه [حتى - ١] أحلف به و لا بد لى من الحاف ه
 لأجل إنكاره فأنا أحلف به عليه ، فالمعنى حيثئذ انه لا شيء أدل على
 عظمة الله من هذين^٢ الشئين فلذا أوقع القسم بهما^٣ ، و سر التأكيد
 [ب - لا ، - ١] - كما قال الرازى فى اللوامع : ان الإثبات من طريق النفي
 أكد كأنه رد على المنكر أولا ثم أثبت القسم ثانيا ، فان الجمع بين
 النفي و الإثبات دليل الحصر .

١٠

ولما كان من المقرر المعلوم الذى هو فى أقصى غايات الظهور
 أن من طلبه^٤ الملك [طلب - ١] عرض و حساب [و ثواب - ١]
 و عقاب يلوم نفسه فى كونه لم يبالغ فى العمل بما يرضى الملك و الإخلاص
 فى موالاته ، و التحيز إليه و مصافاته . و كان أكثر لوم النفس راقعا
 فى ذلك اليوم ، و كان إدراكها للوم المرتب على إدراك الأمور الكلية ١٥

٥٩٣ /

و الجزئية و معرفة الخير و الشر ، و التمييز بينهما / من أعظم الدلائل
 على تمام^٥ قدرة الخالق و كمال عظمتة الموجب لإيجاد ذلك اليوم

- (١) زيد من ظ و م (٢) من ظ و م ، وفى الأصل : هذا (٣) من ظ و م ،
 وفى الأصل : فيها (٤) زيد من م (٥) من م ، وفى الأصل و ظ : طلب .
 (٦) من م ، وفى الأصل : عموم ، والكلمة ساقطة من ظ .

لإظهار عظمتة و [حكمه و - ١] حكمته قال : ﴿ و لآ أقسم بالنفس ١ ﴾
 على حد ماضى فى [أن - ١] الباء صلة أو سبب ﴿ اللوامة ٥ ﴾ أى
 التى تلوم صاحبها و هى خيرة و شريرة ، فالخيرة [تكون - ١] سبا
 للنجاة فيه و الأخرى تكون سببا للهلاك فيه ، فان لامت على الشر
 ٥ أو ٢ على التهاون ١ بالخير أنجحت ١ ، و إن لامت على ضد ذلك أهلكت ١ ،
 و كيفما كانت لابد أن تلوم ، و هى [بين - ١] الأمانة و المطمئنة ، فما
 غلب عليها ٦ منها كانت فى حيزه ، قال الراوى ١ فى اللوامع ١ : فالمطمئنة
 التى ١ انقادت لأوامر الله ، و الأمانة المخالفة لها المتبعة للهوى ، و اللوامة
 هى المجاهدة ٩ . فتارة لها اليد و تارة عليها ، و هى نفس الإنسان خاصة
 ١٠ لأنها بين طورى ١١ الخير و الشر و الكمال و النقصان و الصعود و الهبوط
 و الطاعة و العصيان ، قال الإمام السهروردى فى الباب السادس ١١ و الخمسين
 من معارفه : و هى نفس واحدة لها صفات متغيرة ، فالملائكة فى درجة
 الكمال ، و الحيوانات ١٢ الأخرى فى درجة النقصان . و لهذا جمع بين القيامة
 و [بين - ١] اللوامة ، لأن الثواب و العقاب للآدمى دون الملائكة

- (١) زيد من ظ و م (٢) وقع فى الأصل قبل « اللوامة » و التوب من ظ و م .
 (٣) فى م : « و » (٤ - ٤) من ظ و م ، وفى الأصل : فى الخير نجت (٥) من
 ظ و م ، وفى الأصل : هلكت (٦) من ظ و م ، وفى الأصل : عليه (٧ - ٧) - سقط
 ما بين الرقيين من ظ و م (٨) زيد فى الأصل : قامت و ، ولم تكن الزيادة فى
 ظ و م فحذفناها (٩) فى ظ : المجادلة (١٠) من ظ و م ، وفى الأصل : ظهورى .
 (١١) من ظ و م ، وفى الأصل : الخامس (١٢) من ظ و م ، وفى الأصل : الحيوان .

والحيوانات^١ العجم ، و اللوامة يشتد لومها في ذلك اليوم على عدم الخير أو عدم الزيادة منه ، لا أقسم على ذلك بهذا الذى هو من أدل الأمور على عظمته سبحانه فان^٢ الأمر في ذلك غنى عن القسم .

ولما كان التقدير قطعاً بما يرشد إليه جميع ما مضى جواباً للقسم :
إنك والله صادق في إنذارك فلا بد أن ينقر في الناقور بالنفخ في هـ
الصور . قال بانيا عليه بعد الإشارة إلى تعظيم أمر القيامة بما دل عليه
حذف الجواب من أنها في وضوح الأمر وتحتم الكون على حالة
لا تخفى على أحد منكرها على من يشك فيها بعد ذلك : ﴿ يحسب الإنسان ﴾
أى هذا النوع الذى يقبل^٣ [على - ٤] الأنس بنفسه و النظر في عطفه
والسرور بحسبه ، وأسند الفعل إلى النوع كله لأن أكثرهم كذلك لقلبه ١٠
الحظوظ على العقل إلا من عصم الله ﴿ ان ﴾ أى انا .

ولما كان فيهم من يبالغ في الإنكار ، عبر^{*} أيضا بأداة التأكيد
فقال : ﴿ لن نجمع ﴾ أى على ما لنا من العظمة ﴿ عظامه ٥ ﴾ أى التى
هى قالب بدننه و عماده من الأرض فيعيدها كما كانت^٦ بعد تمزقها
و تفتتها و افتراقها و بلاها و انمحاقها ، وقد سدت الخففة مسد مفعولى ١٥
يحسب ، المقدرين به يحسبنا ، غير جامعين .

وقال الإمام أبو جعفر ابن الزبير : لما تقدم قوله مخبراً عن اهل

(١) زيدت الواو فى الأصل ولم تكن فى ظ و لم نخذفناها (٢) من ظ و م ، وفى
الأصل : قال (٣) فى ظ : جبل (٤) زيد من ظ و م (٥) زيد فى الأصل : بقوه ،
ولم تكن الزيادة فى ظ و لم نخذفناها (٦) من ظ و م ، وفى الأصل : انت .

الكفر « و لنا نكذب يوم الدين » ثم تقدم في صدر السورة قوله تعالى « فاذا نقر في الناقور » إلى قوله « غير يسير » والمراد به يوم القيامة ، و الوعيد به لمن ذكر بعد في قوله « ذرني و من خلقت وحيدا ، الآيات / و من كان على حاله في تكذيب وقوع ذلك اليوم ، ثم تكرر ذكره عند جواب من سئل بقوله « ما سلككم في سقر » فبسط القول في هذه السورة في بيان ذكر ذلك اليوم و أهواله ، و أشير إلى حال من كذب به في قوله تعالى « يسأل ابان يوم القيامة » و في قوله تعالى « يحسب الإنسان ان لن نجعل عظامه » ثم أتبع ذلك بذكر أحوال الخلائق في ذلك اليوم « ينأ الإنسان يومئذ بما قدم و آخر » انتهى .

١٠ و لما أسند الحسبان إلى النوع لأن منهم من يقول : لا نبعث لأنا تفتت و تتمحق ، قال مجيبا له : ﴿ بلى ﴾ أى لنجعلن عظامه و جمع أجزائه لأنا قدرنا على تفصيل عظامه و تفتيتها من بعد ارتاقها حال كونها نطفة واحدة لأن كل من قدر على التفصيل قدر على الجمع و التوصيل حال كوننا ﴿ قديرين ﴾ أى بما لنا من العظمة ﴿ على أن ﴾ .

١٥ و لما كانت تسوية الصغير أصعب ، قال : ﴿ نسوى بنانه ﴾ أى أصابعه [أو - ٢] سلامياته و هى عظامه الصغار التى فى يديه ورجليه كل منها طول إصبع و أقل ، خصها ٢ لأنها أطرافه و آخر ما يتم [به - ٢] خلقه بأن نجعل بعضها إلى بعض على ما كانت عليه قبل الموت سواء ، فالكبار

(١) من ظ و م ، و فى الأصل : حالة (٢) زيد من ظ و م (٣) من ظ و م ، و فى الأصل : حصتها .

بطريق الأولى لأنها أبين، ولا فرق بين تسويتنا ذلك من النظفة
و تسويتنا له من التراب، وهي لا تكون مسواة وهي قالب البدن^١
إلا بتسوية ما عليه من لباس اللحم والعصب والجلد كما يعدها العاهد،
فتسوية البنان كناية عن تسوية جميع البنان كما لو قيل لك: ^٢ هل تقدر^٣
على تأليف هذا الحنظل، فقلت: نعم، و^٤ على تأليف الخردل، مع^٥
ما يفهم من تخصيصها من التنبيه على ما فيها من بديع الصنع المتأثر عنه
ما لها من لطائف المنافع، أو أن نسويها الآن فجمعها على ما كانت
عليه حال^٦ كونها نظفة من الاجتماع قبل فتحها وتفريقها حتى تكون
كحف البعير، فإن القادر على تفصيل الانامل حتى تنهأ^٧ للأعمال
اللطيفة قادر على جمعها، فزول عنها تلك المنفعة. ومن قدر على تفصيل^٨
الماء بعد [اختلاطه - ^٩] وجمعه بعد انفصاله قادر على جمع التراب
بعد افتراقه، وكيفما كان فهو تنبيه على التأمل في لطف تفصيل الانامل
و بديع صنعها الموجب للقطع بأن صانعها قادر على كل ما يريد، قال في
القاموس: البنان: الأصابع أو أطرافها، والسلامى - وزن جبارى: عظام
صغار طول إصبع أو أقل في اليد والرجل^{١٠}.

وما تقدم ما^{١١} أشار إلى أن القيامة في غاية الظهور، أضرب
عن هذا الإنكار فقال بانبا على ما تقديره: إنه لا يحسب عدم ذلك

(١) من ظ وم، وفي الأصل: الابدن (٢-٣) في ظ وم: اتقدر (٣) من ظ
وفي الأصل: أو (٤) من ظ وم، وفي الأصل: حاة (٥) من ظ وم، وفي
الأصل: تنهأوه (٦) زيد من ظ وم (٧) من ظ وم، وفي الأصل: بما.

/ ٥٩٥

لأنه من الظهور في حد لا يحتاج إلى كبير تأمل فلو مشى مع / عقله عرف الحق: ﴿ بـل يريد ﴾ أى يوقع الإرادة ﴿ الانسان ﴾ أظهر في موضع الإضمار للتصريح بالتعميم لمقتضى الطبع الموجب له عدم الفكر فى الآخرة مع شدة ظهورها لأنه^١ معنى بشهواته فلا نجاة إلا بعصمة الله تعالى، وحذف مفعول «يريد» إشارة إلى أن كل ما يريده بمقتضى طبعه وشهواته خارج عن طوره فهو معاقب عليه لأنه عبد، والعبد يجب عليه أن يكون مراقبا للسيد، لا يريد إلا ما يأمره به، فإذا أراد ما أمره به لم تنسب إليه إرادة بل الإرادة للسيد لا له^٢.

ولما كان ذلك،^٣ وكانت^٤ إرادته الخارجة عن الأمر معصية، ١٠ قال معللا: ﴿ ليفجر امامه ﴾ أى يقع منه الإرادة ليقع منه الفجور فى المستقبل من زمانه بأن يقضى شهواته ويمضى راكبا رأسه فى هواه، ونفسه الكاذبة تورد^٥ عليه الأمانى وتوسع له فى الأمل وتطمعه فى الغفوة من دون عمل، قال الحسن^٦: المؤمن ما تراه إلا يلوم نفسه [ويقول: ما أردت بكلامى؟ وما أردت بأفعلى؟ والفاجر يمضى ١٥ قدما لا يحاسب نفسه -^٧] ولا يعاتبها. ويجوز أن يعود الضمير على الله^٨ تعالى ليكون المعنى: ليعمل الفجور بين [يدى -^٩] الله تعالى

- (١) من ظ و م، وفى الأصل: لأنها (٢) من ظ و م، وفى الأصل: لعبد انتهى.
(٣-٢) سقط ما بين الرقن من ظ (٤) من ظ و م، وفى الأصل: هو نفسه.
(٥) من ظ و م، وفى الأصل: ترد (٦) راجع العالم ١٥١/٧ (٧) زيد من ظ و م.
(٨) من م، وفى الأصل و ظ: الى .

و برأى منه و مسمع و يطمع في أن لا يؤاخذ به بذلك أو يجازيه
بفجوره ، قال في القاموس : والفجر^١ : الانبعاث في المعاصي
و الزنا كالفجور .

و لما كان عريقا في التلبس بهذا الوصف ، أنتج له الاستهزاء بهذا
الخطب الأعظم فترجم ذلك بقوله : ﴿ يسئل ﴾ [أى - ٢] سؤال ه
استهزاء و استبعاد ، و وضع موضع مفعول يسأل جملة اسمية من خبر
مقدم و مبتدأ مؤخر فقال : ﴿ ايان ﴾ [أى - ٢] أى وقت يكون
﴿ يوم القيمة ﴾ و لما كان الجواب : [يوم - ٢] يكون كذا و كذا ،
عدل عنه إلى ما سبب عن استبعاده لأنه أهول ، فقال دالا على خراب
العالم لتجرد الإنسان عن مسكنه و ما ألفه من أحواله^١ فيكون أهول ١٠
معبرا بأداة التحقّق لأنها موضعها : ﴿ فاذا برق البصر ﴾ أى شخص
و وقف^٢ فلا يطرف من هول ما يرى - هذا على قراءة نافع بالفتح ،
وهى إشارة إلى مبدأ حاله ، و قراءة الجماعة بالكسر مشيرة إلى مآله
فان معناها : تخير و دهش و غلب ، من برق الرجل - إذا نظر إلى البرق
فحسر بصره و تفرق تفرق الشيء في المايح إذا انفتح^٣ عنه وعاؤه ١٥
بدليل قراءة بلى من بلى الباب - إذا انفتح ، و بلى الباب كنضر : فتحه

(١) من ظ و القاموس ، وفي الأصل وظ : الفجور (٢) زيد من ظ و م (م) زيد
من ظ (٤) من ظ و م ، وفي الأصل : الاحوال (ه) من ظ و م ، وفي الأصل :
وصف (٦) من ظ و م ، وفي الأصل : تفخه .

كله ، أو شديدا كما يلقه فأنبلق ، و بلى كقبح : تحير - قاله في القاموس^١ .
 و لما كانت آيات السماوات أخوف ، ذكرها بادئا بما طبعه البرد^٢ ،
 إشارة إلى شدة الحر و التوهج و الأخذ بالإنقاس الموجب لشدة اليأس
 فقال : ﴿ و خسف القمر لا ﴾ أى وجد^٣ خسفه بأن خسفه الله تعالى
 ٥٩٦ / ٥ / فأذهب صورته كما تذهب صورة الأرض المخسوفة ، وذلك بأذهاب
 ضوئه من غير سبب لزوال ربط المسبيات في ذلك اليوم بالأسباب
 و ظهور الخوارق بـ دليل قوله : ﴿ و جمع ﴾ أى جمعا هو في غاية
 الإحكام و الشدة كما أفهمه التذكير [و -^٤] على أيسر الوجوه
 و أسهلها ﴿ الشمس ﴾ أى آية النهار ﴿ و القمر ﴾ مع عدم إمارته
 ١٠ و إن كان نوره الآن من نورها فذهب^٥ الانتفاع بهما و هما^٦ مع
 ذهاب النور و تفرق البصر مدركان^٧ لوجود الكشف التام عن
 الخفيات كما قال تعالى : فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد^٨
 و بعد جمعهما يلقيان^٩ في النار كأنهما ثوران عقيران ، و بنى الفعل للمفعول
 لأن المهول مطلق جمعهما المخرج لهما عن العادة و للدلالة^{١٠} على السهولة .
 ١٥ و لما عظم أمر يوم^{١١} القيامة بما تقدم ، أكد ذلك بأن الأمر

(١) زيد في الأصل : انتهى ، و لم تكن الزيادة في ظ و م فحذفنا (٢) من ظ
 و م ، وفي الأصل : البرودة (٣) من ظ و م ، وفي الأصل : اوجد (٤) زيد من
 ظ و م (٥) من ظ و م ، وفي الأصل : فانه يكون قد ذهب (٦) من ظ و م ،
 وفي الأصل : هو (٧) من ظ و م ، وفي الأصل : مدركا (٨) من ظ و م ،
 وفي الأصل : يلتقيان (٩) من ظ و م ، وفي الأصل : لدلالت (١٠) سقط
 من ظ و م .

فيه على غير ما معهده في الدنيا من وجدان مهرب أو حاكم غير الذي يخافه المطلوب أو شيء من تشعب الكلمة و تفرقها [فقال - ١] :
 ﴿ يقول الانسان ﴾ أى بشدة روعه جرياً مع طبعه ﴿ يومئذ ﴾ أى إذا كان هذا الخطب الأجل والقادح الأكبر ، و حكى يقول جملة اسمية من خبر مقدم و مبتدأ مؤخر فقال : ﴿ ابن المفرج ﴾ أى الفرار و الموضع ه الذى إليه الفرار و الزمان القابل لذلك ، قول آيس مدهوش قاده إليه الطبع ، و ذلك حين تقاد جهنم بسبعين ألف سلسلة ، كل سلسلة بأيدي سبعين ألف ملك ، لها زفير و شهيق .

و لما كان ذلك اليوم يوم انقطاع الاسباب ، قال نافيا بما سأل عنه بأداة الردع : ﴿ كلا ﴾ أى لا يقال هذا فانه لا سبيل إلى وجود ١٠ معناه و هو معنى ﴿ لا وزرئ ﴾ أى ملجأ و معتصم و لا حصن و لا التجاء و اعتصام ، و كون هذا من كلام الإنسان رجوعاً من طبعه إلى عقله اقعد و أدل على الهول لانه لا يفهم انه بعد أن سأل من عظيم الهول نظر في جملة الأمر فتحقق أن لا حيلة بوجه أصلاً ، فقال معبراً بالأداة الجامعة لمجامع الردع .

١٥

و لما كان المعنى : لا مفر من الله إلا إليه ، لأن ملكه محيط و قدرته شاملة ، قال مترجماً عنه ذاكرًا صفة الإحسان لوما لنفسه على عدم الشكر : ﴿ الى ربك ﴾ أى المحسن إليك بأنواع الإحسان وحده ، لا

(١) زيد من ظ و م (٢) من ظ و م ، و في الاصل : بادارة (٣) من ظ و م ، و في الاصل : بمجامع .

إلى شيء غيره ﴿ يومئذ ﴾ أى إذا كانت هذه الأشياء ﴿ المستقرّة ﴾ أى استقرار الخلق [كلهم - ٢] ناطقهم و صامتهم و مكان قرارهم و زمانه إلى حكمه^٢ سبحانه و مشيئته ظاهرا و باطنا لا [حكم - ٢] لأحد غيره بوجه من الوجوه فى ظاهر و [لا - ٢] باطن كما هو فى الدنيا. و لما كان / موضع السؤال عن علة هذا الاستقرار، قال مستأنفا

بأينا للفعول لأن المنسكى إنما هو كشف الأسرار لا كونه من كاشف معين، و للدلالة على سر ذلك عليه سبحانه و تعالى بأن [من - ٢] نذبه إلى ذلك فعله كائنا من كان: ﴿ يَبْشُرُوا ﴾ أى يخبر تخيرا عظيما مستقصى ﴿ الانسان يومئذ ﴾ [أى - ١] إذا كان هذا الزلزال الاكبر ١٠ ﴿ بما قدم ﴾ أى من عمله العظيم ﴿ و آخره ﴾ أى فى أول عمره و آخره - كناية عن الاستقصاء أو بما قدمه فأثره على غيره هل هو الشرع أو الهوى أو بما عمل فى مدة عمره و بما آخر عمله لمعالجة الموت له عنه فيخبر بما كان يعمل من أمله لو مد فى أجله، أو الذى قدمه هو ما عمله بنفسه و ما آخره هو ما سته فعمل به الناس من بعده

-
- (١) من م ، وفى الأصل و ظ : اذا (٢) زيد من ظ و م (٣) من ظ و م ، وفى الأصل : حكته (٤) من ظ و م ، وفى الأصل : احد (٥) زبدت الواو فى الأصل ولم تكن فى ظ و م لخذفها (٦) من ظ و م ، وفى الأصل : اه . . (٧) من ظ ، وفى الأصل و م : لمعالجة (٨) من ظ و م ، وفى الأصل : فيخبره . (٩) زيد فى الأصل : هما ، ولم تكن الزيادة فى ظ و م لخذفنا (١٠) من ظ و م ، وفى الأصل : فى .

من خير أو شر - قاله ابن عباس رضى الله عنهما^١،^٢ و عليه^٣ مشى الغزالي
في الباب الثالث من كتاب البيع^٤ من الإحياء .

و لما عظم القيامة بكشف الأسرار فيها والإنباء بها، وكان الشأن
أن الإنسان لا ينبأ إلا بما هو جاهل له أو غائب عنه، و [كان -^٥
عما يخف على الإنسان في الدنيا النسيان، و كان ذلك اليوم يوم كشف
الغطاء، زاده عظم بالإعلام^٦ بأنه يحلو بصيرة الإنسان حتى يصير مستحضرا
لجميع ما له من شأن، فكان التقدير : و ليس جاهلا بشيء من ذلك
و لا محتاجا إلى الإنباء به، قال بانيا عليه : ﴿ بل الانسان ﴾ [أى كل -^٧
واحد من هذا النوع ﴾ على نفسه ﴾ خاصة ﴾ بصيرة^٨ ﴾ أى حجة
بينه على أعماله، فالهاء للبالغة - يعنى أنه في غاية المعرفة لأحوال نفسه ١٠
فانه إذا تأمل و أنعم^٩ النظر و لم يقف مع الحظوظ عرف جيد فعله
من رديئه، أما في الدنيا فلان الفطر الأولى شاهدة بالخير و الشر - كما
أشار إليه صلى الله عليه وسلم بقوله : المر ما^{١٠} سكنت إليه النفس
و اطمأن اليه القلب^{١١}، و الإثم ما حاك في الصدر و ترددت فيه النفس
و إن أفناك الناس و أفتوك - رواه الإمام أحمد عن أبي ثعلبة [الخشني -^{١٢} ١٥

(١) راجع معالم التنزيل ١٥٣/٧ (٢-٣) من م ، وفي الأصل وظ : مشى عليه .

(٣) من م ، وفي الأصل وظ : البيوع - و راجع الإحياء ٥٠/٢ (٤) زيد من

ظ و م (٥) من ظ و م ، وفي الأصل : بالأعظام (٦) من ظ و م ، وفي الأصل :

أمن (٧ - ٧) من ظ و م و مسند الإمام أحمد ١٩٤/٤ و راجع أيضا ٢٢٨ ،

وفي الأصل : اطمأن اليه القلب و سكنت النفس .

رضى الله عنه و قوله صلى الله عليه و سلم : إنما أدرك الناس من كلام النبوة الأولى " إذا لم تستح فاصنع ما شئت " - رواه البخارى^١ عن ابن مسعود رضى الله عنه ، و أما فى الآخرة فإن الله يعطيه فى^٢ ذلك [اليوم - ٣] قوة الذكرى حتى تصير أعماله كلها بين عينيه لانه تعالى ينقى عنه الشواغل البدنية و يكشف عنه الحجب النفسانية حتى تصير أعماله بمثابة له كأنه يراها و لا تنفعه معذرتة ، لأن كل شيء يعتذر به عن نفسه يعرف كذبه بنفس وجوده لا بشيء^٤ خارج عنه تارة يكون خالقه أوجده^٥ على ما هو عليه من العلم / و سلامة الأسباب المذيلة للعلل^٦ و تارة بانطاق^٧ جوارحه .

/ ٥٩٨

١٠ و لما كان الإنسان يعتذر فى ذلك اليوم عن كل سوء عمله ، و يجادل أعظم مجادلة ، و كان المجادل فى الغالب [يظن - ٨] أنه لم يذنب أو لا يعلم له ذنبا ، قال : ﴿ ولو ألقى ﴾ أى ذكر بغاية السرعة ذلك الإنسان من غير تلثم دلالة^٩ على غاية الصدق و الاهتمام و التملق ﴿ معافيره^{١٠} ﴾ أى كل كلام يمكن أن يخلص به ، جمع عذر أو معدرة ١٥ و هو إيساع الحيلة فى دفع الخلل^{١١} : و قال فى القاموس : المعافير :

(١) فى ظ و م : الشيخان ، و راجع كتاب الأنبياء من الصحيح (٢) - سقط من ظ و م (٣) زيد من ظ (٤) من ظ و م ، وفى الأصل : شيء (٥) من ظ و م ، وفى الأصل : واحده (٦) من ظ و م ، وفى الأصل : للعل (٧) من ظ و م ، وفى الأصل : باستنطاق (٨) زيد من ظ و م (٩) من ظ و م ، وفى الأصل : دالا (١٠) من ظ و م ، وفى الأصل : الحال .

البشور والحجج جمع معذار^١ ، وذلك لاشتراكهما في مطلق الستر بالفتح والستر بالكسر في ستر^٢ المذنب والحجة في ستر الذنب^٣ فالعنى أنه حجة على نفسه ولو احتج عنها واجتهد في ستر عيوبها ، فلا تقبل منها الأعذار ، لأنه قد أعطى البصيرة فأعماها بهوى النفس وشهواتها ، وتلك البصيرة هي نور 'المعرفة المركوز' في الفطرة الأولى وهي هـ لقوله تعالى « لا تنفع الظالمين معذرتهم » .

ولما كان معنى هذا كله أن الإنسان محجوب في هذه الدار عن إدراك الحقائق بما فيه من الحظوظ والكسل والفقر ، لما فيه من النقائص ، وكانت النبي صلى الله عليه وسلم مبرأ من ذلك لخلق [الله - °] له كاملاً وترقيته بعد ميلاده كل يوم في مراقى الكمال ١٠ حتى صار^١ إلى حد لا يشغله [عن العلوم - °] شيء فكان بحيث يرى مواقع الفتن خلال البيوت كمواقع القطر ، ويرى من ورائه كما يرى من أمامه ، ويقول : والله لا يخفى على^٢ خشوعكم ولا ركوعكم إنى أراكم من وراء ظهري ، و^٣ كان صلى الله عليه وسلم يرى^٤ في أشد الظلام وغير ذلك مما له صلى الله عليه وسلم^٥ من رقة الجوهر الذى لم ينله ١٥ أحد غيره وذلك^٦ مما يدل على الكشف التام ولكنه [كان - °]

(١) من ظ و م و القاموس ، وفي الأصل : معذر (٢) من ظ و م ، وفي الأصل : تلك (٣) من ظ و م ، وفي الأصل : نفسه (٤-٥) من ظ و م ، وفي الأصل : المعرفة المذكورة (٥) زيد من ظ و م (٦) زيد في الأصل : في ميلاده ، ولم تكن الزيادة في ظ و م لحذفها (٧-٨) في ظ و م : يرى صلى الله عليه وسلم (٨-٨) سقط ما بين الرقين من ظ و م .

صلى الله عليه وسلم لتعظيمه لهذا القرآن لما له في نفسه من الجلالة^١
ولما فيه من خزائر السعادة والعلوم التي لا حد لها فتستقصى، ولأنه
كلام الملك الأعظم، وبأمره نزل إليه^٢ صلى الله عليه وسلم مع رسوله
جبريل عليه الصلاة والسلام^٣، يعالج عند سماعه أول ما ياتيه شدة، فكان
هـ يحرك به لسانه استعجالاً بتعهده ليحفظه ولا يشذ عنه منه شيء. وكان
قد ختم سبحانه ما قبلها بالمعاذير، وكانت العجلة مما يعتذر عنه^٤، وكان
الحامل على جميع ما يوجب الملامة والاعتذار ما^٥ طبع عليه الإنسان
من حب العاجل، قال سبحانه نتيجة عن هذه المقدمات الموجبة لانكشاف
/ الأشياء الإنسان الموجب للاخبار بها والخوف من عواقبها ثللا يميل / ٥٩٩
١٠ إلى العاجلة ولا يقع في مخالفة لولا ما شغله^٦ به من الحجب إعلاماً
بأنه سبحانه وتعالى قد دفع عن النبي صلى الله عليه وسلم تلك الحجب
وأوصله من رتبة^٧ ولو كشف الغطاء ما ازدادت يقيناً، إلى أنهاها،
وأنه قادر على ما يريد من كشف ما يريد لمن يريد كما يكشف لكل
إنسان عن أعماله في القيامة حتى يصير يعرف^٨ ما قدم منها^٩ وما أحر،
١٥ وتنبئها على أنه^{١٠} صلى الله عليه وسلم لا كسب له في هذا القرآن

- (١) من ظ و م، وفي الأصل: الخلاوة (٢-٢) ما بين الرقين في ظ و م: مم
رسوله صلى الله عليه وسلم (٣) من ظ و م، وفي الأصل: عنها (٤) من ظ و م،
وفي الأصل: بما (٥) من ظ و م، وفي الأصل: يشغله (٦) من ظ و م، وفي
الأصل: رتبته (٧) زيد في الأصل: بها، ولم تكن انزيادة في ظ و م لحذفها.
(٨) من ظ و م، وفي الأصل: منه (٩) في ظ و م: أن النبي .

بغير حسن^١ التلقى إبعادا له عن قول البشر وتمهيدا بما يعرك من لسانه بالقرآن قبل تمام الإلقاء لئلا ما طبع عليه الإنسان : ﴿ لا تحرك به ﴾ أى القرآن الذى هو تذكرة من شاء ذكره لو لا حجاب المشيئة ، وقد كشف سبحانه وتعالى حجاب المشيئة لهذا النبي الكريم صلى الله عليه وسلم و شاء أن يذكره حين قال ” وما تشاؤون الا ان يشاء الله “^٥ لأنه^٢ ما زله^٢ إليه بغير اكتساب منه إلا وقد شاء ذلك ﴿ لسانك ﴾ الذى ليست^٣ له حركة إلا فى ذكر الله تعالى .

و لما لم يكن لهذا التحريك فائدة مع حفظ الله له على كل حال إلا قصد الطاعة بالعجلة ، وكانت العجلة هى الإتيان بالشئ قبل أوانه الأليق به ، وإن كان النبي صلى الله عليه وسلم مثابا على ذلك أعظم الثواب . لأنه^{١٠} لا حامل له عليه إلا حب الله وحب ما يأتى منه ، جعلها الله سبحانه وتعالى علة وإن لم تكن مقصودة فقال : ﴿ لنجعل به^٤ ﴾ أى بحمله وأخذه قبل أن يفرغ^٥ من إلقائه إليك^٥ رسولنا جبريل عليه الصلاة والسلام مخافة ان ينفلت منك ، لأن هذه العجلة وإن كانت من الكمالات بالنسبة إليك وإلى إخوانك من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام^{١٥} كما قال موسى عليه الصلاة والسلام ” وعجلت إليك رب اترضى “

(١) من ظ و م ، وفى الأصل : حسب (٢ - ٣) من ظ و م ، وفى الأصل : نزل (٣) من ظ و م ، وفى الأصل : ليس (٤) زيد فى الأصل : الملك ، ولم تكن الزيادة فى ظ و م لحذفها (٥) زيد فى الأصل : وهو ، ولم تكن الزيادة فى ظ و م لحذفها .

لأنها من النفس اللوامة التي تلوم على ترك المبادرة إلى أفعال الخير
فغيرها من أفعال المطمئنة أكمل منها، فنقل صلى الله عليه وسلم من
مقام كامل إلى 'أ' أكمل منه، وكان هذا الكلام^٢ المتعلق بالقرآن
والذي بعده فرقانا بين صفتي اللوامة في الخير واللوامة في الشر،
هـ والآية ناظرة^٣ إلى قوله تعالى في المدر حكاية: «إن هذا الا قول البشر»
وما بينهما اعتراض في وصف حال القيامة جر إليه قوله تعالى "سأصليه
سقر" أي ان الذي خيل به المقول^٤ في القرآن أمران: أحدهما
انه سحر والآخر انه قول البشر، والعلم اليقين حاصل باتقاء الأول،
وأما الثاني فكان النبي صلى الله عليه وسلم يخشى أن لا يتقن حفظه
١٠ / ٦٠٠ قددخل عليه كلمة مثلا فيكون من قول البشر / فهناك الله تعالى عن المجلة
وضمن له الحفظ، ثم علل هذا النهي بقوله^٥ مؤكدا لأنه من مجراته:
(ان علينا) أي بما [لنا - ٦] من العظمة، لا على أحد سوانا
(جمعه) أي في صدرك حتى^٦ نشبته وحفظه^٧ (وقرأه ^٨ على) أي
إطلاق لسانك به وإثباته في رتبته من الكتاب حال كونه مجموعا أتم
١٥ جمع ميسرا^٩ حسن تيسير فأرج نفسك بما^{١٠} تعالج في أمره^{١١} من المشقة
وتكأبده من العناء.

(١) زيد في الأصل: مقام، ولم تكن الزيادة في ظ وم فخذناها (٢) من ظ وم،
وفي الأصل: السكال (٣) من ظ وم، وفي الأصل: ظاهرة (٤) من ظ وم،
وفي الأصل: المقوم (٥) سقط من ظ وم (٦) من ظ وم، وفي الأصل:
فقوله (٧) زيد من ظ وم (٨ - ٨) من ظ وم، وفي الأصل: نحفظه ونشبهه.
(٩ - ٩) من ظ وم، وفي الأصل: تعالجهابه.

ولما نهاء امره فقال: ﴿ فاذا قرأته ﴾ اى أقدرنا^١ جبريل عليه الصلاة والسلام على تأديته إليك كما حملناه إياه بما لنا من العظمة وعلى حسبها ﴿ فاتبع ﴾ اى بغاية جهدك بالقاء سمعك وإحضار ذهنك ﴿ قرأته ﴾ اى قراءته بمجموعة^٢ على حسب ما أداه اليك رسولنا وجمعناه لك فى صدرك، وكرر تلاوته حتى يصير لك به ملكة عظيمة واعمل به حتى يصير لك خلقا فيكون قائدك إلى كل خير، فالضمير يجوز ان يكون للقرآن، يكون القرآن هنا بمعنى القراءة، عبر به عنها تعظيما لها، اى اتبع قراءة القرآن اى قراءة جبريل عليه السلام [له -^٣]، ولو كان على بابه لم يكن محذورا، فان المراد به خاص وبالضمير عام، ويجوز ان يكون الضمير^٤ لجبريل عليه السلام ١٠ [اى -^٥] اتبع قراءته ولا زاسله .

ولما كان بيان كلماته ونظومه على أى وجه سمعه من مثل صلصلة الجرس وغيرها وبيان معانيه وما فيه من خزائن العلم من العظمة بمكان^٦ يقصر عنه الوصف، أشار إليه باداة التراخى، فقال دالا على جواز تأخير البيان عن وقت الخطاب إلى وقت الحاجة، مشعرا ١٥ بانه كان يعجل بالسؤال عن المعنى كما كان يعجل بالقراءة: ﴿ ثم ﴾ وأكد ذلك إشارة إلى أنه لعظمه مما يتوقف فيه فقال: ﴿ ان علينا ﴾

(١) فى ظ: قدرنا (٢) من ظ و م، وفى الاصل: بمجموعة (٣) من ظ و م، وفى الأصل: اقراءته (٤) زيد من ظ و م (٥) من ظ و م، وفى الأصل: بالضمير (٦) من ظ و م، وفى الأصل: بما كان .

أى بما لنا من العظمة ﴿ بيانه ١ ﴾ أى بيان ألقاظه و معانيه لك سواء سمعته من جبريل عليه الصلاة و السلام على مثل صلصلة الجرس أو بكلام الناس المعتاد بالصوت و الحرف ، و لغيرك^١ على لسانك و على ألسنة العلماء من أمتك ، [و الآية - ٢] مشيرة إلى ترك مطلق العجلة .
 ٥ لأنه إذا نهى عنها فى أعظم الأشياء و أهمها كان غيره بطريق الأولى .
 روى البخارى فى تفسير الآية فى أول صحيحه و آخره^٢ عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : كان النبي صلى الله عليه و سلم يعالج من التنزيل شدة ، كان يحرك شفّته ، قال سعيد بن جبیر : قال ابن عباس رضى الله عنهما : فانا أحرّكهما لك كما كان رسول الله عليه و سلم يحركهما^٣ - فأزل الله عز و جل الآية حتى قال : جمعه فى صدرك ثم تقرأه ، فإذا قرأته فاتبع قرأته ، قال : فاستمع / له و أنصت ثم إن علينا ان تقرأه ، قال فكان رسول الله صلى الله عليه و سلم إذا أتاه جبريل عليه الصلاة و السلام استمع مطرقاً ، فإذا انطلق جبريل عليه الصلاة و السلام قرأه النبي صلى الله عليه و سلم كما أقرأه جبريل عليه الصلاة و السلام كما وعده الله بكفالة قوله تعالى ” فانه يسلك من بين يديه و من خلفه رصداً ليعلم أن قد ابلفوا رسالات ربهم و أحاط بما لديهم و أحصى كل شىء عدداً “ .

ولما كان سبحانه و تعالى قد ختم الكلام فى المكذبين بأن أعمالهم

(١) من ظ و م ، و فى الأصل : غير ذلك - كذا (٢) زيد من م (٣) راجع

١/٣ و ٢/١١٢٢ (٤) من ظ و م ، و فى الأصل : يحرك .

محفوظة . و ان كل احد على نفسه شاهد ، لأنه يعلم جميل ما يفعل من
 قبيح و إن اعتذر ، و لولاه^١ ما اشتد اتصاله به ، و ختم بضمان البيان
 للقرآن ، فكان شاهدا بينا على كل^٢ إنسان بما له من عظيم البيان . قال
 نافيا لما يظن من جهلهم بقبيح أفعالهم الذي اقتضاه اعتذارهم مشعرا بأن
 الآدمي مطبوع على الاستعجال بعد النهي عن العجلة في أعز الأشياء^٣
 و أعلاها و أهمها و أولاهما ، لأنه أصل الدين ليكون ذلك مؤكدا للنهي
 عن العجلة بالقرآن و مؤكدا لدمهم بحب العاجلة مغلا لتوبيخهم على
 الميل مع الطبع و ترك ما يقتضيه العلم و العقل : (كلا) أى لا يجهل
 أحد منهم قباح ما ارتكبه و إن اعتذر و ما ارتكب شيئا^٤ منها
 عن^٥ جهل (بل) هم (يحبون) أى حجة متجددة مستمرة على تجديد^٦
 الزمان (العاجلة لا) بدليل أنهم يقبلون غاية الإقبال عليها فأخذونها ،
 وحبها أوجب لهم ارتكاب ما يعلمون قبحه فان الآخرة و الأولى ضربتان^٧
 من أحب إحداهما فعل و لابد ما يساعده عن الأخرى ، فان حبك
 للشيء يعنى و يصم . و هذا بخلاف فبيننا صلى الله عليه و سلم في مطلق
 العجلة فكيف بالعاجلة فانما طبعناه على الكمال ، فكان يعالج من العجلة^٨
 بالقراءة شدة فحين نهيناه عن ذلك انتهى رجوعا إلى طبعه الكامل الذى

(١) من م ، و فى الأصل و ظ : أولاه (٢) من ظ و م ، و فى الأصل : ان
 كان (٣) من ظ و م ، و فى الأصل : عن شيء (٤) من ظ و م ، و فى الأصل :
 من (٥) من ظ و م ، و فى الأصل : يقبل (٦) زيد فى الأصل : لو اقصاه ، ولم
 تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها .

لا يشوبه نقص ، وكذا كان امره تكوينيا^١ لا إباء معه ولا كلفه .
 فان نفسه المطمئنة هي الغالبة ولها السلطان الأكبر ، ولأجل تضارب
 الدارين وكونهم يحبون العاجلة قال : ﴿ ويذرون ﴾ أى يتركون
 على أى وجه كان ولو أنه غير مستحسن ﴿ الآخرة ﴾ لأنهم ينفسونها
 ٥ لارتكابهم ما يضر بهم فيها ، وجمع الضمير وإن كان مبنى الخطاب
 مع الإنسان نظرا للمعنى إشارة إلى أنه لا يسلم من العجلة المدمومة
 [إلا - ٢] أفراد حفظهم الله بقدرته الباهرة ، والآية من الاحتباك :
 ذكر الحب أولا دليلا على البغض ثانيا ، والترك ثانيا دليلا على الإقبال
 والأخذ أولا ، فأنفسهم^٢ اللوامة تلومهم على التقصير فى الشر كما ان
 ١٠ / ٦٠٢ نفسك تحثك على الازدياد / من الخير والمبادرة إليه ، فنعمة النفس هي
 ولتولين مقامها ، وأما أنفسهم فانها نحثهم لأجل اللوم على التقصير فى
 الشر على الإخلاد إلى العاجل^٣ الفانى والإفلاق عن الباقي لكونه غائبا
 فبئس الأنفس هي .

ولما ذكر الآخرة التى أعرضوا عنها ، ذكر ما يكون فيها يانا
 ١٥ بجهلهم وسفاههم وفلة عقلهم ، ترهيبا لمن أدبر عنها وترغيبا لمن أقبل
 عليها لطما بهم ورحمة لهم فقال : ﴿ وجوه ﴾ أى من المحشورين وهم
 جميع الخلائق ﴿ يومئذ ﴾ أى إذ تقوم القيامة ﴿ ناضرة لا ﴾ من

(١) من ظ وم ، وفى الأصل : تكوينا (٢) زيد من ظ وم (٣) من ظ وم ،

وفى الأصل : فانقسم (٤) من ظ وم ، وفى الأصل : العاجلة .

النضرة^١ بالضاد، وهي النعمة والرفاهية أي^٢ هي بهية مشرقة ظاهر عليها أثر^٣ النعمة بحيث يدل ذلك على^٤ نعمة أصحابها (إلى ربها) أي المحسن لها خاصة باعتبار أن مُعدَّ النظر إلى غيره كلا نظر (ناظرة^٥) أي دائماً محدقون أبصارهم^٦ نحو جوده بالتجلى لا غفلة لهم عن ذلك فاذارفع الحجاب عنهم أبصروه بأعينهم بدليل التعدية به إلى، وذلك، هـ النظر جهرة من غير اكتتام ولا تضام ولا زحام - كما قاله ابن عباس رضي الله عنهما^٧ وأكثر المفسرين وجميع أهل السنة، وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم في الأحاديث الصحاح من وجوه كثيرة بحيث اشتهر غاية الشهرة، وتكون الرؤية كما مثلت في الأحاديث كما يرى القمر ليلة البدر، كل من يريد رؤيته من بيته مخلياً^٨ به - هذا وجه ١٠ الشبه، لأنه في جهة ولا في حالة لها شبيه - تعالى الله عن التشبيه، وهكذا رؤية النبي صلى الله عليه وسلم في المنام من الأشخاص المستكثرة في البلاد المتباعدة في الوقت الواحد، وقدم الجار الدال على الاختصاص إشارة إلى أن هذا النظر مبين للنظر إلى غيره فلا يعد ذلك نظراً بالنسبة إليه، وإلى أن تلك الوجوه مستغرقة في مطالعة جماله بحيث ١٥ لا تقتر عن ذلك، ولا يعد نظرها إلى ما سواه شيئاً، وهي آمنة من

(١) من ظ و م، وفي الأصل: النضر (٢) زيد في الأصل: الرفاهية، ولم تكن الزيادة في ظ و م فحذفناها (٣) من ظ و م، وفي الأصل: آثار (٤-٥) سقط ما بين الرقين من ظ (٥) من ظ و م، وفي الأصل: بإبصارهم (٦) راجع المعالم ٧ / ١٥٤ (٧) من ظ و م، وفي الأصل: محتلياً.

أن يفعل بها فاقرة، و عبر بالوجوه عن اصحابها لأنها^١ ادل ما يكون
 على السرور، و ليكون ذكرها اصرح في أن المراد بالنظر حقيقته،
 و زاده صراحة بالتعدية بـ «الى» فان الانتظار لا يعدى بها^٢، قال الإمام
 حجة الإسلام الغزالي رحمه الله تعالى في كتاب^٣ المحبة من الإحياء^٤
 ه بعد أن جَوَّزَ أن يخلق الله النظر في الجهة وغيرها: و الحق ما ظهر
 لأهل السنة و الجماعة من شواهد الشرع أن ذلك يخلق في العين ليكون
 لفظ الرؤية و النظر و سائر الالفاظ الواردة في الشرع مجرى على ظاهره
 إذ لا يجوز إزالة الظواهر إلا لضرورة - انتهى، و أهل الجنة متفاوتون
 في النظر: روى أن منهم من ينظر إلى الله بكرة و عشية، و في خبر
 ١٠ آخر، و ما بين القوم [و بين - °] أن ينظروا إلى ربهم إلا رداء
 / ٦٠٣ الكبرياء على وجهه / في جنة عدن، و متفاوتون في مقدار الكشف
 في الجمال و الأنس و البهجة التي يكون عنها اللذة بحسب أعمالهم.

ولما ذكر أهل النعمة، أتبعه أضدادهم من أهل النعمة فقال:
 ﴿ ووجوه يومئذ ﴾ أى في ذلك اليوم بعينه ﴿ باسرة لا ﴾ أى شديدة
 ١٥ العبوس^١ و الكلوح و السكره^٢ لما هي^٣ فيه من الغم كأنها قد غرقت
 فيه فرسبت^٤ بعد أن سبرت^٥ أحوالها، فلم يظهر لها وجه خلاص.

(١) من ظ و م، وفي الأصل: لانه (٢) العبارة من هنا إلى «بضرورة انتهى»
 ساقطة من ظ (٣) من ظ و م، وفي الأصل: كتابه (٤) راجع ٢٠٦/٤ (ه) زيد
 من ظ و م (٦) من ظ و م، وفي الأصل: العبوسة (٧) من ظ و م، وفي الأصل:
 السكره (٨) من ظ و م، وفي الأصل: لها (٩-١٠) - قط ١٠ بين الرقين من ظ.
 و الباسل ١٠٦

والباسل أبلغ من الباسر لكنه غلب في الشجاع لا: تداد كلوحه عند
العراك، و تلك الوجوه عن ربها محجوبة، وإلى أنواع العذاب ناظرة .
ولما كان ظن الشر كافيا في الحفر منه و المبالغة في استعمال
ما يحصى منه، قال دالا على أنه عبر بالوجه عن الجملة : ﴿ تظن ﴾ أى
تتوقع بما^١ ترى من المخايل : ﴿ ان يفعل ﴾ بناء للفعول لأن المحذور ه
وقوع الشر لا كونه من معين ﴿ بها ﴾ أى بهم فانه إذا أصيب الوجه
الذى هو أشرف ما فى الجملة كان ما عداه أولى ﴿ فاقرة^٢ ﴾ أى داهية^٣
تكسر الفقار و هو عظم سلسلة الظهر^٤ الذى هو أصلب ما فى العظام
فتكون قاصمة الظهر، فالآية من الاحتباك : ذكر النظر فى الأولى دليل
على ضده فى الثانية، و ذكر الفاقرة فى الثانية دليل على ضدها فى الأولى ١٠٠
و لما ذكر محبتهم للعاجلة بالمضارع الدال على التجدد و الاستمرار،
فاقتضى ذلك أنه حب غير منفك بالتجدد أصلا، أخبر^٥ أنه * ينقطع
عن^٦ هول المطلع [مع -^٧] الدلالة على تمام القدرة، وأنه لا يرد
قضاؤه، فقال رادعا لمن يظن عدم انقطاعه: ﴿ كلا ﴾ أى لا يدوم هذا
الحب بل لا بد أن ينقطع انقطاعا قبيحا جدا . و لما كان الحب للدنيا ١٥
هو النفس، أضمرها لذلك ولدلالة الكلام [عليها -^٨] فقال ذاكر

(١) من ظ و م، وفى الأصل: بما (٢) من ظ و م، وفى الأصل: واهية .

(٣) من ظ و م، وفى الأصل: ما ظهر (٤) من ظ و م، وفى الأصل: أخبره .

(٥) زيد فى الأصل: ذكر، ولم تكن الزيادة فى ظ و م لحذفها (٦) فى ظ ١

عند (٧) زيد من ظ و م (٨) زيد من ظ .

ظرف ما افهم حرف الردع تقديره من عدم المحبة : ﴿ اذا بلغت ﴾
 أى النفس المقبلة على العاجلة بأمر محقق - بما أفهمته أداة التحقق
 ﴿ التراقى ﴾ أى عظام اعلى الصدر ، جمع رقوة وهى العظام التى
 حول الحلقوم عن يمين ثغرة النحر وشمالها بين الثغرة وبين العاتق ،
 ٥ و لكل إنسان رقوتان ، وهو موضع الحشجة ، لعله جمع المثني إشارة
 إلى شدة انتشارها بغاية الجهد لما هى فيه من الكرب لاجتماعها من
 أقاصى^٢ البدن إلى هناك وضيق المجال عليها كأنها تريد أن تخرج من
 أدنى موضع يقرب منها ، وهذا^٣ كناية عن الإشفاء على الموت وما
 أحسن قول حاتم الطائي وأشد الثناء مع ما هنا من أمر الروح :

١٠ أماوى ما يغنى الثراء عن الفتى إذا حشرجت يوما وضاق بها الصدر

ولما كان أهل الميت يشتد انزعاجهم اذذاك و يشتد تطلبهم لما ينجى
 المحتضر من غير أن يفيدهم ذلك شيئا ، فكان قولهم كأنه لا قاتل له
 على التعيين^٤ ، بنى للفعول / قوله^٥ : ﴿ وقيل ﴾ أى من كل قاتل يعز
 عليه الميت استفهام استبعاد : ﴿ من سكة راق لا ﴾ أى من هو الذى يتصف
 ١٥ برسوخ القدم فى أمر الرق الشافية ليرقيه فيخلصه^٦ عما هو فيه فانه صار

/٦٠٤

(١) من ظ ، وفى الأصل وم : له (٢) من ظ وم ، وفى الأصل : اقاصم .

(٣) من ظ وم ، وفى الأصل : هكذا (٤) من ظ وم ، وفى الأصل : اليقين .

(٥) من ظ وم ، وفى الأصل : قولهم (٦) من ظ وم ، وفى الأصل : فيخلصه .

إلى حالة لا يحتمل فيها دواء فلا رجاء إلا^١ في الرقي، وعن ابن عباس
رضي الله عنهما^٢ أن هذا القول^٣ من بعض الملائكة للاستفهام عن^٤ يرقى
بروحه إلى السماء: أملائكة الرحمة أم ملائكة العذاب؟ فالأول اسم فاعل
من رقى يرقى بمعنى الرقية بالفتح في الماضي والكسر في المضارع، [والثاني
الذي بمعنى الصعود بالكسر في الماضي والكسر في المضارع - °] ٥ .
ولما كان الإنسان مطبوعاً^٦ على الترجع بين الأمور الممكنة
تعلق لما يغلب عليه من طبع الإلف وشدة^٧ الركون لما يألفه
بأدنى شيء، عبر عما هو أهل للتحقق بالظن فقال: (وظن) أى
المختصر لما لاح له من أمور الآخرة أو القائل «هل من راق، من
أهله (انه) أى الشأن العظيم الذى هو [فيه - °] (الفراق)^٨ ١٠
أى لما كان فيه من محبوب العاجلة الذى هو الفراق^٩ الأعظم الذى
لا فراق مثله، ففى الخبر أن العبد ليعالج كرب الموت وسكراته وأن
مفاصله ليسلم بعضها على بعض يقول: السلام عليك تفارقى وأفارقك إلى
يوم القيامة . (والتفت الساق) أى هذا النوع (بالساق) أى
انضمت إليها واتصلت [بها - °] ودارت إحداها بالآخرى فكأننا ١٥

(١) من ظ و م ، وفى الأصل : الى (٢) راجع البحر المحيط ٨ / ٣٨٩ (٣) فى
الأصل بياض ملأناه من ظ و م (٤) من ظ و م ، وفى الأصل : من .
(٥) زيد من ظ و م (٦) من ظ و م ، وفى الأصل : مطبوع (٧) زيد
فى الأصل : الى ، ولم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٨) من ظ و م ، وفى
الأصل : اقران .

كالشيء الواحد، وهو كناية عن الموت لأن المشي لا يكون إلا
 'مع انفصال' إحدى الساقين عن الأخرى، أو عن اشتداد الأمر جدا.
 وبعده عن الخلاص، فإن العرب لا تذكر الساق في مثل هذا السياق
 إلا في أمر شديد مثل «شمر عن ساق»، وإذا اشتد حراب المتحاربين؛
 هـ «دنت^٢ السوق بعضها من بعض» فلا افتراق إلا عن موت أحدهما
 أو اشد من موته من هزيمته^٣، وعن ابن عباس رضى الله عنها^٤ أنه
 كناية عن اختلاط شدة آخر الدنيا بشدة أول الآخرة، وجواب
 "إذا" محذوف تقديره: زال تعلقه الذي كان بالدنيا وجه لها
 وإعراضه عن الآخرة.

١٠ ولما صور وقت تأسفه على الدنيا وإعراضه عنها، ذكر غاية ذلك
 فقال مفردا النبي صلى الله عليه وسلم بالخطاب إشارة إلى أنه لا يفهم
 هذا حق فهمه غيره: ﴿إلى ربك﴾ أى^١ موعد وحكم^٢ المحسن إليك
 بارسالك وتصديقك في جميع ما بلغته عنه ونصرك على كل من ناواك^٣،
 لا إلى غيره ﴿يومئذ﴾ أى إذ وقع هذا الأمر ﴿المساقفة﴾ [أى
 ١٥ السوق -^٤] وموضع السوق وزمانه، كل ذلك داخل في حكمه، قد

(١-١) من ظ وم، وفي الأصل: بالانفصال من (٢) من ظ وم، وفي الأصل:
 رنت (٣) من ظ وم، وفي الأصل: هزيمة (٤) راجع البحر المحيط ٨/٣٩٠.
 (٥) من م، وفي الأصل وظ: للنبي (٦-٦) من ظ وم، وفي الأصل: الموعد
 والحكم بين يدي (٧) من م، وفي الأصل وظ: نواك (٨) زيد من ظ وم.

انقطعت عنه أحكام أهل الدنيا، فاما أن تسوقه الملائكة إلى سعادة
 ينة وإما^١ إلى شقاوة ينة، أو هو كناية عن عرضه بعد الموت على الله
 تعالى فلا ينفعه إذا حقق له الوعظ بالموت قوله^٢؛ أموت فاستريح،
 فانه يرجع بالموت إلى سيده، فان كان مطيعا^٣ لقيه بما يرضيه، وان
 كان عاصيا لقيه بما يلقي^٤ به العبد الآبق على قدر أباقه .

ولما ذكر كراهته للآخرة^٥ ذكر أن سيئه إفساده ما آتاه الله من
 قوى العلم والعمل بتعطيها^٦ عن الخير واستعمالها في الشر فقال مينا
 عمل العبد الموافق والآبق، عاطفا على ويستل إيان، الذي معناه جحد
 البعث: ﴿ فلا صدق ﴾ أى هذا الإنسان [الذى الكلام فيه -]
 الرسول فيما أخبره^٧ بما كان يعمل من الاعمال الخبيثة، ولا إيمانه^٨
 بالإنفاق في وجوه الخير التى ندب إليها واجبة كانت أو مسنونة، وحذف
 المفعول لانه أبلغ في التعميم .

ولما ذكر أصل الدين، أتبعه فروعه دلالة على أن الكافر مخاطب
 بها فقال: ﴿ ولا صلتى ﴾ أى ما أمر به من فرض وغيره، فلا
 تمسك بجبل الخالق ولا وصل إلى جبل الخلاق على حد ما شرع له .
 ولما نفي عنه أفعال الخير، أثبت له أفعال الشر فقال: ﴿ ولكن ﴾

-
- (١) من ظ وم، وفي الأصل: او(٢) زيد في الأصل: او، ولم تكن الزيادة
 في ظ وم فحذفناها (٣) زيد في الأصل: له، ولم تكن الزيادة في ظ وم فحذفناها.
 (٤) من ظ وم، وفي الأصل: يرضى (٥) من ظ، وفي الأصل وم: للدنيا .
 (٦) من ظ وم، وفي الأصل: بتعظيم بما (٧) زيد من ظ وم (٨) من ظ وم،
 وفي الأصل: أخبر به .

أى فعل ضد^١ التصديق بأن (كذب) أى بما اتاه [من -^٢] الله
 (وتولى^٣) أى [و -^٤] فعل ضد الصلاة التى هى [صلة -^٥]
 بين المخلوق و الخالق ، فاجتهد فى خلاف ما تدعوه اليه فطرته الأولى
 المستقيمة من الإعراض عن الطاعة من الصلاة وغيرها حتى صار
 هـ له ذلك^٦ ديدنا ، فصارت الطاعة لا تخطر له^٧ بعد ذلك^٨ على بال^٩
 لموت الفطرة الأولى و حياة النفس الامارة بالسوء^{١٠} ، وليس هذا
 بتكرار لأنه لا يلزم من عدم التصديق التكذيب .

ولما كان الإصرار على هذا عظيما يبعد كل البعد أن يعمل^{١١}
 أحد فكيف بالافتخار به والتكبر^{١٢} لأجله ، أشار إليه بأداة البعد .
 ١٠. قال مؤذنا بأن الحال على التكذيب الكبر ، و الحامل على الكبر الترف ،
 وسبب ذلك الاتقياد أولا مع الطبع فى إفساد القوتين : العملية
 والعلمية^{١٣} حتى نشأ عنهما هذا الخلق السيئ ، وهو عدم المبالاة ،
 ولم يزل به ذلك حتى صار ملكه يفتخر به (ثم ذهب) أى هذا الإنسان
 بعد توليه^{١٤} عن الحق (الى^{١٥} اهله) غير مفكر^{١٦} فى عاقبة ما فعل

(١) من ظ و م ، وفى الأصل : فعل (٢) زيد من ظ و م (٣) من ظ و م ،
 وفى الأصل : و « (٤ - ٤) من ظ و م ، وفى الأصل : ذلك له (ه - ه) من
 ظ و م ، وفى الأصل : ببال بعد ذلك وذلك (٦) سقط من ظ و م (٧) زيد فى
 الأصل : كل ، ولم تكن الزيادة فى ظ و م لحذفها (٨) من ظ و م ، وفى
 الأصل : التكذيب (٩ - ٩) من ظ و م ، وفى الأصل : العملية والعلمية .
 (١٠) من ظ و م ، وفى الأصل : التولية (١١) من ظ و م ، وفى الأصل :
 متفكر .

من التكذيب [حال كونه - '] ﴿ يَمْطِيْهُ ﴾ اى يفخر افتخارا
بتكذبه وإعراضه وعدم مبالاته بذلك ، من المط ، أبدل الحرف
الثانى ألفا تخفيفا فصار من المطا و هو الظهر كأنه يساعده على [مد - ٢]
الخطا ، أو أن المتبخر إذا مشى لوى ظهره ، وإنما فعل هذا لمرونة
على المعصية بدل الاستحياء والتجمل والانكسار .

٥

ولما كان هذا غاية الفجور ، و كان أهل الإنسان يحبونه إذا أقبل

٦٠٦ /

إليهم^٣ لا سيما / إذا كان على هذه الحالة عند أغلب الناس ، أخبر بما
هو حقيق ان يقال له فى موضع دحية أهله ، من التهديد العظيم فقال :
﴿ اولى لك ﴾ اى ' اولاك الله ' ما تكره ، ودخلت اللام للتأكيد

الزائد والتخصيص ، وزاد التأكيد بقوله : ﴿ فاولى لا ﴾ اى ابتلاك الله ١٥
بداهية عقب داهية ، و أبلغ ذلك التأكيد إشارة إلى أنه يستحقه
على مدى الأعصار ، فقال مشيرا بأداة التراخي إلى عظيم ما ارتكب
وقوة استحقاقه لهذا التأكيد : ﴿ ثم اولى لك ﴾ اى أيها الذى قد أحل
نفسه بالغفلة دون محل البهائم ﴿ فاولى له ﴾ اى وصلت إلى هذا الهلاك

بداهية تعقبها تارة متواليا وتارة متراخيا ، وبعضها أعظم من بعض ، ١٥
لحقك ذلك لا محالة ، فان هذا دعاء بمن ' يده الأمر كله ، ويجوز أن

(١) زيد من م ، و موضعه فى ظ : مط (٢) زيد من ظ و م (٣) من ظ و م ،
وفى الأصل : عليهم (٤ - ٥) من ظ و م ، وفى الأصل : اولى الله لك (٥) من
ظ و م ، وفى الأصل : التمديد (٦) من ظ و م ، وفى الأصل : تعقب لها (٧) من
ظ و م ، وفى الأصل : من .

يكون المعنى: أولي لك أن تترك ما أنت عليه وتقبل على ما ينفعك،
 وقال ابن جرير في تفسير المدثر: إني أبا جهل لما استهزأ على جعل
 خزنة^٢ النار تسعة عشر أوحى الله إلى النبي صلى الله عليه وسلم إن
 يأتيه فيأخذ بيده في بطحاء مكة فيقول^٣ له: أولي لك - إلى آخرها،
 ٥ فلما قال ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أبو جهل: والله لا تفعل
 أنت وربك شيئا، فأخزاه [الله -^٤] يوم بدر - انتهى . ويمكن تنزيل
 الكلمات الأربع على حالاته^٥ الأربع: الحياة ثم الموت ثم البعث ثم
 دخول النار، فيكون المعنى: لك المكروه الآن وفي الموت والبعث ودخول
 النار. قال البغوي^٦: وكان النبي صلى الله عليه وسلم يقول: إن لكل
 ١٠ أمة فرعون، وإن فرعون هذه الأمة أبو جهل . وقد أفهمت الآية
 أن من أصلح قوتى عليه وعمله بأن صدق بالله وملائكته وكتبه ورسله
 واليوم الآخر وأقبل وأقام الصلاة فبعتها^٧ جميع الأعمال التي هي
 عمادها. فنشأ عن ذلك خلق حسن وهو الرجل مع الطاعة، فهناك^٨
 يقال له: بشرى لك فبشرى ثم بشرى [لك -^٩] فبشرى .

١٥ ولما كان هذا فعل من أعرض عن الله أصلا فلم يخطر^{١٠} شيئا
 من عظمته^{١١} على باله، فكان ظانا أنه مهمل لا مال لك له^{١٢} وأنه هو

(١) راجع ٢٩ / ٨٧ (٢) من ظ و م ، وفي الأصل : ملائكة (٣) في م :
 ويقول (٤) زيد مني ظ و م والتفسير (٥) من ظ و م ، وفي الأصل : حاله .
 (٦) راجع المعالم ٧ / ١٥٦ (٧) من ظ و م ، وفي الأصل : تبعها (٨) من ظ
 و م ، وفي الأصل : هنالك (٩) زيد مني ظ و م (١٠-١٠) من ظ و م ، وفي
 الأصل : من عظمته شيء (١١) من ظ و م ، وفي الأصل : لك .

السيد لا عبودية عليه ، فلا يؤمر^١ ولا ينهى [ولا يعمل - ٢] إلا بمقتضى شهواته ، قال منكرا عليه معبرا بالحسبان الذى^٣ الحامل عليه نقص العقل : (ابحسب) أى أبحوز لقله عقله (الانسان) أى الذى هو عبد مروب ضعيف عاجز محتاج لما يرى فى نفسه وأبناء جنسه .
ولما كان الحامل على الجراءة مطلق الترك هملا ، لا كون الترك هـ من معين ، قال بانيا للفعول : (ان يترك) [أى يكون تركه بالكلية - ٢] (أسدى^٤) أى مهملا لاعبا لاهيا لا يكلف ولا يحارى ولا يعرض على الملك الأعظم الذى خلقه فيسأله عن شكره فيما / أسدى إليه ، فان ذلك مناف للحكمة ، فانها تقتضى الأمر بالمحسن والنهى / ١٠٧
عن المساوى و الجزاء على كل منهما ، وأكثر الظالمين و المظلومين ١٠ يموتون من غير جزاء ، فاقضت الحكمة و لا بد البعث للجزاء .
ولما كان الإنسان يجرى^٥ على ما^٦ فى طبعه^٧ من النقائص فيغفل عما خلق له فتراكم عليه ظلماته فيبعد عن علم ذلك إما بجهل بالحكمة أو بجهل بالقدرة ، رحمه^٨ سبحانه^٩ باعادة البرهان^{١٠} على المعاد بأمر يجمع^{١١} القدرة و الحكمة^{١٢} ، و ذلك أنه لا يحوز فى عقل عاقل ١٥

(١) من ظ و م ، وفى الأصل : فلا يامر (٢) زيد من ظ و م (٣) زيد فى الأصل : هو ، ولم تكن الزيادة فى ظ و م لحذفناها (٤) من ظ و م ، وفى الأصل : يجرأ (هـ-هـ) من ظ و م ، وفى الأصل : صنع (٦) زيد فى الأصل : الله ، ولم تكن الزيادة فى ظ و م لحذفناها (٧-٧) من ظ و م ، وفى الأصل : بالبرهان (٨-٨) من ظ و م ، وفى الأصل ، الحكمة و القدرة .

ان صانعا يصنع شيئا و يتركه ضياعا و هو حكيم او حاكم فكيف باحكم
الحكام. و^١ الحاكمين فقال منكرا^٢ عليه ظنه أنه يهمله سبحانه مع عليه
بصنائه^٣ المحكمة^٤ فيه، مقررا^٥ أحوال بدايته التي لا يسوغ معها إنكار
إعادته لأنها أدل دليل على أنه لا مانع منها أصلا، حاذقا نون الكون
٥. إعلاما بأن^٦ الأمر في هذه النتيجة العظمى ضاق عن أقل شيء يمكن
الاستغناء عنه كراهية التماهى من الموعوظ على ما وعظ لأجله فيحصل
له الهلاك، وإشارة إلى مهانة أصله وحقارته: (الم يك) أى
الإنسان (نطفة) أى شيئا يسيرا جدا (من منى) أى ماء من
صلب الرجل و ترائب المرأة مقصود ومقدر من الله للابتلاء^٧ والاختبار
١٠. مثاله المنية التي هي الموت (تمنى^٨) أى سبب الله للإنسان المعالجة^٩
في إخراجها بما ركب فيه من الشهوة^{١٠} وجعل له من الروح التي يسرها
لقضاء وطره منها حتى أن وقت صباها في الرحم [انصبت -^{١١}] منه^{١٢}
بغير اختياره حتى كأنه لا فعل له [فيها -^{١٣}] أصلا، ولذلك بنى الفعل
لما لم يسم فاعله، و [لما -^{١٤}] كان تكثير تلك النطفة وتحويلها أمرا
١٥ عظيما عجيبا، أشار إليه بأداة البعد مع إفادتها للتراخي^{١٥} في الزمان أيضا

(١) من ظ و م، وفي الأصل «أو» (٢) من ظ و م، وفي الأصل: بصنائه
(٣-٣) من ظ و م، وفي الأصل: مقروا (٤) زيد في الأصل: هذا، ولم تكن الزيادة
في ظ و م لحذفها (٥) من ظ و م، وفي الأصل: للابتال (٦) من ظ و م،
وفي الأصل: المعالجة (٧) من ظ و م، وفي الأصل الشبه (٨) زيد من ظ
وم (٩) من ظ و م، وفي الأصل: منية (١٠) من ظ و م، وفي الأصل:
أداة التراخي.

فقال: ﴿ ثم كان ﴾ اى كونا محكما ﴿ علقه ﴾ اى دما احمر عيطا شديد الحمرة و الغلظة ﴿ فخلق ﴾ اى قدر^١ سبحانه عقب ذلك لحمه وعظامه وعصبه و^٢ غير ذلك^٣ من جواهره وأعراضه ﴿ فسوئى^٤ ﴾ اى عدل عن ذلك خلقا آخر غاية التعديل شخصا مستقلا .

ولما كان استبعادهم للقيامه إما لاستبعاد القدرة على إعادة الأجزاء^٥ بعد تفرقها أو لاستبعاد القدرة على تمييز ترابها من تراب الأرض بعد الاختلاط، و كان تمييز النطفة إلى ذكر و أنثى كافيا فى [رد -^٦] الاستبعادين قال: ﴿ فجعل ﴾ اى بسبب النطفة ﴿ منه ﴾ اى هذا الماء الدافق أو المخلوق المسوى و هما شئ واحد ﴿ الزوجين ﴾ اى القرينين^٧ اللذين لا يمكن الانتفاع بأحدهما إلا بالآخر، ثم بينهما / بقوله: ١٠ / ٦٠٨
﴿ الذكر والأنثى^٨ ﴾ و هما كما تعلون متباينان فى الطبائع مختلفان فى أوصاف الأعضاء والآلات و المتاع^٩، كما لم يترك^{١٠} النطفة حتى صيرها علقه و لا ترك العلقه حتى صيرها [مضغة و لا ترك المضغة حتى صيرها -^{١١}] عظاما و لم يترك العظام حتى صيرها خلقا^{١٢} آخر إلى تمام^{١٣} الخلقة لتمام الحكمة الظاهرة و فصلها إلى ذكر و أنثى و هى [ماء -^{١٤}]، ١٥

- (١) من ظ و م، وفى الأصل: فقدّر (٢-٢) من ظ و م، وفى الأصل: غيره.
(٣) من ظ و م، وفى الأصل: الجزء (٤) زيد من ظ و م (٥) زيد فى الأصل:
اى، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فخذفناها (٦) من ظ و م، وفى الأصل: اشاع.
(٧) زيد فى الأصل: العظام، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فخذفناها (٨) زيد من
هامش ظ (٩-٩) من ظ و م، وفى الأصل: تمام آخر .

تميز ما يصلح منه للذكر وما يصلح منه للانثى اشد^١ واخفى من
تميز تراب الميت من تراب الارض، فكذلك لا يترك الجسم بعد
موته حتى يعيده ثم يعثه إلى آخر ذلك لتمام الحكمة الباطنة وهي
الجزاء والحكم الذي [هو - ٢] خاصة الملك .

٥ ولما تقرر من حيث إتيان^٢ الاصطناع أنه لا يجوز معه الإهمال
واقطاع الزاع، وكان ربما توقف من حيث ظن عدم القدرة على
ذلك بعد الموت، قال منها على تمام القدرة مقرراً عليه منكراً على من
يتوقف فيه موبخاً له مرتباً على ما قام على القدرة على الإعادة من دليل
القدرة الشهودى على البداية : (ليس ذلك)^٣ أى الخالق المسوى
١٠ الإله الأعظم الذى قدر على * هذه الإنشاءات * وصنع هذه الصنائع
المتقنة التى لا يقدر غيره على شئ منها . وأعرق فى النفي فقال :
(بقدر) أى عظيم القدرة (على^٤ ان يحى) أى كيف أراد دفعة
أو فى أوقات متعاقبة (الموتى^٥) فيقيم القيامة بل [و - ١] عزته
وجلاله^٦ وعظمته وكمال^٧ إنه على^٨ كل ما يريد^٩ قدير، وقد رجع
١٥ آخر السورة على أولها أنم رجوع، والتأم^{١٠} به آتم التام، فتمت

(١) من ظ و م ، وفى الأصل : واشده (٢) زيد من ظ و م (٣) زيد فى
الأصل : احكام ، ولم تكن الزيادة فى ظ و م لحذفها (٤) زيد فى الأصل ؛ كله
ديلاً على قوله ليس ذلك ، ولم تكن الزيادة فى ظ و م لحذفها (٥-٥) من ظ
و م ، وفى الأصل : هذا الانشاء (٦) من ظ و م ، وفى الأصل : جلالته .
(٧-٧) تكرر ما بين الرقيين فى الأصل فقط (٨-٨) من ظ و م ، وفى الأصل :
شئ (٩) من ظ و م ، وفى الأصل : الم .

معانيها أعظم تمام بجميع العظام وإيجاد القيام ليوم التغابن والزحام -
 أعانا الله [فيه - ١] بحس الختام، روى البغوي^٢ بسنده من طريق
 أبي داود عن أعرابي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله
 صلى الله عليه وسلم: من قرأ منكم "والتين والزيتون" فأنتهى إلى
 آخرها "أليس الله بأحكم الحاكمين" فليقل: [بلى - ٢] وأنا على ذلك من هـ
 الشاهدين، ومن قرأ "لا أقسم بيوم القيامة" فأنتهى إلى قوله "أليس ذلك
 بقادر على أن يحيي الموتى" فليقل: بلى، ومن قرأ المرسلات فقرأ بفأى حديث
 بعده يؤمنون، فليقل: آمنا بالله. [و - ١] رواه الترمذي وقال في آخر
 القيامة أن يحيي الموتى: بلى وعزة ربنا. وقال الحافظ نور الدين الهيثمي
 في مجمع الزوائد: وروى أحمد وفيه رحلان لم أعرفهما عن أبي هريرة ١٠
 رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: من قرأ:
 والمرسلات عرفاً بفأى حديث بعده يؤمنون، ومن قرأ: والتين
 والزيتون^٣، فليقل: وأنا على ذلك من الشاهدين، ومن قرأ: أليس ذلك
 بقادر على أن يحيي الموتى، فليقل: بلى^٤ - ^٥ والله الهادي للصواب^٦.

(١) زيد من ظ و م (٢) في المعالم ١٥٦/٧ (٣) زيد من المعالم (٤) من ظ و م ،
 وفي الأصل: نور (٥) راجع ١٣٢/٧ (٦) زيد في الأصل: إلى قوله، ولم تكن
 الزيادة في ظ و م والمجمع لحذفها (٧) زيد في الأصل: إلى قوله أليس الله بأحكم
 الحاكمين، ولم تكن الزيادة في ظ و م والمجمع لحذفها (٨) من ظ و م والمجمع،
 وفي الأصل: بلى (٩-٩) - سقط ما بين الرقنين من ظ و م .

/ سورة الإنسان^١ وتسمى هل آتى والأمشاج والدهر / ٦٠٩

مقصودها ترهيب الإنسان بما دل عليه آخر القيامة من العرض^٢ على الملك الديان بتعذيب^٣ العاصي^٤ في النيران^٥ وتعيم المطيع في الجنان بعد جمع الخلائق [كلها - ^٦] الإنس والملائكة والجان و غير ذلك من الحيوان ، ويكون لهم مواقف طوال وأحوال وزلزال ، لكل منها أعظم شأن ، وأدل ما فيها على ذلك الإنسان بتأمل آيته وتدبر^٧ مبدئه وغايته ، وكذا^٨ تسميتها بهل آتى وبالدهر والأمشاج من غير ميل ولا اعوجاج ﴿ بسم الله ﴾ الملك الذى خلق الخلائق لمعرفة أسمائه الحسنى ﴿ الرحمن ﴾ الذى عنهم بنعمه الظاهرة ١٠ فرادى^٩ ومثنى ﴿ الرحيم ﴾ الذى خص منهم من اختاره لوداده^{١٠} بالنعمة الباطنة والمقام الاسنى .

لما تقدم فى " آخر القيامة " التهديد على مطلق التكذيب ، و أن

- (١) السادسة والسبعون من سور القرآن الكريم ، مكية ، وعدداً بها ٣١ .
- (٢) زيد فى الأصل : الملك الجبار ، ولم تكن الزيادة فى ظ و م لحذفها .
- (٣) من ظ و م ، وفى الأصل : من تعذيب (٤-٥) من ظ و م ، وفى الأصل :
- بالنيران (٥) زيد من ظ (٦) من ظ و م ، وفى الأصل : تدبر (٧) من م ، وفى الأصل : لذا ، وفى ظ : اذلك (٨) من ظ و م ، وفى الأصل : فرداه (٩) من ظ و م ، وفى الأصل : لوارد (١٠) من ظ و م ، وفى الأصل : من .
- (١١) زيد فى الأصل و ظ : من ، ولم تكن الزيادة فى م لحذفها .

المرجع إلى الله وحده، والإنكار على من ظن أنه يترك سدى^١،
والاستدلال على البعث وتمام القدرة [عليه -^٢]، تلاه أول هذه بالاستفهام^٣
الإنكارى على ما يقطع معه بأنه لا يترك سدى، فقال مفصلاً ما له سبحانه
عليه من نعمة الإيجاد والإعداد والإمداد والإسعاد: ﴿هل أتى﴾
أى بوجه من الوجوه ﴿على الانسان﴾ أى هذا النوع الذى شغله
عما يراد به ويراد له لعظم مقداره فى نفس الأمر الانس بنفسه، والإعجاب
بظاهر حسه، والنسيان لما بعد حلول رسمه ﴿حين من الدهر﴾ أى
مقدار محدود وإن قل من الزمان الممتد الغير المحدود حال^٤ كونه
﴿لم يكن﴾ أى فى ذلك الحين كونا راسخا ﴿شيئاً مذكورا﴾ أى ذكرنا
له اعتبار ظاهر فى الملا^٥ الأعلى وغيره حتى أنه يكون متهاوفاً^٦ به غير ١٠
منظور إليه ليجوز أن يكون سدى بلا أمر ونهى، ثم يذهب [عدما -^٢]
بالكلية، ليس الأمر كذلك، بل ما أتى عليه^٦ شيء من^٦ ذلك بعد خلقه
إلا وهو فيه شيء مذكور، وذلك أن الدهر هو الزمان، والزمان هو
مقدار حركة الفلك^٧ - كما نقله الرازى فى [كتاب -^٢] اللوامع فى
سورة يس، عند^٧ قوله تعالى^٨ : ولا الليل سابق النهار، فانه قال: الزمان ١٥
ابتدأه من حركات السماء فان الزمان مقدار حركات الفلك - انتهى.
وآدم عليه السلام تم الخلق بتمام خلقه فى آخر يوم الجمعة أول جمعة

(١) زيد فى الأصل: حاشا، ولم تكن الزيادة فى ظ و م لحذفها (٢) زيد من
ظ و م (٣) من ظ و م، وفى الأصل: الاستفهام (٤) من ظ و م، وفى
الأصل: حالة (٥) فى م: متهاوفاً (٦-٦) من ظ و م، وفى الأصل: من شيء.
(٧-٧) سقط ما بين الرقيين من ظ و م.

/ ٦١٠

كانت ، وكانت [طيفته - ١] قبل ذلك بمدة مخمرة هو فيها بين ٢ الروح
و الجسد ، قال / ابن مسعود رضى الله عنه : خلق الله آدم عليه السلام
من تراب فاقام أربعين سنة ثم من طين أربعين سنة ثم من صلصال
أربعين سنة ثم من حماء [مسنون - ١] أربعين سنة ثم خلقه ٢ بعد ستين
٥ ومائة سنة ، [وقال البغوى : قال ابن عباس رضى الله عنهما : ثم خلقه
بعد عشرين ومائة سنة - ١] : فحينئذ ما أتى عليه زمان إلا وهو شئ مذكور
إما بالتخميم وإما ٦ بتمام التصوير ١ ، فالاستفهام على بابه وهو إنكارى ،
و ليست « هل » بمعنى « قد » ، إلا إن قدرت قبلها الهمزة ، وكان الاستفهام
إنكاريا لينتفى مضمون الكلام ، والمراد أنه هو المراد من العالم ، فحينئذ
١٠ ما خلق الزمان إلا لأجله ، فهو أشرف ٢ الخلائق ، وهذا ١ أدل دليل على ١
بعثه للجزاء ، فهل يجوز مع ذلك أن يترك سدى يفنى المظروف الذى
هو المقصود بالذات ، ويبقى الظرف الذى ما خلق إلا صوانا ١ له ،
والذى يدل على ذلك من أقوال السلف أنه روى أن رجلا قرأها
عند ابن مسعود رضى الله عنه فقال : يا ليت ذلك لم يكن .

(١) زيد من ظ و م (٢) من ظ و م ، وفى الأصل : من (٣) من ظ و م ،
وفى الأصل : علقه (٤) راجع المعالم ١٥٧/٧ (٥) من ظ و م ، وفى الأصل : فحين .
(٦-٦) من م ، وفى الأصل و ظ : بالتصوير (٧) من ظ و م ، وفى الأصل :
اشر (٨) من ظ و م ، وفى الأصل : هو (٩) زيد فى الأصل : ان ، ولم تكن
الزيادة فى ظ و م لحذفها (١٠) من ظ و م ، وفى الأصل : صوتا (١١) من
ظ و م ، وفى الأصل : لن .

و قال الإمام أبو جعفر ابن الزبير : قوله تعالى ” هل آتى على
الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا “ تعريف الإنسان بحاله
و ابتداء أمره ليعلم أن لا طريق له للكبر و اعتقاد السيادة لنفسه، و أن
لا يغلظه ما اكتشفه من الألفاظ الربانية و الاعتناء الإلهي و التكرمة فيعتقد
أنه يستوجب ذلك و يستحقه ” و ما يكمن من نعمة فمن الله “ و لما تقدم ه
في القيامة إخباره تعالى عن حال منكري البعث عنادا و استكبارا و تعاميا
عن النظر و الاعتبار ^ف ” أحيى الإنسان أن لن نجعل عظامه “ و قوله
بعد ” فلا صدق ولا صلي ولكن كذب و تولى ثم ذهب الى اهله
يتمطى “ اى يتبختر عتوا^٢ و استكبارا و مرحا^٣ و تجبرا ، و تعريفه بحاله
التي^٤ لو فكر فيها^٥ لما كان منه ما وصف ، [و -^٦] ذلك قوله ” الم يك
نطفة من منى يمنى ثم كان علقه مخلق فسوى “ اتبع ذلك بما هو أعرق
في التوبيخ و أوغل في التعريف و هو أنه [قد -^٧] كان لا شيء فلا
نطفة و لا علقه ، ثم أنعم الله عليه بنعمة الإيجاد و نقله تعالى من طور إلى
طور فجعله نطفة من ماء مهين في قرار مكين ثم كان علقه ثم مضغه إلى
إخراجه^٨ و تسويته خلقا آخر فتبارك الله أحسن الخالقين ، فمن اعتبر ١٥
اتصافه بالعدم ثم قلبه في هذه الاطوار المستنكف حالها و الواضح

(١) من ظ و م ، وفي الأصل : المذكور (٢) من ظ و م ، وفي الأصل :
اخبارا (٣) من ظ و م ، وفي الأصل : علوا (٤) من ظ و م ، وفي الأصل :
مراحا (٥) من ظ و م ، وفي الأصل : الذى (٦) من ظ و م ، وفي الأصل :
فيه (٧) زيد من ظ و م (٨) من ظ و م ، وفي الأصل : آخره .

فناؤها واضمحلالها، و^١ امدد الله تعالى بتوفيقه^٢ عرف حرمان من وصف
في قوله "ثم ذهب إلى أهله يتمطى" فسجان^٣ الله ما أعظم^٤ حله وكرمه
ورفقه، [ثم -^٥] بين تعالى أن ما جعله للإنسان^٦ من السمع والبصر
ابتلاء له، ومن^٧ أدركه أدركه^٨ الغلط و ارتكب الشطط - انتهى .

هـ ٥ ولما ذكر مطلق خلقه، وقرر^٩ أنه خلاصة الكون، شرع يذكر
كيفية خلقه ويدل على ما لازم من ذلك من أنه ما خلق الخلق إلا لأجله
وأنه لا يجوز أن يهمل^{١٠} فقال معلما بالحال التي هي قيد الجملة و عطف الفائدة^{١١}
أنه ما خلق إلا للآخرة، مفعلا أمر الإيجاد بالفاعل والصورة / والمادة
والغاية و^{١٢} أكدته لإنكارهم له^{١٣} : (انا) أى على ما لنا من العظمة (خلقنا)
١٥ أى قدرنا وصورنا، وأظهر^{١٤} ولم يضر لأن الثانى خاص والأول
عام لآدم عليه الصلاة والسلام وجميع ولده فقال : (الإنسان) أى
بعد خلق آدم عليه الصلاة والسلام (من نطفة) أى مادة هى ماء
يسير جسدا من الرجل والمرأة، وكل ماء قليل فى وعاء فهو نطفة،
وهى المادة التى هى السبب الحامل للقوة المولدة .

/ ٦١١

(١) من ظ و م ، وفى الأصل هـ ثم (٢) من ظ و م ، وفى الأصل : بتوفيقه .
(٣-٣) ما بين الرقيين فى الأصل بياض ملائناه من ظ و م (٤) زيد من ظ و م .
(٥-٥) من ظ و م ، وفى الأصل : حصل الان (٦-٦) من ظ و م ، وفى
الأصل : ادرك ادرك (٧) من ظ و م ، وفى الأصل : ذكر (٨) من ظ و م ،
وفى الأصل : يهمله (٩) زيدت الواو فى الاصل و ظ ولم تكن فى م لحذفناها .
(١٠-١٠) من ظ و م ، وفى الاصل : اكذلك (١١) من ظ و م ، وفى
الأصل : اظهرنا .

ولما كان خلقه على طبائع مختلفة و أمرجة متفاوتة أعظم لأجره إن
جاهد ما يتنازع من المختلفات بأمر ربه الذي لا يختلف، وكانت أفعاله تابعة
[لأخلاقه و أخلاقه تابعة -^٢] لجلته قال: ((أمشاج ^٣)) [أى أخلاط -^٢]
جمع مشج أو مشيج مثل خدن و خدين و أخدان، و ^٤خلط و خليط
و اخلاط، من مشجت الشيء - إذا خلطته، لأنه من منى الرجل و منى
المرأة، و كل منهما مختلف الأجزاء متباين الأوصاف فى الرقة و الثخن
و القوام و الخواص تجتمع مع الاخلاط و هى العناصر الأربعة، ماء
الرجل غليظ أبيض، و ماء المرأة رقيق أصفر فأيهما علا كان الشبه له،
و ما كان من عصب و عظم فن نقطة الرجل، و ما كان من ^٥دم و ^٦لحم
و شعر فن ماء المرأة، و قال يمان^٧: كل لونين اختلطا فهو^٨ أمشاج،
و قال قتادة: هى أطوار الخلق من النطفة و ما بعدهما، و كما^٩ يشبه ما
غلب عليه من باطن الأمشاج من ^{١٠}الطيب و الخشب، و كيفية تمشيجه أن
الماء إذا وصل إلى قرار الرحم اختلط بماء المرأة ثم بدم^{١١} الطمث و خثر
حتى صار كالرائب^{١٢} ثم احمر و حينئذ يسمى علقه، فإذا اشتد ذلك الامتزاج
و قوى و تمتن حتى استعد لأن يقسم فيه الأعضاء سمي^{١٣} مضغة، فإذا^{١٤}

- (١) من ظ و م، وفى الأصل: التى (٢) زيد من ظ و م (٣-٣) من ظ و م، وفى
الأصل: خليط و خلط (٤-٤) فى ظ و م: لحم و دم (٥) هو أبو بشر اللغوى.
(٦) من ظ و م، وفى الأصل: فهم (٧) من ظ و م، وفى الأصل: فكما.
(٨-٨) من ظ و م، وفى الأصل: الطين و الخشب (٩) من ظ و م، وفى
الأصل: بما (١٠) من ظ و م، وفى الأصل: كاترايب (١١) من ظ و م،
و فى الأصل: يسمى.

أفيضت عليه صور^١ الأعضاء وتقسم كسائه حينئذ مفيضه عز وجل لحما،
 فأفاض عليه القوة العاقلة، ويسمى حينئذ جفينا، وذلك بعد تقسيم
 أجزائه إلى عظام وعروق وأعصاب وأوتار ولحم، فدور الرأس
 وشق في جانبيه السمع وفي مقدمه البصر والآنف والقم، وشق في
 ٥ البدن سائر المنافذ ثم مد اليدين والرجلين وقسم رؤوسها^٢ بالأصابع،
 وركب الأعضاء الباطنة من القلب والمعدة [والسكبد - ٣] والطحال
 والرئة والمثانة، فسجان من خلق تلك الأشياء من نقطة مخيفة مهينة
 كَوْن منها العظام مع قوتها وشدتها^٣ وجعلها عماد البدن وقوامه
 وقدرها بمقادير^٤ وأشكال مختلفة، فمنها صغير وكبير، وطويل وقصير،
 ١٠ وعريض ومستدير، ومجوف ومصمت، ودقيق ونخين، ولم يجعلها
 عظما واحدا لأن الإنسان محتاج إلى الحركة بجملته بدنه وبعض أعضائه،
 ثم جعل بين تلك العظام مفاصل ثم وصلها بأوتار أنبتها من أحد طرفي
 العظم / والصقها بالطرف الآخر بالرباط له ثم خلق في أحد طرفي
 ١٥ العظم زوائد خارجة، وفي الآخر حفرا^٥ مواهقة لشكل الزوائد لتدخل
 فيها، وخلق الرأس مع كربيته من خمسة وخمسين عظما مختلفة الأشكال
 واللف بعضها مع بعض، فجعل في القحف ستة وفي اللحي الأعلى أربعة
 عشر، واثنان للأسفل، والباقي في اللسان، وجعل [الرقبة - ٦]

/ ٦١٢

(١) من ظ و م، وفي الأصل : صورة (٢) من ظ و م، وفي الأصل :
 رؤوسها (٣) زيد من ظ و م (٤) من ظ و م، وفي الأصل : مثل لها (٥) من
 ظ و م، وفي الأصل : بها (٦) من ظ و م، وفي الأصل : حفر .

مركبا للراس و ركبها من سبع خرزات فيها تجويفات^١ و زيادات^٢
و نقصانات^٣ لينطبق بعضها على بعض ، و ركب الظهر من أربع وعشرين
خرزة و عظم العجز^٤ من ثلاثة أجزاء ، و جعل من أسفله عظم العصعص
أو اللفة من ثلاثة أجزاء محتلمة ، ثم وصل عظام الظهر بعظام^٥ الصدر
و عظام الكتف و غيرها حتى بلغ مجموع عظام بدن الإنسان مائتي عظم^٥
و ثمانية و أربعين عظما سوى العظام التي حشى بها خلل^٦ المفاصل ، و خلق^٧
سبعانه آلات التحريك للعظام و هي العضلات و هي خمسمائة و سبع
و عشرون^٨ عضلة كل منها على قدر مخصوص و وضع مخصوص لوتغير
[عن - ٩] ذلك أدنى تغير لاختلف مصالح البدن ، و كذا الأعصاب
و الأوردة و الشرايين ، ثم انظر كيف خلق الظهر أساسا للبدن و البطن^{١٠}
حاويا لآلات الغذاء و الرأس مجمعا للحواس ، ففتح العين و رتب طبقاتها^{١١}
و أحسن شكلها و لونها و أحكمها بحيث ينطبع في مقدار عدسة منها
صورة السماوات على عظمها ، و حماها بالأجفان لتسترها و تحفظها ، ثم
أودع الأذنين ماء مرا يدفع عنها الهوام و حاطها بصدفين لجمع الصوت
ورده إلى الصباخ و ليحس بديب الهوام و جعل فيها^{١٢} تعريجا لتطويل^{١٥}

(١-١) سقط ما بين الرئين من ظ (٢) من ظ و م ، وفي الأصل : نقصان .
(٢) من ظ و م ، وفي الأصل : العجم (٤) من ظ و م ، وفي الأصل : بعظم .
(٥) من ظ و م ، وفي الأصل : عظام (٦) من م ، وفي الأصل و ظ : خلال .
(٧) زيد في الأصل : الله ، ولم تكن الزيادة في ظ و م لحذفها (٨) من ظ
و م ، وفي الأصل : عشرين (٩) زيد من ظ و م (١٠) من ظ و م ، وفي
الأصل : طباقها (١١) من ظ و م ، وفي الأصل : فيها .

الطريق ، فلا تصل الهوام إلى جرم الصباخ سريعا ، ثم رفع الآنف في الوجه وأودع فيه حاسة الشم للاستدلال بالروائح على الأطعمة والأغذية ولاستنشاق الروائح الطيبة لتكون مروحة للقلب ، وأودع الفم اللسان وجعله على كونه لحمه واحدة معربا^١ هما في النفس ، وزين الفم بالأسنان ٥ فحدد بعضها لتكون آلة^٢ للنقب و حدد بعضها لتصلح للقطع ، وجعل بعضها عريضا مفلاطحا صالحا للطحن ويبيض ألوانها ورتب صفوفها وسوى رؤسها ونسق ترتيبها حتى صارت كالدر المنظوم ، ثم أطبق على الفم الشفتين وحسن لونها لحفظا منفذه^٣ وهيا الخنجرة لخروج الصوت ، وخالف أشكال الخناجر في الضيق والسعة^٤ والخشونة والملاسة والصلابة والرخاوة ١٠ والطول والقصر ، فاختلفت الأصوات بسببها ليميز السامع المصوتين بسبب تميز أصواتهم فيعرفهم وإن لم يرم ، وسخر كل عضو من أعضاء الباطن لشيء مخصوص ، فالمعدة لإيضاج / الغذاء ، والكبد لإحالة الدم^٥ ، والطحال لجذب السواد ، والمرارة لجذب الصفراء ، والكلى لجذب الفضلة المائية ، والمثانة لخدمة الكلية بقبول الماء عنها ثم إخراجها من طريقه ، ١٥ والعروق لخدمة الكبد في إيصال الدم إلى سائر أطراف البدن ، وكان مبدا ذلك كله النطفة على صغرها في داخل الرحم في ظلمات ثلاث ، ولو كشف الغطاء وامتد البصر إليه لرأى التخطيط^٦ والتصوير يظهر عليه

/ ٦١٣

(١) من ظ و م ، وفي الأصل : معبرا (٢) زيد في الأصل : وآية ، ولم تكن الزيادة في ظ و م فحذفناها (٣) من ظ و م ، وفي الأصل : مقدرة (٤-٤) من ظ و م ، وفي الأصل : السعة والضيق (٥) من ظ و م ، وفي الأصل : الكبد . (٦) في ظ : اتخليط .

شيئا فشيئا ولا يرى المصور ولا الآله ، فسبحانه ما أعظم شأنه وأبهرا^١
برهانه ، فيالله العجب^٢ ممن يرى نقشا حسنا على جدار فيتعجب من حسنه
وحذق صانعه ثم لا يزال يستعظمه^٣ ثم ي نظر إلى هذه العجائب في نفسه وفي
غيره ثم يغفل عن صانعه -^٤] ومصوره فلا تدعشه عظمتة ولا يحيره
جلاله وحكمته .

٥

ولما كان الإنسان مركبا من روح خفيف طاهر وبدن هو
مركب^٥ الحظوظ والشهوات واللوم والدينيات ، فكان الروح بكامله
والبدن بنقصانه يتعالجان ، كل منهما يريد أن يغلب صاحبه ، قوى سبحانه
الروح بالشرع الداعى إلى معالى الأخلاق ، الناهى عن مساوئها ، المبين
لذلك غاية البيان على يد إنسان طبعه سبحانه على الكمال ليقدر على ١٠
التلقى من الملائكة ، فيكمل أبناء نوعه ، فدل على ذلك بحال بناها من
ضمير العظمة فقال مينا للغاية : (نبليه) أى تعامله بما لنا من العظمة
بالأمر والنهى والوعظ معاملة المختبر ونحن أعلم به منه ، ولكننا
فعلنا ذلك لنقيم عليه الحجة على ما يتعارفه الناس ، فإن العاصى لا يعلم
أنه أريد منه العصيان ، وكذا الطائع ، فصار التكليف بحسب وهمه لما ١٥
خلق^٦ الله له^٧ من القوة والقدرة الصالحة فى الجملة .

ولما ذكر للغاية ، أتبعها الإعدادات المصححة لها فقال : (فجعلته)

(١) من ظ وم ، وفى الأصل : أغز (٢) فى ظ وم : المعجب (٣) زيد من ظ
وم (٤) زيد فى الأصل : من ، ولم تكن الزيادة فى ظ وم فحذفناها (٥) من ظ
وم ، وفى الأصل : كذلك (٦-٧) فى ظ : له تعالى ، وما بين الرقيين ساقط من م .

أى بما لنا من العظمة بسبب ذلك (سميعاً) أى بالغ السمع (بصيراً) أى عظيم البصر و 'البصيرة ليتمكن' من مشاهدة 'الدلائل يبصره' و سماع الآيات بسمعه، ومعرفة الحجاج بصيرته، فيصح تكليفه وابتلاؤه، 'فقدم العلة الغائية' لأنها متقدمة 'في الاستحضار [على - °]' التابع ٥ لها المصحح لورودها، و قدم [السمع - °] لأنه أنفع في المخاطبات، و لأن الآيات المسموعة أبين من الآيات المرئية، قال الرازى فى اللوامع: و إلى هنا انتهى 'الحبر الفطرى' ثم يتبدى منه 'الاختبار الكسبى' انتهى . و ذلك بنفخ الروح و هى حادثة^٨ بعد حدوث^٩ البدن بأحداث القادر المختار لها بعد تهيئة البدن لقبولها، ثم أفاض سبحانه [على الجملة ١٠ العقل، و جعل السمع و البصر اللتين له، و لعله خصهما لأنها أنفع الحواس، و لأن البصر يفهم البصيرة و هى تتضمن الجميع، و جعل سبحانه - °] له ذلك لاستقراء صور المحسوسات و انتزاع العلوم الكلية منها، و بذلك يكمل علمه الذى منه الدفع عن نفسه التى جعلها الله تعالى محل التكليف ليكمل تكليفه/، و ذاك أنه سبحانه ركه ٦١٤ من العناصر الأربعة، و جعل صلاحه بصلاحها، و فساده بفسادها ١٥

(١ - ١) من ظ و م، وفى الأصل: البصير لا يتمكن (٢) من ظ و م، وفى الأصل: مشاهدات (٣-٣) من ظ و م، وفى الأصل: و قدم العلة الغاية . (٤) من ظ و م، وفى الأصل: مقدمة (٥) زيد من ظ و م (٦) زيد من ظ . (٧-٧) تكرر ما بين الرتين فى الأصل فقط (٨ - ٨) من م، وفى الأصل و ظ: بحدوث (٩) من ظ و م، وفى الأصل: ان اقه.

لتعالبها ، فاضطر إلى قوى يدرك بها المنافع ويجتنبه والملازم فيطلبه ،
 فرتب له سبحانه الحواس الخمس الظاهرة ، فجعل السمع في الأذن ،
 والبصر في العين ، والذوق في اللسان ، والشم في الأنف ، وبث
 اللس في سائر البدن ، ليدفع به عن جميع الأعضاء ما يؤذيها ، وهذه
 الحواس ' الظاهرة تنبعث ' عن قوة باطنة تسمى الحس المشترك بحمل ه
 ما أدركته فيرتسم هناك وهو في مقدم البطن ' الأول من الدماغ
 وينقل ما ارتسم هنا إلى خزانه الخيال وهي في مؤخر هذا البطن من الدماغ
 فتحفظ فيها صورته وإن غابت عن الحواس ، وشم قوة أخرى من
 شأنها إدراك المعاني الجزئية المتعلقة ' بالمحسوسات الشخصية كعداوة
 زيد و صداقته تسمى الهم ومحلها الدماغ كله والآخر ' بها التجويف '
 الأوسط و خصوصا مؤخره ، وقوة أخرى أيضا شأنها خزن ما أدركته ١٠
 القوة الوهمية من المعاني الجزئية تسمى الحافظة باعتبار ، والذاكرة
 باعتبار ، ومحلها التجويف ' المؤخر في الدماغ ' ، وقوة أخرى من شأنها
 تفتيش تلك الخزائن وتركيب ' بعض مودعاتها مع بعض وتفصيل
 بعضها مع بعض ومحلها وسلطانها في أول التجويف الأوسط ، وتلك

(١) من ظ وم ، وفي الأصل : الخمسة (٢) من ظ وم ، وفي الأصل : تبعث .
 (٣) من ظ وم ، وفي الأصل : البطر (٤) من ظ وم ، وفي الأصل : المتعلق
 بالقرابين المخصوصة (٥ - ٥) من ظ وم ، وفي الأصل : بالتجويف .
 (٦ - ٦) من ظ وم ، وفي الأصل : والآخرى بالدماغ (٧) من ظ وم ، وفي
 الأصل : تأليف .

القوة^١ تسمى بخيلة باعتبار تصريف الوهم لها و^٢ مفكرة باعتبار^٣ استعمال النفس^٤ لها ، وقد اقتضت الحكمة الربانية تقديم ما يدرك الصور الجرمية وتأخير ما يدرك المعاني الروحانية ، و توسط المتصرف فيهما بالحكم والاسترجاع للآمال المنمجة من الجانبين ، ثم لا زال هذه القوى
 ه تخدم ما فوقها^٥ كما خدمتها الحواس الخمس^٦ إلى أن تصير عقلا مستفادا .
 وهو قوة للنفس^٧ بها يكون لها^٨ حضور المعقولات [بالفعل ، وهذا العقل هو غاية السلوك الطلبي للإنسان وهو الرئيس المطلق المخدم للعقل بالفعل ، وهو القوة التي تكون للنفس بها اقتدار على استحضار المعقولات - ^٩] الثانية وهو المخدم للعقل الهولاني المشبه بالهيولي .
 ١٠ الخالية في^{١٠} نفسها عن جميع الصور ، وهو قوة من شأنها الاستعداد المحض لدرك المعقولات باستعمال^{١١} الحواس في تصفح الجزئيات واستقراء المخدمات كلها للعقل العملي ، وهو القوة النظرية المخدم للوهم^{١٢} المخدم لما بعده من الحافظة وما قبله من الخيلة المخدمتين للخيال المخدم للحس المشترك المخدم للحواس الظاهرة .

١٥ ولما كان كأنه [قيل - ^{١٣}] : هبه خلق هكذا فكان ما ذا ؟ قال

(١) من م ، وفي الأصل وظ : اقوى (٢) زيد في الأصل : تسمى ، ولم تكن الزيادة في ظ وم فحذفناها (٣ - ٢) من ظ وم ، وفي الأصل : بالوهم (٤) من ظ وم ، وفي الأصل : فرقها (٥) سقط من ظ وم (٦ - ٦) من ظ وم ، وفي الأصل : يسكون بها (٧) زيد من ظ وم (٨) من ظ وم ، وفي الأصل : عن (٩) من ظ وم ، وفي الأصل : بالاستعمال (١٠) من ظ وم ، وفي الأصل : للوهم .

شفاء^١ لى هذا السؤال وينا نعمة الإمداد: ﴿ انا ﴾ اى بما لنا من
العظمة ﴿ هديته ﴾ اى بنا له لاجل الابتلاء ﴿ السيل ﴾ اى الطريق
الواضح الذى لا طريق فى الحقيقة غيره ، وهو طريق الخير الذى من
حادثه ضل ، وذلك بما أنزلنا من الكتب وأرسلنا من الرسل
ونصبا / من الدلائل فى الانفس والآفاق . و جعلنا له من البصيرة ٥
٦١٥/ التى يميز بها بين الصادق والكاذب وكلام الخلق وكلام الخالق والحق
والباطل^٢ وما أشبه^٣ .

ولما كان الإنسان عند البيان قد كان منه قسبان ، وكان السباق
ليان تعظيمه^٤ بأنه خلاصة الكون والمقصود من الخلق ، قال بانبا
حالا من ضميره فى "هديناه" مقسما له مقدما القسم الذى آتم عليه بالبيان ١٠
نعمة الهداية بخلق الإيمان ، لأن ذلك أنسب بذكر تشريفه للإنسان ،
بجمله خلاصة الوجود وبقوله ١٠ إن رحمتى سبقت غضبي ، فى سياق ابتداء
الخلق ، معبرا باسم الفاعل^٥ الخالق عن المبالغة ، لأنه لا يقدر أحد أن
يشكر جميع النعم ، فلا يسمى شكورا^٦ إلا بتفضل [من - ١] ربه
عليه : ﴿ اما شاكرا ﴾ اى لإنعام ربه عليه .
١٥

ولما كان الإنسان ، لما له من النقصان ، لا ينفك غالبا عن كفر
ما ، أتى بصيغة المبالغة تنبيها له على ذلك معرفا له أنه^٧ لا يأخذه إلا

(١) من ظ و م ، وفى الأصل : تبعاً (٢-٢) سقط ما بين الرقيين من ظ و م .

(٣) من ظ و م ، وفى الأصل : العظمة (٤) سقط من ظ (٥) فى ظ : شكرا .

(٦) زيد من ظ و م (٧) من ظ و م ، وفى الأصل : ان .

بالتوغل^١ فيه ليعرف نعمة الحلم عنه فيحمله الخجل على [الإقبال على^٢]
 من رضى منه بقليل الشكر، ويحتمل أن يفهم ذلك أنه من كفر
 نعمة واحدة فقد كفر الجميع فصار بليغ الكفر فقال: (و اما كفورا^٣)
 أى بليغ الكفر بالإعراض والتكذيب و عبادة الغير والمعاندة^٤
 ٥. فأجسده غير موفد وإسائه مفرطة، وبدأ بالشكر لأنه الأصل، روى
 الشيخان^٥ عن أبي هريرة رضى الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم
 قال: كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه^٦ -
 الحديث، ورواه أحمد بن منيع عن ابن عباس رضى الله عنهما، ورواه^٧
 الإمام أحمد^٨ عن جابر رضى الله عنه ولفظه: كل مولود يولد على
 ١٠. الفطرة حتى يعرب عنه لسانه إما شاكرا وإما كفورا - رواه الإمام أحمد
 أيضا و أبو يعلى^٩ عن الأسود بن مريع رضى الله عنه .

ولما قسمهم إلى القسمين^{١٠}، ذكر^{١١} جزء كل قسم فقال مستأنفا
 جواب من يسأل عن ذلك مبشرا للشاكر الذى استعد بعروجه فى مراقى
 العبادات إلى ملكوت العلويات لروح وريحان وجنة نعيم، ومنذرا

- (١) من ظ ، وفى الأصل : بالتقول ، وفى م : بالتقول (٢) زيد من ظ و م .
 (٣) من ظ و م ، وفى الأصل : الاعداد والمعادة (٤) من ظ و م ، وفى
 الأصل : لاسل - كذا (٥) وللحديث من الشهرة ما يغنيان عن التعليق عليه .
 (٦) من ظ و م ، وفى الأصل : يمسحانه (٧) من ظ و م ، وفى الأصل : روى .
 (٨) راجع المسند ٣ / ٣٥٣ ، وفيه بعض الزيادة (٩) من ظ و م ، وفى الأصل :
 أبو يحيى (١٠) من م ، وفى الأصل و ظ : قسمين (١١) من ظ و م ،
 وفى الأصل : بين .

للكافر الذى استعد بالهبوط فى دركات المخالفات إلى التقيد بالسفليات
 لنزل من حميم و تصلية جحيم ، مقدما للعاصي لأن طريق النشر المشرش
 أنصح ، و ليعادل البداءة بالشاكر فى أصل التقسيم ليتعادل الخوف والرجاء ،
 و ليكون الشاكر أولا و آخر ، و لأن الانقياد بالوعيد آثم لأنه أدل
 على القدرة لإسيما فى حق أهل الجاهلية الذين بدت عنهم معرفة ه
 التكليف الشرعية ، و أكثر فى القران العظيم من الدعاء بالترغيب
 و الترهيب لأنه الذى يفهمه الجهال الذين هم أغلبية الناس دون الحجج ٦١٦/
 و البراهين ، فانها لا يفهمها إلا الخواص ، و أكد لأجل تكذيب
 الكفار : (انا) أى على ما لنا من العظمة (اعتدنا) أى هيأنا
 و أحضرنا بشدة و غلظة (للكافرين) أى العريقين فى الكفر خاصة ، ١٠
 و قدم الأسهل فى العذاب فالأسهل ترقيا فقال : (سلسلا) ٢ يقادون
 و يرتقون ٢ بها ، و قراءة من نون مشيرة إلى أنها عظيمة جدا ، وكذا
 وقف أبى عمرو عليه بالالف مع المنع من الصرف (و اغللا) أى
 جوامع تجمع أيديهم إلى أعناقهم فيها فيهانون ٣ بها (و سعيراه) أى
 نارا حامية ٤ جدا شديدة الانقاد .

١٥

ولما أوجز فى جزاء الكافر ، أتبعه جزاء الشاكر و أطنب فيه

(١) زيد فى الأصل : فقال ، ولم تكن الزيادة فى ظ و م لحذفناها (٢) زيد فى
 الأصل و ظ : الى و ، ولم تكن الزيادة فى م لحذفناها (٣) من م ، و فى الأصل :
 يوتقون ، و فى ظ : يتاقون (٤) فى ظ : يهانون (هـ) زيد فى الأصل و ظ :
 شديدة ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م لحذفناها .

تاكيدا للترغيب، فان النفوس بعد كسر الوعيد لما تهتز^١ لأذى وعد
وأقله فكيف بأئمه وأجله. فقال مستأنفا مؤكدا لتكذيب^٢ الكافر
مينا بذكر الجزر على هذه الصفة أنهم في أنهى ما يكون من رعد العيش
لأنه يلوم^٣ من شرها جميع مقدماتها ومنماتها: (ان الإبرار)
٥ بخصوصهم من عموم الشاكرين جمع بر كآرباب جمع رب، اوبار
كأشهاد جمع شاهد، وهم الذين سمع منهم عن المستحضرات فظهرت^٤
في قلوبهم يتابع^٥ الحكمة فأقنوا من مساكنة الدنيا (يشربون) أى
ما يريدون شربه (من كأس) أى خمر - قاله الحسن وهو اسم
لقدح تكون فيه^٦ (كان مزاجها) أى الذى^٧ تمزج به (كافورا)
١٠ أى لبرده^٨ وعذوقه وطيب عرفه، وذكر فعل الكون يدل على أن^٩
له شأن^{١٠} فى المزج عظيما^{١١} يكون فيه كأنه من نفس الجبل لا كما يعهد
ولما كان الكافور [أعلى - ١٢] ما نعهده جامدا، بين أنه هناك
ليس كذلك، فقال مبدلا من « كافور » : (عينا يشرب بها) أى بمزاجها^{١٣}

- (١) من ظ و م ، وفى الأصل : يتعنى (٢) من ظ و م ، وفى الأصل : لتاكيد -
(٣) من م ، وفى الأصل وظ : لا يلزم (٤) من ظ و م ، وفى الأصل : فظهر -
(٥) من ظ و م ، وفى الأصل : يتابع (٦) من ظ و م ، وفى الأصل : هم -
(٧) من ظ و م ، وفى الأصل : فيها (٨) من ظ و م ، وفى الأصل : التى -
(٩) من ظ و م ، وفى الأصل : كبرده (١٠) من ظ و م ، وفى الأصل : انه -
(١١) من ظ و م ، وفى الأصل : شان (١٢) من ظ و م ، وفى الأصل :
عظيم (١٣) زيد من ظ و م (١٤) من م ، وفى الأصل : بمزاجها ، وفى ظ : بمزاجها -

كما تقول: شربت الماء بالعسل ﴿ عباد الله ﴾ أى خواص الملك الاعظم
وأولياؤه أى شراب أرادوه^١.

ولما كان المزاج^٢ يتكلف لنقله^٣ قال: ﴿ يفجرونها تفجيرا ﴾ أى
حال كونهم يشققونها ويمجرونها بغاية الكثرة إجراء حيث أرادوا من
مساكنهم وإن علت وغيرها .
٥

ولما ذكر جزاءهم على برهم المبين لشكرهم ، أتبعه تفصيله فقال:
مستأنفا يانا لأن شكرهم بالاعظيم لأمر الله والشفقة على خلق الله وعمارة
الظاهر والباطن لأنهم جمعوا بين كرم الطبع ولطافة المزاج الحامل على
تجويز الممكن المقتضى للإيمان بالغيب: ﴿ يوفون ﴾ أى على سبيل
الاستمرار ﴿ بالنذر ﴾ وهذا كناية عن وفائهم بجميع أنحاء العبادة^{١٠}
لأن من وفى بما أوجبه على نفسه كان بما أوجبه الله من غير واسطة
أوفى، ويجوز أن يكون النذر كل ما تقدم إليهم فيه سبحانه .

ولما^٦ دل وقاؤمهم على سلامة طباعهم، قال عاطفا دلالة على جمعهم
للأمرين المتعاطفين فهم يفعلون الوفاء لا لأجل الخوف بل لكرم الطبع:
﴿ ويخافون ﴾ أى مع فعلهم للواجبات ﴿ يوما كان ﴾ أى كونا هو فى^{١٥}

(١) فى ظ وم: أرادوا (٢) من ظ وم ، وفى الأصل: المزج (٣) من ظ
وم، وفى الأصل: نقله (٤) زيد فى الأصل: أيضا ، ولم تكن الزيادة فى ظ
وم لحذفناها (٥) من ظ وم ، وفى الأصل: هو (٦) زيد فى الأصل:
كان قد ، ولم تكن الزيادة فى ظ وم لحذفناها .

جبلته ﴿ شره ﴾ أى ما فيه من الشدائد ﴿ مستطيراه ﴾ أى موجود
الطيران وجوداً كأنه بغاية الرغبة فيه فهو فى غاية الانتشار. والخوف
أدل دليل على عمارة الباطن ، قالوا : وما فأتوق الخوف قلباً إلا خرب ،
من خاف أدلج ، ومن أدلج بلغ المنزل ، والخوف لاجتناب الشر والوفاء
هـ لاجتلاب الخير .

ولما كان من خاف شيئاً سعى فيه الآمن منه بكل^١ لم عباه ينفع
[فيه - ٢] . وكان قد ذكر تدرعهم^٢ بالواجب . أتبعه المندوب دلالة على
أنهم لا ركون لهم إلى الدنيا ولا وثوق^٣ بها . فبقيد جمعوا إلى كرم الطبع
بالوفاء ورقبة القلب شرف النفس بالانسلاخ من الفانى فقال :
١٠ ﴿ ويطعمون الطعام ﴾ أى على حسب ما تيسر لهم من عال ودون على
الدوام . ولما كان الإنسان قد يسمح بما لا يلد له قال : ﴿ على حبه ﴾
أى حبه إياه حبا هو فى غاية الممكنة [منهم - ٢] والاستعلاء على قلوبهم
لقلته وشهوتهم [له - ٢] وحاجتهم إليه كما قال تعالى ﴿ لن تنالوا
العر حتى تنفقوا مما تحبون ﴾ ليفهم أنهم للفضل أشد بذلاً ، ولهذا قال
١٥ صلى الله عليه وسلم^٤ دلو اتفق أحدكم مثل أحد ذهباً ما بلغ مد أحدهم
- أى الصحابة رضى الله عنهم - ولا نصيفه ، لقلة الموجود إذ ذاك وكثرته^٥

(١) من ظ و م ، وفى الأصل : لاجتناب (٢) من ظ و م ، وفى الأصل : من
كل (٣) ريد من ظ و م (٤) من ظ و م ، وفى الأصل : تراهم (٥) ريد فى
الأصل : لهم ، ولم تكن الزيادة فى ظ و م لحذفها (٦) راجع مسند الإمام
أحمد ١١/٢ (٧) من ظ ، وفى الأصل : أكثرهم ، وفى م : أكثره .

بعد ﴿ مسكيناً ﴾ أى محتاجاً احتياجاً يسيراً ، فصاحب الاحتياج الكثير
أولى ﴿ ويتيماً ﴾ أى صغيراً لا أب له ذكر كما كان أو أثنى ﴿ وأسيراً ﴾
أى فى أيدى الكفار أى أعم من ذلك ، فدخل فيه المملوك والمسجون
والكافر الذى فى أيدى المسلمين ، وقد نقل فى غزوة بدر أن بعض
الصحابة رضى الله عنهم كان يؤثر أسيره على نفسه بالخير ، وكان الخبز هـ
إذ ذاك عزيزاً حتى كان [ذلك - ٢] الأسير يعجب من مكارمهم
حتى كان ذلك مما دعاه إلى الإسلام ، وذلك لأن النبي صلى الله عليه
وسلم لما دفعهم إليهم قال : استوصوا بهم خيراً . ومن حكم الأسير الحقيق
كل مضرور ، يفعلون ذلك والحال أنهم يقولون بلسان الحال أو القال
إن أحتج إليه إزاحة لثوم المن أو توقع المكافأة مؤكدين إشارة إلى أن
الإخلاص امر عزيز لا يكاد أحد يصدق أنه يتأتى لأحد : ﴿ انما نطعمكم ﴾
أى أيها المحتاجون ﴿ لوجه الله ﴾ أى لذات الملك الذى استجمع الجلال
والإكرام لكونه أمراً بذلك ، وعبر به لأن الوجه يستجى منه ورجى
ويخشى عد رويته .

ولما اثبتوا بهذا الإخلاص ، حققوه بنق / ما يغير فيه ، وفسره ١٥ / ٦١٨

- (١) من ظ ، وفى الأصل وم : يد (٢) من ظ وم ، وفى الأصل : فى الجزء .
(٣) زيد من ظ وم (٤) فى ظ : مكارمه (هـ) من ظ ، وفى الأصل وم : أن .
(٦) ريدت أو اوبعده فى الأصل ولم تكن فى ظ وم لخذاها (٧) فى ظ
وم : المقال (٨) من ظ وم ، وفى الأصل : يتوقع (٩) من ظ ، وفى الأصل
وم : أمراً (١٠) زيد فى م : الذى .

بما لا يكون إلا به فقالوا : ﴿ لا نريد منكم ﴾ أى لأجل ذلك ﴿ جزاء ﴾
 أى لنا من أعراض الدنيا ﴿ ولا شكورا ﴾ بشيء من قول^١ ولا فعل ،
 وكأنه اختير هذا المصدر [المزيد -^٢] كالدخول والخروج والعود
 إيماناً إلى أن المنى ما يتكلف له ، وأما مثل المحبة والدعاء فلا ، ولو أرادوا
 شيئاً من ذلك لما كان الله ؛ وروى^٣ فى سبب نزول هذه الآية أن
 علياً وابنيه وامهما فاطمة رضى الله عنهم أجمعين آثروا على أنفسهم
 ثلاثة أيام ، وأصبحوا الرابع يرتعشون ، فلما رآهم النبي صلى الله عليه وسلم
 ساءه ذلك ، فأتاه جبريل عليه الصلاة والسلام بهذه السورة مهتأ^٤ له بها ،
 ولا يستبعد الصبر على الجوع هذه المدة لأنه ربما كانت للنفس همة قوية
 ١٠ من استغراق فى حبة الله تعالى أو غير ذلك ، فهبطت إلى البدن فشغلت
 الطبيعة عن تحليل الأجزاء فلا يحصل الجوع كما أنا نشاهد الإنسان يبقى
 فى المرض الحاد مدة من غير تناول شيء من غذاء ولا يتأثر بدنه لذلك ،
 فلا بدع أن [تقف -^٥] الأفعال الطبيعية فى حق بعض السالكين وهو
 أحد القولين فى قول النبي صلى الله عليه وسلم « إني أبيت عند ربى
 ١٥ يطعمنى ويؤسقبنى »

ولما كانت الأنفس مجبولة على حب الجزاء والثاء ، فكان لا يكاد
 يصدق أحد أن أحداً^٦ يفعل ما لا يقصد^٧ به شيئاً من ذلك ،^٨ وكان^٩

(١) من ظ وم ، وفى الأصل : القول (٢) زيد من ظ وم (٣) راجع أيضاً
 العالم ١٥٩/٧ (٤) فى ظ : مرسل (٥) من ظ وم ، وفى الأصل : احد (٦) من
 ظ وم ، وفى الأصل : يصدق (٧-٧) من ظ وم ، وفى الأصل : فكان .

الله سبحانه وتعالى قد من علينا بأن جعل العبادة لأجل حوفه ورجائه لا يقدر في الإخلاص^١، عللوا قولهم هذا على وجه التأكيد بقولهم: ﴿انا نخاف﴾ و لما كان الخوف من المحسن بالنظر إلى إحسانه موجبا للخوف منه بالنظر إلى عزه وجبروته وسلطانه من باب الأولى قالوا: ﴿من ربنا﴾ أى الخالق لنا [المحسن إلينا - ٢] ﴿يوما﴾ أى أهواله يوم [هو - ٢] فى غاية العظمة، وينبوا عظمته بقولهم: ﴿عبوسا﴾ أى ضيقا - قاله ابن عباس رضى الله عنهما^٢، نسبوا العبوس إليه لأنه فى شدته كالأسد الغضوب، فهو موجب لعبوس الوجوه فيه أو [هو - ٢] لعبوسة أهله كدليله قائم ونهاره صائم وعيشة راضية، ﴿قطريرا﴾ أى طويلا - قاله ابن عباس^٣ رضى الله عنهما، أو شديد العبوس مجتمع الشر ١٠ كالذى يجمع [ما - ٥] بين عينيه - مأخوذ من القطر لأن يومه يكون عابسا، وزيد فيه الميم و بولغ فيه بالصيغة، وهو يوم القيامة، يقال: اقطر اليوم فهو مقطر - إذا كان صعبا شديدا .

ولما كان فعلهم هذا خالفا لله، سبب عنه^٦ جزاءهم فقال مخبرا أنه دفع عنهم المضار وجلب لهم المسار: ﴿فوقهم الله﴾ أى الملك ١٥ الأعظم^٧ بسبب خوفهم^٨ ﴿شر ذلك اليوم﴾ أى العظيم، وأشار إلى نعيم^٩ الظاهر بقوله: / ﴿ولقهم﴾ أى تلقية عظيمة فيه وفى غيره ﴿نصرة﴾

١١٩ /

(١) من ظ و م، وفى الأصل: الاخلاق (٢) زيد من ظ و م (٣) راجع الدر المنثور ٦ / ٢٩٩ (٤ - ٤) من ظ و م، وفى الأصل: العبوسة يجمع (٥) زيد من ظ (٦) من ظ و م، وفى الأصل: عنهم (٧ - ٧) سقط ما بين الرقيين من ظ و م (٨) من ظ و م، وفى الأصل: تعميم .

أى حسنا و نعمة تظهر على وجوههم و عيشا هنيئا، و إلى نعم الباطن بقوله :
 ﴿ و سروراء ﴾ أى دائما فى قلوبهم فى مقابلة خوفهم فى الدنيا
 و عبوس الكفار فى الآخرة و خزيمهم - و هذا يدل على أن وصف
 اليوم بالعبوس ' للدلالة على المبالغة فى عبوس أهله، و أشار إلى
 ٥ المسكن بقوله : ﴿ و جزئهم بما صبروا ﴾ أى بسبب ما أوجدوه من الصبر
 على العبادة من لزوم الطاعة و اجتناب المعصية و منع أنفسهم الطيات
 و بذل المحبوبات ﴿جنة﴾ أى بستانا جامعا يأكلون منه ما يشتهون جزاء
 على ما كانوا يطعمون . و لما ذكر ما يكسو الباطن، ذكر ما يكسو الظاهر
 فقال : ﴿ و حريرا ﴾ أى هو فى غاية العظمة .

١٠ و لما ذكر أنه كفاهم المخوف و حباهم الجنة، أتبعه حالهم فيها و حالها
 فقال دالا على راحتهم الدائمة : ﴿ متكئين فيها ﴾ أى [لأن - ٢] كل
 ما أرادوه حضر إليهم ' من غير حاجة إلى حركة أصلا، و دل على الملك
 بقوله : ﴿ على الأرائك ﴾ أى الأسرة العالية التى فى الحجال، لا تكون
 أريكه إلا مع وجود الحجلة، [و - ٥] قال بعضهم : هى السرير المنجد
 ١٥ فى قبة عليه شواره و نجاهه أى متاعه، و هى مشيرة إلى الزوجات لأن
 العادة جارية بأن الأرائك لا تخلو عنهن بل هى لهن ' لاستمتاع الأزواج
 بهن فيها . و لما كانت بيوت الدنيا و بساتينها تحتاج إلى الانتقال منها

(١) من ظ و م ، و فى الأصل : بالعبوسة (٢) زيد فى الأصل : معهم ، ولم تكن
 الزيادة فى ظ و م لحذفها (٣) زيد من ظ و م (٤) زيد فى الأصل : فيها ،
 ولم تكن الزيادة فى ظ و م لحذفها (٥) زيد من ظ (٦) من ظ و م ، و فى
 الأصل : عالية (٧) من ظ و م ، و فى الأصل : ممن .

من موضع إلى موضع لأجل الحر أو البرد، بين ان جميع ارض الجنة
و غرفها سواء في لذه العيش و سبوغ الظل و اعتدال الامر، فقال
نافيا ضر الحرثم البرد: ﴿ لا يرون فيها ﴾ أى بأبصارهم و لا بصائرهم
أصلا ﴿ شمسا ﴾ أى و لا قرا ﴿ ولا ﴾ أى و لا يرون فيها ايضا
يصارهم أى لا يحسون بما يسمى^٢ ﴿ زمهريراج ﴾ أى يردا شديدا مزججا ه
و لا حرا، فالآية من الاحتباك: دل بنفى الشمس أولا على نفى القمر،
لأن ظهوره بها^٣ لأن نوره اكتساب من نور الشمس^٤، و دل بنفى
الزمهرير الذى هو سبب البرد ثانيا على نفى الحر الذى سببه الشمس،
فأفاد هذا أن الجنة غنية عن النيرين، لأنها نيرة بذاتها و أهلها غير محتاجين
إلى معرفة زمان لأنه لا تكليف فيها بوجه، و أنها ظليلة و معتدلة دائما ١٠
لأن سبب الحر الآن^٥ قرب الشمس من مسامتة^٦ الرأس، و سبب البرد
بعدها عن ذلك .

و لما كانت ترجمة هذا كما مضى: جنة ظليلة و معتدلة، عطف عليه
بالوار دلالة على تمكن هذا الوصف و على اجتماعه مع ما قبله قوله:
﴿ ودانية ﴾ أى قرية من الارتفاع ﴿ عليهم ظللها ﴾ من غير أن ١٥
يحصل منها ما يزيل الاعتدال ﴿ و ذلك قطوفها ﴾ جمع قطف بالكسر

(١) من م، و فى الأصل و ظ « و » (٢) سقط من ظ و م (٣-٢) سقط ما
بين الرقيين من ظ و م (٤) وقع فى الأصل قبل « سبب الحر » و الترتيب من
ظ و م (٥) من ظ و م، و فى الأصل: مسانه (٦) وقع فى الأصل قبل « بالوار
دلالة » و الترتيب من ظ و م .

وهو العنقود / واسم للثمار المقطوفة أى المجنية (تذليله) أى سهل
تناولها تسهلا عظيما لا يرد اليد عنها بعد ولا شوك لكل من يريد أخذها
على أى حالة كان^١ من اتكاه وغيره، فإن كانوا قعودا تلك إليهم^٢،
وإن كانوا قياما [و - ٢] كانت على الأرض ارتقت^٣ إليهم، وهذا
جزاء لهم على ما كانوا يذللون أنفسهم لأمر الله .

ولما كان الدوران بالآنية متجددا، عبر فيه بالمضارع، وبناء للفعول
أيضا لأنه المقصود مطلقا من غير تعيين طائف فقال: (ويطاف)
أى من أى طائف كان لكثرة الخدم (عليهم بانية) جمع إناء جزاء
على طوافهم على المحتاجين بما يصلحهم .

١٠ ولما كان مقصود هذه السورة تهيب الإنسان الموبخ في سورة
القيامة من الكفر، وكان الإنسان أدنى أسنان المخاطبين في مراتب
الخطاب، اقتصر في الترغيب في شرف الآنية على الفضة دون الذهب
المذكور في فاطر والحج المعبر فيهما بالناس، فلعل هذا لصنف^٤
[و ذاك لنصف - ٢] أعلى منه^٥ مع إمكان الجمع والمعاقبة، وأما من
١٥ هو أعلى من هذين الصنفين من الذين آمنوا ومن فوقهم فلم يرد فوق هذين
الجوهريين من الجواهر ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على

(١) من ظ و م، وفي الأصل: كانت (٢) من ظ و م، وفي الأصل: عليهم .
(٣) زيد من ظ و م (٤) في ظ: ارتفعت (٥) من ظ و م، وفي الأصل: من
أكثر (٦-٦) في م: مقصودها (٧) من ظ و م، وفي الأصل: النصف .
(٨) زيد في الأصل: على، ولم تكن الريادة في ظ و م لحذفها .

قلب بشر فقال : ﴿ من فضة ﴾ أى اسمه ذلك ، واما الحقيقة فأين الثريا من يد المتناول .

ولما جمع الآنية خص فقال : ﴿ واكواب ﴾ جمع كوب وهو كوز لاعروة له ، فيسهل الشرب منه من كل موضع فلا يحتاج عند تناول إلى إدارة ﴿ كانت ﴾ أى تلك الاكواب كونا هو من جبلتها ﴿ قوارير الإه ﴾ ٥
أى كانت بصفة القوارير من الصفاء والرقّة والشفوف والإشراق والزهارة ، جمع قارورة وهى ما قرفه الشراب ونحوه من كل إناء رقيق صاف ، وقيل : هو خاص بالزجاج .

ولما كان هذا رأس آية ، وكان التعبير بالقارورة ربما أفهم ' أو أوم '
انها من الزجاج . وكان فى الزجاج من النقص سرعة الانكسار لإفراط ١٠
الصلابة ، قال معيدا للفظ أول الآية الثانية ، تأكيدا للاتصاف بالصالح من أوصاف الزجاج وبيانا لنوعها : ﴿ قواريرًا من فضة ﴾ أى فجتمعت صفى الجوهرين المتباينين : صفاء الزجاج [وشفوفه - ٣] وبريقه وياض الفضة وشرفها ولينها ، وقراءة من نون الاثنين صارفا ما من حقه المنع مشيرة إلى عظمتها وامتداد ٤ كثرتها وعلوها ٥ فى الفضل والشرف ، ١٥
وقراءة ابن كثير فى الاختصار على تنوين الأول للتنيه على انه رأس آية والثانى أول ٥ التى بعدها مع إفهام العظمة لأن الثانى إعادة للأول لما

-
- (١) من ظ و م ، وفى الأصل : الزهاوة (٢-٢) من ظ و م ، وفى الأصل :
اراهم (٣) زيد من ظ (٤-٤) من ظ و م ، وفى الأصل : علوها وكثرتها .
(٥) زيد فى الأصل : الآية ، ولم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها .

تقدم من الإفادة، فكأنه منون، ووقف أبو عمرو^١ على الأول بالآلاف مع المنع من الصرف لأن ذلك كاف في الدلالة على أنه 'رأس آية' .

ولما كان / الإنسان لا يحب أن يكون الإناء ولا ما فيه من ما كول / ٦٢١

أو مشروب زائدا عن حاجته و لا ناقصا عنها قال : (قدروها) أى فى الذات والصفات (تقديره) أى على مقادير الاحتياج من غير زيادة و لا نقص لأن ما^٢ أراد كل منهم كان، لا كلفة ولا كدر و لا نقص .

ولما ذكر الأكواب ، أتبعها غايتها فقال تخصيصا بالعطف على ما تقديره : يسقون فيها^٣ ما تشتهى أنفسهم وتلذ أعينهم : (ويسقون) عن أرادوه من خدمهم الذين لا يحصون كثرة (فيها) أى الجنة أو تلك ١٠ الأكواب (كاسا) أى خمرافى إناء (كان مزاجها) على غاية الإحكام (زنجبيلا^٤) هو فى غاية اللذة ؛ وكانت العرب تستلذ الشراب الممزوج

[به - ٦] لخصمه و تطيبه الطعم و النكهة .

ولما كان الزنجبيل عندنا شجرا يحتاج فى تناوله إلى علاج ، أبان^٥ أنه هناك عين لا يحتاج فى صيرورته زنجبيلا إلى أن تحمله الأرض بتخميره ١٥ فيها حتى يصير شجرا ليتحول عن طعم الماء إلى طعم الزنجبيل خرقا للعوائد

(١) من ظ و م ، وفى الأصل : أبى عمرو (٢-٢) من ظ و م ، وفى الأصل : رايه (٣) زيد فى الأصل : كل ، ولم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفنا (٤) تكرر فى الأصل فقط (٥) من ظ و م ، وفى الأصل : و ، (٦) زيد من ظ و م . (٧) من ظ و م ، وفى الأصل : اقد .

قال : ﴿ عينا فيها ﴾ أى ' الجنة يمزج فيها شراهم كما يمزج بالماء .
 ولما كان الزنجيل يلذع^٢ الحلق فتصعب إساغته قال : ﴿ تسمى ﴾
 [أى - ٢] سهولة إساغتها ولذة طعمها و سمو وصفها ' ﴿ سلسيلا ه ﴾
 والسلسيل والسلسل والسلسال ما كان من الشراب ' غاية في السلامة ،
 زيدت فيه^٣ الباء دلالة على المبالغة في هذا المعنى ، قالوا : و شراب الجنة ه
 في برد الكافور و طعم الزنجيل وريح المسك من غير لذغ .

ولما ذكر المطفوف به لأنه الغاية المقصودة ، وصف الطائف لما في
 طوافه من العظمة المشهودة تصويرا لما هم فيه من الملك بعد ما نجوا منه
 من الهلك^٤ : ﴿ و يطوف عليهم ﴾ أى بالشراب و غيره من
 الملاذ و المحاب ﴿ ولدان ﴾ أى غلمان هم في سن^٥ من هو دون البلوغ ١٠
 و أقل أهل الجنة من يخدمه^٦ ألف غلام ، ﴿ مخلدون ج ﴾ أى قد حكم من
 لا يرد حكمه بأن يكونوا كذلك [دائما - ٢] من غير غلة ولا ارتفاع
 عن ذلك الحد مع أنهم مزينون بالخلد و هو الحلق و الآساور و القرطة
 و الملابس الحسنة ﴿ اذا رأيتهم ﴾ أى يا أعلى الخلق صلى الله عليه وسلم
 و أنت أثبت الناس نظرا أو^٧ أيها الراى من كان في أى حالة رأيتهم ١٥

(١) زيد في الأصل : ف ، ولم تكن الزيادة في ظ و م لحذفها (٢) تكرر في
 الأصل فقط (٣) زيد من ظ و م (٤) من ظ و م ، وفي الأصل : طبعها ووضعها .
 (٥ - هـ) من ظ و م ، وفي الأصل : في غاية السلامة (٦) من ظ ، وفي الأصل
 و م ، فيها (٧) من م ، وفي الأصل و ظ : الهلاك (٨) من ظ و م ، وفي
 الأصل : سنن (٩) من ظ و م ، وفي الأصل : الخدمة (١٠) من ظ و م ، وفي
 الأصل : لو .

فيها ﴿حسبتهم﴾ من بياضهم و صفاء ألوانهم و لمع أنوارهم^١ و انعكاس شعاع بعضهم إلى بعض و انبثاثهم في المجالس ذهابا و إيابا ﴿أولئذا منشوراه﴾ و ذلك كناية عن كثرتهم و انتشارهم في الخدمة و شرفهم و حسنهم؛ و عن [بعضهم] أن أولئذا الجنة في غاية الكبر و العظمة و اختلاف الأشكال، و كأنه عبر بالحسبان إشارة إلى أن ذلك مطلق^٢ تجوز لا مع ترجيح، قال بعض المفسرين : هم غلمان ينشئهم الله لخدمة المؤمنين /، و قال بعضهم : هم أطفال المشركين^٣ لألهم ماتوا على الفطرة، و قال ابن بركان : [و -^٤] أرى والله أعلم [أنهم -^٥] من علم الله سبحانه و تعالى لإيمانه من أولاد الكفار يكتنون خدما لأهل الجنة كما كانوا لهم في الدنيا ١٠ سبيا و خداما، و أما أولاد المؤمنين فيلحقون بأبائهم سنا و ملكا سرورا لهم، و يؤيد هذا قوله صلى الله عليه و سلم في ابنه إبراهيم عليه الصلاة و السلام إن له لظئرا يتم رضاعه في الجنة، فانه يدل على استقبال شأنه فيما هنالك و تنقله في الأحوال كالدينا، و لا دليل على خصوصيته بذلك .

/ ٦٢٢

١٥ ولما ذكر المخدوم و الخدم، شرع في ذكر المكان فقال : ﴿واذ أرايت﴾ أى أجلت بصرك، و حذف مفعوله ليشيع و يعم ﴿نعم﴾ أى هناك في أى مكان كان و أى شيء كان ﴿رايت نعما﴾ أى ليس فيه كبر بوجه من الوجوه . ولما كان النعيم قد يكون في حالة وسطى قال :

(١) من ظ و م، و في الأصل : أنواعهم (٢) من ظ و م، و في الأصل : مطلع (٣) من ظ، و في الأصل و م : المؤمنين (٤) زيد من ظ و م . (٥-٥) -قط ما بين الرقيين من ظ و م .

- (وملكا كبيرا) أى لم يخطر [على بال-^١] عما هو فيه من السعة وكثرة الموجود والعظمة أدناهم وما^٢ فيهم دنى الذى ينظر فى ملكه مسيرة ألف عام يرى أقصاه كما يرى أدناه ومهما أراداه كان .
- ولما ذكر الدار وساكنيها من مخدوم وخدم ، ذكر لباسهم بانبا
- حالا^٥ من الفاعل والمفعول : (عليهم) أى حال كون الخادم والمخدوم
- 'يلو اجسامهم' على سبيل الدوام . وسكن نافع وحمة الياء على أنه مبتدأ وخبر شارح للملك على سبيل الاستئناف (ثياب سندس) وهو مارق من الحرير (خضر) رفعه الجماعة صفة لثياب ، وجره ابن كثير وحمة والكسائي وأبو بكر عن عاصم صفة لسندس حملا على المعنى فانه اسم جنس (واستبرق ذ) وهو ما غلظ من الديباج يعمل بالذهب ،^{١٠} أو هو ثياب حرر صفاق نحو الديباج - قاله فى القاموس^٩ ، رفعه ابن كثير ونافع وعاصم نسقا على ثياب ، وجره الباقون على سندس .
- ولما كان المقصود لأرباب اللباس الفاخر الحلية ، أخبر عن تحليتهم ،
- وبنى الفعل للمفعول دلالة على تيسر ذلك لهم وسهولة عليهم فقال :
- (وحلوا) أى وجدت تحلية المخدمين والخدم (اساور من فضة ج) ^{١٥}
- وإن كانت تتفاوت بتفاوت الرتب ، وتقدم سر تخصيص هذه السورة بالفضة والأسورة بجمع^١ ما فيها من لذة الزينة لذة اتساع الملك فانها
-
- (١) زيد من ظ و م (٢) زيد فى الأصل : هم ، ولم تكن الزيادة فى ظ و م
- لحذفها (٣) من ظ و م ، وفى الأصل : حالهم (٤ - ٤) من ظ و م ، وفى
- الأصل : حاسمهم (٥) زيدت الواو فى الأصل ولم تكن فى ظ و م لحذفها .
- (٦) من ظ و م ، وفى الأصل : بجميع .

كناية عنه فانه - كما قال المولى - كان في الزمن [القديم -^١] إذا ملك
ملك أقاليم عظيمة كثيرة لبس سوارا وسمى الملك المسور لانساع ملكته
وعظمتها وكثرة أقاليمها، وإن لم تجمع أقاليم لم يسور فافظك بمن
أعطى من ذلك جمع الكثرة، وهى بالغة من الأعضاء ما يبلغه التحجيل
هـ في الوضوء كما قال صلى الله عليه وسلم «بلغ الحلية من المؤمن حيث
يلغ الوضوء»، فلذا كان أبو هريرة رضى الله عنه يرفع الماء^٢ إلى المنكبين
وإلى الساقين .

ولما كان / ربما ظن بما تقدم من ذلك المزوج شيء من نقص
لأجله يمزج كما هو في الدنيا، وكان قد قال أولا "يشربون" بالبناء
١٠ للفاعل، وثانيا «يسقون» بالبناء للفعول، قال بانبا للفاعل يانا لفضل ما
يسقونه في نفسه وفي كونه من عند الإله الأعظم المتصف بغاية الإحسان
على^٣ صفة من العظمة تليق بأحسانه سبحانه بما أفاده إسناد^٤ الفعل إليه:
(وسقهم) وعبر بصفه الإحسان تأكيداً [لذلك -^١] فقال:
(ربهم) أى الموجد لهم المحسن إليهم المدير لمصالحهم (شربا طهورا)
١٥ أى ليس هو كشراب الدنيا سواء كان من الخمر أو من الماء أو من
غيرهما، بل هو بالغ الطهارة والوصف بالشراية من العذوبة واللذة
واللطافة، وهو مع ذلك آلة للتطهير البالغ للغير فلا يبقى^٥ في بواطنهم^٦
(١) زيد من ظ و م (٢) سقط من ظ و م (٣) من ظ و م، وفي الأصل؛
غير (٤) من ظ و م، وفي الأصل: إسناده (٥) من ظ و م، وفي الأصل
«و» (٦-٧) في ظ: بيواطنهم .

غش ولا وسواس ، ولا يريدون إلا ما يرضى مليكهم بما أسس^١ على غاية
الحكمة وفاق كامل ومجايًا مطهرة وأخلاق مصطفاة لا عوج فيها ، ولا استحيل
شيء من شرايهم إلى نجاسة من بول ولا غيره ، بل يصير رشحا كرشح المسك
و يعطى الرجل شهوة مائة رجل في الأكل وغيره ، فإذا أكل شرب
فظهر باطنه ورشح منه المسك فعادت الشهوة ، بل الحديث يدل على ه
أن شهوتهم لا تنقضى أصلا فانه قال : « يجد لآخر لقمة من اللذة ما
يجد لأولها ، يفعل [بهم -^٢] هذا سبحانه قائلا لهم مؤكدا تسكيننا لقلوبهم
ثلاثا يظنوا أن ما هم فيه على وجه الضيافة ونحوها فيظنوا انقطاعه (أن هذا)
أى الذى تقدم من الثواب كله (كان) أى كونا ثابتا (لكم) بتكوينى
إياه من قبل موتكم (جزاء) أى على أعمالكم التى كنتم تجاهدون ١٠
فيها أنفسكم عن هواها إلى ما يرضى ربكم فكنتم كلما عملتم عملا كونت
من هذا ما هو جزاء له (و كان) أى على وجه الثبات (سعيكم)
ولما كان المقصود القبول لأن القابل الشاكر هو الممول له ، بنى للفعل
قوله : (مشكورا^٣) أى لا يضيع شيئا^٤ منه ويجازى بأكثر منه أضعافا
مضاعفة .

١٥

ولما ذكر أنه بين للناس السبيل فانقسموا^٥ إلى مبصر شاكر^٦ وأعمى

(١) من ظ و م ، وفى الأصل : اسر (٢) زيد من ظ و م (٣) من ظ و م ،
وفى الأصل : شيء (٤) من ظ و م ، وفى الأصل : بل (٥) من ظ و م ،
وفى الأصل : فانقلبوا (٦) من ظ و م ، وفى الأصل : شاكرا .

كافر^١، و اتبعه جزاء الكافرين والشاكرين، و ختمه بالشراب الطهور
الذى من شأنه أن يحيى ميت^٢ الاراضى كما أن العلم الذى منبه القرآن
يحيى ميت القلوب، و سكن القلوب بتأييد الجزاء، و ختم الكلام بالشكر
كما بدأه به، و كان نصب ما يهدى جميع الناس أمرا لا يكاد يصدق،
قال ذاكرنا لما شرف^٣ به النبي صلى الله عليه وسلم فى الدنيا قبل الآخرة،
و جعل الشراب الطهور جزاء [له - ^٤] لما بينهما من المناسبة على سبيل
التأكيد، و أكدّه ثانيا بما أفاد التخصيص لما لهم من الإنكار و لطمنين
أنفس أتباعه بما حدث عليه من الصبر إلى وقت الإذن / فى القتال :

/ ٦٢٤

(انا نحن) أى على ما لنا من العظمة التى لا نهاية لها ، لاغيرنا (نزلنا عليك)
و انت أعظم الخلق إنزالا [استعلى - ^٥] حتى صار المنزل خلقا لك
(القرآن) أى الجامع لكل هدى ، الحافظ من الزيغ ، كما يحفظ الطب
للصحيح صحة المزاج ، الشافى لما عساه يحصل من الادواء بما يهدى إليه من
العلم و العمل ، و زاد فى التأكيد لعظيم إنكارهم فقال : (تنزيلا) أى
على التدرج بالحكمة جوابا للسائل ورقا بالعباد^٦ فدرجهم فى وظائف
الدين تدريجا موافقا للحكمة ، و لم يدع لهم شبهة إلا أجاب عنها ، و علمهم
جميع الاحكام التى فيها رضانا^٧ ، و أنام من المواعظ و الآداب و المعارف

(١) من ظ و م ، وفى الأصل : كافرا (٢) من ظ و م ، وفى الأصل : موت .

(٣) من ظ و م ، وفى الأصل : شر (٤) زيد من ظ و م (٥) من ظ و م ،

وفى الأصل : للعباد (٦) من ظ و م ، وفى الأصل : وصايا .

بما ملا^١ الحافقين وخصصناك^٢ به^٣ شكرا على^٤ سيرتك الحسى التى
كانت قبل النبوة، وتجنبك كل ما يدنس، فلما كان بتزيلنا^٥ كان
جامعا للهدى بما لنا من إحاطة^٦ العلم والقدرة، فلا عجب فى كونه جامعا
لهدى^٧ الخلق كلهم، لم يدع لهم فى شيء من الأشياء لبسا، وهى ناظرة
إلى قوله فى القيامة " لا تحرك به لسانك " الملتفة إلى ما فى المدر من ه
أن هذه تذكرة، الناظرة إلى " انا سنلقى عليك قولا ثقيلًا، المشيرة إلى
ما فى سورة الجن من [أمره^٨] القرآن، فالحاصل أن أكثر القرآن
فى تقرير عظمة القرآن، فانه المقصود بالذات لانه^٩ الآية الكبرى التى
إذا ثبتت تبعها جميع المراد من الشريعة وتفرق تقرير شأنه اتقن
ما يكون فى إحكام أمره. وذلك أن الحكيم إذا اهتم بشيء افتتح^{١٠}
الكلام به، فاذا رأى من ينكره انتقل إلى غيره على قانون الحكمة، ثم
يصير يرى [به-^{١١}] فى خلال ذلك ربما كأنه غير قاصد له، ولا
يزال يفعل ذلك حتى يتقرر^{١٢} أمره غاية التقرر^{١٣} ويثبت فى النفس
من حيث لا يشعر.

ولما تقرر أن من الناس من ترك الهدى الذى هو البيان، فعنى^{١٥}

- (١) من ظ وم، وفى الأصل: خصصنا (٢-٣) تكرر ما بين الرقين فى الأصل
فقط. (٤) من ظ وم، وفى الأصل: بينى بينيا - كذا (٥) من ظ وم، وفى
الأصل: الاحاطة (٦) من ظ وم، وفى الأصل: هدى (٧) من ظ وم، وفى
الأصل: نظرة (٨) من م، وفى الأصل: وظ، فان.
(٩) من ظ وم، وفى الأصل: بقرر (١٠) من ظ وم، وفى الأصل: التقرير.

عنه لإعراضه عنه^١، سبب عن هذا الإنزال وذاك الضلال قوله
منها على أمراض القلوب، ومرشدا إلى دوائها: ﴿فاصبر لحكم ربك﴾
أى المحسن إليك بتخصيصه^٢ لك بهذه النعمة على ضلال من حكم
بضلاله، وعلى كل ما ينوبك [وأطه - ^٣] فى التعبد له بجميع^٤
هـ ما أمرك به من الرفق إلى أن يأمرك بالسيف، واستعن على مر^٥
الصبر باستحضار أن المربى الشفيق يربى بما^٦ يشاء من المر والحلو
على حسب علمه وحكمته، والصبر: حبس النفس وضبطها على مقاومة
الهوى لئلا تنقاد إلى شيء من قبائح اللذات.

و لما أمره سبحانه بالصبر، وكان الأمر به مفهما وجوده للخالف،
١٠ و كان المخالفون له صلى الله عليه وسلم هم القسم المضاد للشاكر وهم
الكفرة، و كان ما يدعونه إليه تارة مطلق إثم، وأخرى كفرا وتارة^٧
غير ذلك، ذكر النتيجة ناهيا عن^٨ القسمين الأولين ليعلم أن المسكوت
عنه لا نهى فيه فقال: ﴿ولا تطع منهم﴾ أى الكفرة الذين هم ضد
الشاكرين ﴿آثما﴾ أى داعيا إلى إثم سواء كان مجردا عن مطلق
١٥ الكفر أو مصاحبا له ﴿او كفورا﴾ أى مبالغا فى الكفر / وداعيا
إليه وإن كان كبيرا وعظيما فى الدنيا فإن الحق أكبر من كل كبير.

(١) زيد فى الأصل: بسبب، ولم تكن الزيادة فى ظ و م لحذفها (٢) من ظ و م،
وفى الأصل: المخصص (٣) زيد من ظ و م (٤) من ظ و م، وفى الأصل: فى
جميع (٥) من ظ و م، وفى الأصل: من (٦) من ظ و م، وفى الأصل: ما.
(٧) من ظ و م، وفى الأصل: أخرى (٨) من ظ و م، وفى الأصل: على.

وذلك أنهم كانوا مع شدة الأذى له صلى الله عليه وسلم يذلون له
الغائب من الأموال، والتملك والتزويج لأعظم نساءهم على أن
يتبهم على دينهم ويكف عما هو عليه والنهي عن الأحاد المبهم
نهي عن كل منهما، فإن كلا منهما في أنه يجب اجتنابه في رتبة واحدة
وذرروا ظاهر الآثم وباطنه، وكذا الانتهاء عنه لا يتحقق إلا بالانتهاء
عن كل منهما، ولو عطف بالواو لم يقد ذلك لأن نفي الاثنين
لا يستلزم نفي كل منهما، وأهم ترتيب النهي^١ على الوصفين أنه إذا دعاه
الكفار إلى ما لا يتعلق به^٢ آثم ولا كفر^٣ جاز له قبوله.

ولما نهى عن طاعتهما القاطعة عن الله، أمر بملازمة^٤ الموصل
إلى الله وهو الذكر من غير عائق الذي هو دواء لما عساه يلحق^٥ من
الادواء لمجرد رؤية الآثم أو الكفور لأرباب القلوب الصافية، والذكر
مقدم على كل عبادة وإن وضع العبادة لما كان طلبا للتوصل إلى نيل
معرفة الله سبحانه، وكان التصور بحسب الاسم أول مراتب التصور
طبعاً بدأ به وضعاً، وذلك لأن النفس تحب السفل لما لها من النقائص،
فاحتاجت إلى سبب مشوق لها إلى الأعلى فوضعت لها العبادات، واجلها^{١٥}
العبادة المشفوعة بالفكر، لأنه السبب الموصل إلى المقصود ولا تفيد
العبادة بدونه فقال: ﴿واذكر﴾ أي بلسانك ﴿اسم ربك﴾ أي المحسن

(١) من ظ و م ، وفي الأصل : هم (٢) من م ، وفي الأصل و ظ : النفي .

(٣ - ٢) سقط ما بين الرقيين من ظ (٤) في ظ : بلازمه ، وفي م : بلازم .

(٥) تكرر في الأصل فقط .

إليك 'بكل جميل' (بكرة) عند قيامك من منامك الذي هو الموتة
 الصغرى و تذكرك أنه يحى الموت و يحشرهم جميعا (و اصيلا ع طي) عند
 اقراض نهارك و تذكرك اقراض دنياك و طى هذا العالم ^٢ لاجل إيجاد ^٢
 يوم الفصل، و فى ذكر ^٢ الوقتين أيضا إشارة إلى دوام الذكر، و ذكر
 اسمه لازم لذكره، و يجوز أن يكون أمرا بالصلاة لأنها أفضل ^١
 الأعمال البدنية لأنها أعظم الذكر لأنها ذكر اللسان ^٥ و الجنان و الأركان
 فوظفت فيها أذكار لسانية و حركات و سكنات على هيئة مخصوصة
 من عاداتها ألا تفعل إلا بين أيدي ^٦ الملوك، فكان تتيهها على وجود
 الصانع و الاعتراف بآلايته و تفرده أكثر فكانت ^٧ أفضل، فيكون ^٨
 ١٠ هذا على هذا أمرا بصلاة الصبح و العصر، فانه لم يكن أمر فى أول
 الإسلام بغيرهما و بهما أمر من كان قبلنا، و هما ^٩ أفضل الصلوات ^٩
 و كانتا ركعتين ركعتين، و يجوز أن يكون أمرا بصلاة الصبح
 [و الظهر - ^{١٠}] و العصر فان الأصل يتناول وقيهما لأنه مطلق العنى،
 و أما المغرب و العشاء و نافلة الليل فدخلت ^{١١} فى قوله : (و من أيل) (

- (١-١) من ظ و م، وفى الأصل : يجمعيل احسانه (٢-٢) من ظ و م، وفى
 الأصل : لايجاد (٣) من ظ و م، وفى الأصل : ذلك (٤) من م، وفى الأصل
 و ظ : فضل (٥) من م، وفى الأصل و ظ : بالسان (٦) من ظ و م، وفى
 الأصل : يدى (٧) من ظ و م، وفى الأصل : وكان (٨-٨) تكرور ما بين
 الرقيين فى الأصل فقط (٩-٩) من ظ و م، وفى الأصل : أول الصلاة .
 (١٠) زيد من ظ و م (١١) من ظ و م، وفى الأصل : فدخلت .

أى بعضه و الباقي للراحة بالنوم ﴿ فابجد له ﴾ أى فصل له صلاتى
 المغرب والعشاء، وذكرهما بالسجود تنبيها / على أنه افضل الصلاة،
 فهو إشارة إلى ' أن الليل ' موضع الخضوع، و تقديم الظرف لما فى
 صلاة الليل من مزيد الكلفة و الخلوص و مزيد الفضيلة لأن الالتفات
 فيه إلى جانب الحق آثم لزوال الشاغل للحواس من حركات الناس ه
 و أصواتهم و سائر الأحوال الدنيوية، فكان أبعد عن الرياء فكان
 [الخشوع - ٢] فيه [و - ٢] اللذة التامة بحلاوة العبادة أوفى ﴿ و سبجه ﴾
 [أى - ٢] بالتهجد ﴿ ليلا طويلا ﴾ نصفه أو أكثر منه أو أقل،
 ولعله سماه تديبا لأن مكابدة القيام فيه و غلبة النوم تذكر بما لله من
 العظمة بالنزاهة عن كل نقیصة، و لأنه لا يترك محبوبه من الراحة بالنوم ١٠
 إلا من كان الله عنده فى غاية النزاهة، و كان له فى غاية المحبة .

و لما أنهى امره بلازم النهى، علل النهى بقوله محقرا باشارة القريب
 مؤكدا لما لهم من التعنت بالطعن فى كل ما يذكره صلى الله عليه وسلم :
 ﴿ ان هؤلاء ﴾ أى الذين يغفلون عن الله من الكفرة و غيرهم فاستحقوا
 المقت من الله ' ﴿ يحبون ﴾ أى محبة تتجدد عندهم زيادتهم فى كل وقت ١٥
 ﴿ العاجلة ﴾ أى و يأخذون منها و يستخفون لما حفت به من الشهوات
 زمنا قليلا لقصور نظرهم و جهودهم على ' المحسوسات التى الإقبال عليها
 منشأ البلادة و القصور، و معدن الأمراض للقلوب التى فى الصدور،
 [و - ٢] من تعاطى أسباب المرض مرض و سمي كفورا، و من
 (١-١) من ظ و م، و فى الأصل : انه (٢) زيد من ظ و م (٣) زيد من ظ .
 (٤-٤) سقط ما بين الرقعين من ظ .

تعاطى ضد ذلك شقى وسمى شاكرا، ويكرهون الآخرة الآجلة (ويفرون) أى يتركون منها على حالة هى [من - ١] أقبح ما يسوءهم إذا رآوه (ورآهم) أى أمامهم أى^٢ قدامهم على وجه الإحاطة بهم وهم عنه معرضون كما يعرض الإنسان عما وراءه، أو خلفهم لأنه يكون بعدهم لا بد ٥ أن يدركهم (يوما) أى منها . ولما كان ما أعيا الإنسان وشق عليه ثقيلًا قال: (ثقيلاه) أى شديدا جدا لا يطيقون حمل ما فيه من المصائب بسبب^٣ أنهم لا يعدون له عدته . فالآية من الاحتباك^٤: ذكر الحب والعاجلة أولا دلالة^٥ على ضدتها ثانيا، والترك [و - ٢] الثقل ثانيا دلالة على ضدتها أولا، وسر ذلك أن ما ذكره أدل على سخافة ١٠ العقل بعدم التأمل للعواقب .

ولما كان تركهم لليوم^٦ الثقيل على وجه التكذيب الذى هو أقبح الترك، وكان تكذيبهم لاعتقادهم عدم القدرة عليه^٧ قال دالا على الإعادة بالابتداء من باب الأولى: (نحن خلقهم) . بما لنا من العظمة لا غيرنا (وشددنا أسرهم^٨) أى فوينا و اقننا^٩ ربطنا فواصلهم ١٥ الظاهرة والباطنة بالأعصاب على وجه الإحكام بعد كونهم نطفة أمشاجا"

(١) زيد من ظ (٢) من ظ و م . وفى الأصل : أو (٣) من ظ و م ، وفى الأصل : ثقيل (٤) من ظ و م ، وفى الأصل : تسبب (٥) زيدت الواو فى الأصل و ظ ولم تكن فى م فحذفنا (٦) من ظ و م ، وفى الأصل : ديلا . (٧) زيد من ظ و م (٨) من ظ و م . وفى الأصل : اليوم (٩) من ظ و م ، وفى الأصل : أمشاجا (١٠) من م ، وفى الأصل و ظ : أو تقنا (١١) من ظ و م ، وفى الأصل : أمشاج .

في غاية الضعف ، و اصل الأسر : القدر يشد به الأقطاب أو الربط
و التوثيق ، و لا شك أن من قدر على إنشاء شخص من نطفة قادر على
أن يعيده كما كان [لأن - ١] جسده الذي أنشأه / إن كان محفوظا
فالأمر فيه واضح ، و إن كان قد صار ترابا فإبداعه منه مثل إبداعه
من النطفة ، و أكثر ما فيه أن يكون كآبيه ^٢ آدم عليه السلام بل هو ه
أولى فانه ترابه له أصل في الحياة [بما كان حيا ، و تراب آدم عليه
السلام لم يكن له أصل قط في الحياة - ١] و الإعادة أهون في مجارى
عادات ^٣ الخلق من الابتداء ، [و - ١] لذلك قال معبرا بأداة التحقق :
(و اذا شئنا) أى بما لنا من العظمة أن نبدل ما نشاء من صفاتهم
أو ذواتهم (بدلنا أمثالهم) أى بعد الموت في الخلقة و شدة الأسر ١٠
(تبدلناه) أو المعنى : جئنا بأمثالهم بدلا منهم و خلأنا لهم ، أو يكون
المراد - وهو أقعد - بالمثل الشخص أى بدلنا اشخاصهم لتصير بعد القوة
إلى ضعف و بعد الطول إلى قصر و بعد البياض إلى سواد و غير ذلك
من الصفات كما شوهد في بعض الاوقات في المسخ و غيره ، و كل
ذلك دال على تمام قدرتنا و شمول علمنا .

١٥

ولما كان هذا دليلا عظيما على القدرة على البعث مخزيا لهم ،
قال مؤكدا لإنكارهم عنادا : (ان هذه) أى الفعلة اليدائية ، أو المواعظ

(١) زيد من ظ و م (٢) من ظ و م ، وفي الأصل : لآبيه (٣) من ظ و م ،
وفي الأصل : العادات (٤) من م ، وفي الأصل و ظ و م .

التي ذكرناها في هذه السورة وفي جميع القرآن (تذكرة ٥) أي موضع ذكر عظيم للقدرة على البعث وتذكر عظيم لما فعلت في الإنشاء أولا ، وموعظة عظيمة فإن في تصفحها تنبيهات عظيمة^٢ للغافلين ، وفي تدبرها وتذكرها فوائد جمة للطلاب السالكين ممن ألقى سمعه | واحضر نفسه ،
 ٥ وكانت نفسه مقبلة على ما ألقى إليه سمعه - ٢] ، فمن أقبل هذا الإقبال علم أنا آتياء من الآلات والدلائل ما إن سلك معه مجتهدا وصل دون ضلال ولذلك سبب عن كونها تذكرة قوله من خطاب البسط : (فمن شاء) أي ان يجتهد في وصوله إلى الله سبحانه وتعالى (اتخذ) أي أخذ بجهد من مجاهدة نفسه ومغالبة هواه (إلى ربه) أي المحسن إليه
 ١٠ الذي ينبغي له أن يحبه بجميع قلبه ويجتهد في القرب منه (سيلة) أي طريقا * واسعا واخفا * سهلا بأفعال الطاعة التي أمر بها لانا يتنا الأمور غاية البيان وكشفنا^١ اللبس وأزلنا جميع موانع^٢ أنفسهم عن شئنا وركنا ذلك في الطباع ، ولم يبق مانع من استطراق الطريق أصلا غير مشيئتنا ، والفطرة الأولى أعدل شاهد بهذا .

١٥ ولما أثبت لهم المشيئة التي هي مناط التكليف ، وهي الكسب . وكان ربما ظن ظان أو ادعى مدع في خلق الأفعال كما قال أهل

(١) من ظ وم ، وفي الأصل : ذكرها (٢) سقط من م (٣) زيد من ظ (٤) من ظ وم ، وفي الأصل : كونه (٥-٥) في ظ : واخفا واسعا (٦) من ظ وم ، وفي الأصل : بينا (٧) زيد في الأصل : اللبس ، ولم تكن الزيادة في ظ وم لحذفناها (٨) زيد في الأصل : الكمال ، ولم تكن الزيادة في ظ وم لحذفناها .

الاعتزال ، قال نافيا ' عنهم الاستقلال ، لافتا القول إلى خطابهم ، و هو
مع كونه خطاب قبض استعطافا بهم إلى التذكر في قراءة الجماعة وبالعيب
على الأسلوب الماضي في قراءة ابن كثير وابن عامر : ﴿ وما تشاءون ﴾
اي في وقت من الاوقات مشيئة من المشيئات ^٢ لهذا وغيره ^٣ على سبيل
الاختراع والاستقلال ﴿ الآ ﴾ وقت ﴿ ان يشاء الله ﴾ اي الملك
الاعلى الذى له الامر كله ، ولا أمر لاحد معه ، فيوجد المعاني في أنفسكم
على حسب ما يريد ويقدر على / ما يشاء من آثارها ، وقد صح بهذا
ما قال الأشعرية و سائر أهل السنة من أن للعبد مشيئة تسمى كسبا
لا تؤثر إلا بمشيئة الله تعالى وتحريكها لقدرة العبد ، واتق مذهب القدرية
الذين يقولون : إنا نحن [نخلق - ^٢] أفعالنا ، ومذهب الجبرية القائلين : ١٠
لا فعل لنا أصلا ، ومثل الملوى ذلك بمن يريد قطع بطيخة [لئلا
سكينها وهياها وأوجد فيها أسباب القطع وأزال عنها موانعه ثم وضعها
على البطيخة - ^٣] فهي لا تقطع دون أن يتحامل عليها التحامل المعروف
لذلك ، ولو وضع عليها ما لم يصلح للقطع كحطبة مثلا لم تقطع
ولو تحامل ، فالعبد كالسكين خلقه الله وهياها بما أعطاه من القدرة للفعل ، ١٥
فن^١ قال : أنا أخلق فعلى^٢ مستقلا به ، فهو كمن قال : السكين تقطع
بمجرد وضعها من غير تحامل ، ومن قال : الفاعل هو^٣ الله ، من غير

(١) من ظ و م ، وفي الأصل : نافعا (٢-٢) من ظ و م ، وفي الأصل : لهذه
و غيرها (٣) زيد من ظ و م (٤) من ظ و م ، وفي الأصل : فلو (٥) زيد
في الأصل : فعلا ، ولم تكن الزيادة في ظ و م فحذفناها (٦) سقط من ظ و م .

نظر إلى العبد أصلاً^١ كان كمن قال: هو يقطع البطيخة بتحامل يده
أو قسبة ملساء من غير سكين، والذي يقول: إنه باهر بقدرته المهيأة
للفعل بخلق الله لها وتحريكها في ذلك الفعل كان^٢ كمن قال: إن
السكين فطمت بالتحامل [عليها -^٣]، بهذا أجرى سبحانه عادته في الناس،
ه ولو شاء غير ذلك فعل، ولا يخفى أن هذا هو الحق الذي لا مرية
فيه، ثم علل ذلك باحاطته بمشيئتهم قائلًا: ﴿ان الله﴾ أي المحيط
علما و قدرة ﴿كان﴾ أي أزلا وأبدا ﴿علما حكما﴾ أي بالغ
العلم والحكمة، فهو يمنع منا محكما من أن يشاء غيره ما لم يأذن فيه،
فن علم في جبلته خيرا أعانه عليه، ومن علم منه الشر ساقه إليه وحله
١٠ عليه، وهو معنى ﴿يدخل من يشاء﴾ أي ممن؛ علمه أهلا للسعادة،
ليس بظالم ﴿في رحمته﴾ بحكمته فيفسر له اتخاذ السبيل الموصل إليه بأن
يوفقه للعدل، ويعد له ثوابا جسيما.

ولما بشر أهل العدل بالفعل المضارع المؤذن بالاستمرار، ولم
يجعله ماضيا لئلا يتعنت متعنت ممن هو متلبس بالضلال فيقول: أنا لا
١٥ أصلح لأنه ما ادخلني، عطف عليه ما لأضدادهم* في جملة فعلية بناسها
على الماضي إعلاما بأن عذابهم موجود قد فرغ منه [فقال -^٤]:
﴿الظلمين﴾ أي وأهان العريقين في وصف المشي على غير سن
مرضى كالماشى في الظلام فهو يدخلهم في نقمته وقد ﴿اعد لهم﴾

(١) من ظ و م، وفي الأصل: اصل (٢) سقط من ظ و م (٣) زيد من ظ
و م (٤) في ظ: من (ه) من ظ و م، وفي الأصل: لأضداده.

[اى - ١] [إعدادا امضاء بعظمته ، فلا يزداد فيه ولا ينقص أبدا^٢]
 ﴿عذابا آليما﴾ فالآية من الاحتباك : ذكر الإدخال والرحمة أولا دلالة
 على الضد ثانيا ، والعذاب ثانيا دلالة على الثواب أولا ، وسر ذلك أن
 ما ذكره أولى بترغيب أهل العدل فيه وإن ساءت حالهم في الدنيا ،
 وبترهيب أهل الظلم منه وإن حسنت حالهم في الدنيا ، فقد رجع هذا ه
 الآخر المفصل إلى السعادة والشقاوة على أولها المؤذن بأن الإنسان
 معتنى به غاية الاعتناء ، وأنه ما خلق إلا للابتلاء ، فهو إما كافر مفضوب
 عليه ، وإما شاكر منظور بعين الرضى إليه^٢ - فسبحان من خلقنا ويميتنا
 ويحيينا بقدرته^١ والله الهادى .



(١) زيد من ظ و م (٢) زيد في الأصل : فعلا ، ولم تكن الزيادة في ظ و م
 فحذفناهما (٣) وقع في الأصل بعد « منظور » و الترتيب من ظ و م (٤-٤) سقط
 ما بين الرقین من م ، و موضعه بما فيه « والله الهادى » و تم في ظ : صلى الله
 عليه و سلم .

/ سورة المرسلات و تسمى العرف

مقصودها الدلالة على [آخر - ٢] الإنسان من إثابة الشاكرين بالنعيم، وإصابة الكافرين بعذاب الجحيم، في يوم الفصل بعد جمع الاجساد وإحياء العباد بعد طي هذا الوجود و تغيير العالم المعهود بما له سبحانه من القدرة على إنبات النبات وإنشاء الأقوات وإزال العلوم وإيساع الفهوم لإحياء الأرواح* وإسعاد الأشباح بأسباب خفية وعلل مرئية وغير مرئية، وتطوير الإنسان في أطوار الاسنان، وإيداع الإيمان فيما يرضى من الأبدان، وإيجاد الكفران في أهل الحية والخسران، مع اشتراك الكل في أساليب هذا القرآن، الذي عجز الإنس والجان، عن الإتيان بمثل آية [منه - ٢] على كثرتهم و تطاول الزمان، و اسمها المرسلات و [كذا - ١] العرف واضح الدلالة على ذلك لمن تدبر الأقسام، و تذكر ما دلت عليه من معاني الكلام ﴿ بسم الله ﴾^٦ الذي له القدرة التامة على ما يريد ﴿ الرحمن ﴾ الذي له عموم الإنعام على سائر العبيد ﴿ الرحيم ﴾ الذي خص أهل رضوانه بتمام ذلك الإنعام و عنده المزيد .

١٥ لما ختمت سورة الإنسان بالوعد لأوليائه و الوعيد لأعدائه، و كان

(١) زيدت الواو في ظ (٢) السابعة والسبعون من سور القرآن الكريم، مكينة و عدد آياتها خمسون (٣) زيد من ظ و م (٤) من ظ و م ، وفي الأصل : احتياط . (٥) من ظ و م ، وفي الأصل : الروح (٦) زيد في الأصل : اه ، ولم تكن الزيادة في ظ و م لحذفها .

الكفار يكذبون بذلك ، افتتح هذه بالإقسام على أن ذلك كائن فقال :
 ﴿ والمرسلات ﴾ أى من الرياح ^١ و الملائكة ﴿ عرفاء ﴾ أى لأجل
 إلقاء المعروف من القرآن ^٢ و السنة و غير ذلك من الإحسان ، و من
 إلقاء الروح و البركة و تيسير الأمور فى الأقوات ^٣ و غيرها ، أو حال
 كونها متتابعة متكاثرة بعضها فى أثر بعض ، من قول العرب : الناس إلى ه
 فلان عرف واحد - إذا توجهوا إليه فأكثروا ، و يقال : جاؤا عرفا واحدا ،
 و هم عليه كعرف الضبع ^٤ - إذا تألبوا عليه .

و لما كان العصفوف للعواصف يتعقب الهبوب ، عطف بالفاء
 تعقيا و تسبيا فقال : ﴿ فالعصففت ﴾ أى الشديديات من الرياح
 عقب هبوبها و من الملائكة عقب شقها للهواء بما لها من كبر الأجسام ^{١٠}
 و القوة على الإسراع التام ﴿ عصفاء ﴾ أى عظيمها بما لها من
 النتائج الصالحة .

و لما كان نشر الرياح للسحاب متراخيا عن هبوبها و متباطئا فى
 الثوران و كذا نشر الملائكة لأجنحتها كما يفعل الطائر القوى فى طيرانه ،
 عطف بالواو الصالحة للعية و التعقب بمهلة و غيرها قوله : ﴿ والنشأت ﴾ ^{١٥}
 أى للسحاب و الأجنحة على وجه اللين فى الجو و للشرائع التى / تنشر
 العدل بين الناس ﴿ شرأف ﴾ و إذا راجعت أول الذاريات ازدادت فى
 هذا بصيرة -

(١) من ظ و م ، وفى الأصل : الروح (٢) من ظ و م ، وفى الأصل :
 الكتاب (٣) من ظ و م ، وفى الأصل : الأوقات (٤) من ظ و م ، وفى
 الأصل : الصبح (٥) من م ، وفى الأصل و ظ : العصفوف .

و لما كان السحاب يجتمع بعد الثوران من مجال البخارات و يتكاثف
ثم يحمل الماء، وكان ذلك^١ - مع كونه معروفا - قد تقدم في الذاريات
و الروم و غيرهما ثم بعد الحمل تضغط^٢ السحاب حتى يتحمل بعضه على
بعض فتفرق هناك فُرَج يخرج منها، طوى ذلك و ذكر هذا فقال
هـ بالفاء الفصيحة: ﴿فَالْفُرْقَتِ فَرَقَالَا﴾ أى للسحاب حتى يخرج الودق
من خلاله و الاثخنة و بين الحق و الباطل و الحب و النوى - و غير ذلك
من الأشياء .

و لما كانت السحاب عقب الفرق ينزل منها^٣ ما فى ذلك السحاب
من ماء أو ثلج أو برد أو صواعق أو غير ذلك مما يريد الله بما يبعث
١٠ على ذكر الله و لا بد و الملائكة تلقى ما معها من الروح المحي للقلوب،
قال معبرا بقاء التعقيب و التسبيب: ﴿فَالْمَلَقِيَتِ ذَكَرَالَا﴾ أطلق عليه الذكر
لأنه سببه إن كان محمول السحاب أو محمول الملائكة، و قد يكون محمول
الملائكة ذكر الله حقيقة، و لا يخفى أنهما سبب لإصلاح الدين و الدنيا .
و لما ذكر هذه الأقسام عللها بقوله: ﴿عَذْرَا أَوْ نَفْرَالَا﴾ و هما
١٥ منصوبان على الحال جمعان لعذر بمعنى المَعْدِرَة أو العاذر، و النذر بمعنى
الإنذار أو المنذر، أى كانت هذه منقسمة إلى عذر إن كانت ألفت

(١) من ظ و م، و فى الأصل: هذا (٢) من م، و فى الأصل: تضطط، و فى
ظ: تسقط (٣) من ظ و م، و فى الأصل: فيه (٤) من ظ و م، و فى
الأصل: التسبب (هـ) من ظ و م، و فى الأصل: ذكره .

مطرا نافعا^١ مريئا مريعا غير ضار كان بعد قحط فانه يكون كانه
اعتذار عن تلك الشدة ، وإن كانت الملائكة ألقت بشار فهي واضحة
في العذر لاسيما إن كانت بعد إنذار ، وإلى نذر إن كانت ألقت صواعق
أو ما [هو -^٢] في معناها من البرد الكبير ونحوها ، وكذا الملائكة ،
والكل سبب لذر الله وهو سبب لاعتذار^٣ ناس بالتوبة ، وسبب ه
لعذاب الذين يغفلون عن الشكر ، ويستقبلون ذلك بالمعاصي أو ينسبون
ذلك إلى الآتواء .

ولما تمت هذه الأقسام مشتملة على أمور عظام منبهة على ان أسبابها
من الرياح والمياه كانت مع الناس وهم لا يشعرون بها كما أنه يجوز
أن تكون القيامة كذلك سواء بسواء ، [قال -^٢] ذاكرا للقسم عليه ١٠
مؤكدًا لأجل إنكارهم : ﴿ إنما ﴾ أى الذى ﴿ توعدون ﴾ [أى -^٢]
من العذاب فى الدنيا والآخرة ومن قيام الساعة ومن البشار لاهل
الطاعة ، وبناء للفقول لأنه المرهوب لا كونه من^٤ معين مع انه معروف
أنه مما توعده^٥ به الله^٦ على لسان محمد صلى الله عليه وسلم ﴿ لواقع^٧ ﴾
أى كائن لا بد من وقوعه وأسبابه عتيدة عندكم وإن كنتم لاترونها ١٥
كما فى هذه الأشياء التى أقسم بها وما تأثر عنها .

(١) زيد فى الأصل : به ، ولم تكن الزيادة فى ظ و م لحذفها (٢) زيد من ظ
وم (٣) من ظ و م ، وفى الأصل : لا اعتداد (٤) من ظ و م ، وفى الأصل
« و » (هـ-هـ) ظ و م ، وفى الأصل : الله به .

و قال الإمام أبو جعفر ابن الزبير: أقسم تعالى بالملائكة المتتابعين
 في الإرسال، والرياح المسخرة، وللايته بالمطر والملائكة الفارقة^١ بمائه
 بين الحق والباطل، والملقيات الذكر / بالوحى إلى الأنبياء إعدارا من / ٦٣١
 الله وإنذارا، أقسم تعالى بما ذكر من مخلوقاته على صدق الموعد به في قوله
 ٥ "أنا اعتدنا للكافرين سلاسل وأغلالا وسعيرا" الآيات وقوله "أنا
 نخاف من ربنا يوما عبوسا قطيرا" وقوله "وجزام بما صبروا جنة
 وحريرا" الآيات إلى "وكان سعيكم مشكورا" وقوله "ويذرون وراءهم
 يوما ثقيلا" وقوله "يدخل من يشاء في رحمته والظالمين أعد لهم عذابا
 اليما" ولو لم يتقدم إلا هذا الوعد والوعيد المختتم به السورة لطابقه^٢
 ١٠ افتتاح الأخرى قسما عليه أشد المطابقة، فكيف وسورة "هل أتى على
 الإنسان" مواعد أخراوية وأخبارات جزائية، فأقسم سبحانه وتعالى
 على صحة الوقوع، وهو المتعالى الحق وكلامه الصدق - انتهى .

ولما كان من المعلوم أنهم يقولون استهزاء: متى هو؟ وكان وقته
 ١٥ مما استأثر الله بعلمه لأن إخفاءه عن كل أحد أوقع في النفوس وأهيب
 عند العقول، سبب عن [ذلك - ١] قوله ذاكر ما لا تحتمله العقول
 لتزداد الهيبة ويتعاضم الخوف معبرا بأداة التحقق^٣: ﴿فاذا النجوم﴾

(١) من ظ وم، وفي الأصل: العارية (٢) من م، وفي الأصل و ظ: لمطابقة.

(٣) زيد في ظ: راسها (٤) من ظ وم، وفي الأصل: فيها (٥) من ظ وم، وفي

الأصل: حد (٦) زيد من ظ وم (٧) من ظ وم، وفي الأصل: التحقيق .

أى على كثرتها ﴿طمست لا﴾ أى أذهب^١ ضوءها بأيسر امر فاستوت مع بقية السماء ، فدل طمسها على أن لفاعله غاية القدرة ، و أعاد الظرف تأكيداً للعنى زيادة فى التخويف فقال: ﴿وإذا السماء﴾ [أى -^٢] على عظمتها ﴿فرجت لا﴾ أى انشقت فخربت السقوف وما بها من القناديل بأسهل أمر ﴿وإذا الجبال﴾ أى على صلابتها ﴿نسفت لا﴾ أى ذهب بها كلها ه بسرعة ففرقتها الرياح ، فكانت هباء منبثاً فلم يبق لها أثر^٣ ، وذلك كما ينسف الحب ، فزال ثبات الأرض بالأسباب التى هى الرواسى ، لأن تلك الدار ليست بدار أسباب .

ولما ذكر تغيير السماء والأرض ، ذكر ما^٤ فعل ذلك لأجله فقال : ﴿وإذا الرسل﴾ أى الذى أنذروا الناس ذلك اليوم فكذبوهم ﴿اقتتله﴾ ١٠ أى بلغها الذى لا قدر^٥ سواه بأيسر امر ميقاتها الذى كانت تنتظره ، وهو وقت قطع الأسباب وإيقاع الرحمة والثواب للاحباب والنقمة والعقاب للاعداء بشهادتهم بعد جمعهم على الأمم بما كان منهم من الجواب ، وحذف العامل فى «إذا» تهويلاً له^٦ لتذهب النفس فيه كل مذهب ، فيمكن أن يكون تقديره : وقع ما توعدون فرأيتم من هذا الوعيد ما لا يحتمل ولا يثبت لوصفه العقول ، وعلى ذلك دل قوله^٨ ملقنا لما^٩ ينبغى

(١) من م ، وفى الأصل وظ : ذهب (٢) زيد من ظ و م (٣) من ظ و م ، و ، الأصل : عظمتها (٤) فى الأصل بياض ملائكة من ظ و م (٥) زيد فى الأصل : كان سبب ، ولم تكن الزيادة فى ظ و م لحذفها (٦) من ظ و م ، وفى الأصل : لا قدر (٧) من ظ و م ، وفى الأصل : لهم (٨-٨) من ظ و م ، وفى الأصل : ملقنا على ما .

أن يقال، و هو' (لأى يوم) أى عظيم (اجلت^ه) أى رفع تأجيلها به، بناء للفعول لأن المقصود تحقيق الأجل لا كونه من مفعين، و تقيها على أن المعين له معلوم^٢ أنه الله الذى لا يقدر عليه سواه^٣، ثم أجاب / ٦٣٢
عن هذا السؤال بقوله مبدا من ولأى يوم: (ليوم الفصل ج) أى الذى إذا أطلق ذلك لم ينصرف إلا إليه لأنه لا يترك فيه شيئا إلا وقع الفصل فيه^٥
بين جميع الخلق من كل جليل و حقير، ثم هوله و عظمه بقوله:
(و ما أدرك) أى و أى شىء أعلمك و إن اجتهدت فى التعرف، ثم زاده^٦ تهويلا بقوله: (ما يوم الفصل^ه) أى إنه امر يستحق أن يسئل عنه و يعظم، و كل ما عظم بشىء فهو أعظم منه^٧، و لا يقدر أحد من الخلق
١٥ على الوصول إلى علمه لأنه لا مثل له يقاس عليه .

ولما هول أمره ذكر ما يقع فيه من الشدة على وجه الإجمال فقال: (ويل) أى هلاك عظيم جدا (يومئذ) أى إذ يكون يوم الفصل (للكذابين^٥) أى بالمرسلات التى أخبرت بذلك اليوم وغيره من أمر الله، و الويل فى الأصل مصدر منصوب باختمار فعله، عدل به إلى
١٥ الرفع للدلالة على ثبات معناه، و قد كررت هذه الجملة بعدة المقسم به و ما ذكر هنا بما يكون فى يوم الفصل من الطمس و ما بعده و هو تسعة

(١) من ظ و م، و فى الأصل: هى (٢) زيد فى الأصل: وقت، و لم تكن الزيادة فى ظ و م لحذفها (٣) زيد فى الأصل: انتهى، و لم تكن الزيادة فى ظ و م لحذفها (٤) من ظ و م، و فى الأصل: منه (٥) فى ظ و م: زاد . (٦) زيد بهامش م: أى أى شىء عظم به يوم الفصل أى يوم الفصل أعظم منه أى من ذلك الشىء (٧) من ظ و م، و فى الأصل: من، مع سير من الياء قبله .

أشياء، وزادت واحدة فتكون كل جملة بواحدة من المذكورات ، و العاشرة للتأكيد دلالة على أن لهم من الويل ما لا ينتهى [كما أن الواحد لا ينتهى - '] على أنها لو كانت كلها لتأكيد الأول لكان ذلك حسنا ، فان من كذبك فى أشياء كان من البلاغة ان تقرره بواحدة منها ثم تقول له عند قيام الدليل « ويل لك » ، ثم تفعل فيما بعده كله كذلك و تعيد ه عليه ذلك القول بعينه تأكيدا له و تحقيقا لوقوع^٢ معناه دلالة على أن الغيظ قد بلغ منتهاه و الفجور و انقطاع العذر لم يدع موضعا للتصل منه و البعد عنه ، و ذلك فى كلام العرب شائع معروف سائح .

ولما أقسم على وقوع^٣ الوعد و الوعيد مطلقا أعم من أن يكون فى الدنيا أو فى الآخرة لأنه قادر على كل ما يريد بأقسام دلت على ١٠ القدرة عليه دلالة جلية^٤ ، أتبعه دلالة أجلى منها بما يشاهد من خراب العالم النفسى فقال [منكرا - *] على من يكذب به تكذيبهم مع ما^٥ كان منه^٦ سبحانه إلى من كذب الرسل و من آمن بهم : (ألم نهلك) أى بما لنا من العظمة (الاولين^٧) أى إهلاك عذاب و غضب بتكذيبهم الرسل عليهم الصلاة و السلام كقوم نوح ١٥ و من بعدم أمة بعد أمة و قرنا بعد قرن ، لم ندع منهم أحدا^٨ .

ولما كان إهلاك من فى زمن النبى صلى الله عليه وسلم إن

(١) زيد من م (٢) من م ، وفى الأصل وظ : بوقوعه (٣) من ظ و م ، وفى الأصل : بلوغ (٤) من ظ و م ، وفى الأصل : جلية (٥) زيد من ظ و م . (٦-٧) من ظ و م ، وفى الأصل : كانه (٧) من ظ و م ، وفى الأصل : احد .

لم ينقص عن إهلاك الأولين لم يزد ، وكان جواب هذا التقدير : بلى قد
أهلكتهم ، قال عاطفا على هذا الذى أرشد السياق إليه إرشادا ظاهرا
جمله كالمنطوق ما تقديره : نعم أهلكناهم ﴿ ثم ﴾ أى بعد إهلاكنا لهم .
ولما كان الفعل مرفوعا ، علمنا أنه ليس معطوفا على « تهلك » ليكون تقديرا ،
بل هو إخبار للتهديد / تقديره : نحن إن شئنا ﴿ تبعهم الآخرين ﴾ أى
الذين فى زمانك من كفار العرب وغيرهم لتكذيبهم لك أو الذين
قربوا من ذلك الزمان كأصحاب الرس وأصحاب القيل .

ولما هدد من واجه الرسل بالكذب تسلية لهم ، سلى من قطعوه
من أتباعهم مما يجب وصله بهم من المعروف [فقال - ٢] مستأقفا
١٠ منها على الوصف الموجب لذلك الإهلاك : ﴿ كذلك ﴾ أى مثل ذلك
الإهلاك ﴿ نفعل بالمجرمين ﴾ أى جميع الذين يفعلون فعل أولئك الذين
يقطعون ما أمر الله به أن يوصل وهم عريقون فى ذلك القطع ، وذلك
مثبت لنا القدرة على جمعهم ليوم الفصل كما قدرنا على جمعهم لوقت
الإجرام وعلى فصلنا فى الإهلاك والإنهاء بين مكذبي الأمم ومصديقهم
١٥ فلا بد من إيجادنا ليوم الفصل : ﴿ ويل يومئذ ﴾ أى إذ يوجد
﴿ المكذبين ﴾ أى بالعاصفات التى أهلكنا بها تلك الأمم تارة بواسطة
القلب و إمطار الحجارة و أخرى بواسطة الماء و تارة بالرجفة [و تارة - ٢]
بغير واسطة .

(١) من ظ و م ، وفى الأصل : و ما (٢) زيد من ظ و م .

ولما ذكر الإهلاك على ذلك الوجه الدال على القدرة التامة^١ على
البحث [وعلى-^١] ما يوعده به بعد البحث ، أتبعه الدلالة بابتداء الخلق وهو
أدل فقال^٢ مقررا ومنكرا^٣ على من يخالف^٤ عليه بذلك عمله :
(الم تخلقكم) أى أيها المكذبون بما لنا من العظمة التى لا تعسرها عظمة
(من ماء مهين^٥) أى نطفة مذرة ذليلة ، وهو [من-^١] مهن^٦ بالفتح ، قال هـ
فى القاموس : والمهين : الحقير والضعيف والقليل (لجعله) أى بما لنا
من العظمة بالإنزال لذلك الماء فى الرحم (فى قرار مكين^٧) أى محفوظ
بما يفسده من الهواء وغيره ومددنا^٨ ذلك لأجل التطوير فى أطوار
الحلفة والتدوير فى أدوار^٩ الصنعة (الى قدر) أى مقدار من الزمان
قدره الله تعالى [للولادة-^{١٠}] (معلوم^{١١}) أى عندنا من تسعة أشهر ١٠
لولادة إلى ما فوقها أو دونها لا يعلمه^{١٢} غيره .

ولما كان هذا عظيما ترجمه وبينه معظمها له بقوله : (فقدرونا^{١٣}) أى
بعظمتنا على ذلك أو لجعلناه على مقدار معلوم من الارزاق والآجال
والأحوال والأعمال (فنعلم القدر^{١٤}) نحن مطلقا على ذلك وغيره ،
أو المقدرون^{١٥} فى تلك المقادير لما لنا من كمال العظمة بحيث نجعل ذلك ١٥

- (١) زيد من م (٢-٣) من ظ و م ، وفى الأصل : منكرا ومقررا (٢-٣) من
ظ و م ، وفى الأصل : يخالفه (٤) من ظ و م ، وفى الأصل : نفسرها (٥) من م ،
وفى الأصل و ظ : مهين (٦) من ظ و م ، وفى الأصل : عددنا (٧) من ظ و م ،
وفى الأصل : ازوار (٨) زيد من ظ و م (٩) من ظ و م ، وفى الأصل :
لا يعلم (١٠) من ظ و م ، وفى الأصل : المقدرون .

بمباشرة من أردناه منه بطوعه و اختياره . ولعل التعبير بما قد يفيد مع
العظمة الجمع لما أقام سبحانه في ذلك من الأسباب باللائكة وغيرها ،
و ' فيه مع ' ذلك ابتلاء للعباد الموحد منهم و المشرك : ﴿ أول يومئذ ﴾
أى إذ ' كان ذلك ﴿ للكاذبين ﴾ أى بالناشرات التى نشرت تلك
النفوس و كل ما يراد نشره و هم يعلمون قدرتنا على ما ذكرنا و تقديره
من ابتدائنا لخلقهم وغيره مما يفيد كمال القدرة و هم يكذبون بالبعث
و لا يقيسونه بمثله . و لما دل / بابتداء الخلق على تمام قدرته ، أتبعه

/ ٦٣٤

الدلالة بانتهاء أمره و أثباته و ما دبر فيها من المصالح فقال : ﴿ الم نجعل ﴾
أى نصير بما سينابنا لما لنا من العظمة ﴿ الارض كفاتاً ﴾ أى وعاء
١٠ قابلة لجمع ' ما يوضع فيها [و ضمه جمعا فيه - ٦] فكك وهدم ، و هو اسم
لما يكفت من الحديد مثلاً أى يغلف بالفضة و يضم و يجمع ، كالضمام و الجمع
لما يضم و يجمع ، أو ' هو مصدر نعت به أو جمع كافة ، كصائمة و صيام
أو جمع كفت و هو الوعاء ، و لو شئنا لجعلناها ناشرة لكم إذا وضعت
فيها كما تنشر النبات ، و سنجعل ذلك إذا أردنا البعث ، و لما ' كان من
١٥ المعلوم انه حذف المفعول و هو لكم ، أبدى حالة دالة أيضا عليه [فقال - ٦] :

﴿ احياء ﴾ [أى - ٦] على ظهورها فى الدور و غيرها ﴿ و امواتا ﴾ أى

(١-١) من ظ و م ، و فى الأصل : فى (٢) من م ، و فى الأصل و ظ : اذا .
(٣) من ظ و م ، و فى الأصل : ذكرنا (٤) من ظ و م ، و فى الأصل : على
انتهاء (٥) من م ، و فى الأصل و ظ : لجميع (٦) زيد من ظ و م (٧) من ظ
و م ، و فى الأصل « و » (٨) من ظ ، و فى الأصل و ظ : او .

في بطنها في القبور وغيرها كما كنتم قبل خلق آدم عليه السلام .
ولما ذكر ما تنفيه من جبال العلم والملك وغيرها ، أتبعه ما تبرزه
من الشواهد لإعلاما بأنه لو كان الفعل للطبيعة ما كان الأمر هكذا ، فانه
لا يخرج هذه الجبال العظيمة على ما لها من الكبر ' و الرسوخ ' والثقل
و الصلابة وغير ذلك من العظمة إلا الفاعل المختار ، هذا إلى ما يحفظ ه
في أعاليها من المياه التي تنبت الأشجار وتخرج العيون والأنهار ، بل
أكثر ما يخرج من المياه هو منها ، وكذا غالب المنافع من المعادن وغيرها
قال : ﴿ وجعلنا ﴾ أي بما لنا من العظمة ﴿ فيها ﴾ أي الأرض
﴿ رواسي ﴾ لولائها لمادت بأهلها ، ومن العجائب أن مراسيها من فوقها
خلافا لمراسي السفن ﴿ شمنخت ﴾ أي [هي - ٢] مع كونها ثابتة ١٠
في أنفسها مثبتة لغيرها طوال جدا عظيمة الارتفاع كأنها قد تكبرت
على بقية الأرض : على من يريد صعودها ، وتنكيره للتعظيم .

ولما كان من العجائب الخارقة للعوائد فوران الماء الذي من طبعه
أن يغور لا أن يفور لما له من الثقل واللاطافة التي أفادته قوة السريان
في الأعماق وفي كون ذلك منه من موضع من الأرض دون آخر ، ١٥
و كونه من الجبال التي هي أصلب الأرض ومن صخورها غالبا دلالة
ظاهرة على أن الفعل للواحد المختار الجبار القهار لا للطبائع ؛ قال :
﴿ واسقيسكم ﴾ أي جعلنا لكم بما لنا من العظمة شرابا لسقيكم وسقى
ما تريدون سقيه من الأنعام والحراث وغير ذلك ﴿ ماء ﴾ * من الأنهار

(١-١) سقط ما بين الرقین من ظ وم (٢) زيد من ظ (٣) من ظ وم ، وفي
الأصل : السيران (٤) من ظ وم ، وفي الأصل : للطباع (٥) زيد في الأصل :
أي ، ولم تكن الزيادة في ظ وم لحذفها .

والعدرا ، العور ، لأبار ، غيرها ﴿و تائه﴾ أى عظميا عدما سائعا ، قد
كان حقيقا بأن يكون ملحا أجاجا لما للأراضى المسسكة له من ذلك^٢
ولما كان فى هذا دلالة ظاهرة على قدرته على البعث وغيره قال :
﴿ويل يومئذ﴾ [أى ٢] يوم إذ تقوم الساعة ليكون الفصل بين العباد
ه مساقها مساق ما هو ثابت لا نزاع فيه إشارة إلى أنه لا يكذب بها بعد
ظهور الأدلة / إلا من لامسكه له ﴿للمكذبين﴾ أى الذين هم فى غاية
الرسوخ فى التكذيب حتى كذبوا بما لنا فى هذا من الفرق الذى فرقنا
به بين أرض وأخرى حتى جعلنا بعضها صالحا لافراق أرضه عن الماء ،
وبعضها غير صالح وجعلنا بعضها قابلا للجبال وبعضها غير قابل - إلى غير
١٠ ذلك من الفروق البديعة .

ولما وصلت أدلة الساعة فى الظهور إلى حد لا مزيد عليه ، وحكم
على المكذبين بالويل مرة ، وأكد بثلاث ، فكان من حق المخاطب أن
يؤمن فلم يؤمن ، أمر بما يدل على الغضب فقال تعالى «معلما لهم» بما يقال
لهم يوم القيامة إذ يحل بهم الويل : ﴿انطلقوا﴾ أى أيها المكذبون
١٥ ﴿إلى ما كنتم﴾ أى بما هو لكم كالجبله ﴿به تكذبون﴾ أى فى الدنيا
من العذاب تكذبيا هو من عظمه بحيث يعد غيره من التكذيب بالنسبة
إليه عدما ، ويجددون ذلك التكذيب مستمرين عليه .

(١) من ظ و م . وفى الأصل : الادبار (٢) ريد فى الاصل : انتهى .
ولم تكن ازبادة فى ظ و م فدفناها (٣) ريد من ظ و م (٤-٤) من ظ و م ،
وفى الاصل . معللا

ولما كان المراد ريدته سكينهم^١ و تفريعهم و التهويل عليهم ، كرر
الامر واصفا ما^٢ امروا بالاطلاق إليه فقال : (انطلقوا) هذا على
قراءة الجماعة ، وقراءة رويس عن يعقوب بصيغة الماضي للدلالة على تمام
انقيادهم هناك ، و انه لا شيء من منعه عندهم^٣ أصلا ، و هي استثنائية
لجواب من يقول : ما كان حالهم عند هذا الأمر الفظيع ؟ (الى ظل) أى ه
من دخان جهنم الذى سمي بالبحموم لما ذكر فى الواقعة (ذى ثلث شعب لا)
ينشعب من عظمه^٤ كما ترى الدخان العظيم يتفرق دوائب ، و خصوصية
الثلاث لأن التكذيب بالله و كتبه و رسله ، فتعذيبهم كل واحدة منها عذابا
يعلمون هناك لاى تكذيبه منها هى ، أو لأن الحاجب عن أنوار القدس
الحس و الخيال و الوهم ، أو لأن السبب فيه القوة الوهمية^٥ الحالة فى ١٠
الدماغ ، و الغضبية التى فى عين القلب ، و الشهوية التى فى يساره ، و قيل^٦ :
تخرج عنق من النار تكون ثلاث فرق : نار و نور و دخان ، يقف النور
على المؤمنين ، و اللهب الصافى على الكافرين ، و الدخان على المنافقين ،
تكون كذلك إلى حين^٧ الفراغ من الحساب ، و قال الرازى : الشعب لهب
و شرر و دخان .

١٥

(١) من ظ و م ، وفى الأصل : تكديهم (٢) من ظ و م ، وفى الأصل :
بما (٣) ريدى الأصل : اما على ، ولم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها .
(٤) من ظ و م ، وفى الأصل : عليهم (٥) ريدت الواو فى الأصل و لم تكن
فى ظ و م فحذفناها (٦) من ظ . وفى الأصل و م : الواهية (٧) راجع العالم
٧ / ٦٤ . (٨) سقط من ظ و م

ولما كان المتبادر من الظل ما يستروح إليه فظنوا ذلك^١، ازال
عنهم هذا التوهم على طريق التهكم بهم ليكون أشد في النكال فقال واصفا
لـ «ذى»: ﴿لاظليل﴾ أى من الحر بوجه من الوجوه^٢. ولما كان ما
اتقى عنه^٣ غزارة الظل التى أفهمتها صيغة المبالغة قد يكون فيه نفع ما
هـ قال: ﴿ولا يغنى﴾ أى شيئاً من إغناء ﴿من اللهب^٤﴾ أى هذا الجنس.
ولما بين أن هذا الظل زيادة في العذاب، وكان من المعلوم أنه
لا يكون دخان إلا من نار، قال مبيناً / أنه لو كان هناك ظل ما أغنى:
﴿انها﴾ أى النار التى دل عليها السياق ﴿ترمى﴾ أى من شدة الاستعار
﴿شرر﴾ وهو ما تطاير من النار إذا التهب، واحدها شرارة وهى
١٠ صواعق تلك الدار ﴿كاقصره﴾ أى كل شرارة^٥ منها كأنها قصر مشيد
من عظامها وقيل: هو الغايظ من الشجر^٦، الواحدة قصره مثل جمر
وجمرة، وهى اسم جنس جمعى لم يستعمل إلا في جمع فهو شامل لكثير
الجموع وقليلها، وكذا كل ما فرق بين واحدة وجمعه التاء وليس بجمع
لأنه ليس بجمع سلامة وهو ظاهر ولا تكسير لأن^٧ أوزانه معروفة
١٥ وليس منها^٨ فعل وليس بجنس، فانه لا يشمل^٩ ما دون الجمع ومن عظمة
شرارها تعرف عظمة جمرها.

(١) من ظ وم، وفي الأصل: لك (٢) زيد في الأصل: من، ولم تكن الزيادة
في ظ وم لحدفتها (٣) من ظ وم، وفي الأصل: شرر (٤) من ظ وم،
وفي الأصل: كانه (٥) من ظ وم: الشجرة (٦) من ظ وم، وفي الأصل:
لا (٧) من م، وفي الأصل: فيها، وفي ظ: بها (٨) من ظ وم، وفي الأصل:
يشمل.

ولما شبهه في عظمه ، شبهه في لونه فقال : ﴿ كأنه جُمِلْتُ ﴾ جمع جمالة جمع جمل مثل 'حجارة و حجر' للدلالة مع كبره على كثرته وتابعه واختلاطه وسرعة حركته . ومن قرأ بضم الجيم فهو عنده جمع جمالة وهي الجبل الغليظ من جبال السفينة - شبهه [به - ^١] في امتداده والتفافه ، ولا تنافي فإن الشرر منه ما هو هكذا و [منه - ^٢] ما هو كما تقدم هـ
 ﴿ صفره ﴾ جمع أصفر اللون^٣ المعروف ، وقيل : المراد به سواد يضرب إلى صفرة كما هي ألوان الجبال^٤ .

ولما كان هذا أمرا هائلا كانت ترجمته : ﴿ ويل يومئذ ﴾ أى إذ يكون ذلك ﴿ للكاذبين هـ ﴾ أى العريقين في التكذيب بإلقاء الذكر على الأنبياء للبشارة والندارة .

ولما دلت قراءة " انطلقوا " بالفتح على امتثالهم للامر من غير أن ينبسوا^٥ بكلمة ، صرح به فقال دالا على ما هم فيه من المقت والغضب : ﴿ لهذا ﴾ أى الموقف الذى^٦ هو بعض مواقف ذلك اليوم ، سمي يوما لنهائم أحكامه ، فلذا قال مخبرا عن المبتدأ : ﴿ يوم لا ينطقون لا ﴾ أى يئنت شفة^٧ من^٨ شدة الحيرة والدهشة^٩ فى بعض المواقف ، و ينطقون فى بعضها ١٥

-
- (١-١) من ظ و م ، وفى الأصل : حجر واحجار (٢) زيد من ظ و م .
 (٣) من ظ و م ، وفى الأصل : اللون (٤) من ظ و م ، وفى الأصل : الجبال .
 (هـ) من ظ و م ، وفى الأصل : سوا - كذا (٦) من ظ و م ، وفى الأصل : أى .
 (٧) من ظ و م ، وفى الأصل : شفتيه (٨-٨) فى ظ و م : فرط الدهشة والحيرة .

فانه يوم طويل ذو ألوان - كما قاله^١ ابن عباس رضى الله عنهما ، او لا ينطقون
بما ينفعهم لأنهم كانوا فى الدنيا لا ينطقون بالتوحيد الذى ينفعهم .

ولما كانوا لا يقدرّون على شىء ما إلا بأذن الله ، وكان الموجه
لهم عدم الإذن ، بنى للفعول قوله [دلالة -^٢] على عدم ناصر لهم
هـ أو فرج يأتيهم : ﴿ ولا يؤذن ﴾ أى من^٣ آذن ما ﴿ لهم ﴾ أى فى
كلام اصلا . ولما كان المراد انه لا يوجد لهم إذن ولا يوجد منهم
اعتذار من غير أن ينظر إلى تسببه عن عدم الإذن لئلا يفهم أن لهم
عذرا واسكنهم لم يبدوه لعدم الإذن ، قال رافعا عطفا على " يؤذن "^٤
﴿ فيعتذرون هـ ﴾ فدل ذلك على نفي الإذن ونفي الاعتذار عقبه مطلقا ،
١٠ ولو نصبه لدل على أن السبب فى عدم اعتذارهم عدم الإذن
فينقض المعنى .

ولما كان هذا أمرا فظيحا^٥ / ترجمه بقوله : ﴿ ويل يومئذ ﴾ أى
٦٣٧ / إذ كان هذا الموقف ﴿ للكاذبين هـ ﴾ أى العريقين فى التكذيب بالإخبار
بطمس النجوم فجعلت عقوبتهم سكوتهم الذى هو ذهاب نور الإنسان
١٥ ليكون كالطمس كذبوا به .

ولما ذكر^٦ حيرتهم و^٧ دهشتهم التى هى أماره قول الحكم ، وكانت

(١) فى ظ و م : قال (٢) زيد من ظ و م (٣) زيد فى الأصل : أى ، ولم تكن
الزيادة فى ظ و م لحذفناها (٤) زيد فى الأصل : لهم ، ولم تكن ازا زيادة فى ظ
وم لحذفناها (٥) من ظ و م ، وفى الأصل : قطعيا (٦-٦) سقط ما بين الرقین
من ظ و م .

مواطن ذلك اليوم تسمى أياما لتام الاحكام في كل موطن منها، وتميزه بذلك عما عداه، قال: ﴿هَذَا﴾ أى ذلك اليوم كله ﴿يوم الفصل^٢﴾ أى بين ما اختلف فيه العباد من الحق والباطل والعالي والسافل؛ ثم استأنف قوله: ﴿جَمْعُكُمْ﴾ أى يا مكذبي هذه الامة بما لنا من العظمة ﴿والاولين^٣﴾ أى الذين تقدم أنا أهلكتهم. وقد كانوا أكثر منكم عدا واعدوا لعددا لفصل^٤ بين المتنازعين ونصلي^٥ العذاب ونجزي بالثواب، وقد كان منكم من يقول: أنا أكفى عشرة من ملائكة النار، ثم أشار إلى انقطاع الأسباب فقال مسييا عن ذلك: ﴿فَانْكَانَ لَكُمْ﴾ أى ايها المكذبون على وجه هو ثابت من ذواتكم ﴿كَيْدٌ﴾ أى مقاومة بنوع حيلة او شدة ﴿فَكَيْدُونَ^٦﴾ تقريع^٧ لهم على كيدهم لأولياتنا المؤمنين في ١٠ الدنيا - بما مكنهم به من الأسباب وتنبه على أنه من آذى وليه فقد آذنه بالحرب^٨ وعلى أنهم عاجزون .

ولما كانوا^٩ أقل من أن يحبوا عن هذا وأحقر [من - ^{١٠}] أن يمهلوا للكلام، قال مترجما لحالهم بعد هذا الكلام منبها على أنهم لو عقلوا بكوا على أنفسهم الآن لانه^{١١} لاحيلة لهم إذ ذاك^{١٢}: ﴿وَبَلْ يَوْمَئِذٍ﴾ أى ١٥

- (١) من ظ و م، وفى الأصل: للفصل (٢) من ظ و م، وفى الأصل: على .
 (٣) فى ظ: أى تقريرا على (٤) من ظ و م، وفى الأصل: وه و ايا (٥) من ظ و م، وفى الأصل: فى محاربه (٦) من ظ و م، وفى الأصل: كان طبعهم .
 (٧) زيد من ظ و م (٨) من ظ و م، وفى الأصل: لأنهم (٩) من ظ و م، وفى الأصل: الان .

إذ يقال لهم هذا الكلام فيكون زيادة في عذابهم ﴿للكاذبين﴾ أي
الراحمين في التكذيب [بأن السماء - ١] تفرج كما كانوا يكذبون بأنه
يفصل بينهم بعد الموت .

و لما كان الواقع بعد الفصل قرار كل في داره . و [كان - ١] قد
٥ بدا بالمكذبين لأن التحذير في السورة أعظم ففصلهم عن المصدقين
فقال : انطلقوا - إلى آخره ، ثنى باضدادهم الفريق الناجي المشار إليه في
آخر الإنسان بقوله تعالى «يدخل من يشاء في رحمته» فقال مؤكداً
لأجل تكذيب الكفار بتلك الدار و بأن يكون المؤمنون أسعد منهم :
﴿ان المتقين﴾ أي الذين كانوا يجعلون بينهم وبين كل ما يغضب الله
١٠ وقاية مما يرضيه لعراقهم في هذا الوصف يوم القيامة ﴿في ظلل﴾ هي
في الحقيقة الظلال [لا - ١] كما تقدم من ظل الدخان . ولا يشبهها
أعلى ظل في الدنيا ولا أحسنه^١ إلا بالاسم ، و دل [على - ٢] أنها على
حقيقتها بقوله : ﴿وعيون لا﴾ لأنها تكون عنها الرياض والأشجار
[الكبار - ١] كما دل على أن ذلك الظل المتشعب للتهكم بما ذكر بعده
١٥ من اوصاف النار ، فهذه العيون تبرد الباطن و تنبت الأشجار المظلة كما
أن اللهب يحرق الظاهر و الباطن و يهلك ما قرب منه من شجر و غيره
فلا / يبقى ولا يذر .

(١) زيد من ظ و م (٢) من ظ و م ، وفي الأصل : حسنه (٣) زيد من م .
(٤) من ظ و م ، وفي الأصل : الباطل (٥) من ظ و م ، وفي الأصل : يحرق .
(٦) من ظ و م ، وفي الأصل : أو .

ولما ذكر العيون. اتبعها ما ينشأ^١ عنها فقال دالا على ان عيشهم كله لذة: ﴿ وفواكه ﴾ ولما^٢ كان يوجد^٣ في فواكه الدنيا الدون، قال^٤ دالا على^٥ أن عيشهم كله لذة و^٦ أنه ليس هناك دون: ﴿ بما يشتهون^٧ ﴾ أى بغاية الرغبة .

ولما فهم^٨ من التعبير [بـ فى ، -]^٩ أنهم متمكنون من هذا جميعه ه تمكن المظروف من ظرفه ، قال منها على أنه أريد بالفاكهة جميع المآكل ، وإنما عبر بها لإعلاما بأن كل اكل فيها تفكه ليس منه شيء لجلب نفع غير اللذة^{١٠} ولا دفع ضرر: ﴿ كلوا ﴾ أى مقولا لهم : تناولوا جميع المآكل على وجه التفكه والتلذذ لا لحفظ الصحة فانها حاصلة بدونه ﴿ واشربوا ﴾ أى من جميع المشارب^{١١} كذلك فان عيونها ليست من الماء خاصة بل ١٠ من كل شراب أكلا وإشربا ﴿ هيتا ﴾ ليس فى شيء من ذلك توقع ضرر ، وزاد فى نعيمهم بأن جعل ذلك عوضا فقال: ﴿ بما كنتم ﴾ أى بجبلاتكم التى جبلتكم^{١٢} عليها ﴿ تعملون^{١٣} ﴾ أى فى الدنيا من الأعمال الصالحة المبنية على أساس العلم الذى أفاد التصديق بالجنة فأوجب دخولها كما أوجب

-
- (١) من ظ و م ، وفى الأصل : بيشها (٢ - ٢) من ظ و م ، وفى الأصل : كانوا قد يجدوا (٣) من ظ و م ، وفى الأصل : فقال (٤ - ٤) سقط ما بين الرقين من ظ و م (٥) من ظ و م ، وفى الأصل : افهم (٦) زيد من ظ و م . (٧) من ظ و م ، وفى الأصل : الذره (٨) زبدت الواو فى الأصل ولم تكن فى ظ و م فخذناها (٩) من ظ و م ، وفى الأصل : ضرر (١٠) من م ، وفى الأصل وظ : جبلكم .

تكذيب المجرمين بالنار دخولهم إياها وعذابهم بها، و تكذيبهم بالجنة طردهم عنها و حرمانهم لنعيمها جزاء وفاقا .

ولما كان ربما توهم متوهم أن هذا [لناس - '] معينين في زمن^٢ مخصوص^٣، قال معلما بالتعميم مؤكدا ردا على من ينكر: ﴿ انا ﴾ أى هـ بما^٤ لنا من العظمة^٥ ﴿ كذلك ﴾ أى مثل هذا الجزاء العظيم^٦ ﴿ نجزي المحسنين هـ ﴾ أى كل من كان عريقا في وصف^٧ الإحسان لسناء كملوك الدنيا، يعوقهم [عن - '] الإحسان إلى^٨ بعض المحسنين عندهم بما يروونه جزاء لهم بعض^٩ أهل مملكتهم لما لهم من الأهوية و الملوكهم من الضعف .

١٠ ولما كان هذا النعيم عذابا [عظيما - '] على من لا يناله قال: ﴿ ويل يومئذ ﴾ أى [إذ - '] يكون هذا النعيم للثقتين المحسنين ﴿ للمكذبين هـ ﴾ أى الذين يكذبون بأن الجبال تنسف فتكون الأرض كلها سهلة دمثة مستوية لا عوج فيها أصلا صالحة للعبون و الأشجار و التبسط في أرجائها كيفها يريد صاحبها و يختار .

١٥ ولما ذكر نعيم أهل الجنة الذى لا ينقضى لأن لهم غاية المكنة فيه ، و كان ذلك آجلا ، و كان المكذبون في اتساع في الدنيا ، و تقدم قوله

(١) زيد من ظ و م (٢) من م . وفى الأصل وظ : وقت (٣) سقط من م .
(٤) من م ، وفى الأصل : ما (هـ) العبارة من « معينين » إلى هنا ماقطة من ظ .
(٦) زيد فى الأصل : كذلك ، ولم تكن الزيادة فى ظ و م لحذفها (٧) سقط من ظ و م (٨) من م ، وفى الأصل وظ : على .

تعالى وان عذاب ربك لواقع ما له من دافع^٥، وكان الشقاء متى وقع بعد
 نعيم نسخه وعد النعيم - ولو كان كثيرا طويلا - قليلا ، قال نتيجة لجواب
 القسم ضد ما يقال للتقين تسلية لهم وتخوينا للمكذبين بناء على ما تقديره :
 إن المكذبين في هذه الدنيا في استدراج وغرور ، ويقول لهم لسان
 الحال المغرب عن أحوالهم^١ في المآل تويخا وتهديدا : ﴿ كلوا ﴾ / أى ٥ / ٣٩ .
 أيها المكذبون في هذه الدنيا ﴿ وتمتموا ﴾ أى كذلك بمثل الجيفة ،
 فان المتاع من^٢ اسمائها كما مر غير مرة عن أهل اللغة ﴿ قليلا ﴾ أى
 وإن امتد زمنه فانه زائل مع قصر مدته في مدة الآخرة ، ولا يؤثر
 ذلك على الباقي النفيس إلا خسيس^٣ الهمة ، قال الرازى ، وقال بعضهم :
 التمتع بالدنيا^٤ من أفعال الكافرين ، والسعى لها من أفعال الظالمين ، ١٠
 والاطمئنان إليها من أفعال الكاذبين ، والسكون فيها على حد الإذن
 والاختذ منها على قدر الحاجة من أفعال عوام المؤمنين ، والإعراض
 عنها من أفعال الزاهدين ، وأهل الحقيقة أجل خطرا من أن يؤثر فيهم
 حب الدنيا وبغضها وجمعها وتركها .

ولما أحلهم^٥ هذا المحل الخبيث ، وكان التقدير : فانه لا بد من وقوع ١٥
 العذاب بكم يوم الفصل ، علل ذلك بقوله مؤكدا لأنهم ينكرون وصفهم
 بذلك : ﴿ انكم مجرمون^٥ ﴾ أى عريقون في قطع كل ما أراد الله به أن

(١) في ظ : اعملهم (٢) من ظ و م ، وفي الأصل : في (م) زيدت الواو في
 الأصل ولم تكن في ظ و م فخذناها (٤) من ظ و م ، وفي الأصل : في الدنيا .
 (٥) من ظ و م ، وفي الأصل : احل .

يوصل ، فلا جائز أن تعاملوا معاملة المحسنين ، فذلك كانت نتيجة هذا
(ويل يومئذ) أي إذا تعذبون بأجرامكم (للكاذبين) أي يوصل
الرسل إلى وقتها المعلوم الذي كانت تتوعد به المجرمين في الدنيا حيث
كذبوهم لأجل تمتعهم هذا القليل المكدر ، وعرضوا أنفسهم للعذاب
الدائم المستمر .

ولما كان التقدير : فانهم كانوا في دار العمل إذا قيل لهم آمنوا
لا يؤمنون ، عطف عليه قوله : (وإذا قيل لهم) أي هؤلاء المجرمين
من أي قاتل كان (اركعوا) أي صلوا الصلاة التي فيها الركوع ، وأطلقه
عليها تسمية لها باسم جزء منها ، وخص هذا الجزء لأنه يقال على الخضوع
١٠ والطاعة ، ولأنه خاص بصلاة المسلمين ، ولأن بعض العرب نفر عن
الدين من أجله ، وقال : لا أجيء لأن فيه - زعم - إرازا^١ للاست فيكون
ذلك مسببة ، وكذلك السجود ، قال في القاموس : جبي تجبته ؛ وضع
يديه على ركبتيه أو على الأرض أو انكب على وجهه ، والتجبة أن
تقوم قيام الركوع (لا يركعون) أي لا يخضعون ولا يوجدون الصلاة
١٥ فذلك كان وعيدهم ، وفيه دلالة على [أن - ٦] الأمر للوجوب
ليستحق تاركه العذاب و على أن الكفار مخاطبون بالفروع (ويل يومئذ)

(١) من ظ و م ، وفي الأصل : يومئذ (٢ - ٢) من ظ و م ، وفي الأصل :
كوكوهم - كذا (٣) في ظ : اقدیر (٤) زيد في الأصل : أي ، ولم تكن
الزيادة في ظ و م فحذفناها (٥) من ظ و م ، وفي الأصل : الإبراز (٦) زيد
من ظ و م .

اى إذ ' يكون الفصل (للكذابين هـ) اى ' بذلك الذى تقدم ' فى هذه ' السورة أو بشيء منه أو بغيره مما جاءت به الرسل ، وقد كررت هذه الجملة بعدد أجزاء طرف القسم أو أجزاء الجواب لتكون كل جملة منها وعيدا على التكذيب بواحد من [تلك - *] الأجزاء ، وتكون هذه الجملة العاشرة مؤكدة لتلك التسع ، وتكملة لعددها ومعناها ، ومعلمة بأن الويل ه لهم دائما من غير انقضاء كما أن الواحد لا انقضاء له .

ولما أعلم هذا ' أن لهم الويل دائما ، / ذكر أن سببه عدم الإيمان بالقرآن وان من لم يؤمن بالقرآن لم يؤمن بشيء أبدا ، فقال مسيبا عن معنى الكلام : (فبأى حديث) أى ذكر يتجدد نزوله على المرسل به فى كل وقت تدعو إليه حاجة (بعده) أى بعد هذا القرآن الذى ١٠ هو شاهد لنفسه عنه بصحة النسبة إلى الله تعالى من جهة ما حاز من البلاغة فى تراكيبه بالنسبة إلى كل جملة وبالنسبة إلى نظم الجمل بعضها مع بعض ، وبالإخبار بالمعانيات والحل على المعالى والتنبية على الحكم وغير ذلك من بحور العلم ورياض الفنون ، فالله باعتبار ذلك هو الشاهد بأنه كلامه (يؤمنون ع) أى يجددون ' الإيمان بسببه ' بكل ما أتى به ١٥

(١) من ظ و م ، وفى الأصل : ان (٢) تكرر فى الأصل فقط (٣-٣) من ظ و م ، وفى الأصل : بهذه (٤) زيد فى الأصل : بشيء منه و ، ولم تكن الزيادة فى ظ و م لحذفها (٥) زيد من ظ و م (٦) من م ، وفى الأصل : تكملة ، وفى ظ : مكلمة (٧) من ظ و م ، وفى الأصل : بهذا (٨) من ظ و م ، وفى الأصل : نظر (٩) من م ، وفى الأصل وظ : يحدد (١٠) زيدت الواو فى الأصل ولم تكن فى ظ و م لحذفها .

النبي صلى الله عليه وسلم إذا لم يؤمنوا بهذا الحديث الذى الله شاهد
بأنه كلامه بما اشتمل عليه بعد إعجازه من الدلائل الواضحة ، والمعاني
الشريفة الصالحة ، والنظوم الملائمة للطبع والرفائق المرفقة لكل قلب ،
والبشائر المشوقة لكل سمع^١ ، فمن لم يؤمن به لم يؤمن بحديث غيره ،
هـ فانه لا شيء يقاربه^٢ ولا يدانيه^٣ ، فكيف [بأن -^٤] يدعى شيء ياربه
أو يراقبه ، ومثل هذا إنما يقال عند مقارنة اليأس من الموعوظ والعادة
قاضية بحلول العذاب إذ ذاك وإنزال اليأس ، فهو من أعظم^٥ أنواع
التهديد ، فقد رجع آخرها على أولها في وعيد المكذبين ، وانطبق
أولها على آخرها في إخزاء^٦ المجرمين - والله الهادي للصواب^٧ .

————— (٥) —————

(١ - ١) من ظ و م ، وفي الأصل : المشوقة للسمع (٢ - ٢) سقط ما بين
الرقمين من ظ و م (٣) زيد من م (٤) من ظ و م ، وفي الأصل « و » .
(٥) من ظ و م ، وفي الأصل : عظيم (٦) من ظ و م ، وفي الأصل : اجره
(٧) سقط من ظ و م .

سورة عم يتساءلون^١ و تسمى سورة النبا

مقصودها الدلالة على أن يوم القيامة - الذي^٢ كانوا مجمعين على نفيه،
 وصاروا يعدد بعث النبي صلى الله عليه وسلم في خلاف فيه مع المؤمنين -
 ثابت ثباتاً لا يحتمل^٣ شكاً ولا خلافاً بوجه، لأن خالق الخلق مع أنه
 حكيم قادر على ما يريد وبرهم أحسن تدبير، بنى لهم مسكناً وأقنعه،^٥
 وجعلهم على وجه يبقى به نوعهم من أنفسهم بحيث لا يحتاجون إلى
 أمر خارج يرويه، فكان ذلك أشد لألفتهم وأعظم لأنس بعضهم
 ببعض، وجعل سقفهم وفراشهم كافلين لمنافعهم، والحكيم لا يترك
 عبده - وهو تام القدرة كامل السلطان - يرحون يغنى بعضهم على بعض
 ويأكلون خيره وعبدون غيره بلا حساب، فكيف إذا كان حاكماً^{١٠}
 فكيف إذا كان أحكم الحاكمين، هذا ما لا يجوز في عقل^٦ ولا يخطر
 ببال أصلاً، فالعلم^٧ واقع به^٨ قطعاً، وكل من اسمها واضح في ذلك
 يتأمل آيته ومبدأ ذكره [و -^٩] غايته (بسم الله) الحكيم العليم^٩

(١) الثامنة والسبعون من سور القرآن الكريم، مكية، وعدداً بها أربعون (٢) من
 ظ و م، وفي الأصل: الذين (٣) من ظ و م، وفي الأصل: لا يتأمل (٤) من
 ظ و م، وفي الأصل: ثم (٥) من ظ و م، وفي الأصل: عبده (٦) زيد في
 الأصل: عاقل، ولم تكن الزيادة في ظ و م فحذفناها (٧-٧) من ظ و م، وفي
 الأصل: به واقع (٨) زيد من ظ و م (٩) في م: العظيم .

الذى له جميع صفات الكمال ﴿الرحمن﴾ الذى^١ ساوى بين عباده
 / فى أصول النعم الظاهرة: الإيجاد^٢ والجاه والمال^٣، وبيان الطريق
 الأقوم بالعقل الهادى والآنزال والإرسال ﴿الرحيم﴾ الذى خص من شاء
 بآتمام تلك النعم^٤ فوقهم لمحسن^٥ الأعمال لما أخبر فى المرسلات
 بتكذيبهم يوم الفصل وحكم على أن لهم بذلك الويل المضاعف المكرر،
 وختمها بأنهم إن كفروا بهذا القرآن لم يؤمنوا بعده بشئ، افتتح هذه
 بأن^٦ ما خالفوا فيه وكذبوا الرسول^٧ فى أمره لا يقبل النزاع لما ظهر من
 بيان القرآن لحكمة الرحمن التى لا يختلف فيها اثنان مع الإعجاز فى البيان،
 فقال معجبا منهم غاية العجب زاجرا لهم ومنكرا عليهم ومتوعدا لهم
 ١٠ ومفتخا للأمر بصيغة الاستفهام منبها على أنه ينبغى أن لا يعقل خلافهم،
 ولا يعرف محل نزاعهم، فينبغى أن يسأل عنه كل أحد حتى العالم به
 إعلاما بأن ما يختلفون فيه^٨ لوضوحه لا يصدق ان عاقلا يخالف أمره^٩
 فيه وأنه لا ينبغى التساؤل [إلا - ٩] عما هو خفى فقال: ﴿عم﴾ أى
 عن أى شئ - خفف لفظا وكناية بالإدغام، وحذف ألفه لكثرة الدور
 ١٥ والإشارة إلى أن هذا السؤال مما ينبغى أن يحذف، فان لم يسكن فيخفى
 ويستحى من ذكره ويخفف ﴿يتساءلون﴾ أى أهل مكة لكل من يسأل

(١) تكرر فى الأصل فقط (٢ - ٢) من ظ و م، وفى الأصل: المال والجاه.

(٣) من ظ و م، وفى الأصل: النعيم (٤) من ظ و م، وفى الأصل: بالمحسن.

(٥) إسقط من ظ و م (٦) من ظ و م، وفى الأصل: الرسل (٧) من ظ

و م، وفى الأصل: به (٨) إسقط من م (٩) زيد من ظ و م.

عن شيء من القرآن - سؤال شك و توقف و تلدد فيما بينهم و بين الرسول
صلى الله عليه و سلم و المؤمنين رضى الله عنهم ، و لشدة العجب سعى جداهم
و إنكارهم^١ و عنادهم - إذا تليت عليهم آياته و جللت بيناته - مطلق سؤال .
و لما نغم ما يتساءلون عنه معجبا^٢ منهم فيه^٣ ، بينه بقوله لإعلاما
بأن ذلك الإيهام ما كان إلا للاعظام : (عن النبأ) أى من رسالة ٥
الرسول و إتيانه بالكتاب المبين ، و إخباره عن يوم الفصل ، و الشاهد
بكل شيء من ذلك الله باعجاز هذا الحديث ، و بوعده الجازم الحثيث .
و لما كان فى مقام التفتيح له ، وصفه تأكيدا بقوله : (العظيم) مع
أن النبأ لا يقال إلا لخبر عظيم [شأنه - ٢] ، ففى ذلك [كله - ٢] تنبيه
على أنه من حقه أن يدعنه كل سامع و يهتم بأمره^٤ ، لا أن يشك فيه ١٠
و يجعله موضعا للنزاع ؛ و عظم توبيخهم بقوله : (الذى هم) أى بضارهم
مع ادعائهم أنها أقوم الضمائر (فيه مختلفون^٥) أى شديد^٥ اختلافهم
و ثباتهم^٦ فبعضهم صدق و بعضهم كذب ، و المكذبون بعضهم شك
و بعضهم جزم و قال بعضهم : شاعر ، و بعضهم : ساحر - إلى غير ذلك
[من الأباطيل - ٢] ، و ذلك الأمر هو أمر النبى صلى الله عليه و سلم ١٥
الذى أهمه البحث بعد الموت اشتد التباسه عليهم و كثرت^٦ مراجعتهم
فيه و مساألهم عنه مع^٧ عظمه و عظم ظهوره ، و العظيم لا ينبغي الاختلاف

- (١) زيد فى الأصل : و عقايدهم ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م لحذفها .
(٢-٢) من ظ و م ، و فى الأصل : منه (٣) زيد من ظ و م (٤) من ظ و م ،
و فى الأصل : به (٥-٥) من ظ و م ، و فى الأصل : ثباتهم و اختلافهم .
(٦) من ظ و م ، و فى الأصل : كثرة (٧) من ظ و م ، و فى الأصل : فى .

فيه بوجه، فإن ذا المروءة لا ينبغي له أن يدخل في أمر إلا وهو على بصيرة فكيف به إذا كان عظيماً فكيف به إذا تنهى عظمه فكيف به / إذا كان أهم ما يهمه فإنه يتعين عليه أن يبحث عنه غاية البحث و يطلب فيه الأدلة و يفحص عن البراهين و يستوضح الحجج حتى يصير من أمره بعد 'علم اليقين' إلى عين اليقين من حين يبلغ مبلغ الرجال إلى أن يموت فكيف إذا كان بحيث تتلى عليه الأدلة و تجلى لديه قواطع الحجج و تجلب إليه الشينات و هو يكابر فيها و يمارى^٢، و يعاند و يدارى .

/ ٦٤٢

قال الإمام أبو جعفر بن الزبير : سورة النبأ أما مطلقها فترتب على تساؤل^١ و استفهام وقع^٢ منهم وكأنه وارد هنا في معرض العدول ١٠ و الالتفات ، و أما قوله " كلا سيعلمون ثم كلا سيعلمون " فتناسب للوعيد المتكرر في قوله "ويل يومئذ للكافرين" و كأن قد قيل : سيعلمون عاقبة تكذيبهم ، ثم أورد تعالى من جميل صنعه و ما^٣ إذا اعتبره المعبر علم أنه لم يخلق^٤ شيء منه^٥ عبثاً بل يعتبر به و يستوضح وجه الحكمة فيه ، فلم أنه لا بد من وقت ينكشف فيه الغطاء و يجازى الخلاق على نسبة من أحوالهم في الاعتبار و التدبير^٦ و الخضوع لمن نصب بمجموع

(١ - ١) تكرر ما بين الرقيين في الأصل فقط (٢) من ظ و م ، وفي الأصل : تجلت (٣) من ظ و م ، وفي الأصل : يمدى (٤-٤) من ظ و م ، وفي الأصل : التساؤل (٥) من ظ و م ، وفي الأصل : واقع (٦) من ظ و م ، وفي الأصل : اما (٧ - ٧) من ظ و م ، وفي الأصل : منه شيء (٨) من ظ و م ، وفي الأصل : التدبير .

تلك الدلائل ، ويستشعر من تكرار الفصول ونجدد الحالات وإحياء الأرض بعد موتها ، جرى ذلك في البعث واطراد الحكم ، وإليه الإشارة بقوله " كذلك نخرج الموتى " وقال تعالى منها على ما ذكرناه " الم نجعل الأرض مهادا - إلى قوله - وجنات الفاها " فهذه المصنوعات المقصود بها الاعتبار كما قدم ، ثم ' قال تعالى " أن يوم الفصل كان ه ميقاتا " أى موعدا لجزائكم لو اعتبرتم بما ذكر لكم لعلمتم منه وقوعه و كونه يقع جزاؤكم على ما سلف منكم « فويل يومئذ للكاذبين ، ويشهد لهذا القصد بما بعد^١ من الآيات قوله تعالى لما ذكر ما أعد للطاغين " أنهم كانوا لا يرجون حسابا وكذبوا بآياتنا كذبا وكل شيء احصيناه كتابا " ثم قال بعد " أن للمتقين مغازا حداثا و اعنابا " وقوله بعد " ذلك ١٠ اليوم الحق " و أما الحياة الدنيا فلعب و لهو و إن الدار الآخرة لهى الحيوان ، وقوله بعد " يوم ينظر المرء ما قدمت يداه و يقول الكافر يا ليتنى كنت ترابا " انتهى . و لما كان [الأمر -^٢] من العظمة فى هذا الحد قال مؤكدا لأن ما اختلفوا فيه و سألوا عنه ليس موضعا للاختلاف و التساؤل بأداة الردع ، فقال تهديدا لهم و توكيدا لوعيدهم : ﴿ كلا ﴾ ١٥ أى ليس ما سألوا عنه و اختلفوا فيه بموضع اختلاف أصلا . و لا يصح أن يطرقه ريب بوجه من الوجوه فليزجروا عن ذلك و ليرتدعوا قبل

(١) من ظ و م ، و فى الأصل « و » (٢) من ظ و م ، و فى الأصل : يعد .
(٣) زيد من ظ و م ، و حيثما لا تذكر نسخة « م » فهذا يعنى أنها مطموسة
فى ذلك المكان (٤) من ظ و م ، و فى الأصل : لبيان .

حلول ما لا قبل لهم به .

و لما كان كأنه قيل : فهل ' ينقطع ما هم فيه ؟ أجاب بقوله مهددا

حاذفا متعلق العلم للتهويل لأجل ذهاب النفس كل مذهب : ﴿ سيعلمون ٩ ﴾

أى يصلون / إلى حد يكون حالهم فيه فى ترك العناد حال العالم بكل

/ ٦٤٣

ما ينفعهم ويضرهم ، وهذا عن قريب بوعد لاخلف فيه^٢ ، ويكون لهم

حيثئذ عين اليقين الذى لا يستطيع دفاعه بعد علم اليقين الذى دافعه ،

وعظم رتبة هذا الردع و التهديد و الزجر و الوعيد بقوله : ﴿ ثم كلا ﴾

أى أن أمره فى ظهوره رادع عن الاختلاف^٣ فى أمره ﴿ سيعلمون ١٠ ﴾

أى بعد الموت بعد علمهم قبله ما يكون من أمره بوعد صادق لاشك

١٠ فيه ، و يصير حالهم إذ ذاك حال العالم فى كفهم عن العناد ، وهم بين

ذلول و ذليل و حقير و جليل ، فأما من اخترناه منهم للإيمان فيكون

ذلولاً ، و من أردنا شقاءه بالكفران فتراه ناكساً ذليلاً ، و يشترك

الكل بالذوق فى حق اليقين ، و [قد - ٩] كان هذا كما قال الجليل

بعد زمن قليل . عند ما أوقعتهم أيام الله و أرغمت منهم الأنوف^٤ و أذلت

١٥ الجباه ، و قراءة^٥ ابن عامر على ما قيل عنه بتاء الخطاب أعظم فى^٦ الوعيد

و أدل على^٨ الاستعطاف للتاب .

(١) من م ، و فى الأصل و ظ : هل (٢) فى م : له (٣) من ظ و م ، و فى

الأصل : اختلاف (٤) ريد من ظ (٥) فى م : الأنف (٦) من ظ و م ، و فى

الأصل : قرأ (٧) من ظ و م ، و فى الأصل : من (٨) من ظ و م ، و فى

الأصل : و

و لما حقق^١ لهم أمره تحقيق من هو على غاية الوثوق بما يقول ،
 دل على ذلك بما لا يحتمل شكاً ولا وقفة أصلاً ، فقال مقرراً لهم و منكراً
 عليهم التساؤل [بما ندب إليه من التأمل و قرر به من النظر في باهر
 آياته و غرائب مخلوقاته التي أبدعها -^٢] من العدم دلالة تامة عظيمة على
 كمال القدرة مع تمام الحكمة الموجب للقطع بكل ما نهت عليه الرسل ه
 من الشرائع و البعث و الجزاء بادئاً بما هم [له -^٣] أشد ملابسة و هو
 الظرف : (الم نجعل) أى بما لنا من العظمة (الارض مهداة) أى
 فراشا لكم موطناً مذللاً يمكن الاستقرار عليه لتصرفوا فيها كيف شئتم
 (و الجبال) أى تعرفون شدتها و عظمتها و عجزمكم عن أقل شيء من
 أمورها (أو تادوا) تثبتها كما أن البيت لا يثبت إلا بأوتاده ، قال الأفوه ١٠
 الأودى :

و البيت لا يبنى إلا له عمد و لا عماد إذا لم ترس أوتاد
 و ذلك لثباته [بكم -^٢] فانها معلقة على فضاء العلم بمسكة بيد القدرة ،
 فلولا الجبال لعظم ثقلها لأنها بمنزلة السفينة العالية الفارغة على متن البحر
 فهي في غاية الحركة لا سيما إذا عظمت الريح فانها حينئذ لا يستقر عليها ١٥
 قائم و لا يثبت قاعد و لا نائم ، فالجبال بمنزلة الأمتعة الثقيلة التي تنزلها في
 الماء^١ فنحفظ عن كثرة القلب فكيف يصح بوجه أن يتوقف في إخبار

(١) من ظ ، وفي الأصل : احمق ، وفي م : حق (٢) زيد من ظ (م) زيد من
 ظ و م (هـ) من ظ و م ، وفي الأصل : لأنها (هـ) من ظ و م ، وفي الأصل :
 قائم (٦-٦) من ظ و م ، وفي الأصل : فنحفظها من .

من هذه قدرته لاسيما إذا كان ذلك المخبر به مما ركز سبحانه أمره في
الفطر الأولى وقرر صحته في العقول التقرير الأوضح الأجل .

ولما ذكر بما في الظرف الذي هو فرشهم من الدلالة على تمام
القدرة، أتبعه التذكير بما في المظروف وهو أنفسهم لتجتمع آيات الانفس
هـ و الآفاق فيتبين لهم أنه الحق فقال : ﴿ وخلقنكم ﴾ أى بما دل على
ذلك من مظاهر العظمة ﴿ ازواجاً ﴾ طوالاً وقصاراً وحساناً ودماماً
وذكرانا وإنانا لجميع أصنافكم على تباعد / أقطاركم وتناثى دياركم لتدوم
أنواعكم إلى الوقت الذى يكون فيه انقطاعكم^٢ .

/ ٦٤٤

ولما ذكر ما هو سبب إبقاء النوع ، ذكر ما هو سبب لحفظه^٢
١٠ من إسراع الفساد فقال : ﴿ وجعلنا ﴾ أى بما لنا من العظمة ﴿ نومكم ﴾
الذى ركبنا البدن على قبوله ﴿ سباتاً ﴾ [أى -^١] قطعاً عن الإحساس
والحركة التى أتعبتكم فى نهاركم مع^٥ الامتداد والاسترسال إراحة للقوى
الحيوانية والحواس الجثمانية^٦ وإزاحة لكلاهما^٧ مع أنه قاطع لكمال الحياة ،
فهو مذكر^٨ بالموتة الكبرى^٩ والاستيقاظ مذكر بالبعث ، قال الزجاج^٩ :
١٥ السبات أن ينقطع عن الحركة والروح فيه .

(١) زيد فى الأصل : القدرة ، ولم تكن الزيادة فى ظ و م لحذفناها (٢) من
ظ و م ، وفى الأصل : انفطاركم (٣) من ظ و م ، وفى الأصل : حفظه .
(٤) زيد من ظ و م (٥) من ظ و م ، وفى الأصل : من (٦) من ظ و م ، وفى
الأصل : الجثمانية (٧) من ظ و م ، وفى الأصل : لكلاهما (٨-٨) من ظ و م ،
وفى الأصل : بالموت الكبير (٩) راجع المعالم ١٦٦/٧ .

ولما ذكر النوم، اتبعه وقته الآليق به مذكرا بنعمة الظرف الزمانى
بعد التذكير بالظرف المكاني، فقال دالا بمظهر العظمة على عظمه:
(وجعلنا آيل) أى بعد ذهاب الضياء حتى كأنه لم يكن (لباسا) أى
غطاه وغشاه ساترا بظلمته^٢ ما أتى عليه عن العيون كما يستره اللباس
لتسكنوا فيه عن المعاش (وجعلنا النهار) أى الذى آتته الشمس ه
(معاشا) أى وقتا للتقلب الذى هو من أسباب التحصيل الذى هو
من أسباب المعاش، وهو العيش وقته وموضعه، ومظهرها لما استره الليل،
فالأية من الاحتباك: ذكر اللباس أولا دليلا على حذف ضده ثانيا،
والمعاش ثانيا دليلا على حذف ضده أولا .

ولما ذكر المهاد وما فيه، أتبعه السقف الذى بدورانه يكون الوقت ١٠
الزمانى وما يحويه من القناديل الزاهرة والمنافع الظاهرة لإحياء المهاد
ومن فيه من العباد فقال: (وبنينا) أى بناء عظيما (فوقكم) أى عاما
لجميع جهة الفوق، وهى عبارة تدل على الإحاطة (سبعا) أى من
السموات (شدادا) أى هى فى غاية القوة والإحكام، لاصدع فيها
ولا فتق، لا يؤثر فيها كالعصور ولا مر الدهور، حتى يأتى أمر الله باظهار ١٥
عظائم^٣ المقدور .

ولما ذكر السقف، ذكر [بعض -^٤] ما فيه [من أمهات المنافع -^٥]
فقال دالا بمظهر العظمة على عظمها: (وجعلنا) أى مما لا يقدر عليه غيرنا

(١) فى الأصل بياض ملأناه من ظ و م (٢) زيدت الواو فى الأصل ولم تكن
فى ظ و م فخذناها (٣) من ظ و م، وفى الأصل: عظام (٤) زيد من ظ و م .

﴿سراجا﴾ أى نجما منيرا جدا ﴿وهاجا سلا﴾ أى هو مع تلالؤه وشدة ضيائه حار مضطرم الانتقاد وهو الشمس، من قولهم: وهج الجوهر: تلالأ، والجمر: اتقد.

ولما ذكر ما يمحى الرطوبة بحرارته، أتبعه ما يطفى الحرارة برطوبته
 ٥ وبرودته فبنشأ عنه المأكل والمشرب، التى بها^١ تمام الحياة ويكون تولدها من الظرف بالمهاد والسقف، وجعل ذلك أشبه شئ بما يتولد^٢ بين الزوجين من الأولاد، فالسما كالزوج والارض كالمرأة، والماء كالنوى، والنبات من النجم [والشجر -^٣] كالأولاد فقال^٤: ﴿وانزلنا﴾ أى بما يعجز غيرنا ﴿من المعصرات﴾ أى السحاب التى أثقلت بالماء فشرفت^٥ أن يعصرها الرياح فتطر كما حصد الزرع - إذا حان له أن يحصد، قال الفراء:
 المعصر^٦: السحابة التى تتحل بالمطر ولا تملطر كالمرأة المعصرة / وهى التى دنا حيضها ولم تحض، [و -^٧] قال الرازى: السحاب التى دنت أن تملطر كالمعصرة التى دنت من الحيض ﴿ماء ثجاجا سلا﴾ أى منصبا بكثرة يتبع بعضه بعضا، يقال: نجه ونجج بنفسه.

/ ٦٤٥

١٥ ولما ذكر بدايته، أتبعها^٨ نهايته فقال: ﴿انخرج﴾ أى بعظمتنا التى ربطنا بها المسببات بالأسباب ﴿به﴾ أى الماء [تسييا -^٩] ﴿جبا﴾

(١ - ١) من ظ و م، وفى الأصل: الذى (٢) من ظ و م، وفى الأصل: تولد (٣) زيد من ظ و م (٤) سقط من ظ (٥) من ظ و م، وفى الأصل: تشاوقت (٦) راجع البحر المحيط ٤٠٩/٨ من ظ و م، وفى الأصل: المعصرات (٨) من ظ و م، وفى الأصل: واتبعه.

أى بجما ذاحب هو مقصوده لأنه يقتاتة العباد، صرح به لأنه المقصود
وبدأ به لأنه القوت الذى به البقاء كالحنطة والشعير وغيرهما (و نباتا لا)
يتفكهون ويتزهون فيه وتعلقه البهائم. ولما كان من المشاهد
الذى لايسوغ إنكاره أن فى الأرض من البساتين ما يفوت الحصر،
عبر بجمع^٢ القلة تحقيرا له بالنسبة إلى باهر العظمة و نافذ الكلمة فقال : ه
(و جئت) أى بساتين نجمع أنواع الأشجار و النبات^٣ المقتات وغيره
(الفاطاه) أى ملتفة الأشجار مجتمعة بعضها إلى بعض من شدة الرى،
جمع لف كجذع^٤، قال البغوى^٥ : وقيل : هو جمع الجمع، يقال : جنة
لفاء، وجمعها لف - بضم اللام، و جمع الجمع ألاف . و تضمن هذا
الذى ذكره المياه النابعة الجارية و الواقعة، فاكفى بذكره عن ذكرها، ١٠
قال مقاتل : و كل من هذا الذى ذكر أعجب من البعث .

ولما^٦ ذكر^٧ ما دل^٨ على غاية القدرة و نهاية الحكمة فدل قطعا على
الوحدانية لأنه لو كان التعدد لم تكن الحكمة و لم تتم القدرة، فأثمر المحبة لمن
اتصف بذلك، فأتج للطائع الشوق إلى لقائه و الترامى إلى مطالعة كمال
نعمائه، وللعاصى ما هو حقيق به من الخوف من لقائه ليرده [ذلك -^٩] ١٥

-
- (١) من ظ و م، وفى الأصل : يعلفه (٢) من ظ و م، وفى الأصل : بجميع .
(٣) زيدت الواو فى الأصل و لم تكن فى ظ و م فحذفناها (٤) من ظ و م،
وفى الأصل : كززع (٥) فى معالم التنزيل ١٦٧/٧ (٦) زيد فى الأصل : كان ما،
و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٧ - ٧) من ظ و م، وفى الأصل :
دلالة (٨) زيد من ظ و م .

عن إعراضه وإيائه ، أتبعه ما أعلم انه ما ذكره إلا للدلالة على النبا العظيم في لقاء العزيز الرحيم ؛ فقال متجها عما مضى من الوعيد وما دل على تمام القدرة مؤكدا لأجل إنكارهم : ﴿ ان يوم الفصل ﴾ [أى - ١] الذى هو النبا العظيم ، و تقدم الإنذار به فى المرسلات وما خلق الخلق إلا لجمعهم^٢ فيه وإظهار صفات الكمال ليفصل فيه^٣ بين كل ملابس فضلا لا شبهة فيه ويؤخذ للظلم من الظالم ﴿ كان ﴾ أى فى علم الله وحكمته كونا لا بد منه جعل فيه كاجلبة فى ذوى الأرواح ﴿ ميقاتا ١ ﴾ أى حدا يوقت به الدنيا وتنتهى عنده مع ما فيها من الخلائق .

ولما ذكره ، ذكر ما فيه تعظيما له وحثا على الطاعة فقال مبدلا منه ١٠ أو مبينا له : ﴿ يوم ﴾ ولما كان الهائل المفزع النفخ ، لا كونه من معين ، بنى للفعول قوله : ﴿ ينفخ ﴾ أى من نافخ أذن الله له ﴿ فى الصور ﴾ وهو قرن من نور على ما قيل سعه أعظم مما بين السماء والأرض ، وهى نفخة البعث وهى الثانية من النفخات الأربع كما مر فى آخر الزمر^٤ ، ولذلك قال : ﴿ قاتون ﴾ أى بعد القيام من القبور إلى الموقف ١٥ أحياء كما كنتم أول مرة لا تفقدون من أعضائكم وجلودكم وأشعاركم وأظفاركم^٥ والوانكم الأصلية شيئا يجمعكم من الأرض بعد أن تمزقتم

/ ٦٤٦

(١) زيد من ظ و م (٢) من ظ و م ، وفى الأصل : لجمعهم (٣) من م ، وفى الأصل و ظ : به (٤) من ظ و م ، وفى الأصل : اذل (٥-٥) من ظ و م ، وفى الأصل : على ما مر فى سورة الزمر فى آخرها (٦) من م ، وفى الأصل و ظ : موقف (٧) زيد فى الأصل : وإطلائكم ، ولم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها .

فيها، واختلط تراب من بلى منكم بترابها وتراب بعضكم ببعض، وتميز ذلك وجمعه وتركيبه كما كان وإعادة الروح فيه يسير عليه سبحانه وتعالى كما فعل ذلك كله من نقطة بعد أن فعله في آدم عليه السلام من تراب لا أصل له في الحياة، حال كونكم ﴿افواجاً﴾ أى أما وزمرا وجماعات مشاة مسرعين كل أمة بامامها، روى الثعلبي وابن مردويه عن البراء^١ رضى الله عنهم - وقال شيخنا ابن حجر في ترجمة محمد ابن زهير في لسان الميزان^٢: إنه ظاهر الوضع - أن معاذاً رضى الله عنه سأل عن هذه الأفواج فقال النبي^٣ صلى الله عليه وسلم: إن أمتي تحشر على عشرة أصناف: على صور^٤ القردة، وعلى صور^٥ الخنازير، وبعض منكسون يسحبون على وجوههم، وبعض عمى وبعض صم^٦ بكم، وبعض^٧ يعضفون ألسنتهم، فهمى مدلاة على صدورهم يسيل القيح من أفواههم يتقدم أهل الجمع، وبعض منقطعة^٨ أيديهم وأرجلهم، وبعض مصلوبون^٩ على جذوع من نار، وبعض أشد تناسل الجيف، وبعض ملبسون جبابا [سابقة - ^{١٠}] من قطران لازقة بجلودهم،^{١١} فرم بالقتات^{١٢} وآكل السحت وأكلة الربا والجأرين^{١٣} في الحكم والمعجيين بأعمالهم والعلماء^{١٤}

(١) من ظ وم، وفي الأصل: البزار (٢) راجع ١٧٠/٧ (٣) من ظ وم، وفي الأصل: قال (٤) من ظ وم، وفي الأصل: صورة (٥) زيدت الواو في الأصل ولم تكن في ظ وم لحذفها (٦) من ظ وم، وفي الأصل: منقطع. (٧) من ظ وم، وفي الأصل: مصلوبون (٨) زيد من ظ وم (٩ - ١) من ظ وم، وفي الأصل: فسر بالقينات (١٠) من ظ وم، وفي الأصل: الجبارين.

الذين يخالف 'قولهم فعلهم' و المؤذين للجيران و الساعين بالناس
 للسلطان، و التابعين للشهوات المانعين حق الله تعالى و المتكبرين خيلاء .
 ولما ذكر الآية في أنفسهم ذكر ^٢ بعض آيات ^٢ الآفاو ، و بدأ
 بالعلوى لأنه أشرف فقال باننا للفعول لأن ^٢ المفرع مطلق التفتيح،
 ه ولأن ذلك أدل على قدرة الفاعل و هو ان الأمور عليه : ﴿ وفتحت السماء ﴾
 أى شقق هذا الجنس تشقيقا كبيرا ، و قرأ الكوفيون بالتخفيف لأن
 التكثير * يدل عليه ما سيب عن الفتح من قوله : ﴿ فكانت ﴾ أى
 [كأها - ^١] كينونة كأنها جلة لها ﴿ابوابا لا ﴾ أى كثيرة جدا لكثرة
 الشقوق الكبيرة ^٥ بحيث صارت كأنها لاحقيقة لها إلا الأبواب .

١٠ ولما ذكر السقف، ذكر أقرب الارض إليه و أشدها، فقال على
 طريقة كلام القادرين أيضا : ﴿ وسيرت ﴾ أى حملت بأيسر أمر على
 السير ﴿ الجبال ﴾ على ما تعلمون من صلابتها و صعوبتها فى الهواء كأنها
 الهباء المنثور، و على ذلك دل قوله : ﴿ فكانت ﴾ أى كينونة راسخة
 ﴿مراباه ﴾ أى لا نرى فيها إلا خيالا يترامى ^٤ و هى سائرة تمر مر السحاب
 ١٥ ثم تخفى لتناثر أجزائها كالهباء - يا لها من عظمة تجب لها القلوب
 و تتعظم / الكروب

/ ٦٤٧

(١-١) من ظ و م ، وفى الأصل : فعلهم قولهم (٢-٢) من ظ و م ، وفى
 الأصل : الآيات (٣) من ظ و م ، وفى الأصل : لأنه (٤) من ظ و م ، وفى
 الأصل : أهون (٥) من ظ و م ، وفى الأصل : النكر (٦) زيد من ظ و م .
 (٧) من ظ ، وفى الأصل و م : الكثيرة (٨-٨) فى ظ و م : هو سائرهم .

ولما

ولما بين ان يوم الفصل هو النبأ العظيم بعد ان دل عليه و ذكر ما فيه من المسير ، ذكر ما إليه من الدارين المصير ، فقال بعد التذكير بما في الجبال من العذاب بحزونها^١ وما فيها من السباع والحشرات والأشجار الشائكة والقواطع المتشابكة وغير ذلك من عجائب التقدير مؤكداً تكذيبهم : (ان جهنم) أى النار التى تلقى أصحابها متجهمة لهم^٥ بقاية ما يكرهون (كانت) أى^٢ جلة و^٣ خلقاً (مرصداً) أى موضع رصد^٤ لأعداء الله ترصدهم فيها خزنة النار ، فاذا رأوهم كرسوهم فيها ،^٥ ولأولياء الله ترصدهم فيها خزنة الجنة لإنجائهم^٦ من النار^٧ عند ورودها أو هى راصدة بليغة الرصد للكفار حتى صارت مجسدة^٨ من الرصد^٩ لتجمع أصحابها فلا يفوت منهم واحد كالمطعان لكثير الطغن ، والمكثار^{١٠} للبالغ^{١١} فى الإكثار ، وعن ابن عباس رضى الله عنهما أن على جسر جهنم سبعة^{١٢} محابس يستل عند^{١٣} أولها عن شهادة أن لا إله إلا الله ، فان جاء بها تامة جاز إلى [الثانى فيستل عن الصلاة ، فان جاء بها تامة جاز إلى الثالث

(١) من ظ و م ، وفى الأصل : بحزونها (٢) زيد فى الأصل : لانكارهم معجبا ، ولم تكن الزيادة فى ظ و م لحذفها (٣) سقط من ظ و م (٤) تكررى الأصل فقط (٥-٥) من م ، وفى الأصل وظ : اما اولياء الله فان الجنة ترصدهم . (٦-٦) فى ظ و م : منها (٧-٧) من ظ و م ، وفى الأصل : للرصد (٨) من ظ و م ، وفى الأصل : الكثير المبالغ (٩) زيد فى الأصل : انتهى ، ولم تكن الزيادة فى ظ و م لحذفها (١٠) من ظ ، وفى الأصل و م : سبع (١١) من ظ و م ، وفى الأصل : على .

فيستل عن الزكاة فان جاء بها تامة جاز إلى -١ [الرابع فيستل عن الصوم، فان جاء به تامة جاز إلى الخامس فيستل عن الحج، فان جاء به تامة جاز إلى السادس فيستل عن [العمرة فان جاء بها تامة جاز إلى السابع فيسأل عن -٢] المظالم، فان خرج منها وإلا قيل : انظروا فان كان له تطوع
 ٥ تكمل به أعماله . فاذا فرغ انطلق به إلى الجنة .

ولما كان درء المفسد أولى من جلب المصالح، قدم ذكر المخوف فقال : (للظنين) أى المجاوزين ^٢ لحدود الله ^٣ (ما بال) أى مرجما ومأوى بعد أن كان الله ذراهم لها فكأنهم كانوا فيها ثم هيام للخروج منها والبعد عنها بفطرم الأولى، ثم بما ازل الله من الكتب و^٤ أرسل من الرسل^٥ فكانه بذلك أخرجهم منها، ثم رجعوا إليها بما أحدثوا من التكذيب .

ولما ^٦ ذكر مصيرهم إليها ذكر ^٧ إقامتهم فيها فقال حالا من ضمير " الطاعين " : (لبثين فيها) ولما كان جمع القلة يستعار للكثرة فكان الحقب يطلق على الزمان من غير حد، ويطلق على زمان محدود، ف قيل
 ١٥ على ثمانين سنة، وعلى سبعين ألف سنة، فكان السياق من تصدير السورة بالبناء وبوصفه مع التعبير بالنبا العظيم^٨ وما بعد ذلك يفهم أن المراد

(١) زيد من ظ و م (٢) زيد من ظ (٣-٣) من ظ و م، وفي الأصل : الحدود.
 (٤) من ظ و م، وفي الأصل : لها (٥-٥) من ظ و م، وفي الأصل : الرسل
 الدين أرسلها (٦) من ظ و م، وفي الأصل : ثم (٧) من ظ و م، وفي
 الأصل : ذاكر (٨) من ظ و م، وفي الأصل : لكثرة (٩) في م : بالعظيم .

الدوام إن أريد ما لا حد له و أن المراد إن أريد المحدود جمع السكثرة،
 وأكثر ما فسر به^١ الحقب، وأنه للبالغة^٢ لا التحديد، كان جمع القلة هنا
 غير مشكل، فمن حمله على ما دون ذلك فكفاه زاجرا لم يضره التعبير
 [به-^٣]، ومن اجتراً عليه واستهان به كان فتنة له كما كان حصر
 عدد الحزنة للنار بتسعة عشر^٤ فلم يضر إلا نفسه، فلذلك عبر عن ظرف ه
 البث بقوله^٥: ﴿احقأبا ٥﴾ أى دهورا عظيمة متتابعة لا انقضاء لها
 على أن التعبير به - ولو حمل على الأقل وجعل متقنيا - لا ينافي
 ما صرح فيه بالخلود لانه أثبت شيئا ولم ينف ما فوه، وعن الحسن^٦ أنه
 [قال-^٧]: لا يكاد يذكر الحقب إلا حيث يراد تتابع الأزمنة / وتواليها / ٦٤٧
 من غير انقضاء . ١٠

ولما كان المسكر لا يصلح إلا بالاعتدال والماء الذى هو حياة كل
 شئ، قال ذاكرنا حال هذا البث: ﴿لا يذوقون﴾ أى ساعة ما^٨ فكيف
 بما فوق الذوق ﴿فيها﴾ أى النار خاصة، وكأنه أشار بتقديمه^٩ إلى أنهم
 يذوقون فى دار أخرى الزمهير ﴿بردا﴾ أى روحا وراحة لنفهم
 من الحر أو مطلق البرد ﴿ولا شرابا ١٠﴾ من ماء أو غيره يغنيهم من العطش ١٥

-
- (١) من ظ و م ، وفى الأصل : فيه (٢) من ظ و م ، وفى الأصل : المبالغة .
 (٣) زيد من ظ و م (٤) من ظ و م ، وفى الأصل : تسعة عشر (٥) زيد فى
 الأصل : فيها ، ولم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٦) راجع العالم ١٦٧/٧ .
 (٧) زيد من ظ (٨) من ظ و م ، وفى الأصل : من الساعات (٩) من ظ
 و م ، وفى الأصل : تبغلية .

على حال من الأحوال ﴿ال﴾ 'حال كون ذلك الشراب ﴿حميا﴾ أى
ماء حارا يشوى الوجوه قد انتهى حره ﴿و﴾ 'حال كون ذلك الشراب
مع حرارته، أو البرد ﴿غساقا﴾ أى عصارة أهل النار من القيح
والصديد البارد المتن، فالاستثناء على هذا موزع الحميم من الشراب
٥ والغساق من البرد، فالحميم شرابهم فى دولة السعير، والغساق فى
دولة الزمهير .

ولما حكم عليهم بهذا العذاب [الذى لا يطاق، ذكر حكته - ٣]
قال: أنه جزاءهم بذلك ﴿جزاء وفاقا﴾ أى ذا وفاق لآعمالهم^١ لأنهم
كانوا يأخذون أموال الناس فيحرقون صدورهم عليها و يردون بها الشراب
١٠ ويصفونه و يخرونه، فهم يحرقون الآن بعصارة غيرهم المنتنة، وكأنهم
بعد الأحقاب - إن جعلت منقضية - يدلون عذابا غير الحميم والغساق،
ثم [علل - ٣] عذابهم بقوله، مؤكدا تنبيها على أن الحساب من الوضوح
بحالة^٢ يصدق به^٣ كل أحد، فلا يكاد يصدق أن أحدا يكذب به فلا
يحوزه فقال: ﴿انهم كانوا﴾ أى بما هو لهم كالجلبة التى لا تقبل غير
١٥ ذلك فهم يفسدون القوى العلية بأنهم ﴿لا يرجون﴾ أى فى حال من
الأحوال ولو رأوا كل آية ﴿حسابا﴾ فهم لا يعملون^٤ بغير الشهوات،

(١) زيد فى الأصل : أى ، ولم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٢) سقط
من ظ (٣) زيد من ظ و م (٤) زيد فى الأصل : نخبرا ، ولم تكن الزيادة فى
ظ و م فحذفناها (٥) من ظ و م ، وفى الأصل : جازاهم (٦) من ظ ،
وفى الأصل وم : اعمالم (٧-٧) من ظ و م ، وفى الأصل : يصدق فيه (٨) من
ظ و م ، وفى الأصل : لا يعملون .

فوافق هذا خلودهم في النار، و عبر عن تكذيبهم بنفي الرجاء لأنه أبلغ،
وذلك لأن الإنسان يطمع في الخير بأدنى احتمال .

ولما دلّ انتفاء رجائهم على تكذيبهم المفسد للقوة العلمية، صرح
به على وجه أعم فقال: ﴿ وكذبوا بآياتنا ﴾ أى على ما لها من العظمة
الدالة أنها من عندنا ﴿ كذابا ﴾ أى تكذبا هو في غاية المبالغة بحيث ه
لو سمعوا أكذب الكذب ما كذبوا به^١ كما كذبوا بها، فكان^٢ تجريعهم لما
لا يصح^٣ أن يشربه أحد^٤ - وإن جرع منه [شيئا -^٥] مات في
الحال من غير موت - لهم جزاء على تكذيبهم بالحوارق التي يجرعون
بها الصادقين أنواع "الحرق، وقرئ" بالتخفيف للدلالة على أنهم كذبوا
في تكذيبهم .

١٠

ولما كان التقدير: فكل شيء جعلناه وزانا، عطف عليه قوله:
﴿ وكل شيء ﴾ أى مطلقا من أعمالهم وغيرها أو كل ما يقع عليه الحساب

-
- (١) من ظ و م ، وفي الأصل : احتماله (٢) من م ، وفي الأصل وظ ادلت .
(٣) من ظ و م ، وفي الأصل : ابدال (٤) من ظ و م ، وفي الأصل : على .
(٥) من ظ و م ، وفي الأصل : اكسد (٦) من ظ و م : وفي الأصل : بها .
(٧) زيد في الأصل : فكان تقر منهن بما لا يوصف و : ولم تكن الزيادة في ظ
وم مخذفتاها (٨) من ظ و م ، وفي الأصل : لا يوصف أيضا (٩) زيد في
الأصل : ويجزج منه ، ولم تكن الزيادة في ظ و م مخذفتاها (١٠) زيد من
ظ و م (١١-١١) من ظ و م ، وفي الأصل : الحرب و فرا .

(أحصينه) ولما كان الإحصاء موافقا للكتابة^١ في الضبط، أكد^٢ فعله بها فقال: ﴿كتباً﴾ فلا جاز أن نترك شيئاً من الأشياء بغير جزاء، ويمكن تنزيل الآية على الاحتباك وهو أحسن: دل^٣ فعل الإحصاء على حذف مصدره، وإثبات مصدر "كتب" عليه^٤ أى أحصيناه إحصاءً وكتبناه^٥ كتاباً، وذلك الإحصاء والكتب لعدم الظلم.

ولما ذكر عذابهم ووجه موافقته لجزائهم، سبب عن تكذيبهم ما يقال لهم بلسان الحال أو^٦ المقال إهانة وزيادة في الجزاء على طريق الالتفات المؤذن بشدة^٧ الحزى و^٨ الغضب عليهم^٩ وكال القدرة^{١٠} له سبحانه وتعالى^{١١} فقال، ويجوز أن يكون سبباً عن مقدر بعد "كتاباً" [نحو-^{١٢}]:
١٠ ليجازيهم على كل شيء منه، قاتلاً لهم^{١٣} على لسان^{١٤} الملائكة أو لسان الحال: ﴿فذوقوا﴾ أى من هذا العذاب في هذا الحال بسبب تكذيبكم بالحساب، وأكد ذوقهم في الاستقبال فقال: ﴿فلن نزيدكم﴾ أى شيئاً من الأشياء [في وقت من الأوقات -^{١٥}] ﴿الاعذابا﴾ فان داركم ليس بها إلا الجحيم كما أن الجنة ليس بها إلا النعيم، فأفهم هذا ان حصول^{١٦} شيء
١٥ لهم غير العذاب محال.

(١-١) من ظ و م ، وفي الأصل : بالضبط (٢) زيد في الأصل : عليه أى على ، ولم تكن الزيادة في ظ و م لحذفها (٣) من ظ و م ، وفي الأصل : عليهم . (٤) من ظ و م ، وفي الأصل : كتبنا (٥) من ظ ، وفي الأصل و م «و» . (٦-٦) سقط ما بين الرقيين من ظ و م (٧) سقط من ظ و م (٨) زيد من ظ . (٩) زيد من ظ و م (١٠) تكرر في الأصل فقط .

ولما ذكر جزاء الكافرين وأشعر آخره بكونه إخزاء ، ذكر جزاء المؤمنين المخالفين لهم فقال مستأنفا مؤكدا لتكذيب الكافرين به :
 (ان للتقين) أى الراسخين فى الخوف المقتضى لاتخاذ الوقاية بما يخاف
 فوقوا أنفسهم من سخط الله بما يرضيه من الأعمال و الأقوال و الأحوال
 (مفازا^١) أى فوزا و موضع فوز و زمان فوز بالراحة الدائمة من ه
 جميع ما مضى ذكره للطاغين الذين هم أضدادهم ، وقد كشفوا أنفسهم
 للعذاب كل الكشف ، ثم فسره أو أبدل منه على حذف مضاف [أى فوز-^١] :
 (حدائق) أى بساتين فيها أنواع الأشجار ذوات الثمار و الرياحين
 لتجمع مع لذة المطعم لذة^٢ البصر و الشم^٢ ، قد أحدثت بها الجدران
 و حوطت بها ، قال ابن جرير^٣ : فان لم تكن بحيطان محدقة بها لم يقل لها ١٠
 حديقة . و خص أشجار العنب لطيبها و حسنها و شرفها و ما فيها من لذة
 الذوق ، و عبر عن أشجارها بشمرتها إعلاما بأنها لا توجد إلا موقرة حملا
 وأن ثمرتها هى [جل -^١] منفعتها فقال : (و اعتابا^٤) .

ولما ذكر المساكن النزهة المؤنقة المعجبة ، ذكر ما يتمتع به وهو جامع
 لالذاذ الحواس : البصر و اللبس و الذوق^٥ فقال : (و كواعب) أى ١٥
 نساء كعبت ثديهن (أربابا^٦) أى على سن واحد مامس جلد واحدة
 التراب قبل الأخرى ، بل لو كن مولودات لكانت ولادتهن فى ان واحد .

(١) زيد من ظ و م (٢-٢) من ظ و م ، وفى الأصل : الشم و البصر .
 (٣) راجع جامع البيان ١١/٢٩ (٤) زيد فى الأصل : و الشم ، و لم تكن الزيادة
 فى ظ و م فحذفناها .

ولما ذكر النساء ذكر الملائم لعشرتهن فقال: ﴿وكاسا﴾ [أى-^١]
من الخمر التى لا مثل لها فى لذة الذوق ظاهرا و باطنا و كمال السرور
وإنعاش^٢ القوى . ولما كانت العادة [جارية-^١] بأن الشراب الجيد
يكون قليلا ، دل على / كثرته دليلا على جودته بقوله: ﴿دهاقا﴾
/ ٦٤٩
هـ أى ممتلئة .

و لما كانت مجالس الخمر فى الدنيا ممتلئة بما ينقصها من اللغو والكذب
^٣ إلا عند من^٢ لا مروءة له فلا ينقصه القبيح ، قال نافيا عنها ما يكدر
لذة السمع: ﴿لا يسمعون فيها﴾ أى الجنة فى وقت ما ﴿لغوا﴾ أى لغطا
يستحق أن يلغى لانه ليس له معنى أعم من أن يكون مهملا ليس
١٠ له معنى أصلا ، أو مستعملا ليس له معنى موجود فى الخارج وإن قل ،
أوله معنى ولكنه لا يترتب [به-^٤] كبير فائدة . ولما اتقى الكذب
بهذه الطريقة ، [و-^١] كان التكذيب أذى للكذب ، فناه بقوله:
﴿ولا كذبا﴾ فان هذه الصيغة تقال على التكذيب [و مطلق
الكذب-^١] ، فصار المعنى: ولا أذى بمعارضة فى القول ، مع موافقة قراءة
١٥ الكسائى بالتخفيف فان معاها كذبا أو مكاذبة ، وشدد فى قراءة الجماعة
لرشافة اللفظ وموازية "اعتابا و آرابا" مع الإصابة لحاق المعنى من^٦
غير أدنى جور عن القصد ولا تكلف بوجه ما^٧ .

(١) زيد من ظ و م (٢) من ظ و م ، وفى الأصل: الفاظ (٣-٣) من ظ
و م ، وفى الأصل: من لا من (٤) من ظ و م ، وفى الأصل: نافعا .
(٥) زيد من ظ (٦) من ظ و م ، وفى الأصل: فى (٧) سقط من م .

ولما كان العطاء إذا كان على المعاوضة كان أطيّب لنفس الآخذ
قال: ﴿ جزاء ﴾ وبين أنه ما جعله جزاء لهم إلا إكراما للنبي صلى الله
عليه وسلم فانه سبحانه لا يجب عليه لأحد شيء لأن أحدا لا يمكنه أن
يوفي شكر نعمة من نعمه فان عمله من نعمه فقال: ﴿ من ربك ﴾ أى
المحسن إليك باكرام^١ امتك بأنواع الإكرام، وفي ﴿ عطاء ﴾ إشارة هـ
إلى ذلك وهو بذل من غير جزاء ﴿ حسابا لا ﴾ أى على قدر الكفاية
وإن فعل الإنسان منهم ما فعل وحسب جميع أنواع الحساب، من قولهم:
أعطاه فأحسبه - إذا تابع عليه العطاء وأكثره حتى جاوز^٢ العد وقال:
حسبي، لا يمكن أن يحتاج مع هذا العطاء وإن زاد فى الإيفاق، واختير
التعبير به دون " كافيا " مثلا لأنه أوقع فى النفس، فانه يقال: إذا كان ١٠
هذا الحساب فما الظن بالثواب .

ولما ذكر سبحانه سعة فضله، وصف نفسه الأقدس بما يدل على
عظمته زيادة فى شرف المخاطب صلى الله عليه وسلم لأن عظمة العبد
على حسب عظمة السيد، فقال مبدلا على قراءة الجماعة وقاطعا بالرفع على
المدح عند الحجازيين وأبى عمرو: ﴿ رب السموات والارض ﴾ أى ١٥
مبدعها ومديرهما ومالكهما ﴿ وما بينهما ﴾ ملكا وملكاً . ولما شمل^٣

(١-١) من م، وفى الأصل وظ: لأحد عليه (٢) من م، وفى الأصل وظ:
باكرم (٣) زيد فى الأصل: الحدو، ولم تكن الزيادة فى ظ وم لحذفها .
(٤) زيد فى الأصل: من، ولم تكن الزيادة فى ظ وم لحذفها .

ذلك العرش وما دونه^١، علله بقوله: ﴿الرحمن﴾ أى الذى له الإنعام العام الذى أدناه الإيجاد، وليس ذلك لأحد غيره، فإن الكل داخل فى ملكه وملكه، ولذلك قال دالا على الجبروت بعد صفة الرحمة: ﴿لا يملكون﴾. أى أهل السماوات والأرض ومن بين ذلك أصلا دائما فى وقت من الأوقات فى الدنيا ولا فى الآخرة لا فى يوم بعينه: ﴿منه﴾ أى العام النعمة خاصة ﴿خطابا﴾ أى أن يخاطبوه أو يخاطبوا غيره بكلمة فما فوقها فى أمرهم / فى غاية الاهتمام به بما أفاده التعبير بالخطاب، / ٦٥٠ فكيف بما دونه^٢ وإذا لم يملكوا ذلك منه فمن و الكل فى ملكه وملكه؟ وعدم ملكهم لأن يخاطبهم مفهوم موافقة، والحاصل أنهم لا يقدرّون على خطاب ما من ذوات أنفسهم كما هو شأن المالك. وأما غيره فقد يملكون أن يكرهوه^٣ على خطابهم وأن يخاطبوه بغير إذن من ذلك [الغير - ^٤] ولا رضى وبغير تملك منه لهم لأنه لا ملك له، وإذا كان هذا فى^٥ الخطاب فما ظنك بمن يدعى الوصال بالاتحاد^٦ - عليهم اللعنة ولهم سوء المآب، ما أجراًهم على الاتحاد! وقال الأستاذ أبو القاسم القشيري: كيف يكون للكون المخلوق والفقير المسكين مكتة تملك منه خطابا^٧ أو تنفس نفسا^٨ كلابل هو الله الواحد الجبار .

(١) من ظ و م، وفى الأصل: دونهما (٢) من ظ و م، وفى الأصل: دونهم (٣) من ظ و م، وفى الأصل: يكون (٤) زيد من م (٥) من ظ و م، وفى الأصل: من (٦) من ظ و م، وفى الأصل: باتحاد (٧-٧) من ظ و م، وفى الأصل: تنفس تنفسا (٨) من ظ و م، وفى الأصل: الواحد .

ولما كان هذا ربما افهم سد باب الشفاعة عنده سبحانه ، وكان الكلام إنما ينشأ من الروح ، وكان الملائكة أقرب شيء إلى الروحية ، أكد هذا المعنى مزجيلا ما^١ قد يوهمه في الشفاعة سواء قلنا : إن الروح هنا جنس أم^٢ لا ، فقال ذاكر اظرف ” لا يتكلمون “ : ﴿ يوم يقوم الروح ﴾ أى هذا الجنس أو خلق من خلق الله عظيم الشأن جدا ، قيل : هو ه الملك^٣ الموكل بالآرواح أو جبرئيل عليه السلام ، أو القرآن المشار إليه بمثل قوله تعالى ” تنزل الملائكة والروح [من أمره -^٤] “ ” وكذلك أوحينا إليك روحا من امرنا “ - قاله ابن زيد ﴿ والملائكة ﴾ أى كلهم ، ونبه بالاصطفاة على شدة الأمر فقال : ﴿ صفاءة ﴾ للقاء ما في ذلك اليوم من شدائد الأحوال و لحفظ الثقلين وهم في وسط دائرة صفهم ١٠ من الموج^٥ والاضطراب لعظيم ما هم فيه ، ثم زاد الأمر عظما بذكر العامل في لا يوم “ فقال : ﴿ لا يتكلمون ﴾ أى من تقدم كلهم بأجمعهم فيه بكلمة واحدة مطلق كلام خطابا كان أى في أمر عظيم أو لا ، لاله سبحانه ولالغيره أصلا و [لا -^٦] أحد منهم ، ويجوز أن يكون هذا حالا لهؤلاء الخواص فيكون الضمير لهم فغيرهم بطريق الأولى ١٥ ﴿ ” من اذن له ﴾ أى في الكلام إذنا خاصا ﴿ الرحمن ﴾ أى الملك الذى لا تكون نعمه على أحد من خلقه^٦ إلا منه ﴿ وقال صواباه ﴾ فان

(١) من ظ و م . وفى الأصل : بما (٢) ف و م : او (٣) - سقط من م .

(٤) زيد من ظ و م (٥) من ظ و م ، وفى الأصل : المدح (٦-٦) - سقط ما

بين الرئين من ظ و م

لم يحصل الأمر إن لم يقع الكلام من أحد منهم أصلاً ، وهذا كالدليل على آية الخطاب بأنه إذا كان الروح و القريب منه بهذه المثابة في حال كل من حضره كان أحوج ما يكون إلى الكلام فإلّا الظن بغيرهم ؟ وم في غيره كذلك بطريق الأولى وغيرهم فيه وفي غيره من باب الأولى ، وأما ه في الدنيا فانه وإن كان لا يتكلم أحد إلا بأذنه لكنه قد يتكلم بالخطأ .

و لما عظم ذلك اليوم بالسكوت خوفاً من ذى الجبروت ” وخشعت الأصوات للرحمن فلا تسمع الا همساً “ أشار / إليه بما يستحقه زيادة في عظمته فقال : ﴿ ذاك ﴾ أى المشار إليه لبعد مكاتته وعظم^٢ رتبته وعلو منزلته ﴿ اليوم الحق ج ﴾ أى فى اليومىة لكونه ثابتاً فى نفسه فلا بد من كونه ١٠ ولازوال له ثبوتاً لامرية فيه لعافل و ثابتاً^٢ كل ما^٢ أثبت و باطلا [كل ما -^٢] فاه . و لما قرر من عظمته ما يعجز غيره عن أن يقرر مثله ، وكان قد خلق القوى و القدر و الفعل بالاختيار . فكان من حق كل عاقل تدرع^٢ ما ينجى منه ، سبب عن ذلك تنبيها على الخلاص منه و حثا عليه قوله : ﴿ فن شاء ﴾ [أى -^٢] الاتخاذ من المكلفين الذين أذن لهم ١٥ ﴿ اتخذ ﴾ أى بغاية جهده ﴿ الى ربه ﴾ أى خالقه نفسه المحسن إليه أوجب ذلك اليوم باستعمال قواه التى أعطاه الله إياها فى الأعمال الصالحة ﴿ ما باه ﴾ أى مرجعاً هو المرجع بما يحصل له فيه الثواب بالإيمان و الطاعة ، فان الله جعل لهم قوة و اختياراً ، ولكن لا يقدر أحد منهم على مشيئة شىء

(١) من ظ و م ، وفى الأصل : ما (٢) من ظ و م ، وفى الأصل : عظيم .
(٣-٢) من ظ و م ، وفى الأصل : كما (٤) زيد من ظ و م (٥) من ظ و م ، وفى الأصل : تردع (٦) من ظ و م . وفى الأصل : بما .

إلا بمشيئة الله .

ولما قدم في هذه السورة من شرح هذا النبأ العظيم ما قدم من الحكم والمواعظ واللطائف والوعد والوعيد ، لخصه في قوله مؤكدا لما لهم من التكذيب : ﴿ اِنَّا ﴾ على ما لنا من العظمة ﴿ اندرناكم ﴾ أى أيها الأمة وخصوصا العرب بما مضى من هذه السورة وغيرها ﴿ عذابا ﴾ ٥ ولما كان لا بد من إتيانه وكونه سواء كان بالموت أو بالبعث ، وكان كل ما تحقق إتيانه أقرب شيء قال : ﴿ قريبا ﴾ .

ولما حذر منه ، عين وقته مشددا لتحويله [فقال - ١] : ﴿ يوم ينظر المرء ﴾ أى جنسه الصالح منه والطالح نظرا لامرية فيه ٢ ﴿ ما ﴾ أى الذى ﴿ قدمت ٣ يده ﴾ أى كسبه ٢ فى الدنيا من خير وشر ، وعبر بهما لأنها ١٠ محل القدرة فكفى بهما عنها ٢ مع ان أكثر ما يعمل كائن بهما مستقلتين به أو مشاركتين فيه خيرا كان ٢ أو شرا . ولما كان التقدير : فيقول المؤمن : ياليتنى قت قبل هذا ، عطف عليه قوله : ﴿ ويقول الكفر ﴾ أى العريق فى الكفر عند ما يرى من [تلك - ١] الأموال متمنيا محالا : ﴿ ياليتنى كنت ﴾ أى كونا لا بد منه ولا يزول ﴿ ترابا ﴾ أى فى الدنيا فلم أخلق ولم أكلف ، ١٥ أو ٦ فى هذا اليوم فلم أعذب ، والمراد به الجنس أو إبليس الذى تكبر

(١) زيد من ظ و م (٢) زيد فى الأصل : قال ، ولم تكن الزيادة فى ظ و م لخصناها (٣-٣) من ظ و م ، وفى الأصل : أى كسبته يده (٤) من ظ و م ، وفى الأصل : عنهما (٥) زيد فى الأصل : التقدير ، ولم تكن الزيادة فى ظ و م لخصناها (٦) من ظ و م ، وفى الأصل : أى .

عن السجود لآدم عليه السلام المخلوق من التراب، وعظم نفسه بالحسد والافتخار بكونه مخلوقا من نار، يقول ذلك عند ما يرى ما 'أعد الله' لآدم عليه السلام ولخواص^٢ بنيه من الكرامة 'من التعميم المقيم، ولهذا المتكبر على خالقه من العذاب الدائم الذي لا يزول'، وعن أبي هريرة ه و 'ابن عمر رضي الله عنهم ان الله تعالى يقتص^٣ يوم البعث للبهائم بعضها من بعض ثم يقول لها: كوني ترابا، فتكون، فيتمنى الكافر^٤ مثل ذلك'. فقد علم أن ذلك اليوم في غاية العظمة وأنه لا بد^٥ من كونه، فلم أن التساؤل عنه للتعجب من^٦ كونه من أعظم الجهل، فرجع آخرها على أولها، وانعطف / مفصلها أي انعطاف على موصولها، واتصل مع ذلك / ٦٥٢

١٠ بما بعدها أي اتصال، فال المشرف بالزعر على^٧ الموت يرى كثيرا من الأهوال والزلازل^٨ والأوجال، التي يرمى لأجلها أنه كان منقطعا عن الدنيا ليس له^٩ بها وصال يوما من الأيام ولا ليلة من الليال^{١٠} - والله الموفق للصواب وإليه المرجع والمآب^{١١}.

- (١-١) سقط ما بين الرقعين من ظ وم (٢) من ظ وم ، وفي الأصل : لخواصه .
 (٢-٣) سقط ما بين الرقعين من م (٤) من ظ وم ، وفي الأصل : عن (هـ) زيد في الأصل : يوم اقيامة ، ولم تكن الزيادة في ظ وم لحذفها (٦) من ظ وم ، وفي الأصل : اللعين (٧) زيد في الأصل : انتهى والله الهادي ، ولم تكن الزيادة في ظ وم لحذفها (٨) زيد في الأصل : منه ، ولم تكن الزيادة في ظ وم لحذفها .
 (٩) من ظ وم ، وفي الأصل : مع (١٠) من ظ وم ، وفي الأصل : عند .
 (١١) من ظ وم ، وفي الأصل : انزال (١٢) من ظ وم ، وفي الأصل : لها .

سورة النازعات^١ وتسمى الساهرة^٢ و الطامة

مقصودها بيان أواخر أمر الإنسان بالإقسام على بعث الأنام،
 و وقوع القيام يوم الزحام و زلزال الأقدام^٣، بعد البيان التام فيما مضى
 من هذه السور العظام، تنبيها على أنه وصل الأمر في الظهور إلى مقام
 ليس بعده مقام، و صور ذلك بنزع الأرواح بأيدي^٤ الملائكة الكرام، هـ
 ثم أمر فرعون اللعين و موسى عليه السلام، و اسمها النازعات واضح
 في ذلك المرام، إذا توكل القسم و جوابه المعلوم للأنمة الاعلام، وكذا
 الساهرة و الطامة إذا توكل السياق، و حصل التدبر في تقرير الوفاق
 ﴿بسم الله﴾ الظاهر الباطن الملك العلام ﴿الرحمن﴾ الذي عم بالإتمام
 ﴿الرحيم هـ﴾ الذي خص^٥ أهل ولايته^٦ بالتام، فاخصوا بالإكرام في ١٠
 دار السلام .

لما ذكر سبحانه يوم^٧ يقوم الروح و يتمنى الكافر العدم، أقسم أول
 هذه بنزع الأرواح على الوجه الذي ذكره أيدي الملائكة عليهم السلام

- (١) التاسعة والسبعون من سور القرآن الكريم، مكية، وعدد آياتها ست وأربعون.
 (٢) من ظ و م، وفي الأصل: الساهر (٣) في ظ: آخر (٤) زيد في الأصل:
 هو، ولم تكن الزيادة في ظ و م فخذناها (٥) من ظ و م، وفي الأصل: القيام .
 (٦) من ظ، وفي الأصل: و يتمنى الكافر يبد، وفي م: يبدى (٧ - ٨) من ظ
 و م، وفي الأصل: أولياؤه (٨) من ظ و م، وفي الأصل: حين .

على ما يتأثر عنه من البعث و ساقه على وجه التاكيد بالقسم لانهم به
مكذبون فقال تعالى: ﴿وَالنَّزْعَتِ﴾ أى من الملائكة - كما قال على وابن عباس
رضى الله عنهم - للأرواح و لانفسها من مراكرها^١ فى السماوات امثالاً^٢
للاوامر الإلهية ﴿غرقاً﴾ أى إغراقاً بقوة شديدة تغلغلا إلى أقصى
المراد من كل شيء من البدن حتى الشعر و الظفر و العظم كما يفرق
النازع فى القوس فيبلغ أقصى المدّ، و كان ذلك لنفوس^٣ الكفار
و العصاة كما ينزع السفود و هو الحديد المتشعبة المتعاكسة الشعب من
الصوف المبلول، و عم ابن جرير^٤ كما هى عادته فى كل ما يحتمله
اللفظ فقال: و الصواب أن يقال: إن الله تعالى لم يخصص، فكل
١٠ نازعة داخله فى قسمه - يعنى الاعتبار بما آتاها^٥ الله من القدرة على ذلك
النزع الدالة على تمام الحكمة و الاقتدار على ما يريد^٦ سبحانه.

ولما ذكر الشد مبتدئاً به لانه أهول، أتبعه / الرق فقال:
﴿وَالنَّشِطَتِ﴾ أى المخرجات برفق للأرواح أو لأجنحتها من محالها
﴿نشطاً﴾ أى رفقاً فلا تدع وإن كان رفيقاً بين الروح و الجسد تعلقاً
١٥ كما ينشط الشيء من العقال أى يحل من عروة كانت [عقدت -^٧]
على هيئة الانشودة، قال الفراء^٨ إنه سمع العرب يقولون: نشطت

(١) من ظ و م، وفى الأصل: مواكرها (٢) من ظ و م، وفى الأصل:
الامثالاً (٣) من ظ و م، وفى الأصل: النفوس (٤) راجع جامع البيان
١٦/٣. (٥) من م، وفى الأصل و ظ: آتاه (٦) فى ظ و م: يريد (٧) زيد
من ظ و م (٨) راجع العالم ٧ / ١٧٠.

العقال - إذا حمله، وانشطت - إذا عقدت بأنشطة^١ - انتهى، والنشط
أيضاً: الجذب والزرع، يقال: نشطت الدلو نشطاً - إذا نزعتها. وقال
الخليل: النشط والانشاط مدك الشيء إلى نفسك حتى ينحل، وكان هذا
لأرواح أهل الطاعة، وكذلك زرع النبات والإنشاء والإنباء لكل ما
يراد زعه أو نشطه، فالذى قدّر بعض عبيده على هذا الذى فيه تمييز ه
الأرواح من غيرها على ما لها من اللطافة وشدة الممازجة قادر على تمييز
جسد كل ذى^٢ روح من جسد غيره بعد أن صار كل تراباً واختلط
بتراب الآخر .

ولما ذكر نوعى السل بالشدة والرفق، ذكر فعلها في إقبالها إليه
ورجوعها عنه فقال: ﴿ والتَّسْبُحُ ﴾ [أى -^١] من الملائكة أيضاً ١٠
في الجو بعد التهيؤ للطيران إلى ما أمرهم الله به من أوامره من الروح
أو غيرها^٣ ﴿ سبحاه ﴾ هو في غاية السرعة لأنه لا عائق لها بل [قد -^١]
أقدها الله على النفوذ في كل شيء كما أقدر السابح في الماء والهواء،
ولذلك نسق عليه بالقاء^٤ قوله: ﴿ فَالتَّسْبُحُ ﴾ أى بعد السبح في
الطيران إلى ما أمروا به من غمس الأرواح في النعيم أو الجحيم أو غير ١٥
ذلك مما أمروا به في أسرع من اللح مع القدرة والغلبة لجميع ما يقع

(١) من ظ وم، وفي الأصل: بنشوة (٢) من ظ وم، وفي الأصل: حينئذ.
(٣-٣) من ظ وم، وفي الأصل: كل جسد ذوى (٤) زيد من ظ (ه) من ظ
وم، وفي الأصل: غيرهما (٦) زيد في الأصل: عليه، ولم تكن الزيادة في ظ
وم لحذفناها .

محاوكة (سبقاً لا) .

ولما بان بذلك حسن امتثالها للأوامر، بان به عظيم نظرها في
العواقب فدل على ذلك بالقاء في قوله : (فالمديرات) أى الناظرات
في أدبار^١ الأمور وعواقبها^٢ لإتقان ما أمروا به في الأرواح وغيرها
٥ (امراء) أى عظيمها ، ويصح أن يكون ذلك للشمس والقمر والكواكب
والرياح والحيل السابجة في الأرض والجو لمنفعة العباد وتدير أمورهم ،
وبعضها سابق لبعض ، وبه قال بعض المفسرين ، والجواب محذوف
إشارة إلى أنه من ظهور العلم به - بدلالة ما قبله وما بعده عليه - في حد
لا مزيد عليه ، فهو بحيث لا يحتاج إلى ذكره فحذفه كإثباته بالبرهان ،
١٠ فتقديره : لتذهبن بالدنيا التى أتم بها مقترنون لنزعنا لها من محالها وتقطع
أوصالها ، فإن كل ما تقدم من أعمال ملائكتنا هو من مقدمات ذلك
تكذيباً لقول الكفار " ما هى إلا حياتنا الدنيا نموت ونحى وما يهلكنا
إلا الدهر " المشار إليه بتساؤلهم عنها لأنه على وجه الاستهزاء والتكذيب
ولتقوم الساعة ؟ أو أنكم لمبعوثون بعد الموت وانتهاء هذه الدار ؟
١٥ ثم لمجازون بما عملتم بأسباب موجودة مهياة بين أظهركم دبرناها وأوجدناها
حين أوجبنا هذه الحياة الدنيا / وإن كنتم لاترونها كما أن هذه الأمور
التي أخبرناكم بها في نزع الأرواح والنبات والمنافع موجودة بين أظهركم

/ ٦٥٤

(١) من ظ و م ، وفى الأصل : عواقب (٢) من ظ و م ، وفى الأصل :
ادبارها (٣) من ظ و م ، وفى الأصل : او (٤) من م ، وفى الأصل : وظ
الا (٥) من م ، وفى الأصل : وظ : او .

والميت اقرب ما يكون منكم وهي تعمل أعمالها. والمحتضر اشد ما يكون صوتا وأعظمه حركة إذا هو قد خفت وحمد بعد ذلك الامر وسكت وامتدت أعضاؤه ومات، وذهب عنكم قهرا وفات الذي فأت كأنه قط ما كان، ولا تغلب في زمن من الأزمان، بتلك الاسباب التي تعمل أعمالها وتمد^٢ جالها وترسى^٣ أثقالها، وتلقى أهوالها وأوجالها،^٥ واتم لا رونها، فبإله العجب أن لا يردكم ذلك على كثرته عن أن تستبعدوا على قدرته تميز راب جسد من تراب جسد آخر.

و قال الإمام ابو جعفر بن الزبير : لما أوضحت سورة النبأ حال الكافر في قوله ” [يا - ١] ليتنى كنت ترابا “ عند نظره ما قدمت يداه، ومعاينته من العذاب عظيم ما براه. وبعد ذكر تفصيل أحوال و أهوال،^{١٠} أتبع ذلك ما قد كان حاله عليه في دنياه من استبعاد عودته في آخره، وذكر قرب ذلك عليه سبحانه كما قال في الموضع الآخر ” وهو أهون عليه “ و ذلك بالنظر إلينا ولما عهدناه، وإلا فليس عنده سبحانه شيء أهون من شيء. ” إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون “ فقال تعالى ” والنازعات غرقا “ الى قوله ” يقولون اتنا لمردودون في الحافرة “^{١٥} انذا كنا عظاما نخرة “ إذ يستبعدون ذلك ويستدفعونه ” فانما “ هي زجرة واحدة “ أى صيحة ” فاذا هم بالساهرة “ أى الارض قياما ينظرون

(١) زيد في الأصل : قد ، ولم تكن الزيادة في ظ و م لخدفتاها (٢) من ظ و م ، وفي الأصل : يمتد (٣) من ظ و م ، وفي الأصل : ترى (٤) زيد من ظ و م (٥) من م ، وفي الأصل : ظ : انما .

ما قدمت ايديهم و يتمنون ان لو كانوا ترابا ولا ينفعهم ذلك، ثم ذكر تعالى من قصة فرعون و طغيانه ما يناسب الحال^١ في قصص الاعتناظ والاعتبار، و لهذا أتبع القصه بقوله سبحانه "ان في ذلك لبرة لمن يخشى" - انتهى .

٥ و لما أقسم على القيام بتلك الافعال العظام التي ما أقدر اهلها عليها إلا الملك العلام، ذكر ما يكون فيه من الاعلام تهويلا لأمر الساعة لأن النفوس المحسوسات نزاعة، فلغائبات^٢ عندما منسية مضاعة^٣ فقال ناصبا الظرف بذلك المحذوف لأنه اشدة رضوحه كالملفوظ [به -^٤] :
(يوم رجف) أي تضطرب اضطرابا كبيرا مزججا (الراجفة^٥)
١٠ أي الصيحة، و هي النفخة الاولى التي هي بحيث يبلغ - من شدة إرجافها للقلوب^٦ و جميع الأشياء الساكنة^٧ من الأرض و الجبال إلى^٨ نزع النفوس من جميع [أهل -^٩] الأرض - مبلغا تستحق به ان توصف بالعراقة في الرجف^{١٠}، قال البغوي^{١١} : و أصل الرجفه الصوت و الحركة .

و لما ذكر الصيحة الاولى، أتبعها "الثانية حالا منها دلالة على قربها

(١) من ظ و م، وفي الأصل : لحال (٢) من ظ و م، وفي الأصل : الغايات .
(٣) من م، وفي الأصل و ظ : مضاعفة (٤) زيد من ظ (٥) من ظ و م،
وفي الأصل : القلوب (٦) زيد في الأصل : الجبال من، و لم تكن الزيادة في ظ و م فحذفناها (٧) من ظ و م، وفي الأصل : التي (٨) زيد من ظ و م .
(٩-٩) من ظ و م، وفي الأصل : بالرجف (١٠) راجع المعالم ١٧١/٧ (١١) من م، وفي الأصل و ظ : اتبعه .

قرباً معنويًا لتحقيق الوقوع. ولأن ذلك كله في [حكم-١] يوم واحد،
فصح بجيء الحال وإن بعد منه من زمن صاحبه فقال: ﴿تدبعها الرادفة^{هـ}﴾
/ أى الصيغة التابعة لها التى يقوم بها جميع الاموات وتجتمع الرفات،
وتضطرب من هولها الأرض والسموات، وتلك الجبال ويعظم
الزلزال. ويكون عنها التسيير^ز بعد المصير إلى الكشيب المهيل، و [نحو-١] هـ
ذلك من الأمر الشديد الطويل. قال حمزة الكرماني: روى [السدى-٢]
عن أبي هريرة رضى الله عنه أن الناس إذا ماتوا فى النفخة الأولى أمطر
عليهم ماء من^و تحت العرش يدعى ماء الحياة فينبئون منه كما ينبت
الزروع من الماء، حتى إذا استكملت اجسادهم^١ نفخ فيها الروح ثم يلقى
عليهم نومة^٢ فينبئهم فى قبورهم^٣ نفخ فى الصور^٤ ثانية فجلسوا وهم يحمدون ١٠
طعم النوم فى رؤسهم وأعينهم^٥.

ولما ذكر البعث، ذكر حال المكذب^٦ به لأن السياق له. فقال
مبتدأً بنكرة موصوفة: ﴿قلوب يومئذ﴾ أى إذ قام الخلائق بالصيحة
التابعة للأولى ﴿واجمعة^٧﴾ أى شديدة الاضطراب أجوافها خوفًا تكاد

-
- (١) زيد من ظ و م (٢) من ظ و م، وفى الأصل: تذل (٣) من ظ و م،
وفى الأصل: البسير (٤) زيد من م (هـ-هـ) من ظ و م، وفى الأصل: من ماء.
(٦) من ظ و م، وفى الأصل: احراورهم (٧) من ظ و م، وفى الأصل:
النوم (٨) زيد من الأصل: اذا، وم تكن الزيادة فى ظ و م لخدافها (٩) زيد
فى الأصل: نفخة. ولم تكن الزيادة فى ظ و م لخدافها (١٠) من ظ و م، وفى
الأصل: عينيه (١١) من ظ و م، وفى الأصل: المكذبين.

مخرج منها من شدة الوجيف . ولما وصفها بالاعصراب ، وكان قد يخفى
سببه لكونه قد يكون عند^١ السرور العظيم كما قد يكون عند الوجل
الشديد ، أخبر عنه بما يحقق معناه^٢ فقال : ﴿ ابصارها ﴾ أى أبصار اصحابها
فهو من^٣ الاستخدام ﴿ خاشعة ﴾ أى ذليلة ظاهر عليها الذل^٤ واضطراب
القلوب من سوء الحال ولذلك أضافها إليها .

ولما وصفها^٥ بالاضطراب والذل ، علله ليعرف منه ان من يقول
ضد قولهم يكون له ضد وصفهم من الثبات والسكون والعز الظاهر
فقال : ﴿ يقولون ﴾ أى فى الدنيا قولاً يحددونه كل وقت من غير خوف
ولا استحياء استهزاء وإنكاراً : ﴿ انا المرءودون ﴾ أى بعد الموت بمن
١٠ يتصف^٦ . ردنا كائنا من كان ﴿ فى الحافرة ﴾ أى فى الحياة التى كنا
فيها قبل الموت وهى حالتنا الأولى ، من قولهم : رجع فلان فى حافرته ،
أى^٧ طريقته التى جاء بها فخرها أى أثر فيها بمشيئه كما تؤثر الأقدام ،
والخوافر فى الطرق^٨ ، أطلق على المفعولة^٩ فاعلة مبالغة وذلك حقيقة^{١٠} ،
ثم قيل لمن كان فى أمر مخرج^{١١} منه ثم رجع إليه : رجع إلى^{١٢} حافرته ،

- (١) من ظ و م ، وفى الأصل : ضد (٢) من ظ و م ، وفى الأصل : بمعناه .
(٣-٣) من ظ و م ، وفى الأصل : فهو (٤) زيد فى الأصل : الاضطراب
واما ، ولم تكن الزيادة فى ظ و م لحذفها (٥) من ظ و م ، وفى الأصل :
وصفهم (٦) من ظ و م ، وفى الأصل : اتصف (٧) زيد فى الأصل وظ : فى ،
ولم تكن الزيادة فى م لحذفها (٨) من ظ و م ، وفى الأصل : بطريق .
(٩) من ظ و م ، وفى الأصل : المفعول (١٠) من ظ و م ، وفى الأصل : حقيقة
(١١) من م ، وفى الأصل وظ : مخرج (١٢) من ظ و م ، وفى الأصل : فى .

وقيل : الحافرة الأرض التي هي محل الخوافر .

ولما وصف قلوبهم بهذا الإنكار الذي ينبغي لصاحبه أن يذوب
[منه -] خجلاً إذا فرط منه مرة واحدة ، وأشار إلى شدة وقاحتهم
بتكريره^٢ ، أتبعه التصريح بتكريرهم له على وجه مشير^٣ إلى العلة الحاملة لهم
على قوله . وهو قولهم : ﴿ إذا كنا ﴾ أي كونا صار جبلة لنا ﴿ عظاما نخرة ﴾^٤ ٥
أي هي في غاية الانتخار حتى تفتت ، فكان الانتخار وهو البلى والتفتت
والتمزق كأنه طبع لها طبع عليه ، وهي أصلب البدن فكيف بما عداها
من الجسم ، وعلى قراءة " ناخرة " المعنى أنها خلا ما فيها فصار الهواء
ينخر فيها أي يصوت .

ولما كان العامل في " إذا " مقدرا بنحو أن يقال : رد إذذاك^{١٠}
إلى^١ حالتنا الأولى ونقوم كما كنا ؟ دل^٢ على هذا المحذوف قوله تعالى
عنهم : ﴿ قالوا ﴾ أي مرة من المرات : ﴿ تلك ﴾ أي الردة إلى الحالة
الأولى العجيبة جدا البعيدة من العقل في زعمهم ﴿ إذا ﴾ أي إذ رد إلى
حياتنا الأولى لا شيء لنا كما ولدنا لا شيء لنا ، ونفقد كل ما سعينا في
تحصيله وجمعه وتأمله ﴿ كرة ﴾ أي رجعة^٨ وإعادة وعطفة^٩ ﴿ خاسرة ﴾^{١٥}
أي هي لشدة خسارتنا فيها بما فقدنا مما حصلناه من [الحال و -]^٩ المال

(١) زيد من ظ (٢) زيد في الأصل : ثم ، ولم تكن الزيادة في ظ و م
لحذفناها (٣) من ظ و م ، وفي الأصل : مشيرا (٤) من ظ و م ، وفي
الأصل : انه (٥) في ظ و م ؛ عند ذاك (٦) في م : في (٧) من ظ و م ، وفي
الأصل : فدل (٨-٨) سقط ما بين الرقيين من ظ (٩) زيد من ظ و م .

وصالح الخلال، عريقة في الخسارة حتى كأنها هي الخسارة، ولعله عبر
بالمضى لأنهم ما سمحوا بهذا القول إلا مرة من الدهر، وأما أغلب قولهم
فكان أنهم يكونون على تقدير البعث أسعد من المؤمنين على قياس
ما هم عليه في الدنيا ونحو هذا من الكذب على الله .

٥ ولما كان التقدير : نعم والله لتردن يا هؤلاء ، إنما هذا الذي تقولونه
كله استبعاد منكم كما أنكم مقرون بسهولته لو عقلمت ، أما من جهة القدرة
فلأن الابتداء أصعب من الإعادة وأنتم مقرون بالابتداء ولأن
الاستبعاد إن كان من جهة وقوع الظن بأن [من -] صار تراباً يصير
عوده محالاً من جهة تعذر تمييز ترابه من تراب غيره ، فتميز النازع
١٠ والناشط من الملائكة للروح من الجسد أصعب من ذلك بكثير ، وكذا
غير هذا مما تدبره الملائكة من الأمور ، فكيف يصعب على ربهم سبحانه
شيء يسهل مثله عليهم ، وأما من جهة العوائد فإن أحدا لا يدع رعية
له بغير حساب أصلاً ، وأما من جهة الوعد فقد تقدم به ، وليس من
شيم الكرام فضلاً عن الملوك إخلاف الوعد ولا إقرار الظلم فلا
١٥ تكذبوا بها ولا تستصعبوها ، قال مسيبا عن هذا المقدر مهددا لأصحاب
الشبهة المقلدين : ﴿ فأنما هي ﴾ أى القيامة ﴿ زجرة ﴾ أى صيحة بانتهاار
تتضمن الأمر بالقيام والسوق إلى المحشر والمنع من التخلف ﴿ واحدة ﴾

(١ - ١) من ظ و م ، وفى الأصل : فى الخسارة (٢ - ٢) من ظ و م ، وفى
الأصل : ما يمحوا بالقول (٣) من ظ و م ، وفى الأصل : قلوبهم (٤) من م ،
وفى الأصل و ظ . من (٥) زيد من ظ و م (٦) من م ، وفى الأصل
و ظ : ينمر .

عبر بالزجر وهو أشد من النهي لانه يكون للعرض لأنها صيحة لا يتخلف عنها القيام أصلاً ، فكان كأن لسان الحال قال عن تلك الصيحة : أيها الأجساد البالية ! انتهى عن الرقاد ، وقوى إلى الميعاد ، بما حكمتنا به من المعاد ، فقد انتهى زمان الحصاد ، وآن [أو أن - ٢] الاجتناء لما قدم من الزاد ، فيا ويل من ليس له زاد ! (فاذا هم) أى فسبب عن هذه النفخة هـ - وهى الثانية - أنهم فاجأوا بغاية السرعة كونهم^٢ أحياء قآمين (بالساهرة^{هـ}) [أى - ٣] على [ظهر - ٤] الأرض البيضاء المستوية الواسعة التى يحددها الله للجزء فتكون سعتها كأنها قد أبتلعهم على كثرتهم التى تفوت العد ، وتزيد على الحد ، سميت بذلك لأن الشراب يجرى فيها من الساهرة وهى العين الجارية ، أو لأن^١ سالكها يسهر خوفاً / كما أن النوم يكون أمنة ، ١٠ أو لأن^٢ هذه الأرض بالخصوص لا نوم فيها مع طول الوقوف و تقلب الصروف الموجبة للتحوف .

و لما كانت قصة موسى عليه الصلاة والسلام مع القبط اشبه شئ - بالقيامة لما حصل فيها من التقلبات والتغيرات وإيجاد المدومات من الجراد والقمل والضفادع على تلك الهيئات الخارجة عن العادات فى ١٥ أسرع وقت . وقهر^٤ الجبارة والمن على الضعفاء حتى كان آخر ذلك أن

- (١) من م ، وفى الأصل و ظ : الاجسام (٢) زيد من ظ (٣) من ظ و م ، وفى الأصل : كانهم (٤) زيد من ظ و م (٥) زيد من م (٦) من ظ و م ، وفى الأصل : ان (٧ - ٧) من ظ و م ، وفى الأصل : وان (٨) من ظ و م ، وفى الأصل : قتل .

حشر بنى إسرائيل 'فنشطهم من' القبط شطا' رقيقا كلهم وجميع ما لهم
 مع دوابهم [إلى ربهم - ٢] وحشر جميع القبط وراهم فترغهم نزعا
 كلهم بحشر فرعون لهم 'بأصوات المتادين عنه' في أسرع وقت وأيسر
 امر إلى هلاكهم كما يحشر^١ الأموات بعد إحيائهم بالصيحة إلى الساعة،
 ه ثم كانت العاقبة في الطائفتين بما للدبرات امرا أن نجابنو إسرائيل بالبحر
 كما ينجو يوم البعث المؤمنون^٢ بالصراط، وهلك فرعون وآله به كما
 يتساقط الكافرون^٣ بالصراط، وذلك أنه رأى فرعون وجنوده البحر
 قد اقلق لبنى إسرائيل فلم يعتبروا بذلك ثم دخلوا فيه وراهم، ولم يجوزوا
 أن الذى حشره عن مكانه قادر على أن يعيده كما 'ابتدأه فيغرقهم'^٤
 ١٠ واستمروا فى عمام حتى رده^٥ الله فأغرقهم به كما ان من يكذب
 بالقيامة رأى بدأ الله له [و- ٣] لغيره وإفناؤه بعد إبدائه ثم انه لم يجوز
 أن يعيده كما بدأه أول مرة، وصل بذلك قوله تعالى جوابا لمن يقول:
 هل لذلك من دليل؟ مخاطبا لأشرف الخلق إشارة إلى أنه لا يعتبر هذا
 حق اعتباره إلا أنت، مستفهما عن الإتيان للتنيه والحث على جمع النفس

(١ - ١) من ظ و م، وفي الأصل: فنشرهم بين (٢) من ظ و م، وفي
 الأصل: نشر (٣) زيد من ظ و م (٤ - ٤) من ظ و م، وفي الأصل: باصوان
 المتادل (٥) من ظ و م، وفي الأصل: يحشرهم (٦ - ٦) من ظ و م، وفي
 الأصل: المؤمنين يوم البعث (٧) زيد في الأصل: إلى النار، ولم تكن
 الزيادة في ظ و م لحذفها (٨ - ٨) من ظ و م، وفي الأصل: ابتدا فيغرقهم
 (٩) من ظ و م، وفي الأصل: ردهم.

على التأمل والتدبر والاعتبار مقررًا ومسلًا له صلى الله عليه وسلم ومهدداً
 للكاذبين أن يكون حالهم - وهم أضعف أهل الأرض لأنه لا ملك لهم -
 كحال فرعون في هذا ، وقد كان أقوى أهل الأرض بما كان له من
 الملك وكثرة الجنود وقوتهم وسحرهم و مرودهم في خداعهم ومكرهم
 ورآى من الآيات ما لم يره أحد قبله ، فلما أصر على التكذيب ولم ٥
 يرجع ولا افاده التأديب أغزقه الله وآله فلم يبق منهم أحداً وقد كانوا
 لا يحصون عدداً بحيث أنه قيل : ان طليعته كانت على عدد بنى إسرائيل
 ستمائة ألف : ﴿ هل ائتك ﴾ أى يا أعلم الخلق ﴿ حديث موسى ﴾ أى ما
 كان من أمره الذى جددناه له حين أردناه ، فيكون كافياً لك فى التسليّة
 ولقومك فى الحث على التصديق والتنبية على الاعتبار والتهديد على ١٠
 التكذيب ، والاصرار ﴿ اذ ﴾ أى حين ﴿ نأذنه ربه ﴾ أى المحسن [إليه -
 بإيجاده وتقريبه وتدبيره أمر إرساله وتقديره ﴿ بالواد المقدس ﴾ أى
 المطهر غاية التطهر^٢ بتشريف الله له بانزال النبوة المفيضة / للبركات ،
 ثم بينه بقوله : ﴿ طوى ﴾ وهو الذى طوى فيه الشر عن بنى إسرائيل^٣
 ومن أراد الله من خلقه ونشر بركات النبوة على جميع أهل الأرض : ١٥
 المسلم باسلامه ، وغيره برفع عذاب الاستئصال عنه ، فان العلماء قالوا : إن

(١) فى م : أردنا (٢) زيد فى الأصل : و الافتراء و ، ولم تكن الزيادة فى ظ
 و م لحذفها (٣) زيد من ظ و م (٤) من ظ ، وفى الأصل : التطهير ، وفى
 م : الطهر (٥) من ظ و م ، وفى الأصل : عن بنى إسرائيل اشر (٦) من م ،
 وفى الأصل و ظ : اراده (٧) من ظ و م ، وفى الأصل : قال (٨) زيد فى
 الأصل : إلى ، ولم تكن الزيادة فى ظ و م لحذفها .

عذاب القبر - أى عذاب الاستئصال - ارتفع حين انزلت التوراة .
 وهو واد بالطور بين أيلة و مصر .
 ولما ذكر المناداة فسرثمرتها بقوله مستأنفا منها لاصحاب الشهوة
 المعجبين المتكبرين ، وقد أرشد السياق إلى أن التقدير : ناداه قائلا :
 ٥ ﴿ اذهب الى فرعون ﴾ أى ملك مصر الذى كان استعبد بنى إسرائيل
 ثم خَوْف من واحد منهم فصار يذبح أبناءهم خوفا منه ' وهو أنت
 فريناك فى بيته لهلاكه حتى يعلم أنه لا مفر من قدرنا ، فكنت أعز بنى
 إسرائيل ، و كان سبب هلاكه معه فى بيته بمرأى منه و مسمع وهو
 لا يشعر بذلك ثم قتلت منهم نفسا و حرجت من بلدهم خائفا تترقب .
 ١٠ ولما أمره بالذهاب إليه ، علله بما يستلزم إهلاكه على يده عليه
 الصلاة والسلام إشارة له بالبشارة بأنه لا سبيل له عليه ، ولذلك أكدته
 لأن مثل ذلك أمر يقتضى طبع البشر التوقف فيه فقال : ﴿ انه طغى ذمى ﴾
 أى الحد^٢ و تجاوز الحد فاستحق العقاب بالجد ، ثم سبب عن الذهاب إليه قوله :
 ﴿ قل ﴾ أى له تفصيلا لبعض ما تقدم فى " طه " من لين القول ولطف
 ١٥ الاستدعاء فى الخطاب : ﴿ هل لك ﴾ أى ' ميل و حاجة ﴾ الى^٣ ان زكى^٤ لا
 أى تحلى بالفضائل ، و تطهر من الرذائل ، ولو بأدنى أنواع الزكى :
 الطهارة^٥ الظاهرة و الباطنة الموجبة للنماء و الكثرة ، وإفهام الأدنى بما
 (١) زيد فى الأصل : أى ، ولم تكن الزيادة فى ظ و م نخذناها (٢) من ظ
 وم ، وفى الأصل : مائل - كذا (٣) من ظ وم ، وفى الأصل : العد (٤) زيد
 فى الأصل : الى ، ولم تكن الزيادة فى ظ و م نخذناها (٥ - هـ) سقط ما بين
 الرقين من ظ و م .

يشير إليه إسقاط تاء الفعل المقتضى للتخفيف ، و ذلك بالإذعان المقتضى
للإيمان و إرسال بنى إسرائيل ، و قرأ الحجازيان و يعقوب بالتشديد أى
تزكية بليغة لأن^١ من دخل فى الزكى على يد كامل لاسيما بنى من أولى
العزم أو شك أن يبلغ الغاية فى الزكاة .

و لما أشار له إلى^٢ الطهارة عن الشرك ، أتبعها الأعمال فقال : هـ
(واهدبك) أى أبين لك بعد الزكية بالإيمان الذى هو الأساس :
كيف المسير (الى ربك) أى الموجد لك و المحسن إليك أو المربى لك^٣
بتعريفك ما يرضه من الأعمال و ما يفضيه من الخصال^٤ بعد أن بلغك^٥
فى الدنيا غاية الآمال^٦ (فتخشى هـ) أى فتسبب عن ذلك أنك تصير
تعمل أعمال من يخاف من عذابه خوفا عظيما ، فتودى الواجبات و تترك^٧ ١٠
المحرمات و سائر المنهيات ، فتبصر الى اعلى رتب الزكية فتجمع^٨ ملك
الآخرة إلى ملك الدنيا ، فان الخشية هى الحاملة على كل خير ، و الأمن
هو الحامل على الشر .

و لما كان التقدير / : فذهب إليه كما أمره الله تعالى ، فقال [له -^٩] ٦٥٩ /
ذلك فطلب الدليل على صحة الرسالة و استبعد أن يختص عنه^{١٠} بهذه^{١١}
المنزلة العلية^{١٢} و قد رباه وليدا (فاراه) أى فتسبب عن طلبه له أنه

(١) من ظ و م ، و فى الأصل : لا (٢) من ظ و م ، و فى الأصل : عوالى
(٣-٤) سقط ما بين الرتين من ظ و م (٣) زيد فى الأصل : الذميمة ، ولم تكن
الريادة فى ظ و م فحذفناها (٤) زيد فى م : بلغك (٥) زيد فى الأصل و ظ :
قال ، ولم تكن الريادة فى م فحذفناها (٦) بهامش ظ : فتضم (٧) زيد من ظ
و م (٨-٩) فى ظ و م : بعلوه .

دل على صدقه بان أراه ﴿ الآية ﴾ أى ' العلامة الدالة على ذلك
 ﴿ الكبرىٰ ﴾ وهى قلب العصا حية أو جميع معجزاته ﴿ فكذب ﴾ أى
 قسب عن رؤية ذلك أنه أوقع التكذيب بشئ إنما يقتضى عند رؤيته
 التصديق ﴿ وعصى ﴾ أى أوقع العصيان ، وهو الإباء الكبير^٢ والتكبر
 ه عن امثال^٣ ما دعى إليه مجموعا إلى التكذيب بعد إقامة الدليل على
 الصدق و تحقق الامر .

ولما كان التهادى على التكذيب من ' رأى ' و عرف الحق ولا سيما
 إذا كان كبيرا مستعبدا^٤ جدا ، أشار إليه بأداة التراخى مع دلالتها على
 حقيقته التراخى ايضا فقال : ﴿ ثم ادبر ﴾ أى فرعون بعد المهلة و الاناة
 ١٠ ادبارا عظيما بالتهادى على اعظم مما كان [فيه - ^٥] من الطغيان بعد
 خطوب جليلة و مشاهد طويلة . حال كونه ﴿ يسئى ﴾ أى يعمل بغاية
 جهده عمل من هو مسرع غاية الإسراع فى ابطال الامر الربانى بقلة
 عقله و فساد رأيه و ابى أن يقبل الحق ﴿ فخر ﴾ أى قسب عن ادباره
 ساعيا و تعقبه أنه جمع السحرة طوعا و كرها و زاد عليهم أيضا جنوده
 ١٥ ﴿ فتادى ﴾ أى فى المجامع ﴿ فقال ﴾ أى مناديه الذى لا يشك أنه عنه ،

(١) زيد فى الأصل و ظ : اراه ، ولم تكن الزيادة فى ظ و م لحذفها (٢) زيد
 فى الاصل : كان ، ولم تكن الزيادة فى ظ و م لحذفها (٣ - ٢) فى ظ و م ؛
 لامثال (٤ - ٤) سقط ما بين الرهين من ظ و م (٥) من ظ و م ، وفى الأصل ؛
 ان (٦) من ظ و م ، وفى الأصل : مستعبدا (٧) زيد من م (٨) من م ، وفى
 الأصل و ظ : امطار (٨ - ٨) من ظ و م ، وفى الأصل : رايه و فساد عقله .

فكان قوله كقوله^١ : ﴿ انا ﴾ وقال^٢ حمزة الكرماني : قال له موسى عليه السلام : إن ربي أرسلني إليك ، لئن آمنت بربك تكون أربعائة سنة في السرور و النعيم ، ثم تموت فتدخل الجنة ، فقال : حتى أستشير هامان ، فاستشاره فقال : أتصير عبدا بعد^٣ ما كنت^٤ ربا تعبد ، فعند ذلك بعث الشرط و جمع السحرة و الجنود ، فلما اجتمعوا قام عدو الله على سريره فقال : ه أنا ﴿ ربكم الاعلى ﴾ فكان هذا نداؤه يعني كلهم أرباب بعضهم فوق بعض و أنا أعلمكم ، و لارب فوق أصلا ، و ذلك لأن الإله عنده الطيعة ، و هي مقسمة في الموجودات ، فهم كلهم أرباب ، و من كان أعلى كان أقعد في المراد ، و هو كان أعلى منهم فقبحه الله و لعنه و لعن من تذهب بمذهبه كابن عربي و ابن الفارض^٥ و أتباعهما حيث أنكروا المختار الملك ١٠ القهار ، و رسوله المصطفى المختار ، و تبعوا في وحدة الوجود بعض الفلاسفة ثم^٦ الحلاج بعد فرعون هذا الذي لم يصرح الله بدم أحد ما صرح بدمه ، و لم يصرح بشقاء أحد ما صرح بشقائه . كهذه الآية فاتها مصرحة بوقوع نكاله في الآخرة كما وقع في الدنيا ، [و - ^٧] قوله تعالى ” فأخذناه و جنوده فبذناهم في اليم / فانظر كيف كان عاقبة الظالمين ١٥ / ٦٦٠

(١) من ظ و م ، و في الأصل : حال النداء (٢) من ظ و م ، و في الأصل : قرا (٣ - ٢) من ظ و م ، و في الأصل : ان تكون (٤) من ظ و م ، و في الأصل : عند (٥) من ظ و م ، و في الأصل : منقسمة (٦) زيد في الأصل : هم ، و لم تكن الزيادة في ظ و م لحذفها (٧) زيد في الأصل : ان ، و لم تكن الزيادة في ظ و م لحذفها (٨) زيد من ظ و م .

وجعلناهم أئمة يدعون الى النار ويوم القيامة لا ينصرون و اتبعناهم
 في هذه الدنيا لعنة ويوم القيامة هم من المقبوحين " الى غير ذلك من
 الآيات البينات ^١ والدلائل الواضحات التي لا تحصى ^٢ وهي كثيرة، وأعظمها
 القياس البديهي الاتاج ^٣ " وان فرعون لعال في الارض وانه لمن المسرفين "
 هـ "وان المسرفين هم أصحاب النار" و يروى ^٤ أن ابليس لما سمع منه قوله هذا قال:
 إني مجبرت على آدم فلقيت ^٥ ما لقيت، وهذا يقول هذا؟ وهذا دعاء إليه
 الكبر الناشئ من فتنه السراء التي الصبر فيها أعظم من الصبر في الضراء،
 قال [الإمام - ^٦] الغزالي في كتاب الصبر من الإحياء ^٧ : فالصبر على
 الطاعة شديد لأن النفس بطبعها تنفر عن ^٨ العبودية وتشتهي الربوبية،
 ١٠. ولذلك ^٩ قال بعض العارفين : ما من نفس إلا وهي مضمرة ما أظهره
 فرعون من قوله " انا ربكم الأعلى " ولكن فرعون وجد [له - ^{١٠}] مجالا
 وقبولا ^{١١} فأظهره إذ استحف ^{١٢} [فأطاعوه - ^{١٣}] وما من أحد إلا وهو
 يدعى ذلك مع عبده وخادمه و أتباعه وكل من هو تحت قهره وطاعته وإن
 كان ممتعا من إظهاره . فان امتعاضه وغيظه عند تقصيرهم في خدمته
 ١٥ لا يصدر إلا عن إخمار الكبر ومنازعة الربوبية في رداء الكبرياء - انتهى .

(١-١) سقط ما بين الرمين من ظ و م (٢) من ظ و م ، وفي الأصل : الاح -
 كذا (٣) من ظ و م . وفي الأصل : روى (٤) في ظ و م : أنا (٥) من ظ
 و م ، وفي الأصل : فالقيت (٦) زيد من ظ و م (٧) راجع ٤٥/٤ (٨) من
 ظ و م والإحياء ، وفي الأصل : من (٩) من ظ و م والإحياء ، وفي الأصل :
 فلذلك (١٠) زيد من الإحياء (١١-١٢) من ظ و م والإحياء ، وفي الأصل :
 فإذا استحق .

و يؤيده ان النبي صلى الله عليه وسلم ما لام خادمه في شيء قط - والله تعالى هو الموفق للصواب^١ .

ولما أخرج سبحانه عنه بهذه الكلمة الشنعاء القادحة في الملك ، وكان الملوك لا يحتملون ذلك بوجهه ، سبب عنها وعقب قوله : ﴿ فاخذه الله ﴾ أى الملك الذى لا كفوء له ولا أمر لأحد معه أخذ هـ قهره ذل منكلا به 'مخذلا له' : ﴿ نكال الآخرة ﴾ فهو مصدر من المعنى ، أى أخذ تنكيل^٢ فيها يكون مثلا يتقيد به ويتعظ كل من سمعه عن مثل حال فرعون ، وقدمها اهتماما بشأنها وإشارة إلى [أن - *] عظمة عذابها اعظم ولا يذوقه الإنسان إلا بكشف غطاء الدنيا بالموت ، وتنبئها على أن المنع من مثل هذه الدعوى للصدق بها امكن ، وليس ذلك ١٠ للفاصلة لانه لو قيل : « الآخرة » ، لوافقت ﴿ والاولى^٣ ﴾ أى ونكال الدنيا الذى هو قبل الآخرة^٤ فان من سمع قصة غرقه ومجموع ما اتفق له كان [له - *] ذلك نكالا مانعا من عمل مثله أو أقل منه ، قال الضحاك^٥ : أما في الدنيا فأغرقه الله تعالى [وألفاه - *] بنجوة من الأرض ، وأما في العقبى فدخله الله تعالى النار [و - *] يجعله ظاهرا على تل منها ١٥

(١-١) في ظ و م : الموفق (٢-٢) - فقط ما بين الرقنين من ظ و م (٣) من ظ

وم ، وفي الأصل : بكل (٤) في م : بها (٥) زيد من م (٦) من ظ و م ، وفي الأصل : بنكال (٧) من ظ و م ، وفي الأصل : الأخرى (٨) راجع العالم

٧ / (٩) زيد من ظ و م -

مغلولا مقيدا ينادى عليه هذا الذى ادعى الربوبية دون الله - انتهى . وأنا
لا أشك أن الحلاج وابن عربى وابن الفارض [وأتباعهم -^١] يكونون
فى النار تحتهم وتحت آله يشربون عصارتهم ، فانهم^٢ ادعوا^٣ أنه ناج
وصدقوه فيما ادعاه^٤ و ادعوا لأنفسهم وغيرهم [مثل -^٥] ما ادعاه
٦٦١ / ٥ تكذبا للقرآن / وإغراقا فى العدوان ، وزادوا عليه بابتدال الاسم الأعظم
الذى حماه الله من أن يدعيه أحد^٦ قبل ارسال النبی صلى الله عليه وسلم
فادعوا^٧ أنه يطلق عليهم وعلى كل أحد بل كل^٨ شيء ، وأماراة هذه
الطائفة الخبيثة التى لا تتخلف أن تقول لاحد^٩ : العن فرعون الذى
أجمع على لعنه^{١٠} جميع الطوائف . وهو مثل عندهم فى الشرارة^{١١} والخبث
١٠ فلا يلعنه ، وإن لعنه فبعد توقف .

ولما لخص سبحانه وتعالى ما مضى من قصصه فى هذه الكلمات
اليسيرة أحسن تلخيص وأقربه مع عدم المخالفة لشيء^{١٢} مما مضى لأن المفصل
موضع الاختصار أما باعتبار النزول فانه نزل^{١٣} أولا فكان تقريب القصص

(١) زيد من ظ (٢) من ظ و م ، وفى الأصل : كانهم (٣) زيد فى الأصل
انهم ، ولم تكن الزيادة فى ظ و م لحذفناها (٤) من ظ و م ، وفى الأصل :
ادعى (٥) زيد من ظ و م (٦) من ظ و م ، وفى الأصل : لاحد (٧) من ظ
و م ، وفى الأصل : قاعدى (٨) زيد فى الأصل : على ، ولم تكن الزيادة فى ظ
و م لحذفناها (٩) من م ، وفى الأصل و ظ : لاحد (١٠) العبارة من هنا الى
« والخبث » ساقطة من ظ (١١) من م ، وفى الأصل : الشهادة (١٢) من ظ
و م ، وفى الأصل : بشىء (١٣) من ظ و م ، وفى الأصل : ترك .

للناس بالاختصار على^١ ما لا بد منه اولى ليستأنسوا به ، و أما من جهة الترتيب
فلتذكيرهم بما مضى ليجتمع [في -^٢] المخيلة في أقرب وقت و يتذكر^٣ به
ذلك المبسوط ، و ختمه بأخذه هذا الاخذ الغريب . أرشد [إلى -^٤] ما
في القصة من العبرة ، مشيرا إلى استحضار ما مضى كله ، فقال مؤكدا ه
مقررا للكذب^٥ و منها للصدق^٦ : ﴿ ان في ذلك ﴾ أى الامر العظيم^٧
الذى فعله و الذى فعل به ﴿ لعبرة ﴾ أى أمرا [عظيما -^٨] يعتمد
الاعتبار به من معنى إلى معنى حتى يقع به الوصول إلى كثير من المعارف
﴿ لمن يخشى^٩ ﴾ أى من شأنه الخوف العظيم من الله لأن الخشية - كما
تقدم - هى^{١٠} اساس الخير ، فأول العبور^{١١} ان ينقل السامع حال غيره ١٥
إليه فيتذكر بانجاء بنى إسرائيل على ضعفهم^{١٢} منهم على قوتهم ثم بقوة ما
حصل لهم من القهر من ذلك حتى أوجب اتباعهم بالجنود ثم بفرق
البحر ثم بإيرادهم إياه ثم باغراقهم^{١٣} فيه كلح البصر لم يخرج منهم مخبر
قدرة الله تعالى على إيراد الكفار^{١٤} النار وقهر^{١٥} كل جبار^{١٦} و يجعل
العصا حية و إخراج القمل والضفادع من الأرض و تحويل الماء دما ١٥

- (١) من ظ و م ، و فى الأصل : م م (٢) زيد من ظ و م (٣) من م ، و فى
الأصل و ظ : يذكر (٤) زيد من م (٥) من ظ و م ، و فى الأصل : للكاذبين .
(٦) من ظ و م ، و فى الأصل : للصدقين (٧) زيد فى م : اى (٨) سقط من م .
(٩) فى ظ : القبول (١٠) من ظ و م ، و فى الأصل : ضعف (١١) من ظ
و م ، و فى الأصل : بفرقتهم (١٢) زيد فى الأصل : فى ، و لم تكن الزيادة فى
ظ و م لحذفها (١٣-١٤) من م ، و فى الأصل و ظ : الكفار .

قدرته سبحانه و تعالى على ذلك السامع بالعذاب و غيره وعلى خصوص
البعث - إلى غير ذلك من العبر [و - '] واضح الأثر .

ولما ختم قصة فرعون - لعنه الله - بالعبرة ، وكان أعظم عبرتها
القدرة التامة لاسيما على البعث كما هي مشيرة إليه بأولها و آخرها ،
٥ و العقوبة على التكذيب [به لأن التكذيب به - '] يجمع مجامع [الشر - ']

و التصديق به يجمع مجامع الخير ، وكانوا يستبعدونه لاستبعاد القدرة عليه ،
وصل به ما هو كالنتيجة منه ، فقال مقررا مخاطبا لأصحاب الشبهة الشاكين
موقفا لهم على القدرة منكرًا عليهم استبعادهم ذلك ملتفتا بعد تخصيص
الخطاب به صلى الله عليه وسلم [لما تقدم من دقة فهمه و جلالة علمه

١٠ صلى الله عليه وسلم - '] إلى عموم الخطاب لوضوح هذا البرهان لكل
إنسان استعطافا بهم في توبيخ : ﴿ ائتم ﴾ أى أيها / الأحياء مع كونكم

/ ٦٦٢

خلقا [ضعيفا - '] ﴿ اشد خلقا ﴾ أى اصعب و أثقل من جهة التقدير
و الإيجاد ﴿ ام السماء ﴾ على ما فيها من السعة و الكبر و العلو و المنافع .

و لما كان الجواب قطعاً : السماء - لما يرى من أعظمها لأن العالم
١٥ الإنسانى مختصر العالم الآفاقى ، و يزيد الآفاقى طول البقاء مع عدم التأثير ،

وصل به قوله دليلاً على قدرته على البعث لقدرته على ما هو أشد منه
لأن الذى قدر على ابتداء الأكبر هو على إعادة الأصغر أقدر ، مبينا

(١) زيد من ظ و م (٢-٢) فى م : فصته (٣) زيد فى الأصل : من ، ولم تكن
الريادة فى ظ و م لحذفها (٤) من م ، وفى الأصل و ظ : منكرو (هـ) من
ظ و م ، وفى الأصل : الإنسان (٦) زيد فى الأصل : قادر ، ولم تكن الريادة
فى ظ و م لحذفها (٧) من ظ و م ، وفى الأصل : قال .

لكيفية

لكيفية خلقه لها: ﴿بذلها وقفة﴾ أى جعلها سقفا للأرض على ما لها من العظمة، ثم بين البناء بقوله: ﴿رفع سمكها﴾ [أى - ١] جعل مقدار ارتفاعها من الأرض أو سمكها الذاهب في العلور فيعيا، قال في القاموس: السمك السقف، أو من أعلى البيت إلى أسفله، أو القامة من كل شيء^١، وقال أبو حيان^٢: السمك الارتفاع الذى بين سطح السماء الذى يلىنا^٣ و سطحها^٤ الذى يلى ما فوقها. ﴿فسو بها لا﴾ أى عدلها عقب ذلك بأن جعلها مستوية لاشئ فيها أعلى من شئ ولا أخفض ولا فطور فيها، وأصلحها بما تم به كمالها من الكواكب وغيرها، وجعل مقدار تخن كل سماء وما بين كل سماءين وتخن كل أرض وما بين كل أرضين على السواء لا يزيد شئ من ذلك على الآخر أصلا .

١٠

ولما كان كل من ذلك يدل على القدرة على البعث لأنه إيجاد ما هو أشد من خلق الآدمى من عدم، أتبعه ما يتصور به البعث فى كل يوم وليلة مرتين فقال: ﴿واغطش﴾ أى أظلم إظلاما لا يهتدى معه إلى ما كان^٥ فى حال الضياء ﴿ليلها﴾ أى بغياب شمسها فأخفى ضياءها بامتداد ظل الأرض على كل ما كانت الشمس ظهرت عليه،^٦ وأضاه^٧ إليها لأنه يحدث بحركتها^٨، وبدأ به لأنه كان أولا، والعدم قبل الوجود

١٥

(١) زيد من ظ و م (٢) زيد فى الأصل: و افه اعلم، ولم تكن الزيادة فى ظ و م لحذفها (٣) فى البحر المحيط ٤٢٢/٨ (٤) من م و البحر، وفى الأصل: بيتا أو السطح، وفى ظ: يلىنا أو السطح (٥) زيد فى الأصل: معه، ولم تكن الزيادة فى ظ و م لحذفها (٦ - ٧) من ظ و م، وفى الأصل: أضافها إليه . (٧) من ظ و م، وفى الأصل: ببركتها .

(واخرج صحتها) بطلوع شمسها فأضاء نهارها، فالآية من الاحتباك :
دل به أغطش، على أضاء، وباخراج الضحى على إخفاء الضياء، ولعله
عبر بالضحى عن النهار لأنه أزهى ما فيه وأقوى نورا .

ولما بدأ بدلالة العالم العلوى لأنه أدل لما فيه من العجائب والمنافع
مع كونه أشرف، فذكر أنه أتقن السماء التى هى كالذكر، فنى بأنه سوى
ما هى لها كالأنثى فقال: (والارض) ولما كان المراد استغراق
الزمان باستمرار الدحو^١، حذف الخافض فقال: (بعد ذلك) أى المذكور
كله (دحها) أى بسطها ومدّها للسكنى وبقية المنافع بعد أن كان
خلقها وأوجدها قبل إيجاد السماء غير مسواة بالفعل ولا مدحوة .

١٠ ولما ذكر الدحو، أتبعه ما استلزمه من المنافع لتوقف السكنى
المقصودة بالدحو عليه / فقال كالمبين له من غير عاطف: (اخرج منها)
أى الارض (مآها) بتفجير العيون، وإضافته إليها دليل على أنه
فيها (ومرعتها) الذى يخرج بالماء، والمراد ما رعى منها
ومكانه وزمانه .

/ ٦٦٣

١٥ ولما ذكر الارض ومنافعها، ذكر المراسى التى تم بها نفعها فقال:
(والجبال) أى خاصة (ارسلها) أى اثبتها وأقرها [و - ر]
مع كونها ثابتة لا تتحول فانه سبحانه جعلها مراسى للأرض تكون سبيل

(١) من ظ و م، وفى الأصل: باستغراق (٢) من ظ و م، وفى الأصل:
الدحو (٣) زيد من ظ و م .

لثباتها كما ان المراسى سبب لثبات السفينة . ولما كانت الإعادة واضحة من تناول الحيوان المأكّل والمشرب^١ وغيرهما^٢ من المتاع فانه كلما نقص منه شيء تناول^٣ ما قدر له ليعود ذلك! أو بعضه، قال منها على أنه كل يوم في إعادة بانيا حالما تقدم تقديره : حال كونها ﴿ متاعا ﴾ مقدرا هـ ﴿ لكم ﴾ تتمتعون بما فيها من المنافع ﴿ ولانعامكم ﴾ اى مواشيكم بالرعى وغيره .

ولما ذكر ما دل على البعث، أتبعه ما يكون عن البعث مسياعنه دلالة على أن الوجود ما خلق إلا لأجل البعث لأنه محط الحكمة : ﴿ فاذا جاءت ﴾ اى بعد الموت ﴿ الطامة الكبرى ﴾ اى الداهية الدهيئة التى تطم - اى ١٠ تعلق - على سائر الدواهي وتغطيها فتكون أكبر داهية توجد، وهى البعث بالفخة الثانية - كما قاله ابن عباس رضى الله عنهما^٤، والعامل فى " إذا " محذوف تقديره : فصل الناس إلى شقي وسعيد .

ولما كان الشيء لا يعرف قدره إذا كان غائبا إلا بما يكون فيه، قال مبدلا منه : ﴿ يوم يتذكر ﴾ [اى - هـ] تذكرنا عظيما ظاهرا - ١٥ بما أشار إليه الإظهار ﴿ الانسان ﴾ اى الخلق الآس بنفسه الغافل عما

(١) من ظ و م . وفى الأصل : المشارب (٢) من ظ و م ، وفى الأصل : غيرها . (٣) زيد فى الأصل : منه ، ولم تكن الزيادة فى ظ و م لحذفها (٤) زيد فى الأصل : منافع ، ولم تكن الزيادة فى ظ و م لحذفها (٥) زيد فى الأصل : اى ، ولم تكن الزيادة فى ظ و م لحذفها (٦) راجع البحر ٤٢٣/٨ (٧) من ظ و م ، وفى الأصل : اذ (٨) زيد من ظ و م (٩) من ظ و م ، وفى الأصل : بما .

خلق له ﴿ما سعى لا﴾ أى عمل^١ كله من خير وشر لأنه يراه فى صحيفة أعماله ، والإخبار عن تذكره منها على ما فى ذلك [اليوم - ^٢] من الخطر لأن أحدا لا يعمل جهده^٣ فى تذكره إلا لمحوج إلى ذلك و هو الحساب و تدوينه فى صحيفة أعماله .

هـ ولما أشار إلى الحساب ذكر ما بعده فقال : ﴿وبرزت﴾ أى أظهرت^٤ إظهارا عظيما ، وبناء للفعول لأن الهائل مطلق تبريزها لا كونه من معين ، مع الدلالة على الخفة والسهولة لكونه على طريقة [كلام - ^٥] القادرين ﴿الجحيم﴾ أى النار التى اشتد وقدها وحرما ﴿لمن يرى﴾ أى كائنا من كان لأنه لا حائل بين أحد وبين رؤيتها ، لكن الناجي ١٠ لا يصرف بصره إليها فلا يراها كما قال تعالى ” لا يسمعون حسيها “ .

ولما كان جواب ” إذا “ كما مضى محذوقا ، و كان تقديره أن قسم الناس قسمين : قسم للجحيم و قسم للنعيم ، قال تعالى مسيا عنه مفصلا : ﴿فأما من طغى لا﴾ أى تجاوز الحد فى العدوان فلم يخش مقام ربه ، قال فى القاموس : طغى : جاوز القدر وارتفع [و - ^٦] طغى : غلا فى ١٥ الكفر و أسرف فى المعاصى و الظلم ، و الماء : ارتفع .

ولما كان الذى بعد حدود الله هو الدنيا ، صرح به / فقال : ﴿واثر﴾ أى أكرم و قدم و اختار ﴿الحياة الدنيا لا﴾ بأن جعل أثر العاجلة^٧

/ ٦٦٤

(١) من ظ و م ، وفى الأصل : عمله (٢) زيد من ظ و م (٣) من ظ و م ، وفى الأصل : بجهده (٤) من ظ و م ، وفى الأصل : ظهرت (٥) زيد فى الأصل : الدنيوية ، ولم تكن الزيادة فى ظ و م لحذفها .

الدنية لحضورها عنده أعظم من أثر الآخرة العليا لغيابها^١، فكان كالبهايم لا إدراك له لغير الجزئيات الحاضرة، فأنهمك في جميع أعمالها وأعرض عن الاستعداد للآخرة بالعبادة وتهذيب النفس فلم يته نفسه عن الهوى .
ولما كان الإنسان مؤاخذا بما اكتسب، سبب عن أعماله هذه قوله مؤكدا لتكذيبهم ذلك : ﴿ فان الجحيم ﴾ أى النار الشديدة التوقد العظيمة ه
المجوح على من يدخلها ﴿ هي ﴾ أى لا غيرها ﴿ الماوىء ﴾ أى المسكن له -
هذا مذهب البصريين أن^٢ الضمير محذوف، وعند الكوفيين ان ["أل - ٢"]
نائب عن الضمير - قاله أبو حيان^٣ .

ولما ذكر الطاغى، أتبعه المتقى فقال : ﴿ واما من خاف ﴾ ولما [كان - ٢] ذكر الخوف بما يتعلق بالشيء لأجل ذلك الشيء أعظم من ١٥
ذكر الخوف من ذلك الشيء نفسه فقال : ﴿ مقام ربه ﴾ أى قيامه
بين يدي المحسن إليه عند تذكر إحسانه فلم يطغ فكيف عند تذكر
جلاله وانتقامه، أو المكان الذى يقوم فيه بين يديه و" الزمان، وإذا
خاف ذلك [المقام - ٢] فإظنك بالخوف من صاحبه، وهذا لا يفعله
إلا من تحقق المعاد .

ولما ذكر الخوف ذكر ما يتأثر عنه ولم يجعله مسببا عنه ليفهم^٤
أن كلا منهما فاصل على حياله و أن انفصل عن الآخر فقال :

- (١) من ظ و م ، وفى الأصل : لغائبها (٢) من ظ و م ، وفى الأصل : لأن .
(٣) زيد من ظ و م (٤) فى البحر المحيط ٤٢٣ / ٨ (٥) من ظ و م ، وفى
الأصل : أو (٦) من ظ و م ، وفى الأصل : مفهما .

﴿و بهى النفس﴾ أى التى لها المنافسة ﴿عن الهوى﴾ أى كل ما تهواه فإنه لا يجر إلى خير لأن النار حفت بالشهوات، والشرع كله مبنى على ما يخالف الطبع وما تهوى النفس، وذلك هو المحارم التى حفت بها النار فانها بالشهوات، قال الرازى: والهوى هو الشهوة المذمومة ٥ المخالفة لأوامر الشرع، قال الجنيد: إذا خالعت النفس هواها صار داؤها دواءها، أى فأفاد ذلك أنه لم يؤثر الحياة الدنيا، فالآية من الاحتباك: أتى بطنى دليلا على ضده ثانيا، وبالنهى عن الهوى ثانيا دلالة على إثارة الدنيا أولا. ولما كان مقام ترغيب، ربط الجزاء بالعمل كما صنع فى الترهيب فقال و أكد لأجل تكذيب الكفار: ﴿فان الجنة﴾ أى البستان الجامع لكل ما يشتهى ﴿هى﴾ أى خاصة ﴿المأوى﴾ أى له، لا يأتى إلى غيرها^٢، وهذا حال المراقبين.

ولما قسمهم هذا التقسيم المفهم أن هذا شيء لا بد منه، استأنف ذكر استهزائهم تعجيبا منهم فقال: ﴿يستلونك﴾ أى قريش على سبيل التجديد والاستمرار سؤال استهزاء وإنكار واستبعاد: ﴿عن الساعة﴾ أى البعث ١٥ الآخر لكثرة ما تنوعدهم بها عن أمرنا. ولما كان السؤال عنها مبهما

(١) زيد فى الأصل: هوى، ولم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٢) زيد فى الأصل: أى، ولم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٣) زيد فى الأصل: ابد الابدين، ولم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٤) من ظ و م، وفى الأصل: انهم (ه) من م، وفى الأصل و ظ: تعجبا.

بينه بقوله: ﴿ اَيَّانَ مَرَسْنَاهُ ﴾ اى [فى اى - ١] وقت إرساؤها^٢ اى وقوعها وثباتها واستقرارها .

ولما كان / إِرَادُ هذا هكذا^٣ مفهما للانكار عليهم فى هذا السؤال ،
وكان من المعلوم أنه يقول : إنهم ليسألونى وربما تحركت نفسه الشريفة
صلى الله عليه وسلم إلى إجابتهم لحرصه على إسلامهم شفقة عليهم ، فطمه^٤
عن ذلك وصرح بالانكار بقوله : ﴿ فسيم ﴾ اى فى اى شىء
﴿ انت من ذكرها^٥ ﴾ اى ذكرها العظيم لعرفها وتبين وقتها لهم حرصا
على إسلامهم ، وذلك لا يفيد عليها ، ثم عرفها بما لا يمكن المزيد عليه بما^٦
أفادته الجملة التى قبل من أنه لا يمكن عليها لغيره سبحانه وتعالى فقال :
﴿ الى ربك ﴾ اى المحسن إليك وخذہ ﴿ متنها^٧ ﴾ اى منتهى عليها^٨ ١٠
وجميع امرها^٩ :

ولما^{١٠} كان غاية أمرهم أنهم^{١١} يقولون : انه متقول من عند نفسه ،
قلب عليهم الأمر فقال : ﴿ انما انت ﴾ اى يا أشرف المرسلين ﴿ منذر ﴾
اى مخوف على سبيل الحتم الذى لا بد منه مع علمك بما تخوف به العلم
الذى لا مرية فيه ﴿ من يخشها^{١٢} ﴾ اى فيه أهليه أن يخافها خوفا عظيما^{١٣}
فيحمل لها لقله باتيانها لا محالة وعليه بنوته لا محالة وعليه بأن كل ما

- (١) زيد من ظ و م (٢) زيد فى الأصل : وما ، ولم تكن الزيادة فى ظ و م
لحذفها (٣) من ظ و م ، وفى الأصل : كله (٤) من ظ و م ، وفى الأصل :
لا (٥) من ظ و م ، وفى الأصل : بما (٦) من ظ و م ، وفى الأصل : امرها .
(٧) من ظ و م ، وفى الأصل : عليها (٨-٨) فى ظ و م : كانوا :

تحقق وقوعه فهو قريب، وذلك لا يناسب تعيين وقتها^١ فان من فيه أهلية الخشية لا يزيده إبهامها إلا خشية، وغيره لا يزيده ذلك إلا اجتراء وإجراما، فما أرسلناك^٢ إلا للإنذار بها لا للإعلام بوقتها، فان النافع الأول دون الثاني، ولست في شيء عما يصفونك به كذبا منهم لأننا ما نرسل المرسلين إلا مبشرين ومنذرين ولا أنت^٣ مبعوث^٤ لتحرير وقت الساعة و علم عينه^٥، وإنما قصره على من يخشى لأن غيره لا يتنفع بإنذاره، فكان كأنه لم يحصل له الإنذار، ولهذا المعنى أضاف إشارة إلى أنه عريق في إنذار من يخشى، وأما غيره فهو منذر له في الجملة أى يحصل له صورة الإنذار لأنه منذر^٦ بمعنى أنه يحصل له معنى الإنذار .

١٠ ولما أثبت أنه منذر، وكان أخوف الإنذار الإسراع، قال مستأنفا محقرا لهم الدنيا مزهدا لهم فيها: ﴿ كَانَهُمْ ﴾ أى هؤلاء المنكرين لصحة الإنذار بها ﴿ يوم يرونها ﴾ أى يعلون قيامها علما هو كالرؤية ويرون ما يحدث فيها بعد سماع الصيحة وقيامهم من القبور من علمهم بما مر من زمانهم وما يأتى^٧ منه ﴿ لم يلبثوا ﴾ أى فى الدنيا و^٨ فى القبور ١٥ ﴿ الا عشية ﴾ أى من الزوال إلى غروب الشمس . ولما كانوا على غير ثقة من شيء مما يقولونه قال: ﴿ او ضلها ﴾ أى ضحى عشية من العشايا

(١) من ظ و م ، وفى الأصل : وقوعها (٢-٣) فى ظ و م : اجراما واحترأه
فما أرسلت (٣) من ظ و م ، وفى الأصل : ما (٤) من ظ و م ، وفى الأصل :
بمبعوث (٥) من ظ و م ، وفى الأصل : غيبه (٦) من م ، وفى الأصل و ظ :
منذر (٧) من ظ و م ، وفى الأصل : اتى (٨) من ظ و م ، وفى الأصل : أو .

وهو البكرة^١ إلى الزوال، والعشية ما بعد ذلك، اضيف إليها الضحى
لأنه من النهار، والإضافة تحصل بأدنى ملابسة، وهي هنا كونها من
نهار واحد، فالمراد ساعة من نهار أوله أو آخره، لم يستكملوا نهارا تاما
ولم يجمعوا / بين طرفيه، وهذا كما قال صلى الله عليه وسلم «ما الدنيا في
الآخرة إلا كما يجعل احدكم اصبعه في اليم فلينظر بيم يرجع»، وهذا تعبير ه
لنا بما نحسه تقريبا لعقولنا وإن كانت القاعدة أنه لانسبة لما يتناهى [إلى ما
لا يتناهى-^٢] على أن الكفار أيضا يستقصرون مدة لبثهم، فكانهم أصناف:
بعضهم يقول: ان لبثتم إلا عشرا، وبعضهم يقول: إن لبثتم الا يوما،
وبعضهم يتحير فيقول: أسأل العادين، أو أن تلك أقوالهم، والحق من
ذلك [هو-^٣] ما أخبر الله به غير مضاف إلى أقوالهم من أن ما مضى ١٠
لهم في جنب ما يأتى كأنه ساعة من نهار بالنسبة إلى النهار [الكامل-^٤]
كما قال تعالى في سورة يونس عليه الصلاة والسلام "و يوم يحشرهم كان
لم يلبثوا الا ساعة من النهار يتعارفون بينهم" على أن منهم من يقول
ذلك أيضا كما قال تعالى في سورة المؤمنين حين قال تعالى "كم لبثتم في
الارض عدد سنين قالوا لبثنا يوما أو بعض يوم فأسأل العادين" وذلك ١٥
بالنسبة إلى ما كشف لهم عن أنهم يستقبلونه بما لا آخر له أو أنهم لما
زعتهم نفخة إسرافيل عليه الصلاة والسلام بيد القدرة من قبورهم غرقا
(١) من ظ و م ، وفي الأصل: من أول النهار (٢) أخرجه ابن ماجه في
الزهد - باب مثل الدنيا (٣) زيد من ظ و م (٤) تكرر في الأصل فقط .
(هـ) من ظ و م ، وفي الأصل: عما .

نزعاً شديداً فقاموا و رأوا تلك الأحوال و علموا ما يستقبلونه من
الأوجال استقصروا^(١) مدة لبثهم قبل ذلك لأن من استلذ شيئاً استقصر
مدته و هم استلذوا ذلك و إن كان من أمر المرّ في جنب لهم عن (٢)
أنهم لاقوه، فقد رجع آخرها بالقيامة على أولها، و اتفّ مفصلها بزغ
ه النفس اللوامة على موصلها، و اتصلت بأول ما بعدها من جهة الخشية
و التذكر فيا طيب متصلها، فسبحان من جعله^(٣) متعاقب المقاطع و المطالع،
و أنزله رياضاً محكمة المذاهب و المراجع، والله سبحانه و تعالى هو الموفق
للصواب و إليه المرجع و المآب^(٤) .



(١) من ظ و م، و في الأصل : استقروا (٢) زيد في الأصل و ظ : والله اعلم،
و لم تكن الزيادة في م فحذفناها (٣) من ظ و م، و في الأصل : لصه (٤-٥) في
ظ و م : الموفق .

سورة عبس^٢ و تسمى الصاخة

مقصودها^٢ شرح " انما أنت منذر من يخشاها " بأن المراد الأعظم تزكية القابل للخشية^٣ بالتحذير بالقيامه التي قام الدليل على القدرة عليها بابتداء الخلق من الإنسان، وبكل من الابتداء والإعادة لطعامه^٤ والتعجب من أعرض مع قيام الدليل، والإشارة إلى أن الاستغناء والترف اماره^٥ الإعراض وعدم القابلية والتهيب^٦ للكفر والفجور، وإلى أن المصائب اماره للطهارة والإقبال واستكانة القلوب وسمو النفوس لشريف الأعمال، فكل من كان فيها أرسخ كان قلبه أرق وأطف فكان أخشى، فكان الإقبال عليه أحب وأولى، واسمها "عبس" هو الدال على ذلك بتأمل آياته وتدبر فواصله وغاياته، / وكذا الصاخة النافقة بشرها وشرها والباخه^{١٠} ٦٦٧ /

(بسم الله) الذي له القدرة البالغة والحكمة الباهرة (الرحمن) الذي عم بنعمته^١ الإيجاد الظاهر ثم بآيات البيان الزاهرة^٢ (الرحيم) الذي خص أوليائه بأن آتم نعمته عليهم، فكانت بهم إلى مرضاته سائرة .

(١) الثمانون من سور القرآن الكريم، مكية، وعدد آياتها ٤٢ (٢) زيد في الأصل : وتولى، ولم تكن الزيادة في ظ وم لحذفها (٣) من م، وفي الأصل وظ : ومقصودها (٤) زيد في الأصل : بالخشية، ولم تكن الزيادة في ظ وم لحذفها (٥) من ظ وم، وفي الأصل : لطفاً منه (٦) من م، وفي الأصل : ظ : بنعمته (٧) من ظ وم، وفي الأصل : الزاهر .

لما قصره سبحانه على إنذاره من يخشى ، و كان قد جاءه صلى الله عليه و سلم عبد الله بن أم مكتوم [الأعمى - ١] رضى الله تعالى عنه ، و كان من السابقين ، و كان النبی صلى الله عليه و سلم حين مجيئه مشغولا بدعاء ناس من صناديد قريش إلى الله تعالى ، و قد وجد منهم نوع لين ، ٥ فشرع عبد الله رضى الله عنه يسأله [و هو لا يعلم ما هو فيه من الشغل ، يسأله - ١] أن يقرئه و يعلمه [بما عليه الله - ١] ، فكره أن يقطع كلامه مع أولئك خوفا من أن يفوته منهم ما يرجوه من إسلامهم المستتبع للإسلام ناس كثير من أتباعهم ، فكان يعرض عنه و يقبل عليهم ، و تظهر الكراهة في وجهه ، لاطفه سبحانه و تعالى بالعتاب عن التشاغل ١٠ عن أهل ذلك بالتصدي لمن شأنه أن لا يخشى لاقتنائه بزينة الحياة الدنيا و إقباله بكليته على ما يقضى ، فقال مينا لشرف الفقر^٢ و علو مرتبته و فضل أهل الدين و إن هانوا ، و خسة أهل الدنيا و إن زانوا ، معظما له صلى الله عليه و سلم بسياق الغيبة كما قال سعد بن معاذ رضى الله عنه لما حكم في بنى قريظة : و على من ههنا - يشير إلى ناحية النبي صلى الله عليه و سلم و هو ١٥ معرض عنها حياء منه صلى الله عليه و سلم و لإجلاله له : (عبس) أى فعل الذى هو أعظم خلقنا و نجله عن أن نواجهه بمثل هذا العتاب بوجهه فعل الكاره للشيء من تقطيب الوجه بما له من الطبع البشرى حين يحال بينه و بين مراده ، و آذن بمدحه صلى الله عليه و سلم بأن ذلك خلاف ما طبعه عليه سبحانه من رحمة المساكين و محبتهم و السرور بقربهم و صحبتهم

(١) زيد من ظ و م (٢) من ظ ، و فى الأصل و م : الفقه .

[بقوله - ١] : ﴿ وتولى ﴾ أى كلف نفسه الإعراض عنه رجاء ان يسلم أولئك الاشراف الذين كان يخاطبهم فيتأيد بهم الإسلام و يسلم باسلامهم أتباعهم ففعلوا كلمة الله ، [لأجل - ٢] ﴿ ان جاءه الاعمى ﴾ الذى ينبغي أن يبالغ فى العطف عليه وفى إكرامه جبرا لكسره و اعترافا بحقه فى مجيئه ، وذكره بالوصف للاشعار بعذره فى الإقدام على قطع الكلام و البعث ه على الرأفة [به - ٣] و الرحمة له ، فكان النبي صلى الله عليه و آله وسلم إذا رآه بعد ذلك قال : مرحبا بمن عاتنى فيه ربى ، و استخلفه على المدينة الشريفة عند غزوه مرتين ، قال أنس بن مالك رضى الله عنه : و رأيت يوم القادسية عليه درع و معه رؤية سوداء رضى الله عنه .

و لما عرف بسياق الغيبة ما أريد من الإجلال ، و كان طول الإعراض ١٠ موجبا للانقباض ، أقبل عليه صلى الله عليه و سلم فقال : / ﴿ و ما يدريك ﴾ / ٦٦٨ /
أى و أى شىء بحملك داريا بحاله و إن اجتهدت فى ذلك فان ذوات الصدور لا يعلمها إلا الله تعالى ﴿ لعله ﴾ أى الأعمى ﴿ يزكئى ﴾ أى يكون بحيث يرجى تطهره و نمو أحواله الصالحة بما يسمع منك و لو على اذن الوجوه بما يشير إليه إدغام تاء الافعال (٩) ، و كذا قوله : ﴿ او يذكر ﴾ أى ١٥ أو يقع منه التذكر لشىء يكون سببا لذكائه و تذكره و لو كان ذلك منه

-
- (١) زيد من م (٢) زيد من ظ و م (٣) من ظ و م ، وفى الأصل : ذكر .
(٤) من ظ و م ، وفى الأصل : يتعذره (٥) زيد من ظ (٦) راجع العالم ١٧٤/٧ .
(٧) من م ، وفى الأصل و ظ : الصالح (٨) من ظ ، وفى الأصل و م : منه .
(٩) من ظ ، وفى الأصل و م : لذكائه (١٠-١١) من م ، وفى الأصل و ظ : منه ذلك .

على أدنى الوجوه المخرجة من^١ الكفر فإن الخير لا يحقر شيء منه، وسبب
عن تزكيه وتذكره قوله: ﴿فتنعه﴾ أى عقب تذكره وسببه ﴿الذكرى^٢﴾
وفى ذلك إيحاء إلى أن الإعراض كان لتزكية غيره وتذكره، وقراءة
النصب على أنه جواب دلل^٣.

٥ ولما ذكر العبوس والتولى عنه فأفهمها ضدّها لمن كان مقبلاً
عليهم، بين ذلك فقال: ﴿أما من استغنى^٤﴾ أى طلب الغنى وهو المال
والثروة فوجده وإن لم يخش ولم يحسب إليك ﴿فانت له﴾ أى دون
الاعمى ﴿تصدى^٥﴾ أى تتعرض بالإقبال عليه والاجتهاد فى وعظه
رجاء إسلامه وإسلام أتباعه بإسلامه ومم عتبة بن ربيعة وأبو جهل
١٠ و [أبى و - ٢] أمية ابن خلف، وأشار^٦ حذف تاء الفعل فى قراءة الجماعة
وادغامها فى قراءة نافع وابن كثير [إلى - ١] أن ذلك كان على وجه
خفيف كما هى عادة العقلاء.

وقال الإمام أبو جعفر ابن الزبير: لما قال سبحانه "إن فى ذلك
لعبرة لمن يخشى" وقال بعد "أما أنت منذر من يخشاها" افتتحت هذه
١٥ السورة الأخرى بمثال يكشف عن المقصود من حال أهل التذكر
والخشية وجميل الاعتناء الربانى بهم و [أنهم و - ١] أن كانوا فى دنياهم
ذوى^٧ خول لا يؤبه لهم^٨ فهم عنده^٩ سبحانه فى عداد من اختاره لعبادته

(١) من ظ و م، وفى الأصل: المخرج (٢) ريد من ظ و م (٣) زيد فى
الأصل: إلى، ولم تكن الزيادة فى ظ و م لحذفها (٤) ريد من م (٥) من
ظ، وفى الأصل و م: ذو (٦-٧) من ظ، وفى الأصل و م: فهو عندهم.
٢٠٢ (٦٣) وأهله

و اهله^١ لطاعته وإجابة رسوله^٢ صلى الله عليه وسلم و اعلى منزلته لديه
 و رب أشعث أغبر لا يؤبه له^٣ لو أقسم على الله لأبره^٤، و منهم ابن أم
 مكتوم الاعمى مؤذن رسول الله صلى الله عليه وسلم [و هو -^٥] الذى
 بسبه^٦ نزلت^٧ السورة و وردت^٨ بطريق العتب و صاة^٩ لنيه صلى الله
 عليه وسلم و تنبيهها على أن يعمل نفسه الكريمة على مصابة [أمثال -^{١٠}] ابن
 أم مكتوم و أن لا يحتقر و حاشاه صلى الله عليه وسلم من ذلك،
 ولكن التحذير من هذا و إن لم يكن وقع^{١١} يشعر بعظيم الاعتساء
 بمن حذر، و منه قوله سبحانه "لئن أشركت ليحبطن عملك" و "لا تدع
 مع الله الها^{١٢} اخر" و "لا تمش فى الارض مرحا" و هو كثير، و بسط
 هذا الضرب لا يلائم مقصودنا فى هذا التعليق، لما دخل عليه صلى الله
 عليه وسلم ابن أم مكتوم سائلا و مسترشدا و هو صلى الله عليه وسلم
 يكلم رجلا من أشراف قريش و قد طمع فى إسلامه و رجاء إنقاذه
 من النار و إنقاذ ذويه و أتباعه، فتمادى على طلبه^{١٣} هذا الرجل لما كان
 يرجوه / و وكل ابن أم مكتوم إلى إيمانه [فأغفل -^{١٤}] فورية^{١٥} مجابته
 و شق عليه إلحاحه خوفا من تقلت^{١٦} الآخر و مضيه على عقبه و هلاكه ١٥

-
- (١) من م ، و فى الأصل و ظ : اهلا (٢) فى م : رسله (٣) من ظ و م ، و فى
 الأصل : به (٤) زيد من ظ و م (هـ) من ظ و م ، و فى الأصل : نزلت بسبه .
 (٦) من ظ و م ، و فى الأصل : ورث (٧) من ظ ، و فى الأصل و م : يقع .
 (٨) فى ظ : تقلبه (٩) زيد من ظ (١٠) من ظ و م ، و فى الأصل : فورى .
 (١١) من ظ و م ، و فى الأصل : تقلب .

عتب سبحانه و تعالى عليه فقال ” عبس و تولى ان جاءه الاعمى و ما يدريك لعله يزكى أو يذكر“ و هى منه سبحانه واجبة ، و قد تقدم فى السورة قبل قول موسى عليه الصلاة و السلام ” هل لك الى أن يزكى“ فلم يقدر له بذلك و لا انتفع ببعده صيته فى دنياه و لا أغنى عنه ما نال

٥ منها و بارت [مواد - ١] تديره و عمت عليه الانباء إلى أن قال ما علمت لكم من إله غيرى فأوقد لى يا هامان على الطين فاجعل لى صرحا اعلى أطلع الى اله موسى ، و انى لا ظنه كاذبا و كذلك زين لفرعون سوء عمله و صد عن السبيل، فأنى يزكى؟ و لو سبقت له سعادة لأبصر من حاله عين اللهو و للعب حين مقالته الشعاء أم أنا خير من هذا الذى هو مهين، .

١٠ و لما سبقت لابن أم مكتوم الحسنى لم يضره عدم الصيت الدنيوى و لا أخل به عماه بل عظم ربه شأنه لما نزل فى حقه ” و ما يدريك لعله يزكى أو يذكر فتفه الذكرى“ فإله صيتا ما أجله ، بخلاف من قدم ذكره ممن طرد فلم يترك* و لم ينتفع بالذكرى حين قصد بها، إنما أنت منظر من ينشأها“ كان أم مكتوم ، و من نمط ما نزل فى ابن أم مكتوم

١٥ قوله تعالى ” و اصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة و العشى يريدون وجهه“ [و قوله : ” و لا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة و العشى يريدون وجهه“ - *] فتبارك ربنا ما أعظم لطفه بعبده-! اللهم لا تؤنسنا

(١) زيد من ظ و م (٢) من ظ و م ، و فى الأصل : ذكركم (م) من م ، و فى الأصل و ظ : خل (٤) من ظ و م ، و فى الأصل : صليتا (ه) من ظ و م ، و فى الأصل : فلم يترك .

من رحمتك^١ ولا تقنطنا من^٢ لطفك^٣ ولا تقطع بنا عنك بمنك وإحسانك - انتهى^٤.

ولما كان فعله ذلك فعل من يخشى أن يكون عليه في بقائهم على كفرهم ملازمة، بين له أنه سالم من ذلك فقال: ﴿ وما ﴾ [أى - ^٢] فعلت ذلك والحال أنه ما ﴿ عليك ﴾ أى من^٥ بأس في ﴿ الا يزكى^٦ ﴾ أصلا ورأسا ولو بأدنى ترك - بما أشار اليه الإدغام^٧ - ان عليك إلا البلاغ، ويجوز أن يكون استفهاما أى وأى شئ يكون عليك فى عدم تزكيه، وفيه اشاره إلى أنه يجب الاجتهاد فى تزكية التابع الذى عرف منه القبول .

ولما ذكر المستغنى، ذكر مقابله فقال: ﴿ واما من جاءك ﴾ حال ١٠ كونه ﴿ يسعى^٨ ﴾ أى مسرعا رغبة فيما عندك من الخير المذكور^٩ بالله وهو^{١٠} فقير ﴿ وهو ﴾ أى والحال أنه ﴿ يخشى^{١١} ﴾ أى يوجد الخوف من الله تعالى ومن الكفار فى أذاهم على الإتيان الى النبي صلى الله عليه وسلم ومن معائر الطريق لعماه ﴿ فانت عنه ﴾ أى خاصة فى ذلك المجلس لكونه فى الحاصل ﴿ تلهى^{١٢} ﴾ أى تتشاغل لأجل أولئك الاشراف ١٥

(١-١) سقط ما بين الرقيين من ظ و م (٢) زيد فى الأصل : والله اعلم ، ولم تكن الزيادة فى ظ و م لحذفها (٣) زيد من ظ (٤) سقط من ظ و م . (٥) زيد فى الأصل وظ : وما عليك ، ولم تكن الزيادة فى م لحذفها (٦) من ظ و م ، وفى الأصل : المذكور (٧) زيد فى الأصل : أى ، ولم تكن الزيادة فى ظ و م لحذفها .

الذين تريد إسلامهم ليعلو بهم الدين تشاغلا حفيقا - بما اشار اليه حذف التاء ،
 من لهى عنه كرضى - 'إذا سلى وغفل وترك' ، وفي التعبير بذلك اشارة
 / إلى أن الاشتغال بأولئك لا فائدة فيه على ما تفهمه^١ تصارييف المادة / ٦٧٠
 وإلى أن من يقصد الانسان^٢ ويتخطى رقاب الناس اليه له عليك حق
 عظيم ، والآية من الاحتباك : ذكر الغنى أولا يدل على الفقر ثانيا ، وذكر
 المجيء والخشية ثانيا يدل على ضدهما أولا ، وسر ذلك التحذير بما يدعو
 اليه الطبع البشرى من الميل الى الأغنياء ، ومن الاستهانة بحق الآتى إعظاما
 لمطلق إتيانه .

ولما كان العتاب الذى هو من شان^٣ الأحباب ملوحا بالنهى عن
 ١٠ الإعراض عمن وقع العتاب عليه ، وكل من كان حاله كحاله والتشاغل
 عن راجب ، صرح به فقال : ﴿ كَلَّا ﴾ أى لا تفعل ذلك أصلا فان
 الأمر فى القضاء والقدر ليس على ما يظن العباد ولا هو جار على الأسباب
 التى تعرفونها بل هو من وراء علومهم على حكم تدق عن أفكارهم^٤ وفهومهم^٥ ؛
 ثم علل ذلك فقال مؤكدا لا إنكارهم ذلك : ﴿ انها ﴾ أى القرآن ، ولعله
 ١٥ أنت الضمير باعتبار ما تلى عليهم فى ذلك المجلس^٦ من الآيات^٧ أو السور^٨
 ﴿ تذكرة ﴾^٩ أى تذكرهم تذكيرا عظيما بما^{١٠} إن تأملوه شاهدوه فى أنفسهم

(١) يريد فى الأصل : من ، ولم تكن الزيادة فى ظ و م لحدوثها (٢-٣) - سقط
 ما بين الرفعين من ظ (٣-٤) من ظ و م ، وفى الأصل : مفهومهم (٤) من ظ
 و م ، وفى الأصل : المحاسن (٥ - ٦) من ظ و م ، وفى الأصل : والسورة .
 (٦) من م ، وفى الأصل و ظ : لا .

وفي الآفاق^١، ليس فيه شيء إلا وهم^٢ يعرفونه لو قبلوا بكليتهم عليه، فما على المذكر بها غير البلاغ، فمن أقبل عليه فأهلا وسهلا، ومن أعرض فبعدا [له - ٣] وحققا .

ولما كان سبحانه قد خلق للانسان عقلا واختيارا، ويسر أمر القرآن في الحفظ والفهم لمن أقبل عليه، سبب عن ذلك قوله : ﴿ فمن شاء ﴾ أي ه ذكره^٥ بعد مشيئة الله تعالى كما تقدم تقييده في القرآن غير مرة ﴿ ذكره ٥ ﴾ أي حفظ القرآن كله و تذكر ما فيه من الوعظ من غير تكرير ولا معالجة نحوج إلى الإعراض عن بعض المقبلين الراغبين، وللإشارة إلى حفظه كله ذكر الضمير .

ولما كان التقدير: حال كون القرآن مثبتا أو حال كون الذاك^{١٠} له [مثبتا - ٤]، قال واصفا لتذكرة مينا اشرفها بتشريف ظرفها وظرف ظرفها : ﴿ في صحف ﴾ أي أشياء يكتب فيها من الورق وغيره ﴿ مكرمة لا ﴾ أي مكرمة التكريم ومعظمته في السماء والارض في كل أمة و [كل - ١٠] ملة ﴿ مرفوعة ﴾ أي عليا^{١١} المقدار باعلاء كل لاسيما من له الأمر كله ﴿ مطهرة لا ﴾ أي منزهة عن أيدي أهل السفول وعن قولهم ١٥

- (١) من ظ و م ، وفي الأصل : الاتفاق (٢) من م ، وفي الأصل و ظ : هو .
(٣) زيد من م (٤) من ظ و م ، وفي الأصل : من (٥) في ظ و م : الذكرو .
(٦) من ظ ، وفي الأصل و م : الإشارة (٧) من ظ و م ، وفي الأصل : الذكر (٨) زيد من ظ (٩) من م ، وفي الأصل و ظ : بعظمة (١٠) زيد من ظ و م (١١) من ظ و م ، وفي الأصل : عالية .

انها شعر أو سحر ونحو ذلك ، وعلق [ايضا - ١] بمثبت - ٢ بالفتح
أو الكسر^٢ على اختلاف المعنيين - قوله مبينا شرف ذلك الظرف لذلك
الظرف إشارة إلى نهاية الشرف للظروف: ﴿بايدى سفرة لا﴾ أى كتبة
يظهرون السكتابة بما فيها من الأخبار الغريبة والأحكام العلية فى [كل - ٢]
٥ حال، فان كان^٣ ما تعلق به الجار بالفتح فهو حقيقة فى أنهم ملائكة
يكتبونه من^٤ اللوح المحفوظ، أو يكون جمع سافر إما بمعنى / الكاتب
أو المسافر [أى - ٢] القاطع للمسافة أو السفير الذى [هو - ٢] المصلح
لأنهم سفراء بين الله وأنبيائه، وبهم يصلح أمر الدين والدنيا، وان كان
بالكسر فهو مجاز لأن من أقبل على كتابة الذكر يكون مهذبا فى الحال
١٠ أو فى^٥ المآل فى الغالب، وتركيب سفر للكشف^٦ ﴿كرام﴾ [أى ينطون
على معالى الاخلاق مع أنهم أعزاء على الله - ٢] ﴿بررة^٧﴾ أى أتقياء فى اعلى
مراتب التقوى والكرم وأعزها وأوسعها.

ولما كان الوصف بهذه الأوصاف العالية للكتابة الذين^٨ أيديهم
ظرف للصحف^٩ التى هى^٩ ظرف للتذكرة للتنبيه على علو المكتوب
١٥ و جلالة مقداره وعظمة آثارة وظهور ذلك لمن تدبره وتأمله حق تأمله

(١) زيد من م (٢-٢) من ظ وم ، وفى الأصل : الفتح وبالكسر (م) زيد من
ظ وم (٤) من م ، وفى الأصل وظ : كل (٥) من ظ وم ، وفى الأصل : فى .
(٦-٦) من ظ وم ، وفى الأصل : وه (٧) زيد فى الأصل : هو ، ولم تكن
ازيادة فى ظ وم لحذفها (٨) زيد فى الأصل : هم ، ولم تكن ازيادة فى
ظ وم لحذفها (٩-٩) من ظ وم ، وفى الأصل : الذين هم .

و أنعم^١ نظره ، عقبه [بقوله -^٢] ناعيا على من [لم -^٣] يقبل بكليته عليه
داعيا عليه بأعظم شدائد الدنيا التي هي القتل في صيغة الخبر لانه أبلغ :
﴿ قتل الانسان ﴾ أى هذا النوع الآنس بنفسه الناسى لربه المتكبر على
غيره المعجب بشأئله التي أبدعها له خالقه ، حصل قتله بلغته وطرده
وفرغ منه بأيسر سعى وأسهله من كل من يصح ذلك منه لانه أسرع
شئ إلى الفساد لانه مبنى على النقائص إلا من عصم^٤ الله ﴿ ما أكفره ﴾
أى ما اشد تغطيته للحق وجده له و عناده فيه لإنكاره البعث وإشراكه
ربه وغير ذلك من أمره ، فهو دعاء عليه بأشنع^٥ دعاء [و -^٦] تعجيب
من إفراطه في ستر محاسن القرآن التي لا تخفى^٧ على أحد ودلائله على
القيامة وكل شئ لا يسع [أحدا -^٨] التعبير^٩ في وجه شئ منها ، وهذا الدعاء ١٠
على وجازته يدل على سخط عظيم و ذم بليغ وهو وإن كان في
مخصوص فالعبرة بعمومه^{١٠} في كل من كفر نعمة الله ، روى أنها نزلت في
عتبة بن أبى لهب غاضب أباه فاسلم ثم استصلحه أبوه وأعطاه مالا وجهزه
إلى الشام فبعث إلى النبي صلى الله عليه وسلم يعلمه^{١١} أنه كافر برب النجم
إذا هوى ، وأخفش في غير هذا ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : اللهم ابعث^{١٢}
عليه كلبا من كلابك ، فلما انتهى إلى مكان من الطريق فيه الأسد

(١) من ظ و م ، وفي الأصل : امعن (٢) زيد من ظ و م (٣) من ظ و م ،
وفي الأصل : كربه (٤) من م ، وفي الأصل وظ : عصمه (٥) من ظ و م ،
وفي الأصل : بامنم (٦) من ظ و م ، وفي الأصل : لا تختلف (٧) من ظ و م ،
وفي الأصل : التعبير به (٨) سقط من ظ و م .

ذكر الدعاء فجعل لمن معه الف دينار إن أصبح [حيا - '] فجعلوه في
وسط الرفقة والمتاع والرحال فأقبل الأسد إلى الرحال ووثب فإذا
هو فرفه فزقه فكان أبوه يتدبه ويكي عليه وقال: ما قال محمد شيئا
إلا كان، [و - '] مع ذلك فما نفعه ما عرف من ذلك، فسبحان من
يده القلوب يضل من يشاء ويهدي من يشاء، وكل ذلك من هدايته
وإضلاله شاهد بأن له الحمد .

ولما كان أكثر انصباب التعجب^٢ منه ناظرا إلى تكذيبه
بالساعة لأجل ظهور أدلتها في القرآن جدا ، لأنه توالت في هذه السور^٣
إقامة الأدلة عليها بما لا مزيد عليه ، شرع في إقامة الدليل عليها بآية
١٠ / ٦٧٢ الانفس من ابتداء الخلق في أسلوب / مبين لحسته وحقارته وأن من
ألبسه أثواب^٤ الشرف بعد تلك الحسة والحقارة جدير منه بالشكر لا بالكفر،
فقال منها له بالسؤال : ﴿من أي شيء﴾ والاستفهام للتقرير مع التحقير
﴿خلقه^٥﴾ ثم أجاب إشارة إلى أن الجواب واضح لا يحتاج فيه إلى
وقف أصلا فقال مينا حقارته : ﴿من نطفة^٦﴾ أي ماء يسير جدا لا من
١٥ غيره ﴿خلقه﴾ أي أوجده مقدرًا على ما هو عليه من التخطيط^٧ ﴿فقدره﴾
أي هيأه لما يصلح له من الأعضاء الظاهرة والباطنة والأشكال والأطوار

(١) زيد من ظ و م (٢) من ظ و م ، وفي الأصل : التعجب (٣) من ظ
و م ، وفي الأصل : السورة (٤) من ظ و م ، وفي الأصل : ثواب .
(٥) من م ، وفي الأصل و ظ : على (٦) في ظ : التخليط .

إلى [أن - ١] صلح لذلك^٢ تم جعله في ظلمات ثلاث : ظلمة البطن ثم
الرحم ثم المشيمة ، أو هي^٣ على ما^٤ قال أهل التفسير ثلاثة أغشية :
أحدها المشيمة تتصل بسرة الجنين تمده^٥ بالغذاء ، والثاني يقبل^٦ بوله ،
والثالث يقبل البخارات التي تصعد منه بمنزلة العرق والوسخ في أبدان
الكاملين ، وأعطاه قدرة لما أراد^٧ [منه - ١] (ثم) أى بعد انتهاء المدة
(السيل) أى الأكل في العموم والانساع والوضوح لا غيره ، وهو
مخرجه من بطن أمه وطريقه إلى الجنة أو النار^٨ (يسره لا) أى سهل له
امره في خروجه بأن فتح فم الرحم^٩ وألهمه أن يتكس ، وذلك [له - ١]
سبيل الخير والشر ، وجعل له عقلا يقوده إلى ما يسر له منها ، وفيه^{١٠}
إيماء إلى أن الدنيا^{١١} دار الممر^{١٢} ، والمقصود غيرها^{١٣} وهو الأخرى ١٠
التي تدل عليها الدنيا ، ولذلك عقبه بقوله عادة الموت من أنعم لأنه
لودام الإنسان حيا مع ما يصل إليه من الضعف والخوف لكان في
غاية البشاعة والشامة لأعدائه والمساءة لأوليائه على أن الموت سبب
الحياة الأبدية : (ثم) أى بعد أمور قدرها سبحانه من أجل وتقلبات
(١) زيد من ظ وم (٢) من ظ وم ، وفي الأصل : كذلك (٣-٢) من ظ
وم ، وفي الأصل : كما (٤) من ظ ، وفي الأصل : يمد ، وفي م : يمد .
(٥) من م ، وفي الأصل وظ : تقبله (٦) زيد في الأصل ، إلى أيهما ، ولم تكن
الزيادة في ظ وم لحذفها (٧) من ظ وم ، وفي الأصل : الفروج (٨) من ظ
وم ، وفي الأصل : هذا (٩-٨) من ظ وم ، وفي الأصل : راد مضى - كذا .
(١٠) من ظ وم ، وفي الأصل : غيره .

(اماته) وأشار إلى إيجاب المبادرة إلى التجهيز بالقاء المعقبة في قوله :
 (فاقبره^١) أى جعل له قبرا فغيبه [فيه - ^٢] أو أمر بدفنه تكرامة له
 وصيانة عن السباع ، والإقبار جعلك لليت قبرا وإعطاؤك القتيل لأمه
 ليدفنه ، والمعنى الامتتان بأنه جعل للإنسان موضعا يصلح لدفنه وجعله
 ٥ بعد الموت بحيث يتمكن^٣ من دفنه ، ولو شاء لجعله يتفتت مع التثن ونحوه
 مما^٤ يمنع من قربانه ، أو جعله بحيث يتهاون به فلا يدفن كبقية الحيوانات ،
 فقد عرف بهذا أن أول الإنسان نطفة مذرة ، و آخره جيفة قدرة ،
 وهو فيما بين ذلك يحمل العذرة ، فاشرفه بالعالم إلا الذى أبدعه وصوره ،
 وذلك موجب لأن يشكره لا أن يكفره .

١٠ ولما كانت مدة البرزخ طويلة ، وكان البعث [أمرأ - ^٥] محققا
 غير معلوم الوقت بالعين بغيره تعالى ، عبر عن المعاني الثلاثة بأداتى^٦
 التراخى والتحقق فقال : (ثم اذا شاء) أى إنشأه^٧ (انشره^٨) أى
 بعثه من قبره كما كان فى دنياه بزيادة أنه على تركيب قوى / لا يتهايا
 فيه فراق الروح والجسد .

١٥ ولما كان إخباره بأنه مع^٩ الذى يسر له السبيل قد يفهم انه لا يعمل
 إلا بما يرضيه ، نفي ذلك على سبيل الردع فقال : (كلا) أى ليرتدع
 هذا الإنسان الذى عرف أن هذه حالاته أولا و آخرا وأثناءا ومخرجا

(١) زيد من ظ و م (٢) من ظ و م ، وفى الأصل : يمكن (٣) من ظ و م ،
 وفى الأصل : فما (٤) زيد من ظ (٥) من ظ ، وفى الأصل و م : باداة (٦) زيد
 فى الأصل : بعد الق ، ولم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٧) فى ظ : هو .

تارة من مخرج البول وأخرى من مخرج الحيض ومقبرا، ولينزجرا^١
و ليعرف، نفسه بالذلة والخسة والحاجة والعجز، و ليعرف ربه سبحانه
بالعزة والعظمة والكبرياء والفناء والقدرة على تشريف الحقير وتحقير
الشريف، وبأنه سبحانه لا يلزمه شيء فلا يلزم من تعريف هذا الإنسان
السييل وتمييزه له أنه لا يفعل إلا ما لا يعاتب عليه، فانه لا يكون [من - ٢] ٥
الإنسان وغيره إلا ما يريد، وتارة يريد هداه، وتارة يريد ضلاله، فقد
يأمر بما لا يريد ويريد ما لا يأمر به ولا يرضاه، ولذلك قال مستأثفا
نفي ما أفهمه بتيسيره^٢ للسييل من [أن - ٣] الإنسان يفعل جميع ما أمره
به الله الذي يسر له السييل : ﴿لما يقض﴾ أى يفعل الإنسان فعلا
ناقذا ماضيا ﴿ما أمره^٣﴾ أى به الله كله من غير تقصير ما من حين ١٠
تكليفه إلى حين إقباره بل من حين وجد آدم عليه الصلاة والسلام
إلى حين نزول هذه الآية وإلى آخر الدهر، لأن الإنسان [مبنى - ٢]
على التقصان والإله منزّه التنزه الأكمل، وما قدروا الله حق قدره،
وايضا الإنسان الذى هو النوع لم [يعمل - ٢] بأسره بحيث لم يشذ منه
فرد جميع ما أمره، بل أغلب^٤ الجنس عصاه وكذب بالساعة التى هى ١٥
حكمة الوجود، وإن صدق بها^٥ بعضهم كان تصديقه بها تكذيبا لأنه
يعتقد أشياء منها على خلاف ما هى عليه .

(١) من ظ وم، وفى الأصل : لينزجر (٢) زيد من ظ وم (٣) فى ظ : يتيسر.

(٤) زيد من م (٥) من ظ وم، وفى الأصل : قلب (٦) من م، وفى الأصل

و ظ : به .

و لما ردعه بعد تفصيل [ماله -^١] في نفسه من الآيات ، وأشار
إلى ما له من النقائص ، شرع يقيم الدليل على تقصيره بأنه لا يقدر
على شكر نعمة المنعم فيما له من المطعم^٢ الذي به قوامه فكيف بغيرها
في أسلوب دال^٣ على الإنشاز بآيات الآفاق منه^٤ على سائر النعم في مدة
ه بقاءه المستلزم لدوام احتياجه إلى ربه فقال مسياعن ذلك : ﴿ فلينظر الانسان ﴾
أى يوقع النظر التام على كل^٥ شىء يقدر على النظر به من بصره
وبصيرته ومد له المدى فقال : ﴿ ألى طعامه لا ﴾ يعنى مطعمومه وما يتصل
به ملتفتا إليه بكليته بالاعتبار بما فيه من العبر التى منها أنا لو
لم نيسره له هلك .

١٠ و لما كان المقصود النظر إلى صنائع الله تعالى فيه ، وكانت أفعال
الإنسان و أقواله فى تكذيبه بالبعث أفعال من ينكر ذلك الصنع ، قال
سبحانه مفصلا لما يشترك فى علمه الخاص و العام من صنائعه فى الطعام ،
مؤكدًا تنبيهها على أن التكذيب بالبعث يستلزم التكذيب / بإبداع النبات / ٦٧٤
و إعادته ، و ذلك فى أسلوب مبين أن الإنسان محتاج إلى جميع ما فى
١٥ الوجود ، ولو نقص منه شىء اختل أمره ، و بدأ أولا بالسماوى لأنه
أشرف ، و بالماء الذى هو حياة كل شىء ، تنبيهها له على ابتداء خلقه :
﴿ انا ﴾ أى على ما لنا من العظمة ﴿ صبينا الماء ﴾ أى الذى جعلنا منه

(١) زيد من ظ و م (٢) من ظ و م ، وفى الأصل : العظم (م) من م ،
وفى الأصل و ظ : دل (٤) من م ، وفى الأصل و ظ : منها (هـ) من ظ ،
وفى الأصل و م : بكل .

كل شيء حتى ﴿صبا﴾ و ثنى بالارض التي هي كالانثى بالنسبة إلى السماء فقال: ﴿ثم﴾ أى 'بعد مهلة' من إزال الماء. و فارتنا بينها فى البلاد و النبات ﴿شققنا﴾ أى بما لنا من العظمة ﴿الارض﴾ بالنبات الذى هو فى غاية الضعف عن شق أصعب الأشياء فكيف بالارض اليابسة المتكررة جدا عند مغالطة الماء، و حقق المعنى فقال: ﴿شققا﴾ ٥ ثم سبب عن الشق ما هو كالتفسير له مينا الاحتياج إلى النبات بقوله: ﴿فانبتنا﴾ أى أطلعنا على وجه الاتصال الموجب للتغذى و النمو ﴿فيها﴾ بسبب الشق ﴿حبا﴾ أى لاقتيات الإنسان وغيره من الحيوان كالخنطة و الشعير و الرز^٢ وغيرها .

و لما كان الحب قوتا فبدأ به لأنه الأصل فى القوام، عطف عليه ١٠ ما هو فاكهة و قوت فقال^٤: ﴿وعنبا﴾ هو فاكهة فى حال غنيته و قوت باتخاذ زيبا و دبسا و خلا^٥. و لما كان ذلك^٦ فى بيان عجائب الصنع ليدل على القدرة على كل شيء فيدل [على -^٧] القدرة على البعث فذكر ما إن أخذ من منبته قبل بلوغه فسد، وإن ترك اشتد و صلح للادخار، و أتبعه ما إن ترك على أصله فسد^٨، و إن أخذ [و عولج -^٩] صلح ١٥

(١) من ظ و م ، و فى الأصل : قاي - كذا (٢) من م ، و فى الأصل و ظ : مهملة (٣) من ظ و م ، و فى الأصل : البرز (٤) من ظ ، و فى الأصل : وغير ذلك ، و كل ذلك ساقط من م (٥) زيد فى الأصل : انتهى ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٦) سقط من م (٧) زيد من م (٨) من ظ و م ، و فى الأصل : اخذ (٩) زيد من ظ و م .

للادخار، أتبعه [ما لا يصلح -^١] اللادخار بوجه فقال: ﴿وَأَضْبَا﴾
وهو الرطب من البقل وغيره، وهو يزيد على الماضين بأنه فيه ما هو
دواء نافع وسم نافع، وبأنه^٢ يقطع مرة بعد أخرى فيخلف، سمي بمصدر
قضبه - إذا قطعه بمحصد أو قلع .

٥ ولما ذكر ما لا يصلح أن يؤكل إلا رطبا من غير تأخير، أتبعه
ما لا يفسد بحال لا على أمه ولا بعد القطف [: يصلح بعد القطف -^٢]
فيؤكل أو يعصر، فيكون له دهن للاستصباح والادهان^٣ والائتدام،
وفيه تقوية للعظام والأعصاب ولا يفسده^٤ الماء بوجه كما أن العنب
يعصر فيكون منه دبس و خل وغيرهما^٥، ومتى خالطه الماء فسد، [فقال -^١]:
١٠ ﴿وَزَيْتُونَا﴾ يكون فيه مع ما مضى حرافة و غضاضة فيها لإصلاح
المزاج . ولما ذكر ما لا يفسد و شجره يصبر على البرد، أتبعه ما هو
كالعنب يؤكل على أمه^٦ و يقطع فيدخر^٧، فهو جامع بين التحلى والتحمض
بالخل والتفكه^٨ والتقوى والتداوى للسم النافع والسحر الصارع من
عجوة المدينة الشريفة وغير ذلك من ثمرة و شجرة، ولا يصبر شجره على
١٥ البرد فقال: ﴿وَنَخْلًا﴾ وكل من هذه الأشجار مخالف للآخر في
الشكل والحمل وغير ذلك مع الموافقة في / الأرض والسقي .

/ ٦٧٥

(١) زيد من ظ و م (٢) من ظ و م ، وفي الأصل : انه (٣) زيد من م .
(٤) من م ، وفي الأصل و ظ : الادهان (٥) من م ، وفي الأصل و ظ :
لا يفسد (٦) من ظ و م ، وفي الأصل : نحوهما (٧ - ٧) من ظ و م ، وفي
الأصل : يدخر بعد قطعه (٨) من ظ و م ، وفي الأصل : التفكه .

ولما ذكر هذه الأشياء من الأقوات والفواكه لكثرة منافعتها ،
و كانت البساتين تجمعها و غيرها مع ما لها من بهجة العين و سرور
النفس ' و بسط الخاطر و شرح القلب قال : ﴿ و حدائق ﴾ جمع حديقة
و هى الروضة ذات النخل و الشجر ، أو كل ما أحاط به [البناء - ٢]
و هى تجمع ذلك [كله - ٢] ﴿ غلباء ﴾ جمع غلباء - بفتح الغين و المد ، ه
و هى الحديقة ذات أشجار كثيرة عظام غلاظ طوال ملتفة الأغصان
متكاثرة [متكثرة - ٢] ، مستعار من وصف الرقاب ، يقال : غلب فلان -
كفرح أى غلظ عنقه ، و العلباء : أيضا من القبائل العزيزة الممتعة ، و من
المضاب المشرفة .

ولما ذكر ما يتفكه و يدخر جمع فقال : ﴿ وفاكهة ﴾ أى ثمرة ١٠
رطبة يتفكه بها كالخوخ و العنب و التين و التفاح و الكمثرى ' و البرقوق
بما يمكن أن يصلح فيدخر و مما لا يمكن . ولما ذكر فاكهة الناس ،
ذكر فاكهة بنية الحيوان فقال : ﴿ و بالاء ﴾ أى و مرعى و نباتا و عشبا
و كلاً ما دام رطباً يقصد ، من أب الشئ - إذا أمه .

ولما جمع ما يقات و ما يتفكه ، فدل دلالة واضحة ٢ على تمام ١٥
القدرة ، ذكر بالنعمة فيه قارعا بأسلوب الخطاب لتعميم الأفراد بعد سياق

-
- (١) من ظ و م ، وفى الأصل : العين (٢) زيد من م (٣) زيد من ظ و م .
(٤) من ظ و م ، وفى الأصل : عطيمة (٥) من ظ ، وفى الأصل و م : غلب .
(٦-٦) سقط ما بين الرتين من ظ و م (٧) من م ، وفى الأصل و ظ : واحدة .

العتاب للتصرّح بأنّ الكل عاجزون عن الوفاء بالشكر فكيف إذا انضم
إليه الكفر فقال. ﴿متاعا﴾ وهو منصوب على الحال . ولما ذكر
ما يأكله الناس و ما يلف للدواب ، و كان السياق هنا اطعام الإنسان ،
قال مقدما ضميرهم : ﴿لكم ولانعامكم﴾ بخلاف ما في السجدة و قد
مضى ، و الإنعام بها يكون تمام الصلاح للانسان بما له فيها من النعم
بالركوب و الأكل و الشرب و الكسوة و الجمال و سائر المنافع ، و ذكر
هذا^١ ذكرا ظاهرا مشيرا^٢ إلى المعادن لأن منها ما لا يتم ما مضى إلا به ،
و هي آلات الزرع و الحصد و الطبخ و العجن و غير ذلك ، و الملائكة
المدبرة لما صرفها الله فيه من ذلك ، فدل ذلك على أن الوجود كله خلق
١٠ "لأجل منافع" الإنسان ليشكر لا ليكفر ، و دلت القدرة على ذلك قطعا
على القدرة على البعث .

و لما ذكر عجائب الصنع في الطعام ، و كان ذلك يقطف فيعود^٣
لا سيما المرعى^٤ فانه يأتي^٥ عليه الخريف فينشف ثم يتحطم من الرياح
و يتفرق في الأرض ثم يصير ترابا ثم يبعث الله المطر فيجمعه من
١٥ الأرض بعد أن صار ترابا ثم ينبت به كما كان ، و كان ذلك مثل إحياء
الموتى سواء ، فتحقق لذلك ما تقدم من أمر الإنبات بعد الإقبار ، و كان

(١) من ظ و م ، و في الأصل : فان (٢) في م ، الذي (٣) من م ، و في الأصل
وظ : مشير (٤) من ظ و م ، و في الأصل : القصد (٥ - ٥) من ظ و م ،
و في الأصل : المنافع (٦) من ظ و م ، و في الأصل : ويعود (٧ - ٧) من ظ
و م ، و في الأصل : فيأتي .

ذلك ايضا مذكرا بأمر أئينا^١ آدم عليه الصلاة والسلام لما أمره الله بالأكل من الجنة إلا من الشجرة التي نهاه عنها، فلما أكل منها أخرجه من الجنة فسجنه في دار ليست بجنة^٢ ولا نار ولا غيرهما بل هي من مزج الدارين والبرزخ بينهما، فيها ما يذكر بهذه وما يذكر بتلك، وفيها أمثلة الموجودات كلها، قال مسيبا عما ثبت به الإحياء للبعث إلى ه المحشر معبرا بأداة التحقق لأن الساعة بما لا بد منه ولا يحيد عنه لأنها سر^٣ الكون فإن فيها حساب الذين استخلفوا في هذا الوجود وأقيضت^٤ عليهم النعم التي أودعها فيه، وأشار إلى أنهم عاجزون عن القيام بشكرها، وكثير منهم - بل أكثرهم - زاد على ذلك بكفرها، فأوجب ذلك - ولا بد - حسابهم على ما فعلوا فيها استخلفوا فيه واسترعوه كما هي عادة^٥ كل مسترع ومستخلف: (فإذا جاءت) أي كانت ووجدت لأن كل ما هو كأن كأنه لافيك وجام^٦ [إليك - ٦] (الصاخة) أي الصرخة العظيمة التي يبالغ في إسماع الأسماع بها حتى تكاد تصمها^٧ لشدتها. وكأنها تظعن فيها لقوة وقعتها وعظيم وجبتها، وتضطر الآذان إلى أن تصيخ إليها [أي - ٦] تسمع^٨، وهي من أسماء القيامة، وأصل الصخ: الضرب ١٥ بشيء صلب على مصمت .

- (١) في ظ: انشاء (٢) في ظ وم: جنة (٣) من ظ وم، وفي الأصل: سلو .
(٤) من م، وفي الأصل وظ: اقتضت (ه-ه) من ظ وم، وفي الأصل: هو عبادة (٦) زيد من ظ وم (٧) من ظ وم، وفي الأصل: تعمها (٨) من ظ، وفي الأصل وم: نسمع .

ولما كان وصفها بما يقع فيها أهيب، قال مبدلاً من "إذا" ما يدل على جوابها من نحو: اشتغل كل بنفسه ولم يكن عنده فراغ ما لغيره: (يوم يفر المرء) أى الذى هو أعظم الخلق مروءة. ولما كان السياق للفرار، قدم أدناهم رتبة فى الحب والذنب فأدناهم^١ على سبيل الترقى، وآخر^٢ الاوجب فى ذلك فالأوجب بخلاف ما فى "سأل" كما مضى فقال: (من أخيه) لانه يألفه صغيراً وقد يركن إليه كبيراً مع طول الصحابة وشدة القرب فى القرابة فيكون عنده فى غاية العزة .

ولما كانت الأم مشاركة له فى الإلف، ويلزم من حمايتها أكثر مما يلزم^٣ الأخ وهو لها آلف وإليها أحنّ وعليها أرق وأعطف قال: ١٠ (وامه) ولما كان الأب أعظم منها فى الإلف لأنه أقرب فى النوع وللولد عليه من العاطفة لما له من مزيد النفع أكثر من قبله قال: (وابيه لا) ولما كانت الزوجة التى هى أهل لأن تصحب^٤ الصق بالفؤاد^٥ وأعرق فى الوداد، وكان الإنسان أذنب عنها^٦ عند الاشتداد، قال: (وصاحته) ولعله أفردا إشارة إلى أنها عنده فى الدرجة العليا من ١٥ المودة بحيث لا يألف غيرها .

ولما كان للوالد إلى الولد من المحبة والعاطفة [والإباحة - ^١]

(١) زيد فى الأصل : رتبة ، ولم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٢) زيد فى الأصل وظ و م ، ولم تكن الزيادة فى م فحذفناها (٣) زيد فى الأصل : لانها ، ولم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٤) من ظ و م ، وفى الأصل : الى افؤاد (٥) من ظ و م ، وفى الأصل : منها (٦) زيد من ظ و م .

بالسر و المشاورة في الأمر ما ليس لغيره ، ولذلك يضيع عليه رزقه وعمره قال : ﴿ وبنه ١ ﴾ وإن اجتمع فيهم الصغير الذي هو عليه أشفق و الكبير الذي هو في [قلبه - ١] أجل و في عينه أنبل و من بينهما من الذكر و الأنثى .

و لما ذكر فراره الذي منعه قراره ، علله فقال : ﴿ لكل امرئ ٥
أى و إن كان أعظم الناس مروءة ﴾ (منهم يومئذ) أى [إذ - ٢] تكون
هذه الدواهي العظام و الشدائد و الآلام ﴾ (شان) أى أمر بليغ عظيم
﴿ يغنيه ٣ ﴾ [أى يكفيه - ٢] في الاهتمام بحيث لا يدع له حصة يمكنه
صرفها إلى غيره ٥ و يوجب له لزوم / المقى ، وهو المنزل - الذى يرضيه
مع أنه يعلم [أنه - ١] يتبعونه و يخاف أن يطالبوه لما هم فيه من الكرب ١٠
بما لعله قصر فيه من حقوقهم .

و لما ذكر اليوم ، قسم أهله إلى القسمين المقصودين بالتذكرة أول
السورة ، فقال دالا على البواطن بأشرف الظواهر : ﴿ وجوه يومئذ ﴾
أى إذ ٢ كان ٣ ما تقدم ٤ من الفرار و غيره ﴿ مسفرة ٥ ﴾ أى ييض
مضيئة بالإشراق و الاستنارة ، من أسفر الصبح - إذا أشرق و استنار ١٥
﴿ ضاحكة ﴾ لما علمت من سعادتها ﴿ مستبشرة ٦ ﴾ أى طالبة للبشر و هو

(١) زيد من ظ و م (٢) زيد من م (٣) - قط من ظ و م (٤) من م ، و فى
الأصل وظ : يسكن (٥) من ظ و م ، و فى الأصل : غيرها (٦) زيد فى الأصل :
فقال ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٧) من م ، و فى الأصل وظ :
إذا (٨-٨) سقط ما بين الرقيين من ظ .

تغير البشرة من السرور و مودة لذلك ، و هى بيضاء نيرة بما يرى من
تبشير الملائكة ، و ذلك بما كانت فيه فى الدنيا من عبوس الوجوه^١
و تغيرها و شحوبها^٢ من خشية الله تعالى و ما يظهر من^٣ جلاله فى
الساعة كابن أم مكتوم رضى الله عنه الذى كان يحمله خوف الساعة على
٥ حل الرؤية فى أشد الحروب كيوم القادسية و الثبات بها حتى يكون
كالعمود ، لايزول^٤ عن^٥ مركزه أصلا ليرضى المعبود .

ولما ذكر أهل السعادة الذين هم المقبولون على الخير المصابون فى
أنفسهم بما يكفر سيئاتهم و يعلى درجاتهم ، ذكر أصدادهم فقال تعالى :
(و وجوه) و أكد باعادة الظرف لإزالة الشبهة فقال : (يومئذ)
١٠ [أى - ١] إذ وجد ما ذكر (عليها) أى ملاصقة لها مع الغلبة
و العلو (غيرة لا) أى اربداد^٦ و كأنه بحيث يصير كأنه^٧ قد علاها
غبار و هى عابسة حذرة و جلة منذرة ، و ذلك بما يلحقها من المشقات
و كثرة الزحام مع رعب الفؤاد ، و تذكر ما هى صائرة إليه من الأنكاد
الشداد (ترهقها) أى تغشاها و تقهرها و تعلوها (قتره^٨) أى كدورة
١٥ و سواد و ظلمة ضد الإسفار فهى باكية عابسة بما كانت فيه فى الدنيا

(١) من ظ و م ، وفى الأصل : الوجه (٢) من ظ و م ، وفى الأصل :
نحويتها (٣) من ظ و م ، وفى الأصل : فى (٤) من م ، وفى الأصل و ظ :
لايزال (٥) زيد فى الأصل : امره ، ولم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها .
(٦) زيد من م (٧) من ظ و م ، وفى الأصل : امداد - كذا (٨) من م ،
وفى الأصل و ظ : كانها .

من الفرح و اللعب و الضحك و الأمن من العذاب : فالآية من الاحتباك :
ذكر الإسفار و البشر أولا يدل على الخوف و الذعر ثانيا ، و ذكر الغبرة
ثانيا يدل على البياض و النور أولا ، و سر ذلك أنه ذكر دليل الراحة
و دليل التعب لظهورهما ترغيا و ترهيبا .

و لما كان^١ هذا الأمر^٢ هائلا . و كان الفاجر ، لما على قلبه من الرين ه
وله من القساوة ، قليل الخوف من الأجل عديم الفكر فيما يأتي به غدا^٣
لما غلب عليه من الشهوتين : السبعة و البهيمية بخلاف المتقي في كل ذلك ،
استأنف الإخبار زيادة في التهويل فقال : ﴿ اواستك ﴾ أى البعداء^٤ البغضاء
﴿ م ﴾ أى خاصة^٥ لا غيرهم^٦ ﴿ الكفرة ﴾ أى الذين سبوا دلائل الإيمان
﴿ الفجرة ﴾ أى الذين خرجوا عن دائرة الشرع خروجا فاحشا حتى كانوا ١٠
عريقين في ذلك الكفر و الفجور ، و هم في الأغلب المترفون^٧ الذين يحملهم
غناهم على التكبر و الأشر / و البطر ، فلجمعهم بين الكفر و الفجور جمع
لهم بين الغبرة و القفرة ، كما يكون للزوج من البقاعة^٨ إذا علا وجوههم
غبار و وسخ ، فقد عاد آخرها على أولها فيمن يستحق الإعراض عنه
و من يستحق الإقبال عليه - و الله الهادي .

٢٧٨ /

١٥

(١) من ظ و م ، و فى الأصل : ذكر (٢) فى ظ : امرا (٣) من ظ و م ، و فى
الأصل : عدل (٤) من ظ و م ، و فى الأصل : بعد (هـ-هـ) سقط ما بين الرقین
من ظ و م (٦) من ظ و م ، و فى الأصل : المترفون (٧) فى ظ : القناعة .

سورة التكويد^١

مقصودها التهديد الشديد^٢ يوم الوعيد الذي هو محط الرجال، لكونه
 أعظم مقام لظهور الجلال، لمن كذب بأن^٣ هذا القرآن تذكرة^٤ لمن
 ذكره^٥ في صحف مكرمة^٦ مرفوعة مطهرة^٧ بأيدي سفره، والدلالة على
 حقيقة كونه كذلك بأن^٨ السفير به أمين في الملا^٩ الأعلى مكين المكانة
 هـ فيما هنالك والموصل له إلينا منزله عن التهمة برئ من النقص لما يعلمونه
 من حاله قبل النبوة وما كانوا يشهدون له به من الكمال في صحبته لهم
 المتطاوله التي نبههم بالتعليق بها على ما لا يشكون فيه من أمره ولم يأتهم
 بعدها إلا بما^{١٠} هو شرف له وتذكير بما في أنفسهم وفي الآفاق من الآيات،
 وذلك كاف [لهم - ٧] في الحكم بأنه صدق والعلم اليقين بأنه حق،
 ١٠ واسمها التكويد أدل^{١١} ما فيها على ذلك بتأمل الظرف وجوابه وما فيه
 من بديع القول وصوابه، وما تسبب عنه من عظم الشأن لهذا القرآن
 ﴿ بسم الله ﴾ الواحد القهار ﴿ الرحمن ﴾ الذي عمت نعمة إيجاده وبيانه
 الأبرار والفجار ﴿ الرحيم ﴾ الذي خص أهل وداده بما أسعدهم في

- (١) الحادية والثمانون من سور القرآن الكريم، مكية، وعدد آياتها ٢٩ .
 (٢) سقط من ظ (٣) من ظ وم، وفي الأصل : فان (٤-٥) سقط ما بين الرقنين
 من ظ (٥) من م ، وفي الأصل و ظ : فان (٦) من م ، وفي الأصل و ظ :
 ما (٧) زيد من م (٨) تكرر في الأصل فقط .

دار القرار •

لما ختمت سورة^١ عبس بوعيد الكفرة [الفجرة -^٢] يوم الصاخة
لجحودهم^٣ بما لهذا^٤ القرآن من التذكرة، ابتدئت هذه بآتمام ذلك، فصور
ذلك اليوم بما يكون فيه من الأمور الهائلة من عالم الملك و الملكوت
حتى كأنه رأى عين كما رواه^٥ الإمام أحمد^٦ و الترمذى^٧ و الطبرانى^٨ .
و غيرهم عن ابن عمر رضى الله عنهما عن النبي صلى الله عليه و سلم برجال
ثقات أن النبي صلى الله عليه و سلم قال: من أحب أن ينظر إلى يوم
القيامة رأى العين فليقرأ " إذا الشمس كورت". فقال بادئا بعالم الملك
و الشهادة لأنه أقرب تصورا لما يغلب على الإنسان من الوقوف مع
المحسوسات، معلما بأنه سيخرب زهيدا في كل ما يجر إليه و حثا على
عدم المبالاة به و الابتعاد من التعلق بشيء من أسبابه: (إذا الشمس)
أى التى هى أعظم آيات السماء الظاهرة^٩ و أوضحها للحس •

ولما كان المهول مطلق تكويرها الدال على عظمة مكورها، بنى للفعول
على طريقة كلام القادرين قوله: (كورت بـ) أى لفت بأيسر أمر من
غير كلفة^{١٠} ما أصلا، فأدخلت في العرش - كما قاله ابن عباس رضى الله عنهما^{١١} -
فذهب ما كان ينبسط من نورها، من كورت العمامة - إذا لففتها فكان

(١) سقط من ظ و م (٢) زيد من ظ و م (٣-٢) من ظ و م ، وفى الأصل :
بهذا (٤) من ظ و م ، وفى الأصل : رآه (٥) راجع المسند ٢/٢٧ (٦) راجع
الجامع - التفسير (٧) راجع بحم الزوائد ٧/١٣٤ (٨) العبارة من هنا إلى ما يستنبه عليه
نسخت من ظ (٩) من م ، وفى ظ : افقة (١٠) راجع البحر المحيط ٨/٤٣١ •

بعضها على بعض وانطمس بعضها ببعض، و الثوب - إذا جمعه فرفعته،
فالتكويد كناية عن رفعها أو إلقائها في جهنم زيادة في عذاب أهلها
ولاسيما عبدتها، أو ألقيت عن فلانها، من طعنه فكوره أى ألقاه مجتمعا،
و التركيب للادارة و الجمع و الرفع للشمس، فعل دل عليه "كورت"
٥ لأن "إذا"، تطلب الفعل لما فيها من معنى الشرط، و [لما - ١] كان
التأثير فى الأعظم دالا على التأثير فيما دونه بطريق الأولى، أتبع ذلك
قوله معمما بعد التخصيص: ﴿ و اذا النجوم ﴾ أى كلها صفارها
وكبارها ﴿ انكدرت ﴾ أى انقضت فتهاوت و تساقطت و تناثرت حتى
كان ذلك كأنه بأنفسها من غير فعل فاعل فى غاية الإسراع، أو أظلمت،
١٠ من كدرت الماء فانكدر، قال ابن عباس رضى الله عنها^٢: يكور الله
الشمس و القمر و النجوم [يوم القيامة - ١] فى البحر ثم يبعث عليها
ريحا دبورا فتضرمها فتصير نارا، و قال الكلبي و عطاء: ^٢تمطر السماء يومئذ
بجوها، لا يبق بحم إلا وقع.

و لما بدأ بأعلام السماء لأنها أشهر و أعم تخويفا و إرهابا، و ذكر
١٥ منها اثنين [هما - ١] أشهر ما فيها و أعما نفعا، أتبعها أعلام الأرض
فقال مكررا للظرف لمزيد الاعتناء بالتهويل: ﴿ و اذا الجبال ﴾ أى التى
هى فى العالم السفلى كالنجوم فى العالم العلوى، و هى^٣ أصلب ما فى الأرض،

(١) زيد من م (٢) راجع معالم التنزيل ١٧٧/٧ (٣) من م، و فى ظ: هو .

ودل على عظمة القدرة بالبناء للفعول فقال : ﴿ سيرت هـ ﴾ أى وقع تسيرها بوجه الأرض فصارت كأنها السحاب فى السير والهباء فى النثر لتستوى الأرض فتكون قاعا صفصفا لا عوج فيها ، لأن ذلك اليوم لا يقبل العوج فى شيء من الأشياء بوجه .

ولما ذكر أعلام الجهاد ، أتبعه أعلام الحيوان النافع الذى هو هـ أعز أموال العرب وأغلبها على وجه دل على عظم الهول فقال : ﴿ وإذا العشار ﴾ أى النوق التى آتى على حملها عشرة أشهر ، جمع عشراء مثل نقساء ، وهى أحب أموال العرب إليهم وأقسها عندهم لأنها تجمع اللحم والظهر واللبن والوبر ، روى أن النبى صلى الله عليه وسلم [مر-١] فى أصحابه بعشار من النوق حقل ، فأعرض عنها و غض بصره قليل له : ١٠ يارسول الله ! هذا أنفس أموالنا ، لم لا تنظر إليها ؟ فقال : قد نهانى الله عن ذلك ، ثم تلا " ولا تمدن عينيك إلى ما متعنا " - الآية . ولا يزال ذلك اسمها حتى تضع لتمام السنة ﴿ عطلت هـ ﴾ أى ركت مهملة كأنه لأصاحب لها مع أنها أنفس أموالهم ، فكانت إذا بلغت ذلك أحسنت إليها وأعزتها واشتد إقبالها عليها : و قالت : جاء خيرها من ولد ولبن ، ١٥ لأن الأمر ، لاشتغال كل أحد بنفسه ، أهول من أن يلتفت أحد إلى شيء وإن عز .

ولما ذكر المقرعات الدالات على إرادة أمر عظيم ، قرب ذلك

(١) زيد من م (٢) من م ، وفى ظ : عطلت (٣) من م ، وفى ظ : ايها (٤) من م ، وفى ظ : ان .

الامر بافهام أنه الحشر، و دل على عمومه بذكر ما يظن إهماله فقال :
 ﴿ واذا الوحوش ﴾ أى دواب البر التى لا تأنس بأحد التى يظن انه
 لا عبرة بها ولا التفات إليها فإظنك بغيرها ﴿ حشرت ﴾ أى بعثت
 و جمعت من كل أوب قهرا لإرادة العرض على الملك الأعظم والفصل
 ٥ فيما بينها فى أنفسها^١ حتى يقتصر للجاء من القرناء و بينها^٢ و بين غيرها^٣
 أيضا حتى يسأل العصفور قاتله، لم قتله ؟ قال قتادة^٤ : يحشر كل شيء
 للقصاص حتى الذباب - انتهى . ولا يستوحش [الوحش -^٥] من الناس
 و لا الناس من الوحوش من شدة الاهوال، و ذلك أهول و أفرع
 و أخوف و أفزع، قال القشيري : ولا يبعد أن يكون ذلك بإبصال منافع
 ١٠ إليها جوازا لا وجوبا كما قاله أهل البدع - انتهى . و كل شيء فى الدنيا
 يحضر فى تلك الدار، فاذا وقع الفصل جعل الخبيث فى جهنم زيادة فى
 عذاب أهلها، والطيب فى الجنة زيادة فى نعيم أهلها .

ولما أفهم هذا الحشر، ذكر ما يدل على ما ينال أهل الموقف
 من الشدائد من شدة الحر فقال : ﴿ واذا البحار ﴾ أى على كثرتها
 ١٥ ﴿ سجرت ﴾ أى لجأ بعضها إلى بعض حتى صارت بحرا واحدا وملئت^٦
 حتى كان ما فيها أكثر^٧ منها وأحمت^٨ حتى كان كالتور التهابا وتسعرا^٩
 فكانت شرابا لأهل النار وعذابا عليهم، ولا يكون هذا إلا وقد حصل

(١) من م، و فى ظ : أنفسهما (٢) من م، و فى ظ : بينها (٣) من م، و فى
 ظ : غيرهما (٤) راجع البحر المحيط ٤٣٢/٨ (٥) زيد من م (٦) من م، و فى
 ظ : غلت (٧-٧) من م، و فى ظ : منها واحمست (٨) و من هنا يستأنف
 الأصل .

من الحرما يذيب الأكباد .

و لما ذكر من الآيات العلوية من عالم الملك اثنين و من السفلية

أربعة ، فأفهم جميع الخلق ' أن الأمر في غاية الخطر فتشوفت النفوس ' ٢

/ إلى ما يفعل ، قال ذاكرنا لما أراد من عالم الغيب و الملكوت ، و هو ' ٦٧٩ /

أمور ستة على عدد ما مضى من عالم الملك و الشهادة ترغيبا في الأعمال ه

الصالحة و القرناء الصالحين لثلاثين زوج بما يسوءه و ابتدأ بما يناسب تكوير

الشمس : (ه اذا النفوس) أى من كل ذى نفس من الناس و غيرهم

(زوجت ه) أى قرنت بأبدانها و جمع ' كل من الخلق إلى ما كانت

نفسه تألفه و تنزع إليه ، فكانوا أصنافا كما قال تعالى " احشروا الذين

ظلموا و ازواجهم " و ما كانوا يعبدون من دون الله ، و التفاف ' الأزواج ١٠

كالتفاف ' الشمس حتى يذهب نورها .

و لما صرح الأمر فكانت القلوب أحر من الجمر ، ذكر ما

هو المقصود الأعظم و هو السؤال على وجه يفهم العموم فقال :

(و اذا المؤدة) أى ما دفن من الأولاد حيا بعد الولادة أو حصل تسبب

في قتله قبل الولادة بدواء و نحوه ، سميت مؤدة لما يوضع عليها من التراب ١٥

(١) زيدت الواو في الأصل و ظ ، ولم تكن في م فحذفناها (٢) من ظ و م ،

وفي الأصل : النفس (٣) من ظ و م . وفي الأصل : هى (٤) من ظ و م ، وفي

الأصل : جميع (ه - ه) سقط ما بين الرقین من ظ و م (٦) من ظ و م ، وفي

الأصل : التفات (٧) من ظ و م ، وفي الأصل : كالتفات .

فيثقلها فيقتلها^١ "وأدا" مقلوب "آدا" إذا أثقل ، وإلقاؤها في البئر
 المحفور^٢ لها قريب من انكسار النجوم^٣ و تساقطها . ولما كان هذا
 أهون القتل عندهم . وكانوا يظنون أنه مما لا عبرة به ، بين أنه معني به
 و أنه لا بد من بعثها و جعلها بحيث تعقل و تهيب و إن كان قسح^٤
 ٥ الروح فيها في زمن يسير فقال : ﴿سُئِلَتْ﴾ أي وقع سؤالها عما يليق
 أن تسأل عنه ، ثم قيل على طريق الاستئناف تخويفا للوالدين : ﴿بأي﴾
 أي "بسبب أي" ﴿ذنب﴾ [يا - ٦] أيها الجاهلون ﴿قتلت﴾ أي
 استحققت به عندكم القتل وهي [لم - ٧] تباشر^٥ سوما لكونها لم تصل
 إلى حد التكليف ، فما ظنك بمن هو فوقها وبمن هو جان ، و سؤالها
 ١٠ هو على وجه التبكيت لقاتلها ، فإن العرب كانت تدفن البنات أحياء
 مخافة الإملاق أو لحوق العار بهن ، و يقولون : نردها إلى الله هو أولى
 بها ، فلا يرضون البنات لأنفسهم و يرضونها لخالقهم ، و كان فيهم من
 يتكرم عن^٦ ذلك^٧ و من يفسد المودات و يريهن ، و ليس في الآية
 دليل على تعذيب أطفال الكفرة و لاعدمه ، فإن الكافر الذي يستحق

(١) من ظ و م ، وفي الأصل : فيقلبها (٢) من م ، وفي الأصل و ظ ؛
 المنفوخ (٣) من ظ و م ، وفي الأصل : الشمس (٤ - ٤) من ظ و م ، وفي
 الأصل : فيها الروح (٥ - ٥) من ظ و م ، وفي الأصل : إلى سبب و أي (٦) زيد
 من ظ و م (٧) من ظ و م ، وفي الأصل : تباشرها (٨) من ظ و م ، وفي
 الأصل : على (٩) زيد في الأصل : و يفسد المودات ؛ و لم تكن الزيادة في
 ظ و م لحذفها .

الخلود قد يكون مستأمنًا فلا يحل قتله ، و الأطفال ما^١ عملوا ما يستحقون به القتل ، و يؤخذ من سؤال المؤدة تحريم الظلم لكل [أحد -^٢] وكف اليد و اللسان عن كل إنسان .

ولما دل هذا على عموم السؤال ، ذكر ما ينشأ عنه مما يدل على النعيم أو النكال فقال : ﴿ و اذا الصحف ﴾ أى الأوراق التى كتبت فيها أعمال العباد ﴿ نشرت ﴾ أى فرقت مفتحة تفتيحاً عظيماً على أربابها^٣ بأيسر أمر فتأتى السعيد فى يمينه من تلقاء وجهه على وجه يكون فيه بشارة له ، و تأتى الشقى من وراء ظهره و فى شماله بعد أن كانت [طويت -^٤] عند موته ، و نشرها مثل تسيير الجبال و تطايرها ، فن اعتقد أن صحيفته^٥ ثابتة فترديه / أو تنجيه لم يضع^٦ فيها إلا حسناً من قول أو عمل أو اعتقاد . ١ / ٦٨٠

و لما ذكر ما يطلق و ينشر ، اتبعه ما يطوى و يحصر ، ليدوم ما فوقه من العجائب و ينظر ، فقال : ﴿ و اذا السماء ﴾ أى هذا الجنس كله ، أفردته لأنه يعلم بالقدرة على بعضه القدرة على الباقي ﴿ كشطت ﴾ أى قلعت بقوة عظيمة و سرعة زائدة و أزيلت عن مكانها التى هى ساترة له محيطة به ، أو عن الهواء المحيط بسطحها الذى هو كالروح لها كما يكشط الإهاب عما هو ساتر له و محيط به مع شدة الالتزاق [به -^٧] لأن ذلك يوم^٨ الكشف و الإظهار ” فكشفنا عنك غطاءك ” و كسطها

(١) من ظ و م ، وفى الأصل : لم يكونوا (٢) زيد من ظ و م (٣) من ظ و م ، وفى الأصل : ادبارها (٤) من ظ و م ، وفى الأصل : ضيعته (٥) من ظ و م ، وفى الأصل : لم يضيع (٦) من ظ و م ، وفى الأصل : هو .

هو مثل انكشاف الناس عن العشار و تفرقهم عنها ، فن اعتقد زوالها
أعرض عن ربط همته بشئ منها و ناط^١ أموره كلها برها .

ولما زالت الموانع ظهرت عجائب الصنائع التي هي غايات المطالب ،
ونهايات الرغائب والرهاب ، فقال : ﴿ واذا الجحيم ﴾ أى النار الشديدة
التأجج والتي بعضها فوق بعض و العظيمة فى مهواة عميقة ﴿ سمرت^٢ ﴾
أى أوقدت إيقادا شديدا بأيسر أمر و قربت من الكافرين بغاية السرعة ،
فكان الأمر فى غاية العسر ، و ذلك قريب من نتيجة ما يحصل من
الهول من حشر الوحوش .

و لما ذكر دار الاعداء البعداء ترهيا ، أتبعه دار المقربين السعداء
١٠ ترغيا ، فقال : ﴿ واذا الجنة ﴾ أى البستان ذو^٣ الأشجار الملتفة والرياض
المعجبة ﴿ ازلقت^٤ ﴾ أى قربت من المؤمنين ونعمت ببرد العيش و طيب
المستقر ، ودرجت درجاتها و هيئت ، و ملئت حياضها^٥ و مصانعها ،
وزينت صحافها و نظفت أرضها و طهرت عن كل ما يشين ، و حسنت رياضها
بكل ما يزين ، من قول أهل اللغة : الزلف - محركة : القربة و الدرجة
١٥ و الحياض الممتلئة و [الزلفة -^٦] : المصنعة الممتلئة و الصخرة و الأرض
المكنوسة ، و الزلف - بالكسر : الروضة ، و معنى هذا ضد سحر البحار ،
فالآية من الاحتباك : ذكر التسمير^٧ أولا دالا على ضده فى الجنة ثانيا ،

(١) من ظ ، و فى الأصل و م : مناط (٢) من ظ و م ، و فى الأصل « و »
(٣) من م ، و فى الأصل و ظ : حياضها (٤) زيد من م (هـ) من م ، و فى
الأصل و ظ : السعير (٦) من ظ و م ، و فى الأصل : دلالة .

و ذكر التقريب ثانيا دال^١ على مثله أولا .

و لما كانت هذه الأشياء لهولها موجبة لاجتماع الهم و صرف
الفكر عما يشغله من زينة أو هو أو لعب أو سهو ، فكان موجبا للعلم
بما يرجى نعيما أو يوجب جحima ، و كان ذلك [موجبا -^٢] لتشوف السامع
إلى ما يكون ، قال تعالى كاشفا تلك النعمة بالعامل في ” اذا “ و ما ه
عطف عليها : (علمت نفس) أى كل واحدة من النفوس ، فالتشكير فيه
مثله في ” ثمرة “ خير من جرادة ، و دلالة هذا السياق المهول على ذلك
يوجب اليقين فيه (ما) أى كل شيء (احضرت^٣) [اى -^٤] علمت^٥
و أوجدت ، فكان أهلا للحضور ، و كان عمله لها سببا لإحضار القدير
إياه لها في ذلك اليوم محفوظا لم يغب عنه منها ذرة من خيره و شره ، ١٠
فلاجل^٦ ذلك كان لكل أمرئ شأن يغنيه ، فانه لا بد أن يكون في أعماله
ما [لا -^٧] يرضيه و ما يستصغره عن حضرة العلى الكبير ، فمن اعتقد
ذلك رغب / فى أن لا يحضر إلا ما يسره ، و رهب فى إحضار ما يسوءه
٦٨١ / فيضره ، و جميع هذه الأشياء الاثنى عشر المحدودة المذكورة فى حيز
” اذا “ فى الآخرة بعد النفخة الثانية على ما تقدم فى الحاقه أنه الظاهر ، ١٥
و أنه رواية عن ابن عباس رضى الله عنهما ، لأن النهويل بعد القيام انسب ،
و أدخل [فى -^٨] الحكمة و أغرب .

و قال الإمام أبو جعفر ابن الزبير : لما قال سبحانه ” فاذا جاءت

(١) من ظ و م ، وفى الأصل : دلالة (٢) زيد من ظ و م (٣) من ظ و م ،
وفى الأصل : عسره - كذا (٤) من م ، وفى الأصل و ظ : علمت (٥) من م ،
وفى الأصل و ظ : فلكل .

الصاخة يوم يفر المرء من أخيه" - الآيات إلى آخر السورة، كان مظنة لاستفهام السائل عن الوقوع ومتى يكون؟ فقال تعالى "إذا الشمس كورت" و وقوع تكوير الشمس و انكدار النجوم و تسير الجبال و تعطيل العشار كل ذلك متقدم على فرار المرء من أخيه و أمه و أبيه - ٥ إلى ما ذكر إلى آخر السورة لاتصال ما ذكر في مطلع سورة التكويد بقيام الساعة، فيصح أن يكون أمانة للأول و علما [عليه - ٢] - انتهى . و لما كان السياق للترهيب، و كان الأليق بآخر عبس أن يكون للكفرة، و كان أعظم ما يحضره الكفرة من أعمالهم بعد الشرك التكذيب^٢ بالحق، و أعظمه التكذيب بالقرآن، و ذلك التكذيب هو ١٠ الذي جمع الخزي كله للكذب به في قوله "قتل الإنسان ما اكفره" الذي السياق كله له، و إنما استحق المكذب به ذلك لأن التكذيب به يوقع في كل حرج مع أنه لا شيء أظهر منه في أنه كلام الله لما له من الروق و الجمع للحكم و الأحكام و المعارف التي لا يقدر على جمعها على ذلك الوجه و ترتيبها ذلك الترتيب إلا الله، ثم وراء ذلك ١٥ كله أنه معجز، سبب عن هذا التهديد قوله مقسما بما دل على عظيم قدر المقسم عليه بترك الإقسام بأشياء هي من الإجلال و الإعظام في أسنى مقام: ﴿فَلَا اقْصَمْ﴾ أي لأجل حقيقة القرآن لأن الأمر فيه غنى عن قسم لشدة ظهوره و انتشار نوره، و لذلك أشار إلى عيوب تلحق هذه

(١) من م، و في الأصل و ظ: قال (٢) زيد من ظ و م (٣) من ظ و م، و في الأصل: للتكذيب (٤) من ظ و م، و في الأصل: حقيقة .

الاشياء التي ذكرها و القرآن منزّه عن كل شائبة نقص ، لانه كلام الملك
الاعلى فقال: ﴿ بالخنس ١ ﴾ أى الكواكب التي يتأخر طلوعها عن طلوع
الشمس فتغيب في النهار لغلبة ضياء الشمس لها ، وهي النجوم ذوات
الأنواء التي كانوا يعظمونها بنسبة الأمطار والرحمة - التي ينزلها الله - إليها ،
قالوا : وهي القمر فعطارد فالزهرة فالشمس فالمرّيح فالمشتري فزحل ، هـ
وقد نظمها بعضهم متديلاً ٢ فقال :

زحل اشترى ٣ مريخه من شمس قزهرت ٤ لعطارد أقمار ٥

ثم أبدل منها أعظمها فقال: ﴿ الجوار الكنس ٦ ﴾ أى السيارة التي تحقّق
و تغيب بالنهار تحت ضوء الشمس ، من كنس الوحش - إذا دخل كناسه
وهو يئته المتخذ من أغصان الشجر ، وقال الرازي : يكنس ويستتر ٧

٦٨٢ / العلوى منها بالسفلى / عند القرائات كما تستر الأطباء في الكناس ، وقال
قنادة ٨ : تسير ٩ بالليل وتخنس ١٠ بالنهار فتخفى ولا ترى ، وروى ذلك أيضا
عن علي رضي الله تعالى عنه ، قال البغوي ١١ : وأصل الخنوس الرجوع

(١) من ظ و م ، وفي الأصل : الذي (٢) من ظ و م ، وفي الأصل : اليه .

(٣) من ظ و م ، وفي الأصل : مدلياً (٤) من ظ و م ، وفي الأصل : شرى .

(٥) من ظ و م ، وفي الأصل : قزهرت (٦) من ظ و م ، وفي الأصل :

الاقمار (٧) من ظ و م ، وفي الأصل : تخفى (٨) من ظ و م ، وفي الأصل :

يستر (٩) راجع المعالم ١٧٨/٧ (١٠) في المعالم : تبدو .

[إلى - ١] وراء والكنوس أن تأوى إلى مكانها^٢. وقال القشيري: إن ذلك غروبها، وإنما نفي الإقسام [بها - ٢] لأنها وإن كانت عظيمة في أنفسها، بما ناط بها سبحانه من المصالح وأتم تعظمونها وتغنون فيها لأن فيها نقائص الغيوبة [و - ٣] انبهار النور، والقرآن المقسم^٤ لأجله ٥. مزه عن ذلك، بل هو الغالب على كل ما سواه من الكلام [غلبة - ٤] هي اعظم من غلبة ضياء الشمس لنور ما سواها من الكواكب، فلذلك لا يليق أن يقسم بها لأجله.

ولما ذكر غيابها ففهم^٦ منه محله وهو النهار، ذكر محل ظهورها فافهم الظهور فقال: (و آيل) أى الذى هو محل ظهور النجوم ١٠. و زوال خنوسها و ذهاب كنوسها (إذا عمس لا) أى أقبل ظلامه، واعتكر سواده و قتامه، فظهرت الكواكب زهرا منثورا فى يدها تلك الغياهب، فان فيه نقصانا بالظلام و غير ذلك من الاحكام، وقيل: معناه أدبر، وقيل: أظلم. وقيل: انتصف، وقيل: انقضى، وسعسع بمعناه فهو ما لا يستحيل بالانعكاس، والآية من الاحتباك: ذكر خنوس الكواكب ١٥ و كنوسها أولا يفهم ظهورها ثانيا، و ذكر الليل ثانيا يفهم حذف النهار أولا.

- (١) زيد من م (٢) من ظ و م، وفى الأصل: مكانها (٣) زيد من ظ و م.
(٤) من ظ و م، وفى الأصل: نفسها (٥) من ظ و م، وفى الأصل: القسم.
(٦) من ظ و م، وفى الأصل: ففهم (٧) من ظ و م، وفى الأصل: محله.
(٨) من ظ و م، وفى الأصل: بمعناه.

و لما كان ربما ظن ظان^١ أن ما نقص بالظلام عن صلاحية
 الإقسام يتأهل ذلك بزواله ، قال نافيا لذلك : ﴿ والصبح ﴾ أى الذى هو
 أعيد أوقات النهار ﴿ اذا تنفس ﴾ أى أضاء وأقبل روحه ونسيمه ،
 وأنسه ونعيمه ، واتسع نوره ، وانفرج به عن الليل ديجوره ، وذلك^٢
 بعد إقبال الليل^٣ ثم إداره أى لا أقسم به لأنه وإن كان ذا نور ونعمة ه
 وجور وبهجة و سرور فإن ذلك يتضاءل عن نور القرآن ، وما فيه
 من النعيم والرضوان ، وأين الثريا من يد المتناول ، على أن تنفسه
 بالبرد والطفافة تنسخه الشمس بالحر والكثافة ، وتنفس القرآن بنفحات
 القدس ونعيم المواعظ والانس لا ينسخه شيء .

و لما بين [أن -^١] هذه الأشياء - التى لولاها لما طاب لهم عيش ١٠
 ولا تنهأوا بحياة ، وهى من الفضل بحيث لا يعمله إلا خالقها - تصغر عن
 أن يقسم بها على شيء من فضائل القرآن لما له من عظيم الشأن الذى
 لا يطبق التعبير [عنه -^٢] البيان ، ويتضاءل دونه اللسان ، قال مجيبا لذلك
 إخبارا عما هو محقق فى نفس الأمر أعظم من تحقق هذه الأشياء المقسم
 بها ، هادٍ إلى مصالح الدارين أكثر من هدايتها ، مينا^٣ للسافرين به^٤ الملكى ١٥
 والبشرى عليهما الصلاة والسلام والتحية والإكرام مؤكدا لما يستحقه
 / السياق كما يستحقه^٥ مع ما^٦ لهم من الإنكار تنبيها على ضعف عقولهم

٦٨٣ /

(١) سقط من ظ و م (٢-٢) من ظ ، وفى الأصل و م : ثم (٣-٣) من ظ
 و م ، وفى الأصل : اقباله (٤) زيد من ظ و م (٥-٥) من ظ و م ، وفى
 الأصل : للفسيرين بها (٦) من ظ و م ، وفى الأصل : بما (٧-٧) من ظ و م ،
 وفى الأصل : لا .

و عظيم سفهم بعد ان اقسام بثلاثة اقسام، فان نفى الاقسام [بها - بما
 ذكر من نقائصها - كالاقسام -^١] بها مع بيان [أن -^٢] المقسم عليه أعظم
 منها بما لا يقاس^٣: (انه) أى هذا الذكر الذى تقدم فى عبس بعض
 ما يستحق^٤ من الاوصاف الجميلة و النعوت الجليلة (لقول رسول)
 ٥ و هو جبريل عليه الصلاة والسلام نحن أرسلناه به الى خير خلقنا
 و جعلناه بريدا بيننا و بينه لاقتضاء الحكمة ذلك، وهى^٥ أن يكون خلاصة
 الخلق ذا جهتين: واحدة ملكية يتلقى بها من الملائكة عليهم السلام
 لكون غيره من البشر لا يطبق ذلك، و أخرى بشرية يتلقى بها منه
 المبعوث إليهم، و من المعلوم أن الرسول انما وظيفته تبليغ^٦ ما أرسل
 ١٠ به فهو سفير محض، و الذى أوحاه و إن كان قوله لكونه نطق به
 و بلغه من غير مشاركة شيطان ولا غيره هو قول الله من غير شك لكونه
 معبرا عن الصفة القديمة النفسية، ولو كان قول الرسول مستقلا [به -^٧]
 لما كان لوصفه^٨ بالرسالة مدخل فما كانت البلاغة تقتضى ذكره^٩ بالوصف .
 و لما بين بوصف الرسالة أنه ليس بقوله إلا لكونه مرسلًا به
 ١٥ و مبلغه، و أنه فى الحقيقة قول من أرسله، وصفه بما أفهمه الوصف
 بما يوجب حفظه من غير تحريف ما ولا تغيير أصلا بوجه من الوجوه،

(١) زيد من ظ و م (٢) من ظ و م ، وفى الأصل : لا يقاس (٣) من ظ و م ،
 وفى الأصل : تقدم (٤) من ظ و م ، وفى الأصل : هو (٥) من ظ و م ، وفى
 الأصل : تبليغ (٦) زيد من ظ (٧) من ظ و م ، وفى الأصل : وصفه .
 (٨) من ظ و م ، وفى الأصل : ذكر .

و ذلك ببيان منزلته عند الله ووجاهته وبيان قدره و نفوذ كلمته فقال :
 ﴿ كَرِيمٌ ۝١ ﴾ أى انتفت عنه^١ وجوه المدام كلها و ثبتت له وجوه المحامد
 كلها، فهو جواد شريف النفس ظاهر عليه معالى الأخلاق يرى من
 أن يلم شيء [من اللوم - ٢] بساحته، فلذلك هو يفيض^٢ الخيرات باذن
 ربه على من أمر به من العالمين، فيؤدى ما أرسل به كما هو لقيامه بالرسالة ٥
 قيام الكرام فلم يغير فيها شيئاً أصلاً ولا قرط حتى يمكن غيره أن
 يحرف أو يغير، والكرم اجتماع كالات الشيء اللاتقة^٣ به .

ولما اقتضى هذا القوة، صرح به تأكيداً فقال : ﴿ ذِي قُوَّةٍ ﴾ أى
 على [ضبط - ٢] ما أرسل به بنفسه وعلى المدافعة للغير عن أن يدخل فيه
 شيئاً من نقص، وأكّد القوة بقوله : ﴿ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ ﴾ أى الملك الأعلى ١٥
 المحيط عرشه بجميع الأكوان الذى لا عنديته فى الحقيقة إلا له ﴿ مَكِينٌ ۝٤ ﴾
 أى بالغ المكنة عنده^٤ عظيم المنزلة جداً ببلغ فيها فهو بحيث لا يتأتى
 منه تفريط ما فى إبلاغ شيء مما أرسل به لأنه لا يغيره الأحوال
 ولا يعمل فيه تضاد الشهوات، لأنه لا شهوة^٥ له إلا ما يأمر^٦ به مرسله
 سبحانه و تعالى .

١٥

(١) وقع فى الأصل بعد « كلها » والترتيب من ظ و م (٢) زيد من ظ و م .
 (٣) من ظ و م ، وفى الأصل : مفيض (٤) سقط من م (٥) من م ، وفى
 الأصل و ظ : اللائق (٦) من م ، وفى الأصل و ظ : عند (٧) من م ، وفى
 الأصل و ظ : شيء (٨) من م ، وفى الأصل و ظ : يأمره .

ولما كان المتمكن في نفسه قد لا يكون له اعوان، قال: ﴿مطاع ثم﴾
 أى فى الملا^٢ الأعلى فهم عليهم السلام أطوع شيء له، قال الحسن :
 فرض الله على أهل السماوات طاعة جبريل عليه الصلاة والسلام كما
 فرض على أهل الأرض طاعة محمد صلى الله عليه وسلم . / ولما كان
 ٦٨٤ / ذلك يقتضى الأمانة، صرح بها فقال: ﴿امين^٣﴾ أى بليغ^٤ الأمانة فهو
 مصدق القول مقبول الأمر موثوق به فى أمر الرسالة وإفاضة العلوم
 على القلوب روحانى مطهر جوهرى و فعلا وحالا، و من كان بهذه
 الصفات^٥ العظيمة كان بحيث لا يأتى إلا فى أمر مهم جدا لأن الملوك
 لا يرسلون خواصهم [إلا - °] فى مثل ذلك، ولذلك ائتمنه الله تعالى
 ١٠ على رسالته .

ولما وصف السفير الملكى وهو جبريل عليه الصلاة والسلام بهذه
 الصفات الخمس التى أزالته عن القرآن كل لبس، وكان وصفه بها إنما
 هو لأجل إثبات شرف الرسول البشرى الذى هو بين الحق وعامة^٦
 الخلق، وهو النبى صلى الله عليه وسلم بأن ما يقوله كلام الله حقا، وكانوا
 ١٥ يصفونه بما هو فى غاية النزاهة عنه وهم يعلمون ذلك، أبطله مبكتا لهم
 بالكذب و موبخا بالبلادة بقوله زيادة فى شرفه حيث كان هو المدافع
 عنه: ﴿و ما صاحبكم﴾ أى الذى طالت صحبته لكم و أنتم تعلمون أنه

-
- (١) من ظ و م، وفى الأصل: من (٢) من م، وفى الأصل و ظ : ملا .
 (٣) من ظ و م، وفى الأصل: بالغ (٤) من م، وفى الأصل و ظ : الصفة .
 (٥) زيد من ظ و م (٦) فى ظ : خاصة .

في غاية الكمال حتى أنه ليس له وصف عديم إلا الأمين، و أعرق في
 النفي فقال: ﴿بمجنون﴾ أي كما تبهتونه به من غير استحياء من المكذب
 الظاهر مع ظهور التناقض فعل الالام اللثام، بل جاء بالحق و صدق المرسلين،
 فإ القرآن الذي يتلوه عليكم قول مجنون ولا [قول - ١] متوسط في
 العقل بل قول أعقل العقلاء و أكل الكلام^١، وهذا النفي المؤكد ثابت ه
 له دائماً على سبيل الاستغراق لكل زمان - هذا ما دل عليه الكلام لا ما^٢
 قال الزمخشري أنه يدل على أفضلية جبريل عليه السلام على النبي صلى الله
 عليه وسلم و على بقية الملائكة، فانه ما سبق لذلك ولا هو و الله بما
 رضى جبريل عليه السلام، قال الأصهباني هنا: هذا يدل على فضله
 "وأما أنه يدل" على أنه أفضل من جميع الملائكة و من محمد صلى الله عليه ١٠
 وسلم فلا يمكنه، و قال في قوله تعالى في البقرة "وملائكته و رسله":
 و لم يلزم من تقديم الملائكة في الذكر تفضيلهم^٣ على الرسل، و أما
 تقديم جبريل على ميكائيل فليس يبعد أن يكون للشرف كما أن تخصيصهما
 بالذكر لفضلهما، و قال في النجم: ثم دنى جبريل من ربه عز وجل،
 و هذا قول مجاهد يدل عليه ما روى في الحديث "إن أقرب الملائكة ١٥
 إلى الله عز وجل جبريل عليه السلام" - انتهى . و لو صح هذا الحديث

(١) زيد من ظ و م (٢) من ظ ، و في الأصل و م : الكلمة (٣) من ظ و م ،
 و في الأصل : كما (٤) من ظ و م ، و في الأصل : فضيلة - كذا (ه - ه) من
 ظ و م ، و في الأصل : اما وانه يدخل (٦) زيد في الأصل : على تقديمهم ،
 و لم تكن الزيادة في ظ و م لخذلها .

لكان فيه كفاية لكن لم اجدہ اصلا . وقال الاصهباني في ' عم في قوله '
 "يوم يقوم الروح" عن ابن عباس رضى الله عنهما: هو أعظم الملائكة
 خلقا وأشرف منهم، وأقرب من رب العالمين = انتهى، فهذا كما ترى
 صريح في تفضيل الروح، وقال السهيلي في غزوة بدر من كتابه الروض^٢:
 ٦٨٥ / ٥ / ونزل جبريل عليه السلام بألف من الملائكة فكان في خمسمائة في الميمنة،
 وميكائيل عليه السلام في خمسمائة في الميسرة، ووراءهم مدد من الملائكة
 لم يقاتلوا وهم الآلاف المذكورون في سورة آل عمران، وكان اسرافيل
 عليه السلام وسط الصف لا يقاتل كما يقاتل غيره من الملائكة
 عليهم الصلاة والسلام = [انتهى - '] . وهذا يدل على شرف اسرافيل
 ١٠ عليه السلام لأن موقفه موقف رئيس القوم و فعله فعله - والله أعلم .
 ولما كان المجنون لا يثبت ما يسمعه* ولا ما يبصره حق الإثبات،
 فكان التقدير بعد هذا النقي: فلقد سمع من رسولنا اليه ما أرسل به
 حق السمع، ما التبس عليه [فيه - '] حق بياطل، عطف [عليه - ']
 الإخبار برفعة شأنه في رؤية ما لم يره [غيره - '] وأمانته وجوده فقال:
 ١٥ (ولقد راه) أي المرسل اليه و هو جبريل عليه الصلاة والسلام على^٦
 صورته الحقيقية ليلة المعراج و بعرفات، جامعا الى حس السمع حس البصر
 (بالافق المبين ج) أي الأعلى الذي هو عند سدره المنتهى، حيث
 (١) زيد في الأصل: سورة، ولم تكن الزيادة في ظ و م فحذفناها (٢) سقط
 من ظ و م (٣) راجع ٩١/٢ (٤) زيد من ظ و م (٥) من ظ و م، وفي
 الأصل: معه (٦) من، وفي الأصل و ظ: ئي .

لا يكون لبس أصلا، ولا يكون لشيطان على ذلك المكان سبيل فعرفه
حق المعرفة، وقال البيضاوي^١: بمطلع الشمس الأعلى - يعنى^٢ وهو مشرق
الأنوار، و الأفق: الناحية التي تفوق و تعلو .

ولما انتفى ما يظن من لبس السمع و زيغ البصر، لم يبق إلا ما
يتعلق بالتأدية فتفى ما يتوهم من ذلك [بقوله -^٢]: ﴿ وما ﴾ أى سمعه ه
و رآه و الحال أنه ما ﴿ هو على الغيب ﴾ أى الأمر الغائب عنكم فى
النقل عنه ولا فى غيره من باب الأولى ﴿ بظنين ج ﴾ أى بمتهم، من الظنة
وهى التهمة، كما يتهم الكاهن لأنه يخطئ فى بعض ما يقول، فهو حقيق
بأن يوثق بكل شئ. يقوله فى كل أحواله، هذا فى قراءة ابن كثير
و أبى عمرو و الكسائى و رويس عن يعقوب بالظاء، و المعنى فى قراءة ١٠
الباقيين [بالضاد -^٢]: يئخيل كما يئخل الكاهن رغبة فى الحلوان، بل
هو حريص على أن يكون كل من أمته عالما بكل ما أمره الله تعالى^٣
بتبليغه.

ولما أثبت له الأمانة و الجود بعد أن نفى عنه ما بهتوه به، وكان
الجنون أظهر من قول المجنون لأن بعض المجانين ربما تكلم الكلام ١٥

(١) راجع أنوار التنزيل ص: ٧٨٦ (٢) من ظ و م، وفى الأصل: بمعنى (م) زيد
من ظ و م (٤) زيد فى الأصل و ظ: وما، ولم تكن الزيادة فى م لحذفها.
(٥) زيد فى الأصل و ظ: به من و، ولم تكن الزيادة فى م لحذفها.

المنتظم في [بعض -^١] الاوقات فنفاه لذلك، و كان قول الكاهن اظهر
 من الكهانة، نفى القول فقال: ﴿وما هو﴾ اى القرآن الذى من جملة
 معجزاته الإخبار بالمغيبات، و أغرق في النفي بالتأكيد بالبلاء فقال:
 ﴿بقول شيطان﴾ . و لما كان الشيطان لا ينفك عن الطرد لأن اشتقاقه
 ه من شطن و شاط، و ذلك يقتضى البعد و الاحتراق، وصفه بما هو لازم
 له فقال: ﴿رجيم﴾ اى مرجوم باللعن وغيره من الشهب لأجل استراق
 السمع مطرود عن ذلك، لأن القاتل له ليس بكاهن كما تعلون، وبقى
 بما قالوه السحر و هو لا يحتاج إلى نفيه / لأنه ليس بقول، بل هو فعل
 / ٦٨٦
 صرف او قول مقترن به، و الأضغاث و هى لذلك واضحة العوار'
 ١٠ فلم يعدها، فمن علم هذه الاوصاف للقرآن و الرسولين الآتين به الملكى
 و البشرى أحبه و أحبهما، و بالغ في التعظيم و الإجلال، و أقبل على تلاوته
 في كل اوقانه، و بالغ في السعى في كل ما يأمر به و الهرب مما ينهى^٥
 عنه، ليحصل له الاستقامة رغبة في مرافقة من آتى به و رؤية من آتى
 من عنده .

١٥ و لما لم يدع وجهها يلبس به على من لا يعرف حاله صلى الله عليه
 و سلم، سبب عنه قوله موجها منكرا: ﴿فان تذهبون﴾ اى بقلوبكم عن

(١) زيد من م (٢) من م، و فى الأصل و ظ: شيطان (م) زيد فى الأصل
 و ظ: كله، ولم تكن الزيادة فى م لخذفناها (٤) فى الأصل بياض ملأناه من ظ
 و م (ه) من م، و فى الأصل و ظ: نهى .

هذا الحق المبين يا اهل مكة المدعين لغاية الفطنة وقد علمتم هذا الحفظ العظيم في الرسولين الملكي والبشرى فمن [أين-'] يأتي ما تدعون من التخليط^٢ في هذا الكتاب العظيم الذي دل على حفظه ببرهان عجزم عن معارضة شيء منه؟ وهو^٣ استضلال لهم واستجهال على أبلغ وجه في كل ما كانوا ينسبونوه إليه^٤ بحيث صار ضلالهم^٥ معروفا لا لبس فيه .
 ولما كان الحال قد صار في الوضوح الى أنه إذا نبه صاحبه بمثل هذا القول نظر أدنى نظر، فقال من غير وقفة^٦: لا أين، قال: (ان) أي ما (هو) أي القرآن الذي أناكم به (الا ذكر للعلمين لا) أي شرف للخلق كلهم من الجن والإنس والملائكة وموعظة بليغة عظيمة لهم . ولما تشرف^٧ الوجود كله باظهاره فيه نوع تشرف^٨، أطلق هذه ١٠ العبارة . ولما كان الذي ثم شرفه المهتدى، فكان الوعظ والشرف إنما هو له في الحقيقة [قال]: (لمن شاء منكم) أي أيها المخاطبون^٩ (ان يستقيم^{١٠}) أي يطلب القوم ويوجده .

ولما كان ذلك ربما تعنت به المتعنت في خلق الأفعال، قال نافيا

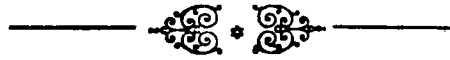
(١) زيد من م (٢) زيد في الأصل وظ : وقد عجزتم ، ولم تكن الزيادة في م لحذفها (٣) زيد في الأصل : في ، ولم تكن الزيادة في ظ و م لحذفها (٤) من ظ و م ، وفي الأصل : له (٥) تكرر في الأصل فقط (٦) من ظ و م ، وفي الأصل : واقفة (٧) من م ، وفي الأصل وظ : تشوف (٨) زيد في الأصل : كلهم ، ولم تكن الزيادة في ظ و م لحذفها .

لاستقلالهم و مثبتا للكسب : ﴿ و ما تشآون ﴾ اى اياها الخلاق الاستقامة
 ﴿ اَلَا اَن يَشَآءَ اللّٰهُ ﴾ اى الملك الاعلى الذى لا حكم لاحد سواه مشيتكم ،
 و ان لم يشأها لم تقدرؤا على مشيته ، فادعوه مخلصين له الدين يشأ لكم
 ما يرضيه فيوفقكم إليه ، و عن وهب بن منبه أنه قال : الكتب التى
 ٥ أزلها الله ^٢ على الانبياء عليهم الصلاة و السلام بضع و تسعون كتابا
 قرأت منها بضعاً [وثمانين - ^٥] كتابا فوجدت فيها : من جعل إلى نفسه
 شيئا من المشيئة فقد كفر - انتهى . و من تأمل هذه الآية أدنى تأمل
 علم أن كلام المعتزلة بعدما فى القدر دليل على أن الإنسان إذا كان له
 هوى لا يردده شيء أصلا ” و من يضل الله فإله من هاد “ .

١٠ و لما وصف نفسه سبحانه بأنه لا يخرج شيء عن أمره ، اتبع
 ذلك الوصف بما هو كالعلة لذلك فقال : ﴿ رب العالمين ﴾ اى الموجد
 لهم و المالك^١ و المحسن اليهم و المربى لهم و هو أعلم بهم منهم ، فلاجل
 ذلك لا يقدرؤن إلا على ما قدرهم^٢ عليه ، و يجب على كل منهم [طاعته و - ^٣]
 الإقبال بالكلية عليه سبحانه و تعالى و شكره استمطارا [للزيادة - ^٤] ،
 ١٥ فلهذه الربوبية صح تصرفه فى الشمس / و ما تبعها مما ذكر

(١) زيد فى ظ : الله (٢ - ٢) من ظ و م ، و فى الأصل : يشاكم (٢ - ٣) من
 م ، و فى الأصل وظ : عليهم (٤) من ظ و م ، و فى الأصل : ستون (٥) زيد
 من ظ و م (٦ - ٦) من ظ و م ، و فى الأصل : والمالك لهم (٧ - ٧) من ظ
 و م ، و فى الأصل : معها .

أول السورة لإقامة الساعة لأجل حساب الخلائق، و الإنصاف بينهم بقطع
كل العلائق، كما يفعل كل رب مع من يريه فكيف بأحكم الحاكمين
و أرحم الراحمين ! فقد التقى طرفاها على أشرف الوجوه و أجلاها،
و انتظم أول الانفطار بما له من بديع الأسرار، فالتكوير كالانشقاق
و التفطير، و الانكدار مثل التساقط و الانتشار، ' و الله سبحانه هو ه
أعلم بالصواب ' .



سورة الانفطار

مقصودها التحذير من^٢ الانهالك في الاعمال السيئة اغترارا باحسان
 الرب و كرمه و نسيانا ليوم الدين الذى يحاسب فيه على النقيير و القطمير،
 ولا تغنى فيه نفس عن نفس شيئا، و اسمها الانفطار ادل ما فيها على ذلك
 ٥ ﴿بسم الله﴾ الذى له الجلال كما أن له^٢ الجلال ﴿الرحمن﴾ الذى عم
 بالرحمة ليشكر ففر ذلك أهل الضلال ﴿الرحيم﴾ الذى خص من اراد
 بالتوفيق لما يرضى من الخصال .

لما ختم^٣ التكوين بأنه سبحانه لا يخرج شيء عن مشيئته و أنه موجود
 الخلق و مدبرهم ، و كان من الناس من يعتقد أن هذا العالم هكذا
 ١٠ بهذا الوصف لا آخر له دأرحام تدفع و أرض تبلع و من مات فات
 و صار إلى الرفات و لا عود بعد القوات ، افتتح الله سبحانه هذه بما
 يكون مقدمة لمقصود التى قبلها من أنه لا بد من نقضه لهذا العالم و إخراجه
 ليحاسب الناس فيجزى كلا منهم من المحسن و المسىء بما عمل فقال :
 ﴿اذا السماء﴾ أى على شدة إحكامها و اتساقها و انتظامها ﴿انفطرت﴾

(١) الثانية والثمانون من سور القرآن الكريم ، مكية ، وعدد آياتها ١٩ .
 (٢) من م ، و فى الأصل و ظ : عن (٣) زيد فى الأصل و ظ : السكال و ،
 و لم تكن الزيادة فى م لحذفناها (٤) زيد فى الأصل : سورة ، و لم تكن الزيادة
 فى ظ و م لحذفناها (٥) من ظ و م ، و فى الأصل : افتتح .

أى^١ انشقت شقوقا أفهم سياق التهويل أنه صار^٢ لبابها أطراف^٣ كثيرة
فزال ما كان لها من الكرية الجامعة للهواء الذى الناس فيه كالسمك
فى الماء، فكما أن الماء إذا انكشف عن الحيوانات البحرية هلك^٤، كذلك
يكون الهواء مع الحيوانات البرية، فلا تكون [حياة-^٥] إلا يبعث جديد
و نقل عن هذه الأسباب، ليكون الحساب بالثواب والعقاب . هـ

ولما كان يلزم من انقطاعها وهبها وعدم إمساكها لما أثبت
بها ليكون ذلك أشد تخويفا لمن تحتها بأنهم يترقبون كل وقت سقوطها
أو سقوط طائفة منها فوقهم فيكونون^٦ بحيث لا يقر لهم قرار، [قال-^٧]:
(و إذا السواكب) أى النجوم الصغار والكبار كلها الغراء الزاهرة

المتوقدة توقد النار المرصعة / ترصيع المسامير فى الأشياء المتماثلة التى در الله ١٠ / ٦٨٨
فى دار الأسباب بها الفصول الأربعة و الليل و النهار، و غير ذلك من
المقاصد الكبار، و كانت محفوظة بانتظام السماء (اتثرت لا) أى تساقطت
متفرقة كما يتساقط الدر من السلك إذا انقطع تساقطا كأنه لسرعة لا يحتاج
إلى فعل فاعل لقوة تداعيه إلى التساقط .

و لما كان إخباره بما دل على وهى السماء [مشعرا-^٨] بوهى ١٥
الأرض لأنها أتقن منها و أشرف إذ هى للأرض بمنزلة الذكر للأنثى،

(١) زيد فى الأصل : انقست و ، ولم تكن الزيادة فى ظ و م لحذفها .
(٢-٣) من م ، وفى الأصل و ظ : لا بوابها أطرافه (م) من م ، وفى الأصل
و ظ : ملكت (٤) زيد من ظ و م (هـ) من م ، وفى الأصل و ظ : فيكون .

و كان الانفعال^١ وبما أوهم ان ذلك يكون بغير^٢ فاعل، صرح بهي
الارض معبرا بالبناء للفعول دلالة على أن الكل بفعله، وأن ذلك عليه
يسير، فقال مخبرا بانفطار الاراضى أيضا ليجمع بين التخويف [بالمطل^٣ -
و الترويع بالمثل : ﴿واذا البحار﴾ المتفرقة في الارض وهي ضابطة
٥ لها آتم ضبط لنفع العباد على كثرتها ﴿فجرت لا﴾ أى تفجيرا كثيرا بزوال^٤
ما بينها من البرازخ الحائلة، و قال الربيع^٥ : بفيضها و خروج مائها عن
حدوده فاختلط بعضها بيمض من ملحها و تذبها فصارت بحرا واحدا.
فصارت الارض كلها ماء ولا سماء ولا أرض وأين المفر .

ولما كان ذلك متقنيا لغمر القبور فاهم أن أهلها لا يقومون كما
١٠ كان^٦ العرب يعتقدون أن من مات فات، قال دافعا لذلك على نمط
كلام القادرين إشارة إلى سهولة ذلك عليه : ﴿واذا القبور﴾ أى مع
ذلك كله ﴿بعثت لا﴾ أى نبش ترابها على أسهل وجه عن أهلها فقاموا
أحياء كما كانوا، فرأوا^٧ ما أفضلمهم و هالمهم وروّعهم .

ولما كانت هذه الشروط كلها التى جعلت أشراطا^٨ على الساعة
١٥ موجبة لعلوم دقيقة، و تكشف كل واحدة منها عن أمور عجيبة، وكانت

(١) من ظ و م ، وفى الأصل : الانفطار (٢) من ظ و م ، وفى الأصل :
بعد بفعل (٣) زيد من ظ و م (٤) من ظ و م ، وفى الأصل : المقرنة (٥) زيد
فى الأصل : طائفة لها ، ولم تكن الزيادة فى ظ و م فخذناها (٦) من م ،
وفى الأصل و ظ : لزوال (٧) راجع العالم ٧ / ٨٠ (٨) من ظ و م ، وفى
الأصل : ان (٩) من ظ و م ، وفى الأصل : وراوا (١٠) من م ، وفى الأصل
و ظ : اشراط .

كلها دالة على الانتقال من هذه الدار إلى دار أخرى لخراب هذه الدار،
 ناسب أن يجيب « إذا » بقوله : ﴿ علمت نفس ﴾ أى جميع النفوس بالإنباء
 بالحساب وبما يجعل لها سبحانه بقوة التركيب من ملكة للاستحضار كما
 قال تعالى " فكشفنا عنك غطاءك " و الدال على ارادة العموم التعبير
 بالتكثير فى سياق التخويف والتحذير مع العلم بأن النفوس كلها فى علمه
 مثل هذا وجهله على حد سواء ، ' فهما ثبت ' للبعض ثبت للكل ، ولعله
 نكر إشارة إلى أنه ينبغى لمن وهبه الله عقلا أن يجوز أنه هو المراد
 فيخاف : ﴿ ما قدمت ﴾ أى من عمل^٢ ﴿ واخرت^٣ ﴾ أى جميع ما عملت
 من خير أو شر أو غيرهما ، أو ما قدمت قبل الموت^٢ وما أخرت من
 سنة تبقى بعده .

١٠

و قال الإمام أبو جعفر ابن الزبير : هذه السورة كأنها من تمام
 سورة التكوير لاتحاد القصد فاتصالها بها واضح وقد مضى نظير
 هذا - انتهى .

ولما كان ذلك خالما للقلوب ، وكان الإنسان اذا اعتقد البعث

٨٩ /

/ قد يقول^٤ تهاوننا ببعض المعاصى : المرجع إلى كريم ولا يفعل بى إلا خيرا ، ١٥

أتج قوله مناديا بأداة البعد لأن أكثر الخلق مع ذلك معرض ، منكرا
 سبحانه و تعالى على من يقول هذا اغترارا بخدع الشيطان إنكارا يهد

(١-١) من ظ و م ، وفى الأصل : فهما يثبت (٢) زيد فى الأصل : اما واما ،

ولم تكن الزيادة فى ظ و م لحذفها (٣) من ظ و م ، وفى الأصل : الموت .

(٤) من ظ ، وفى الأصل و م : يقال .

الاركان: ﴿يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ﴾ أى البشر الآنس^١ بنفسه الناسى لما يعنيه
 ﴿ما غرك﴾ أى أدخلك فى الغرة، وهى أن ترى فعلك^٢ القبيح حسنا
 أو ترى أنه يعنى عنك لا محالة، وذلك بمعنى قراءة سعيد بن جبير
 والاعمش: أغرك - بهمزة الإنكار، وتزيد المشهورة معنى التعجب
 هـ ﴿ربك﴾ أى المحسن اليك الذى أنساك^٣ إحسانه ما خلقت له من
 خلاص نفسك بعمل ما شرعه لك .

ولما كان التعبير بالرب مع دلالة على الإحسان^٤ يدل على الانتقام
 عند الإمعان فى الإجرام لأن ذلك شأن المربي، فكان ذلك مانعا من الاغترار
 لمن تأمل، أتبعه ما هو كذلك أيضا ظاهره لطف وباطنه جبروت وقهر، فقال
 ١٠ للبالغة فى المنع عن الاغترار: ﴿الكريم﴾ أى الذى له الكمال كله المقتضى
 لئلا يهمل الظالم^٥ بل يمهله^٦، ولا يسوى بين المحسن والمسيء والموالى والمعادى
 والمطيع والعاصى، المقتضى لأن يبالغ فى التقرب إليه بالطاعة شكرا له،
 وأن لا يعرض أحد عنه لأن يده كل شئ ولا شئ بيد غيره، فيجب
 أن يخشى شدة بطشه لأنه كذلك يكون المتصف بالكرم لا يكون إلا عزيزا،
 ١٥ فانه يكون شديد الحلم عظيم السطوة عند انتهاك حرمة بعد ذلك الحلم فانه
 يجد أعوانا كثيرة على مراده، ولا يجد المعاقب عذرا فى تقصيره بخلاف اللئيم
 (١) من م، وفى الأصل و ظ: الانسى (٢) من ظ و م، وفى الأصل:
 تغلك - كذا (٣) زيد فى الأصل: كثرة، ولم تكن الزيادة فى ظ و م لحذفناها .
 (٤) من ظ و م، وفى الأصل: الانسان (٥ - ٥) سقط ما بين الرقعين من
 ظ و م .

- فانه لا يجد أعوانا فلا يشتد اخذه، [فصار - ١] الإنكار بواسطة هذين الوصفين أشد وأغلظ من هذه الجهة، و من جهة أنه كان ينبغي أن يستحي من المحسن الذي لا تكدير في إحسانه بوجه، فلا يعصى له أمر ولا يفرط [له - ٢] في حق، و مع ذلك ففي ذكر هذين الوصفين تلقين الحجة، قال أبو بكر الوراق: لو سألتى اقلت: غرنى كرم الكريم أو حلمه، ٥ و قال على رضى الله عنه: من كرم الرجل سوء أدب غلبانه، و قال الإمام الغزالي في شرحه للاسماء: هو الذى اذا قدر عفا، و اذا وعد وفى، و اذا أعطى زاد على منتهى الرجا، و لا يبالي لمن أعطى و لا كم أعطى، و إذا رفعت حاجة الى غيره لا يرضى، و إذا جنى عاتب و ما استقصى، و لا يضيع من لاذ به و إليه التجأ، و يغنيه عن الوسائل و الشفعاء . ١٠
- ولما ذكر هذين الوصفين الدالين على الكمالين بالجلال، دل عليهما تقريرا لهما بأفاضة الجود فى الترية بوصف الجمال بالإكرام لئلا يعتقد الإنسان بما له من الطغيان انه حر مالك لنفسه يفعل ما يشاء فقال: (الذى خلقك) [أى أوجدك - ١] من العدم مهيتا لتقدير الأعضاء (فسوك) عقب^٦ تلك الاطوار بتصوير الأعضاء و المنافع بالفعل ١٥ (فذلك لا) أى جعل كل شئ من ذلك سليما مودعا / فيه قوة المنافع التى خلقه الله لها، و عدل المزاج حتى قبل الصورة، و التعديل جعل البنية
-
- (١) زيد من ظ و م (٢) زيد من م (٣-٣) -قط ما بين الرقنين من ظ و م .
 (٤) من ظ و م، وفى الأصل: مشتهى (ه-ه) فى ظ: كم أعطى و لا لمن أعطى .
 (٦) من ظ و م، وفى الأصل: عقبه .

متناسبة الحلقة^١، وكذا العدل في قراءة الكوفيين بالتخفيف [أى -^٢]
فأمالك عن تشويه الحلقة وتقييح الصورة، وجملك معتدلاً في صورتك،
وكل هذا^٢ يقتضى غاية الشكر والخوف منه ان عصى، لانه كما قدر
على التسوية يقدر على التشويه وغيره من العذاب .

٥ ولما أضاء بهذا إضاءة الشمس انه عظيم القدرة على كل ما يريد،
أنتج قوله معلقاً بـ «ركب» : (فى أى صورة) من الصور التى تعرفها
والتي لا تعرفها من الدواب والطيور وغير ذلك [من الحيوان -^٣]،
ولما كان المراد تقرير المعنى غاية التقرير، أثبت الثانى فى سياق الإثبات
ليتنقى ضد ما أثبتته الكلام فيصير بثبات المعنى على غاية [من -^٤] القوة
١٠ التى لا مزيد عليها، [فقال -^٥] : (ما شاء ركبك^٦) أى ألف تركيب
أعضائك وجمع الروح الى البدن، روى الطبرانى^٧ فى معاجمه الثلاثة
برجال ثقات عن مالك بن الحويرث رضى الله عنه قال : قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم : اذا أراد الله جل اسمه أن يخلق النسمة لجامع
الرجل المرأة طار ماؤه فى [كل -^٨] عرق وعصب منها، فلما كان
١٥ اليوم السابع أحضر الله له كل عرق بينه وبين آدم، ثم [قرأ -^٩]
"فى أى صورة ما شاء ركبك" فتحرر بهذا أن الإنسان رقيق رقاً لازماً،
ومن خلع ربة^{١٠} ذلك الرق اللازم وكل إلى نفسه فهلك .

(١) من ظ و م ، وفى الأصل : الصورة (٢) زيد من ظ و م (٣) من ظ
و م ، وفى الأصل : ذلك (٤) زيد فى م : أى (٥) زيد من م (٦) راجع مجمع
الزوائد ٧ / ١٣٤ (٧) من ظ و م ، وفى الأصل : ربة .

ولما أوضح سبحانه غاية الإيضاح الدليل على قدرته على الإعادة
بالبتداء، وبين تعالى أنه ما أوجب للانسان الخصار، فسيان هذا الدليل
الدال على تلك الدار إلا الاغترار، وكان الاغترار يطلق على أدنى المعنى،
بين أنه ارتقى به الذروة فقال: ﴿كَلَّا﴾ أى ما 'أوقعكم أيها الناس' فى
الإعراض [عمن يجب الإقبال عليه ويقبح غاية القباحة الإعراض-٢] ٥
بوجه عنه مطلق الغرور ﴿بل﴾ أعظمه وهو أنكم ﴿تكذبون﴾
أى على سبيل التجديد بتحدد إقامة الأدلة القاطعة و[قيام-٢] البراهين
الساطعة ﴿بإدين﴾ أى الجزاء الذى وظفه الله [فى-٢] يوم البعث،
فارجعوا عن الغرور مطلقا خاصا و عاما، و ارتدعوا غاية الارتداع
﴿وان﴾ أى و الحال أن ﴿عليكم﴾ أى من أقنأهم من جندنا من ١٠
الملائكة ﴿لحفظين﴾ لهم على أعمالكم غاية العلو فهم بحيث لا يخفى عليهم
منها جليل و لاحقير .

ولما أثبت لهم الحفظ، نزههم عن الزيادة و النقص فقال: ﴿كراما﴾
أى فهم فى غاية ما يكونون من طهارة الأخلاق ° و العفة و الأمانة ° .
ولما ثبت الحفظ و الامانة بغاية الإبانة °، و كان الحافظ ربما ١٥

(١-١) من ظ و م ، وفى الأصل : أوقعك أيها الإنسان (٢) زيد من ظ و م .
(٣) زيد من م (٤) من ظ و م ، وفى الأصل : هو (٥-٥) -قط ما بين الرقبتين
من ظ و م (٦) من ظ و م . وفى الأصل : أثبت (٧) من ظ و م ، وفى
الأصل : الأمانة .

ينسى قال : ﴿ كَاتِبِينَ ﴾ أى هم راسخون فى وصف الكتابة يكتبونها فى
الصحف كما يكتب الشهود بينكم اليهود ليقع الجزاء على غاية التحرير .
ولما أفهم الاستعلاء / والتعبير بالوصف إحاطة الاطلاع على ما
يبرز من الأعمال ، صرح به فقال : ﴿ يعلون ﴾ أى على التجدد والاستمرار
هـ ﴿ ما تفعلون ﴾ أى تجددون فعله من خير و شر بالعزم الثابت والداعية
الصادقة سواء كان مبنيًا على علم أو لا ، فكيف يكون مع هذا تكذيب
بالجزاء على القير و القطمير هل يكون إحصاء مثاقيل الذر من أعمالكم
عبثًا و هل علمتم بملك يكون له رعية يتركهم هملا فلا يحاسبهم على ما
فى أيديهم [وما عملوه ، ولأجل تكذيبهم بالدين أكد المعنى المستلزم
١٠ له - ٢] وهو أمر الحفظة غاية التأكيد ، والتعبير بالمستقبل يدل على انهم
يعلمون كل ما انقدح فى القلب و خطر فى الخاطر قبل أن يفعل ، و أما
ما لم يجر فى النفس له ٢ [ذكر - ٢] فلا يعلمونه كما بينه حديث « ومن
هم بحسنة فلم يعملها فاكتبوها له حسنة » .

ولما كانت نتيجة حفظ الاعمال الجزاء عليها ، أنتج ذلك بيان ما
١٥ كانت الكتابة لأجله تعريفا بين المحسن والمسيء الذى لا يصح فى حكمة
حكيم ولا كرم كريم غيره بقوله على سبيل التأكيد ، لأجل تكذيبهم :
﴿ ان الابرار ﴾ أى العاملين بما هو واسع لهم مما يرضى الله

(١) من م ، وفى الاصل وظ : الدعية (٢) زيد من ظ و م (٣) وقع فى الأصل
بعد « ما لم يجر » والترتيب من ظ و م (٤) من ظ و م ، وفى الأصل :
العاملون .

'جلت قدرته' (لنى نعيم ج) أى محيط بهم لا ينفك عنهم ولا ينفكون عنه أصلا فى الدنيا فى نعيم الشهود، وفى الآخرة فى نعيم الرؤية والوجود فى هذه الدار معنى وفى الآخرة حسا، فكل نعيم^٢ فى الجنة لهم^٣ من المنح الآجلة فراقته^٤ فى هذه الدنيا لهم عاجلة (وان الفجار) أى الذين شأنهم الخروج مما يتبعى الاستقرار فيه من رضا الله إلى سخطه (لنى جحيم ج) ٥
أى نار تتوقد غاية التوقد يصلون بها جحيم العقوبة الفظيعة كما كانوا فى الدنيا فى^٥ جحيم البعد والقطيعة .

ولما كان السياق للترهيب، وصف^٥ عذاب الفجار فقال: (يصلونها)
أى يغمسون فيها كاشاة المصلية فيباشرون حرما (يوم الدين) أى
الجزاء على الأعمال المضبوطة على مثاقيل الذر . ولما كان العذاب على ١٠
مانعهه لا بد أن ينقضى، بين أن عذابه على غير ذلك فقال: (وما)
أى والحال انهم ما (هم عنها) أى^٦ الجحيم (بغآئين^٧) أى بثابت لهم
غنية ما عنها فى وقت^٧ ما، بل^٧ هم فيها خالدون جزاء لأعمالهم وفاقا وعدلا
طباقا حتى الآن فى دار الدنيا وإن كانوا لا يحسون بها إلا بعد الموت
لأن الناس نيام، فاذا ماتوا انتبهوا .

١٥

(١-١) - سقط ما بين الرقيين من ظ و م (٢-٢) من ظ و م، وفى الأصل: لهم
فى الجنة (٣) من ظ و م، وفى الأصل: فرق ثقة - كذا (٤) من ظ و م،
وفى الأصل: على (٥) من ظ و م، وفى الأصل: وصفه (٦) زيد فى الأصل:
عن، ولم تكن الزيادة فى ظ و م لحذفناها (٧-٧) من ظ و م، وفى الأصل:
بل ما .

ولما علم^١ أن الوعيد الأعظم يوم الدين، هول أمره بالسؤال عنه
 إعلاماً بأنه أهل لأن^٢ يصرف العمر إلى الاعتناء بأمره والسؤال عن
 حقيقة حاله سؤال إيمان وإذعان لا سؤال كفران وطفیان،
 ليكون أقعد [في الوعيد-^٣] به فقال: ﴿وما أدراك﴾ أي أطاك وإن
 ٥ اجتهدت في^٤ طلب الدراية^٥ به ﴿ما يوم الدين﴾ أي أي شيء [هو-^٦]
 في طوله وأهواله وفضاعته وزلزاله . ولما كانت أهواله زائدة على الحد،
 كرر ذلك السؤال لذلك الحال فقال معبراً بأداة التراخي / زيادة في
 ٦٩٢ / التهويل: ﴿ثم ما أدراك﴾ أي كذلك ﴿ما يوم الدين﴾ .

ولما بين أنه من العظمة بحيث لا تدركه دراية دار وإن عظم وإن
 ١٠ اجتهد، لخص أمره في شرح ما يحتمله العقول منه على سبيل الإجمال
 دافعاً ما قد يقوله بعض من لا عقل له: إن كان انضمت^٧ والتجأت إلى
 بعض الأكابر وقصدت^٨ بعض الأمائل فأخلص قهراً أو بشفاعته ونحوهما،
 فقال مبدلاً من "يوم الدين" في قراءة ابن كثير والبصريين بالرفع:
 ﴿يوم﴾ وهو ظرف، قال الكسائي: العرب تؤثر الرفع إذا أضافوا
 ١٥^٩ الليل واليوم إلى^{١٠} مستقبل، وإذا أضافوا إلى فعل ماضٍ أثروا النصب
 ﴿لا تملك﴾ أي بوجه من الوجوه في وقت ما ﴿نفس﴾ أي نفس

(١) من ظ ، وفي الأصل و م : علوا (٢) من ظ و م ، وفي الأصل : بان .
 (٣) زيد من ظ و م (٤-٥) من ظ و م ، وفي الأصل : الطلب للراية .
 (٥) زيد من م (٦) من ظ و م ، وفي الأصل : انضمت (٧) من ظ و م ،
 وفي الأصل : قصد (٨-٩) من ظ و م ، وفي الأصل : اليوم أو الليل .

كانت من غير استثناء، ونصبه الباقيون على الظرف، ويجوز أن تكون الفتحة للبناء لإضافته^١ إلى غير متمكن^٢ (لنفس شيئاً^٣) أى^٤ قل أو جل، وهذا وإن كان اليوم ثابتاً لكنه في هذه الدار بطن سبحانه في الأسباب، فتقرر في النفوس أن الموجودين يضرون و ينفعون لأنهم يتكلمون^٥ و يبطشون، وأما هناك فالمرور في النفوس خلاف ذلك من ه أنه لا يتكلم أحد إلا بأذنه إذنا ظاهراً، ولا يكون لأحد فعل ما إلا بأفنه كذلك، فالأمر كله له دائماً، لكن اسمه الظاهر هناك [ظاهر - °] واسمه الباطن هذا مقرر لموجبات الغرور و سار .

ولما كان التقدير: فلا أمر لأحد من الخلق أصلاً، [لا - °] ظاهراً ولا باطناً، عطف عليه قوله: (والامر) أى كله (يومئذ) أى إذ كان ١٠ البعث للجزاء (لله) أى مختص به لا يشاركه [فيه - °] مشارك ظاهراً كما أنه لا يشاركه فيه باطناً، ويحصل هناك^٦ الكشف الكلى فلا يدعى أحد لأحد أمراً^٧ من الأمور بغير إذن ظاهر خاص، و تصير المعارف بذلك ضرورية، فلذلك كان الانفطار و الزلازل الكبار، و الإحصاء لجميع الأعمال الصغار والكبار، وقد رجع آخرها كما ترى إلى أولها، ١٥ و التفت^٨ مفصلها بموصلها^٩ - والله الهادي للصواب^{١٠} .

(١) من م ، وفي الأصل وظ : لإضافة (٢) من ظ و م ، وفي الأصل : يمكن .
(٣) زيد في الأصل : أى شيء ، ولم تكن الزيادة في ظ و م لحذفها (٤) في ظ : لا يظلمون (٥) زيد من م (٦) من م ، وفي الأصل وظ : هنا (٧) من م ، وفي الأصل وظ : أمر (٨) من ظ و م ، وفي الأصل : التما (٩) من ظ و م ، وفي الأصل : بمولها - كذا (١٠-١٠) سقط ما بين الرقيين من ظ و م .

سورة التطفیف^۱

مقصودها شرح آخر الانقطار بأنه لابد من دينونة العباد يوم التناد
باسكان الاولياء أهل الرشاد دار النعيم ، و الأشقياء أهل الضلال و العناد
غار الجحيم ، و دل على ذلك بأنه مريهم و المحسن إليهم بعموم النعمة ،
ه و لا يتخيل عاقل أن أحدا يربى أحدا من غير سؤال عما^۲ حمله إياه
و كلفه به و لا أنه لا ينصف بعض من يريهم من بعض ، و اسمها التطفیف
أدل^۳ ما فيها / على ذلك ﴿ بسم الله ﴾ الذى له الحكمة البالغة و القدرة
الكاملة ﴿ الرحمن ﴾ الذى عم بنعمة الإيجاد و البيان الشاملة ﴿ الرحيم ه ﴾
الذى أكرم حزه بالتوفيق^۴ لحسن المعاملة .

/ ۶۹۳

۱۰ لما ختم الانقطار بانقطاع الاسباب و انحسام الانساب^۵ [يوم
الحساب - ۲] ، و أبلغ في التهديد يوم الدين و أنه لا أمر لاحد معه ،

(۱) فى ظ : المطففين ، و مى الثالثة واثمانون من سور القرآن الكريم ، مكية ،
و عدد آياتها ۳۶ (۲) من ظ و م ، و فى الأصل : عمله (۳) زيد فى الأصل :
دليل ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م لحذفها (۴) زيد فى الأصل : الحسن ،
و لم تكن الزيادة فى ظ و م لحذفها (۵) من م ، و فى الأصل و ظ : و لا .
(۶) من ظ و م ، و فى الأصل : الاسباب (۷) زيد من ظ و م .

و ذكر الأشقياء و السعداء ، و كان أعظم ما يدور^١ بين العباد^٢ المقادير ،
و كانت المعصية بالبخس فيها من أخس المعاصي و أدناها ، حذر من
الخيانة فيها و ذكر ما أعد لأهلها و جمع إليهم كل من اتصف بوصفهم
فحمله وصفه على نوع من المعاصي ، كل ذلك تنبيها للأشقياء الغافلين
على ما هم فيه من السموم المعرضة المهلكة ، و به على^٣ الشفاء لمن أراد^٤ ه
[فقال -^٥] : (وبل) أى هلاك ثابت عظيم فى كل حال من أحوال الدنيا
و الآخرة (للطفين لا) أى الذين يقصون المكيال و الميزان و يخسون
حقوق الناس ، و فى ذلك تنبيه على أن أصل الآفات الخلق السيء وهو
حب الدنيا الموقع فى جمع الأموال من غير وجهها و لو بأخس الوجوه :
التطيف الذى لا يرضاه^٦ ذو مروءة و هم^٧ من يقاربون ملا^٨ الكيل و عدل^٩ ١٠
الوزن و لا يملأون و لا يعدلون ، و كأنه من الإزالة أى أزال ما أشرف
من أعلى الكيل ، من الطف ، وهو ما أشرف من أرض العرب على ريف
العراق ، و منه ما فى حديث ابن عمر^{١٠} رضى الله تعالى عنهما قال : كنت
فارسا فسبقت الناس حتى طفت^{١١} لى الفرس مسجد بنى زريق - يعنى
أن الفرس وثب حتى كاد يساوى المسجد ، و يقال : طف الرجل الحائط - ١٥

(١) زيد فى الأصل : ما ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٢) زيدت
الواو فى الأصل ، و لم تكن فى ظ و م فحذفناها (٣) زيد فى الأصل : ان ،
و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٤) زيد من ظ و م (٥) من ظ و م ،
و فى الأصل : لا يرضا (٦) من ظ و م ، و فى الأصل : هو (٧) من ظ و م ،
و فى الأصل : ابن عمرو (٨) من م ، و فى الأصل و ظ : طفت .

إذا علاه، أو من القرب، من قولهم: أخذت من متاعى ما خف و طف .
 أى قرب منى، و كل شيء أدنيته من شيء فقد أطففته، و الطفاف من
 الإناء و غيره: ما قارب أن يملأه، و لا يتم ملأه، و فى الحديث: كلكم بنو
 آدم طف الصاع، أو من الطفف و هو التقير، يقال: طفف عليه تطفيفا -
 ٥ إذا قر عليه، أو من الطفيف و هو من الأشياء الخسيس^١ الدون و القليل،
 فكأن التضعيف لازالة على المعنى الأول كما مضى، و للمقاربة الكثيرة
 على المعنى الثانى أى أنه يقارب ملأ^٢ المكىال مقاربة كبيرة مكرا و خداعا
 حتى يظن صاحب الحق [أنه -^٣] و فى و لا يوفى، يقال: أطف فلان
 لفلان - إذا أراد ختله، و اذا نهى عن هذا فقد نهى عما قصص أكثر
 ١٠ بمفهوم الموافقة، و على المعنى^٤ الثالث بمعنى التقير و المشاحة فى^٥ الكيل،
 و على المعنى الرابع بمعنى التنقيص و التقليل فيه، و كأنه اختير هذا
 اللفظ لأنه لا يكاد يسرق^٦ فى الميزان و المكىال [إلا النىء -^٧] اليسير
 جدا، هذا أصله فى اللغة و قد فسر الله سبحانه و تعالى فقال:
 ﴿الذين إذا اكْتالُوا ﴾ أى عالجوا الكيل أو الوزن فآثروا - بما
 ١٥ دل عليه ما يأتى، و عبر بأداة الاستعلاء ليكون المعنى: مستعين^٨
 / أو متحاملين ﴿على الناس﴾ أى خاصة بمشاهدتهم كائنين من كانوا
 / ٦٩٤ [لا -^٩] يخافون شيئا ولا يراعون أحدا، بل صارت الخيانة و الوقاحة

(١) من ظ و م، و فى الأصل: الخسيسة (٢) زيد من ظ و م (٣) من ظ
 و م، و فى الأصل: معنى (٤) من ظ و م، و فى الأصل: على (٥) من م، و فى
 الأصل و ظ: يشرف (٦) من ظ و م، و فى الأصل: مستعين .

لهم ديدنا، وهذا الفعل يتعدى بمن وعلى، يقال: اكتال من الرجل وعليه، ويجوز 'أن يكون اختيار التعبير' بعلی هنا مع ما تقدم للإشارة إلى أنهم إذا كان لهم نوع علو بأن كان المكتال منه ضعيفا خانوه^٢ فيكون أمرهم دائرا على الرذالة وسفول المهمة التي لا أسفل منها (يستوفون^٣ على) أى يوجدون لأنفسهم الوفاء وهو تمام الكيل بغاية الرغبة والمبالغة^٥ في الملا، فكأنه ذكر "اكتالوا" ولم يذكر "أزنوا"، لأنه لا يتأتى [في -^٤] الوزن من المعالجة ما يتأتى في الكيل، ولأنهم يتمكنون في الاكتيال من المبالغة في استيفاء المؤدى إلى الزيادة ما لا يتمكنون من مثله في الاتزان^٥، وهذا بخلاف الإخسار فإن التمكن بسببه حاصل في الموضعين فلذلك ذكرهما فيه^٦.

١٠

ولما أفهم تقديم الجار الاختصاص فأفهم أنهم إذا فعلوا من أنفسهم لا يكون كذلك، صرح به فقال: ﴿وإذا كالوم﴾ أى كالوا الناس أى حقهم أى ما لهم من الحق [﴿او وزنوم﴾] أى وزنوا ما عليهم له من الحق -^٧، يقال: اكتال من الرجل وعليه^٨ كال له^٩ الطعام [وكاله الطعام -^٧]، ووزنت الرجل الشيء ووزنت له الشيء، ولعله سبحانه^{١٥} اختار "على" في الأول والمعدى إلى اثنين في الثانى لأنه أدل على

- (١-١) تكرر ما بين الرقين في الأصل فقط (٢) من ظ و م، وفي الأصل: (٣) من ظ و م، وفي الأصل: خانوه (٤) زيد من ظ (٥) من ظ و م، وفي الأصل: الانزال (٦) تكرر في الأصل فقط (٧) زيد من ظ و م. (٨-٨) من ظ و م، وفي الأصل: كان.

حضور صاحب الحق. فهو في غيبته اولى، فهو ادل على المرون على
الوقاحة، فهما كلمتان لا أربع لأنه ليس بعد الواو ألف جمع، قال البغوى^١ :
وكان عيسى بن عمر يجعلهما^٢ حرفين يقف على كالوا ووزنوا وابتدئ^٣ هم،
قال أبو عبيدة : والاختيار الاولى^٤، قال البغوى : يعنى أن كل واحدة
ه كلمة لأنهم كتبوها بغير ألف باتفاق المصاحف، وقال الزمخشري^٥ : ولا يصح
أن يكون ضميرا للطففين لأن الكلام يخرج به الى نظم فاسد، وذلك
أن المعنى : إذا أخذوا من الناس استوفوا وإذا أعطوهم^٦ أخسروا، وإن
جملت الضمير للطففين انقلب الى قولك : [إذا -^٧] أخذوا من الناس
استوفوا، وإذا تولوا السكيل أو الوزن هم على الخصوص أخسروا،
١٠ وهو كلام متنافر لأن الحديث واقع في الفعل لا في المباشر، والتعلق في
ابطاله بخط المصحف وأن الألف التى تكتب بعد واو الجمع غير ثابتة
فيه ركيك لأن خط المصحف لم يراع في كثير منه حد المصطلح عليه
في علم^٨ الخط - انتهى . ولا شك أن^٩ في خط المصحف تقوية لهذا
الوجه المعنوي^{١٠} و تأكيداً (يخسرون^{١١}) أى يوجدون الخسارة بالنقص
١٥ فيما يكيلون لغيرهم، والحاصل أنهم يأخذون وإيا أو زائدا
و يعطون ناقصا .

(١) راجع المعالم ١٨٢/٧ (٢) من ظ وم، وفي الأصل : يجعلها (٣) زيد في الأصل :
انتهى ، ولم تكن الزيادة في ظ وم فخذفناها (٤) راجع البحر ٤٣٩/٨ (٥) من
م، وفي الأصل وظ : أعطوهم (٦) زيد من ظ وم (٧) من ظ وم، وفي
الأصل : اعلم (٨) من ظ وم، وفي الأصل : انه (٩) من ظ وم، وفي
الأصل : المعنى .

وقال الإمام [أبو جعفر - ١] ابن الزبير : لما قال سبحانه و تعالى
 ٦٩٥ / في سورة الانفطار " وان عليكم لحافظين كراما كاتبين " - الآية ، وكان
 مقتضى ذلك الإشعار بوقوع الجزاء على جزئيات الأعمال وأنه لا يفوت
 عمل كما قال تعالى " وان كان مثقال حبة من خردل اتينا بها وكفا بنا
 حاسبين " أتبع الآية المتقدمة بجزاء عمل يتوهم فيه قرب المرتكب وهو
 آمن أكبر الجرائم ، وذلك للتطفيف في المكيال و الميزان و الانحراف
 عن إقامة القسط في ذلك ، فقال تعالى " ويل للطففين " ثم أردف تهديدهم
 و تشديد وعيدهم فقال " الا يظن اولئك أنهم مبعوثون ليوم عظيم "
 ثم التحمت الآى مناسبة لما افتتحت به السورة الى ختامها - انتهى .

و لما ذكر سبحانه و تعالى أنهم أدمنوا على هذه الرذائل حتى صارت ١٠
 لهم خلقا مرفوا عليه و أنسوا به و سكنوا اليه . و كان ذلك لا يكون
 إلا بمن آمن العقاب و أنكر الحساب ، أنتج ذلك الإنكار عليهم على أبلغ
 الوجوه لإفهامه أن حالهم أهل لأن يتعجب منه و يستفهم عنه و أن
 المستفهم عن حصوله عندهم الظن ، و أما اليقين فلا يتخيل فيهم لبعدهم
 أحوالهم الجافية و أفهامه الجامدة عنه فقال تعالى : (الا يظن اولئك) ١٥
 أى الأخساء البعداء الأرجاس* الأراذل يتجدد لهم وقتا من الاوقات
 ظن أن لم يتيقنوا بما مضى من البراهين التى أفادت أعلى رتب اليقين ،

(١) زيد من ظ و م (٢) من ظ و م ، وفى الأصل : فى (٣-٣) من ظ و م ،
 وفى الأصل : اكر من (٤) فى ظ و م : خاتمتها (٥) من ظ و م ، وفى الأصل :
 الارجا (٦) من ظ و م ، وفى الأصل : وقت .

فانهم لو ظنوا ذلك ظنا نهام ان كان لهم نظر لأنفسهم عن أمثال هذه
القبائح، و من لم تقده تلك الدلائل القاطعة ظنا يحتاط به لنفسه فلا
حسن له أصلا ﴿انهم﴾ و عبر باسم المفعول فقال: ﴿مبعوثون﴾
إشارة الى القهر على أهون وجه بالبعث الذى قد ألفوا مثله من القهر
باليقظة بعد القهر بالنوم ﴿ليوم﴾ أى لأجله و فيه، و زاد التهويل
بقوله: ﴿عظيم﴾ أى لعظمة ما يكون فيه من الجمع والحساب الذى
يكون عنه الثواب و العقاب مما لا يعلمه على حقيقته إلا هو
سبحانه و تعالى .

ولما عظم ذلك اليوم تحذيرا منه، و زاده تعظيما بأن أتبعه على
١٠ سبيل القطع قوله ناصبا بتقدير "أعنى" إعلاما بأن الجحد فيه بأعين
جميع الخلائق فهو فضيحة لا يشبهها فضيحة: ﴿يوم يقوم﴾ أى على الأرجل
﴿الناس﴾ أى كل من فيه قابلية الحركة، و ذلك يوم القيامة
خمسین ألف سنة لا ينظر إليهم سبحانه - رواه الطبرانى* فى الكبير عن
عبد الله بن عمرو رفعه و رجاله ثقات ﴿لرب العالمين﴾ أى لأجل حكم
١٥ موجد الخلائق و مربيهم كلهم فلا ينسى أحدا من رزقه و لا يهمله من
حكمه^١ و لا يرضى بظلم أحد ممن يريه فهو يفيض لكل من كل بحكم
الترية، كل ذلك من استفهام الإنكار و كله الظن، و وصف اليوم بما

(١) من ظ و م . وفى الأصل: عليه (م) من ظ و م ، وفى الأصل: اذ (م) من
ظ و م ، وفى الأصل: سقيقة (٤-٤) زيد فى الأصل: الذى مقداره، و لم تكن
الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٥) راجع بمجمع الزوائد ٧ / ١٣٥ (٦) من ظ و م ،
وفى الأصل: حكمته .

وصف / و غير ذلك للإبلاغ في المنع عن التطفيف و تعظيم إثمه،
 وروى الحاكم من رواية عبد الله بن بريدة عن أبيه رضى الله عنه رفعه :
 ما نقض قوم العهد إلا سلب^١ عليهم عدوهم ، و ما حكموا بغير ما أنزل
 الله تعالى إلا فشا فيهم الفقر ، و ما ظهرت فيهم الفاحشة إلا فشا فيهم الموت ،
 و لا طفقوا الكيل إلا منعوا النبات و اخذوا بالسنين ، و لامنعوا الزكاة
 إلا حبس عنهم القطر . و من طريق عطاء بن أبي رباح عن عبد الله بن عمرو
 مرفوعا نحوه ، و للطبراني من طريق الضحاك عن مجاهد و طاووس عن
 ابن عباس رضى الله عنهما مرفوعا نحوه .

و لما أنهى^٢ سبحانه ما أراد^٣ من تعظيم ذلك [اليوم - ٢] و التعجيب
 ممن لم يفده براهينه أن يحوزه و الإنكار عليه ، و كان مع ما فيه من ١٠
 التقرير مفيها للتقرير ، نفي بأداة الردع للبالغة في النفي مضمون ما وقع
 الاستفهام عنه فقال : (كلاً) أى لا^٤ يظن أولئك ذلك بوجه من الوجوه
 لكثافة طباعهم و قوتهم^٥ مع المحسوس دأب البهائم بل لا يجوزونه ،
 و لو جوزوه لما وقعوا في ظلم أحد ممن يسألون عنه في ذلك اليوم
 المهول ، و ما أوجب لهم الوقوع في الجرائم إلا الإعراض عنه ، و قال ١٥

(١) زيد في الأصل : الله ، و لم تكن الزيادة في ظ و م لحذفها (٢ - ٢) من
 ظ و م ، و في الأصل : ما أراد سبحانه (٣) زيد من ظ (٤ - ٤) من ظ و م ،
 و في الأصل : الا (٥) من ظ و م ، و في الأصل : قوتهم .

الحسن رحمه الله تعالى: هي بمعنى حقا متصلة بما بعدها^٢ - انتهى . وهي مع ذلك مفهومة للردع الذي ليس بعده ردع عن اعتقاد مثل ذلك و الموافقة لشيء مما يوجب الحزى فيه .

ولما أخبر عن إنكارهم، استأنف إثبات ما أنكروه على أبلغ وجه
 ٥ وأنظمه مهولا لما يقع لهم من الشرور و فوات السرور ، مؤكدا لاجل إنكارهم فقال: ﴿ ان كُتِبَ ﴾ وأظهر موضع الإضمار^٣ تعميما وتعليقا للحكم بالوصف فقال: ﴿ الفجار ﴾ أى صحيفة حساب هؤلاء الذين حملهم على كفرهم^٤ مروقهم وكذا كل من واقفهم^٥ في صفاتهم فكان في غاية المروق مما حقه ملابسته و ملازمته ، و أبلغ في التأكيد فقال:
 ١٠ ﴿ لَنُيَبِّينَهُ ﴾ هو علم منقول في صيغة المبالغة^٦ عن وصف [من -]
 السجن وهو الحبس لأنه سبب الحبس في جهنم أى انه ليس فيه أهلية الصعود إلى محل الاقداس إشارة إلى أن كتابهم إذا كان في سجن عظيم أى ضيق شديد كانوا هم [في -] أعظم ، قال ابن جرير^٧: وهي

(١) راجع العالم ٨٣/٧ (٢) من ظ و م ، وفي الأصل : متصلا (٣) من ظ و م ، وفي الأصل : بعد ذلك (٤) زيد في الأصل : انكار ما ، ولم تكن الزيادة في ظ و م لخذفناها (٥) من ظ و م ، وفي الأصل : اعظمه (٦) في م : ما . (٧) في ظ و م : الضمير (٨) زيدت الواو في الأصل ، ولم تكن في ظ و م لخذفناها (٩) من ظ و م ، وفي الأصل : واصفهم (١٠) زيد في الأصل وظ : مبالغة ، ولم تكن الزيادة في م لخذفناها (١١) زيد من ظ و م (١٢) زيد من ظ (١٣) راجع جامع البيان ٥١/٣٠ .

الأرض السابعة - انتهى - [وهو يفهم - '] مع هذه الحقيقة أنهم في غاية الحسارة لأنه يقال لكل من انحط : صار ترابا واصلق بالأرض - ونحو ذلك ، ثم^٢ زاد في هوله بالإخبار بأنه أهل لأن يسأل عنه ، ويضرب إلى العالم به - إن [كان - '] يمكن - آباط الإبل فقال : ﴿ وما أدراك ﴾ أى جعلك داريا وإن اجتهدت في ذلك ﴿ ما يحين ﴾ أى أنه بحيث لا تحمل وصفه العقول / ، وهو مع ذلك في أسفل سافين^٣ ويشهده المبعدون^٤ من الشياطين وسائر الظالمين ، يصعد بالميت [منهم - °] إلى السماء فتغلق أبوابها دونه فيرد تهوى به الريح تشمت به الشياطين . وكل ما قال فيه « وما أدراك » فقد أدراه به بخلاف « وما يدريك » .

٦٩٧ /

ولما أتم ما^١ أراد من وصفه ، أعرض عن بيانه إشارة إلى أنه ١٠ من العظمة بحيث^٥ أنه يكل عنه^٦ الوصف ، واستأنف أمر الكتاب المسجون فيه فقال محذرا منه « هولا لأمره : ﴿ كتب ﴾ أى عظيم لحفظه القير والقطمير ﴿ مرقوم ﴾ أى مسطور بين الكتابة كما تبين الرقة البيضاء في جلد الثور الأسود ، و يعلم كل من رآه أنه غاية في الشر ، وهو كالرقم في الثوب والنقش في الحجر لا يبلى ولا يمحو . ١٥

ولما أعلم هذا بما للكتاب^٨ من الشر ، استأنف الإخبار بما أتجه

(١) زيد من ظ و م (٢) من ظ و م ، وفي الأصل « و » ، (٣) زيد في الأصل : يشتمله ، ولم تكن الزيادة في ظ و م لحذفها (٤) من م ، وفي الأصل : المبعودون ، وفي ظ : المبعودين (٥) زيد من اظ (٦) من ظ و م ، وفي الأصل : لا (٧-٧) من ظ و م ، وفي الأصل : ان بكل ان عليه (٨) من م ، وفي الأصل وظ : لكتاب .

ما لأصحابه فقال: ﴿ويل﴾ أى أعظم الهلاك ﴿يومئذ﴾ أى إذ يقوم الناس لما تقدم . ولما كان الأصل: لهم، أبدله بوصف ظاهر تعميما وتعليقا للحكم به فقال: ﴿للكاذبين﴾ أى الراشخين فى التكذيب بكل ما ينبغى التصديق به .

٥ ولما أخبر عن ويلهم، وصفهم بما بين^١ ما كذبوا به و يبلغ فى ذمهم فقال: ﴿الذين يكذبون﴾ أى يوقعون التكذيب لكل من ينبغى تصديقه، مستهينين ﴿يوم﴾ أى بسبب الإخبار يوم ﴿الدين﴾ أى الجزاء الذى هو سر الوجود ﴿وما﴾ أى والحال أنه ما ﴿يكذب﴾ أى يوقع التكذيب ﴿به﴾ الا كل معتد أى متجاوز للحد فى العناد ١٠ أو الجمود و التقليد لأن محطه نسبة من ثبت بالبراهين الفاطمة أنه على كل شىء قدير إلى العجز عن إعادة^٢ ما ابتدأه ﴿ائمه﴾ أى مبالغ^٣ فى الانهماك فى الشهوات الموجبة للآثام، وهى الذنوب، فاسود قلبه فعفى بنظر الشهوات التى حفت بها النار عما عداها .

ولما أثبت له الإبلاغ فى الإثم، دل عليه بقوله بأداة التحقق: ١٥ ﴿إذا تتلى﴾ أى من أى تال كان، مستعلية بما لها من البراهين ﴿عليه﴾ أى العلامات الدالة على ما أريد بيانها له مع [ما - °] لها من العظمة بالنسبة إلينا ﴿قال﴾ أى من غير توقف ولا تأمل بل يحظ نفس أوقعه

- (١) من ظ و م ، وفى الأصل : بين (٢) من ظ و م ، وفى الأصل : عادة .
(٣) من ظ و م ، وفى الأصل : بالغ (٤) من م ، وفى الأصل و ظ : التحقيق .
(٥) زيدى من ظ و م .

[فيه - ١] شهوة المغالبة^٢ التي سببها الكبير : ﴿ اساطير الاولين ١ ﴾ أى من الأباطيل وليست كلام الله ، فكان لفرط جهله بحيث لا ينتفع بشواهد النقل كما أنه لم ينظر فى دلائل العقل .

و لما كان هذا قد صار كالأنعام فى عدم النظر بل هو أضل سبيلا لانه قادر على النظر دونها^٣ ، قال رادعا له و مكذبا و مينا لما أدى به ٥ إلى هذا القول وهو لا يعتقد : ﴿ كلا ﴾ أى ليرتدع ارتداعا عظيما و لينزجر انزجارا شديدا ، فليس الأمر كما قال فى المتلو ولا [هو - ٤] معتقد^٤ له اعتقادا جازما / لانه لم يقله عن بصيرة ﴿ بل ستران ﴾ أى غلب و أحاط و غطى تغطية الغيم للسماء و الصدا للراة ، و جمع اعتبارا بمعنى " كل " لثلاث يتعنت متعنت ، فقال معبرا بجمع الكثرة إشارة إلى كثرتهم : ﴿ على قلوبهم ﴾ ١٠ أى كل من قال هذا القول ﴿ ما كانوا ﴾ أى^٥ بجبلاتهم الفاسدة ﴿ يكسبون ﴾ أى يحددون كسبه مستمرين عليه من الاعمال الردية ، فان كثرة الافعال سبب لحصول الملكات إن خيرا فخيروا^٦ و إن شرا فشرأ^٧ ، فتراكم الذنب على القلب فيسود ، فلذلك كانوا يقولون مثل هذا الاعتقاد ، بل هو شئ يسدون به المجلس و يقيمون لانفسهم عند العامة المعاذير ١٥ و يفترون به عزائم التالين بما^٨ يحرقون من^٩ قلوبهم - أحرق الله قلوبهم و بيوتهم بالنار ، فانهم لا ينقطعون فى عصر من الاعصار و لا يخشون من

- (١) زيد من م (٢) من ظ و م ، وفى الأصل : المبانة (م) من ظ و م ، وفى الأصل : دونه (٤) زيد من ظ و م (٥) من ظ و م ، وفى الأصل : يعتقد . (٦) زيد فى الأصل : كانوا ، ولم تكن الزيادة فى ظ و م فخذناها (٧) من ظ و م ، وفى الأصل : فخير (٨) من ظ و م ، وفى الأصل : فشر (٩) من م ، وفى الأصل : بما ، وفى ظ : ما (١٠) من م ، وفى الأصل و ظ : به .

عار و لاشنار، روى أحمد^١ و الترمذى^٢ و ابن ماجه^٣ عن أبي هريرة
رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه و سلم أنه قال : إذا أذنب العبد
نكثت^٤ في قلبه نكته سوداء فان تاب صقل منها، وإن زاد زادت
حتى تعلو قلبه، فذلك الران الذي قال الله سبحانه و تعالى . و قال
ه الغزالي في كتاب التوبة^٥ من الإحياء : قد سبق أن الإنسان لا يخلو في
مبدأ خلقته^٦ عن اتباع الشهوات، و كل شهوة اتبعها الإنسان ارتفع
منها ظلمة إلى قلبه كما يرتفع عن نفس الإنسان ظلمة إلى وجه المرأة
[الصقيلة . فان تراكت ظلمة الشهوات صار رينا كما يصير بخار النفس في وجه
المرأة عند زراكمه خبثا، فاذا تراكم الرين صار طبعها كالخبث على وجه المرأة-^٧]
١٠ إذا تراكم و طال زمانه غاص في جرم الحديد و افسده و صار لا يقبل
التصقيل بعده، و صار كالمطبوع من الخبث^٨ و لا يكتفي في تدارك اتباع
الشهوات تركها في المستقبل بل لابد من محو تلك الآثار التي انطبعت في
القلب كما لا يكتفي في ظهور الصورة في المرأة قطع الأنفاس و البخارات
المسودة لوجهها في المستقبل ما لم يشتغل بمحو ما انطبعت فيها من الآثار،
١٥ و كما يرتفع إلى القلب ظلمة من المعاصي و الشهوات فيرتفع إليه نور
من الطاعات و ترك الشهوات فتتمحي ظلمة المعصية بنور الطاعة، و إليه
الإشارة بقوله صلى الله عليه و سلم « و أتبع السيئة الحسنة تمحها » .

(١) راجع المسند/٢ ٢٩٧ (٢) راجع الجامع/٢ ١٦٩ (٣) راجع السنن ص: ٣٢٣ .
(٤) من ظ و م ، و في الأصل : نكثت (٥) راجع ٨ / ٤ (٦ - ٧) من ظ و م
و الإحياء، و في الأصل : في مبدأ خلقه لا يخلو (٧) زيد من ظ و م و الإحياء .
(٨) من م ، و في الأصل و ظ : الحشيش .

ولما كان ادعائهم إنما هو قول قالوه بأفواههم لا يتجاوزها
عظيماً جداً، أعاد ردعهم^١ عنه وتكذيبهم فيه فقال^٢: ﴿كَلَّا﴾ أى ليس
الامر كما قالوا من الأساطير لا فى الواقع ولا عندهم فليردعوا عنه
أعظم ارتداع . ولما كان قول الإنسان لما لا يمتقده ولا هو فى الواقع
كما قال فى غاية العجب لا يكاد يصدق، علله مينا أن الحامل لهم عليه ه
إنما هو الحجاب الذى ختم به سبحانه على قلوبهم، فقال مؤكداً لمن^٣ ينكر
ذلك من المغرورين: ﴿انهم عن ربهم﴾ أى عن ذكر المحسن اليهم
و خشيته ورجائه ﴿يؤمنون﴾ أى إذ قالوا هذا / القول الفارغ . ولما كان
المانع إنما هو الحجاب، بنى للفعول قوله: ﴿لمحبوبون﴾^٤ فلذلك استولت
عليهم الشياطين والأهوية، فصاروا يقولون ما لو عقلت البهائم لاستجيت ١٠
من أن تقوله، والاحسن أن تكون الآية بياناً وتعليلاً لويلهم الذى
سبق الإخبار به، ويكون التقدير: يوم إذ كان يوم الدين، ويكون المراد
الحجاب عن الرؤية، ويكون فى ذلك بشارة للمؤمنين بها . وقال البغوى^٥:
قال أكثر المفسرين: عن رؤيته، وقال: إن الإمامين الشافعى وشيخه
مالكا استدلا بهذه الآية على الرؤية، وأسند الحافظ أبو نعيم فى الحلية^٦ ١٥
فى ترجمة الشافعى أنه قال: فى هذه الآية دلالة على أن أوليائه يرونه على
صفته، [و-] قال ابن^٧ الفضل: كما حججهم فى الدنيا عن توحيده حججهم

(١) من ظ و م ، وفى الأصل: ردهم (٢) من ظ و م ، وفى الأصل: قال .

(٣) فى ظ: لأجل من (٤) راجع العالم ١٨٤/٧ (٥) راجع ١١٧/٩ (٦) زيد من

م (٧) من م و العالم ، وفى الأصل و ظ: أبو .

فی الآخرة عن رؤيته، و قال الحسن^۱ : لو علم الزاهدون و العابدون أنهم لا يرون ربهم فی المعاد لزهقت أنفسهم فی الدنيا. و قال القشیری : و دلیل الخطاب یوجب أن یکون المؤمنون یرونه كما یعرفونه الیوم [انتهی - ۲] . و فیہ تمثیل لإهانتهم باهانة من ینمع الدخول علی الملك .

و لما بین [ما - ۲] لهم من العذاب بالحجاب الذی هو عذاب القلب الذی لا عذاب أشد منه ، لأنه یتفرع [عنه - ۲] جمیع العذاب^۲ ، شرع یمین بعض ما تفرع عنه من عذاب القلب مؤكدا لأجل إنکارهم معبرا بأداة التراخی إعلاما بعلو رتبته فی أنواع العذاب فقال : ﴿ ثم انهم ﴾ أى بعد ما شاء الله من إهمالهم ﴿ اصالوا الجحیم ﴾ أى لدخلو النار .

۱۰ العظمی و یقیمون فیها مقاسون لحرها و ینمسون فیها كما تغمس الشاة المصلية [أى المشویة - ۲] .

و لما بین ما لهم من الفعل الذی هو للقلب و القالب ، أتبعه القول بالتویخ و التبکیة الذی هو عذاب النفس ، و بناء للفعول لأن المنکی سماعه لا کونه من معین ، و إشارة إلى أنه یتمکن من قوله لهم کل من

۱۵ یصح منه القول من خزنة النار و من أهل الجنة و غیرهم لأنه لا منعة عندهم : ﴿ ثم یقال ﴾ أى لهم بعد مدة تبکیة و تقریبا و تنذیرا و تبشیعا : ﴿ هذا ﴾ أى العذاب الذی هو حال بکم^۳ ﴿ الذی کنتم ﴾

(۱) راجع المعالم ۱۸۴/۷ (۲) زید من ظ و م (۳) زید فی الأصل : منه ، و لم تکن الزیادة فی ظ و م لحذفها (۴) من ظ و م ، و فی الأصل : یشاء .

(هـ-هـ) سقط ما بین الرهین من ظ و م .

أى بما لكم من الجبلات الخيشة ﴿ به ﴾ اى خاصة لان تمكذيكم بغيره
بالنسبة إليه لما له من القباحة و لكم من الرسوخ فيه و الملازمة له (٩)
﴿ تكذبون ﴾ اى توقعون التكذيب به و تجدونه مستمرين عليه .

و لما كان هذا ربما أفهم أنهم يرون جميع عذابهم إذذاك ، نقاه
بقوله : ﴿ كَلَّا ﴾ اى ليس هو المجموع بل هو فرد من الجنس فلهذا ه
عمل عليه الجنس و هو نزلهم و الأمر أطم و أعظم من أن يحيط به
الوصف . و لما ذكر ما للكذابين من العذاب الذى جره إليهم إقبالهم
على الدنيا بادئا به لان المقام من أول / السورة للوعيد و صوادع
التهديد ، أتبعه ما للصدقين الذين أقبل بهم الى السعادة ترك الحظوظ

و إعراضهم عن عاجل شهوات الدنيا ، فقال مؤكدا لأجل تكذيبهم : ١٠
﴿ ان كُتِبَ الْاِبْرَار ﴾ اى صحيفة حسنات الذين هم فى غاية الاتساع فى
شرح صدورهم ، و اتساع عقولهم و كثرة أعمالهم "وزكاتها" و غير ذلك
من محاسن أمورهم ﴿ لنى عليين ﴾ اى أماكن منسوبة إلى العلو ، وقع
النسب أولا إلى فعلى ثم جمع [و إن كان - ٤] لا واحد له من لفظه
كعشرين و أخواته ، قال الكسائى : إذا جمعت العرب ما لا يذهبون فيه ١٥
إلى أن له بناء من واحد و اثنين فانهم يجمعون بالواو و النون فى المذكر
و المؤنث - انتهى ، فهى درجات متصاعدة تصعد إلى الله و لا تحجب

(١) من ظ و م ، و فى الأصل : مفرد (٢) من ظ و م ، و فى الأصل : جل .
(٣-٢) من ظ و م ، و فى الأصل : ذكاه عقولهم الى (٤) زيد من ظ و م .

عنه كما يحجب ما اللا شقياء بعضها^١ فوق [بعض -^٢] إلى ما لانهاية له بحسب رتب الأعمال، وكل من كان كتابه من الأبرار في مكان لحق به كما أن من كان كتابه من الفجار^٣ في سجين لحق به، قال الرازي في اللوامع: من رقى عليه عن الحواس والاهوام وفعله عن مقتضى الشهوة^٤ والغضب فهو حقيق بأن يكون عليا، ومن كان عليه وإدراكه مقصورا على الحواس والخيال والاهوام وفعله على مقتضى الشهوات البهيمية فهو حقيق بأن يكون في سجين.

ولما كان هذا أمرا عظيما، زاد^٥ في تعظيمه بقوله: ﴿وما آى و أى شيء﴾ (ادراك) أى جعلك داريا وإن بالغت في الفحص ١٠ ﴿ما عليون^٦﴾ فان وصفه لا تسعه^٧ العقول ويلزمه لعلوه فضاء مطلق واتساع مبين. ولما عظم المكان فعلمت عظمة الكتاب، ابتداء الإخبار عنه على سبيل القطع زيادة في عظمته فقال: ﴿كتب﴾ أى عظيم ﴿مرقوم^٨﴾ أى فيه [أن -^٩] فلانا آمن من النار فإله من رقم ما احسنه و ما أبهاه و ما أجمله.

١٥ ولما عظمه في نفسه وفي مكانه، عظمه في حضاره فقال: ﴿يشهده المقربون^{١٠}﴾ أى يحضره حضورا تاما دائما لا غيبة فيه الجماعة

(١) م م، وفي الأصل و ظ: بعض (٢) زيد من ظ و م (م) من ظ، وفي الأصل و م: انكفار (٤) زيد في الأصل: البهيمية فهو، ولم تكن الزيادة في ظ و م لحدناها (٥) من ظ و م، وفي الأصل: زاده (٦) من ظ و م، وفي الأصل: لا تصمه (٧) زيد من م.

الذين يعرف كل احد انه ليس لهم عند كل من يعتبر تقريبه إلا التقريب
من ابتدائه إلى انتهائه هم شهود هذا المسطور وهم الملائكة يشيعونه^١ من
سما إلى سما و يحفون به سرورا و تعظيما لصاحبه و يشهده من فى السماوات
من الأنبياء عليهم الصلاة و السلام و الصديقين و الشهداء و الصالحين ،
فآلاية مع الاولى^٢ من الاحتباك : ذكر سبحانه أولا دال^٣ على الاتساع
ثانيا ، و ذكر عليين و المقربين ثانيا دال على أسفل سافلين^٤
و المبعدين أولا .

و لما عظم كتابهم بهذه الفضائل ، التفقت النفس الى معرفة حالهم
فقال شافيا لى هذا الالتفات مؤكدا لأجل من يشكر : ﴿ ان الاراراء ﴾
أى الذين هذا كتابهم ﴿ لى نعم لا ﴾ أى يحيط بهم ضد ما فيه الفجار من ١٠
الجحيم . و لما كان لا شىء / أنعم للانسان من شىء عال يجلس عليه و يمد
بصره الى ما يشتهى بما لديه ، قال مبينا لذلك النعم : ﴿ على الارآئك ﴾
أى الأمرة العالية [مع هذا - °] العلو المطلق فى الجبال التى يعي الفكر
وصفها بما لها من العلو من ترصيع اللؤلؤ و الياقوت و غير ذلك مما
لا يدخل تحت الحصر ﴿ ينظرون لا ﴾ أى الى ما يشتهون من الجنان و الأنهار ١٥
و الحور و الولدان ، ليس لهم شغل غير ذلك و ما شابهه من المستلذات ،
و قال الإمام القشيرى : أثبت النظر و لم يبين المنظور إليه لاختلافهم :
منهم من ينظر إلى قصوره ، و منهم من ينظر إلى حوره ، و منهم ٢٠ منهم ،

- (١) من ظ و م ، و فى الأصل : يسبقونه (٢) من ظ و م ، و فى الأصل : اولالى .
(٣) من ظ و م ، و فى الأصل : دالا (٤) من ظ و م ، و فى الأصل : انساين .
(٥) زيد من ظ و م (٦-٦) من ظ و م ، و فى الأصل : من ينظر .

والخواص على دوام الاوقات إلى الله تعالى ينظرون كما أن الفجار دائماً
عن ربهم محجوبون .

ولما وصف^١ نعيمهم ، أخبر أنهم من عراقتهم فيه [يعرفهم به -^٢] كل
ناظر إليهم فقال تعالى : ﴿ تعرف ﴾ أى أيها الناظر إليهم - هذا على
قراءة الجماعة ، وقرأ أبو جعفر و يعقوب بالبناء للفعول ، و هو أدل
على العموم ﴿ فى وجوههم ﴾ عند رؤيتهم ﴿ نضرة النعيم ﴾ أى بهجته
وزوته وحسنه وبريقه وطراوته ، من نضرة^٣ النبات - إذا أزهر ونور ،
وقال الحسن رحمه الله تعالى^٤ : النضرة فى الوجه و السرور
فى القلب .

١٠ و لما كانت مجالس الأنس لاسيما^٥ فى الأماكن النضرة لا تطيب
إلا بالآكل و المشارب ، و كان الشراب يدل على الأكل ، قال مقتصر
عليه لأن هذه السور^٦ قصارى قصد فيها الجمع مع الاختصار قال :
﴿ يسقون ﴾ بانياله للفعول دلالة على أنهم مخدومون أبدا لا كلفة عليهم
فى شيء ﴿ من رحيق ﴾ أى شراب خالص صاف عتيق ابيض مطيب
١٥ فى غاية اللذة ،^٧ فانهم قالوا : إن الرحيق^٨ الخمر أو أطيبها أو أفضلها
أو الخالص أو الصافى ، و ضرب من الطيب . و لاشك أن العاقل لا يشرب

(١) من ظ و م ، وفى الأصل : وصفهم (٢) زيد من م (٣) من ظ و م ،
وفى الأصل : ضرة (٤) راجع المعالم ١٨٥/٧ (٥) زيد فى الأصل : فى المجالس ،
ولم تكن الزيادة فى ظ و م لحذفها (٦) من ظ و م ، وفى الأصل : السورة .
(٧-٧) من ظ و م ، وفى الأصل : قال رحيق .

الخمر مطلقا فكيف بأعلاها [إلا - ١] إذا [كان - ١] مستكملا لمقدماتها
من مأ كول ومشروب وملبوس ومنكوح وغير ذلك . ولما كان
الختم لا يكون إلا لما عظمت رتبته وعزت نقاسته ، قال مريدا الحقيقة ،
أو السكناية عن نقاسته : ﴿ محتوم لا ﴾ أى فهو مع نقاسته سالم من الغبار
و جميع الأقداء والافذار .

ولما كان الختم^٢ حين الفك^٣ لابد أن ينزل من فتاته في الشراب
قال : ﴿ ختمه مسك^٤ ﴾ وقال ابن مسعود رضى الله عنه^٥ : إن المراد بختامه
آخر طعمه ، فيحصل أن ختامه في أول فتحه وفي آخر شربه المسك ،
و ذلك يقتضى ان لا يكون يفتح إلا شربه ، وأنه يكون على قدر
كفايته فيشربه كله ، والعبارة صالحة لأن يكون [الختم - ٦] أروا وآخرها ، ١٠
وهو يجرى بجرى افتضاض السكر . ولما كان التقدير : [فيه - ١]
يلعب نهاية اللذة الشاربون ، عطف عليه قوله : ﴿ وفي ذلك ﴾ أى الأمر
[العظيم - ١] البعيد المتناول وهو العيش والنعيم والشراب الذى هذا
وصفه ﴿ فليتنافس ﴾ أى فليغرب غاية الرغبة بجميع الجهد والاختيار
﴿ المتنافسون^٦ ﴾ أى الذين من شأنهم المنافسة / وهو أن يطلب كل منهم ١٥ / ٧٠٢
أن يكون ذلك المتنافس فيه لنفسه خاصة دون غيره لأنه^٧ نفيس جدا ،

(١) زيد من ظ (٢) زيد في الأصل : ايضا ، ولم تكن الزيادة في ظ و م
لحذفها (٣) من م ، وفي الأصل وظ : ينفك (٤) راجع المعالم ١٨٥/٧ (٥) زيد
في الأصل : قدرته و ، ولم تكن الزيادة في ظ و م لحذفها (٦) زيد من ظ و م .
(٧) من ظ و م ، وفي الأصل : لا .

والنفيس هو الذى تحرص عليه نفوس الناس و تتغالى فيه . و المنافسة
فى مثل هذا بكثرة الاعمال [الصالحات - '] و النيات الخالصة .

و لما ذكر الشراب ، أتبعه مزاجه على ما يتعارفه أهل الدنيا لكن

بما هو أشرف منه ، فقال مبينا لحال هذا المسقى : ﴿ و مزاجه ﴾ أى ^٢
ه يسقون منه و الحال أن مزاج هذا الرحيق ﴿ من تسنيم ﴾ علم على عين
معيته و هو - مع كونه علما - دال على انها عالية المحل و الرتبة ، و الشراب ^٢
ينزل عليهم ماؤها [من العلو - ^٤] ، و قال حمزة الكرماني : ماؤها يجرى
على الهواء متنسما ينصب فى أوانى أهل الجنة على مقدار الحاجة ، فاذا
أمتلأت أمسك ، و هو فى الشعر اسم جبل عال و كذا التنعيم و أصله
١٠ من السنام ، و لذلك قطعها مادحا فقال : ﴿ عينا يشرب بها ﴾ أى بسببها
على طريقة المزج منها ﴿ المقربون ﴾ أى الذين وقع تقريبيهم من اجتذاب
الحق لهم إليه و قصر همهم عليه ، كل شراب يريدونه ، و أما الأبرار فلا
يشربون بها ^٥ إلا الرحيق ، و أما غيرهم فلا يصل ^٦ إليها أصلا ، و قال
بعضهم : إن المقربين ^٧ يشربون من هذه العين صرفا ، و الأبرار يمزج
١٥ لهم منها ^٨ الفرق ظاهر - هنيا لهم ^٩ .

و لما ذكر سبحانه جزاء الكافر بالجحيم و جزاء المؤمن ^{١١} بالنعيم ،

(١) زيد من م (٢) زيد فى الأصل : الذى ، و لم تكن الزيادة فى ظ و لم تحذفناها .
(٣) من ظ و م ، و فى الأصل : اشرب (٤) زيد من ظ و م (٥) من م ،
و فى الأصل و ظ : فيها (٦) من ظ و م ، و فى الأصل : فلا يصلون (٧) من ظ
م ، و فى الأصل : المقربون (٨-٨) -قط ما بين الرقيين من ظ و م (٩) من ظ
و م ، و فى الأصل : الكافرين (١٠) من ظ و م ، و فى الأصل : المؤمنين .

وكان من أجل النعم الشماته بالعدو ، علل جزاء الكافر بما فيه شماته
المؤمن به لأنه اشتغل في الدنيا بما لا يغنى ، فلزم من ذلك تفويته لما يغنى ،
فقال مؤكداً لأن ذا^٢ المروءات و الهمم العاليات و الطبع السليم و المزاج
القويم لا يكاد يصدق مثل هذا ، و أكدّه إشارة إلى أن من حقه أن
لا يكون : ﴿ ان الذين اجرموا ﴾ أى قطعوا ما أمر الله به أن يوصل ه
﴿ كانوا ﴾ أى في الدنيا ديدنا و خلقا^٣ و طبعاً و جبلة^٤ ﴿ من الذين آمنوا ﴾
أى و لو كانوا في أدنى درجات الإيمان ﴿ يضحكون ﴾ أى يحدّدون
الضحك كلما زأوم أذكروهم استهزاء بهم^٥ و بحالاتهم التى هم عليها
من علامات الإيمان^٦ في رثاءة أحوالهم و قلة أموالهم [و-^٧] احتقار
الناس لهم مع ادعائهم أن الله تعالى لا بد أن ينصرهم و يعلى أمرهم^٨ ١٠
﴿ و اذا مروا ﴾ أى^٩ الذين آمنوا ﴿ بهم ﴾ أى بالذين أجمروا في
^{١٠} أى وقت من الاوقات يستهزؤن و^{١١} ﴿ يتغامزون ﴾ أى يغمز بعض
الذين أجمروا بعضاً لأذى الذين آمنوا .

ولما وصفهم في مواضع التردد و القلب ، وصفهم في المنازل
فقال : ﴿ و اذا اقلبوا ﴾ أى رجع الذين أجمروا برغبتهم في الرجوع ١٥
وإقبالهم عليه من غير تكره ﴿ الى^{١٢} اهلهم ﴾ أى منازلهم التى هى عامرة

(١) من ظ و م ، و فى الأصل : لا يغنى (٢) من ظ و م ، و فى الأصل : ذى .
(٣-٣) -قط ما بين الرقيين من ظ و م (٤) زيد من م (٥) زيد فى الأصل :
فقال تعالى ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م لحذفها (٦) زيد فى الأصل : اذا مر ،
و لم تكن الزيادة فى ظ و م لحذفها .

/ ٧٠٣

بجماعتهم ﴿انقلبوا﴾^١ حال كونهم ﴿فاكهنين﴾ أى متلذذين غاية التلذذ / بما كان من مكنتهم ورفعهم التى أوصلتهم إلى الاستسخر بغيرهم ، قال ابن برجان : وذكر عليه الصلاة والسلام : إن الدين بدا غريبا وسيعود [غريبا -^٢] كما بدأ ، يكون القابض على دينه كالقابض على الجمر^٣ ، ه وفى أخرى : يكون المؤمن فيهم أذل من الأمة . وفى أخرى : العالم فيهم أثن من 'جيفة حار'^٤ - فانه المستعان .

ولما ذكر مرورهم بهم ، ذكر مطلق رؤيتهم لهم فقال : ﴿واذا رآوهم﴾ أى [رأى -^٥] الذين أجزموا الذين آمنوا ﴿قالوا﴾ أى عند رؤيتهم للذين آمنوا مؤكدين لانهم يستشعرون أن كل ذى عقل يكذبهم مشيرين إلى تحقيرهم بأداة القرب : ﴿ان هؤلاء﴾ أى الذين آمنوا ﴿اضألون﴾ أى عريقون فى الضلال لانهم تركوا الدنيا لشيء أجل لا صحة له ﴿وما﴾ أى و الحال أنهم [ما -^٦] ﴿ارسلوا﴾ أى من 'مرسل ما' ﴿عليهم﴾ أى على الذين آمنوا خاصة حتى يكون لهم بهم هذا الاعتناء فى بيوتهم وخارجها عند مرورهم وغيره ﴿حفظين﴾ أى عريقين فى حفظ أعمال ١٥ الذين آمنوا فما اشتغالهم بهم إلى هذا الحد أن كانوا عندهم فى عداد السافط المهمل كما يزعمون فما هذه المراعاة المستقصية لأخوانهم وإن كانوا فى عداد المنظور إليه^٧ المعتنى به فليبينوا فساد حالهم بوجه تقبله العقول

(١) زيد فى الأصل : أى ، ولم تكن الزيادة فى ظ و م لحذفها (٢) زيد من ظ و م (٣) من ظ و م ، وفى الأصل : الجمره (٤-٥) من م ، وفى الأصل وظ : جيف الحمار (٥-٥) من ظ و م ، وفى الأصل : أى مرسل ما ، وفى ظ أى مرسل (٦) من ظ ، وفى الأصل و م : اليهم .

و^١ يقوم عليه دليل أو ليتبعوه وإلا فليس لهم غير عارفين بمواضع الإصلاح
وتعاطى الأمور على وجوهها^٢ فما أحقهم بقول القائل :

أوردها سعد وسعد مستمل ما هكذا توردها يا سعد الإبل

ولما كان لا نعيم أفضل من الشهادة بالعدو لاسيما إذا كانت على
أعلى طبقات الشهادة قال تعالى : ﴿ فاليوم ﴾ أى قسبب عن هذا من ه
فعلهم فى دار العمل أنه يكون فى دار الجزاء ﴿ الذين آمنوا ﴾ ولو
كانوا فى أدنى درجات الإيمان ﴿ من الكفار ﴾^٢ خاصة ، وهم الراسخون فى
الكفر من عموم الذين أجزموا ، فى الحشر والجنة مخزية وهزوا ، فان
الذين آمنوا لا يضحكون من عصاة المؤمنين لو رأوهم يعذبون بل يرحمونهم
لاشراكتهم فى الدين ﴿ يضحكون ﴾^٣ قصاصا وجزاء حين يرون ما هم^٤ ١٠
فيه من الذل سرورا بحالهم شكرا لله على ما أعطاهم من النجاة من النار
والنقمة من أعدائهم ، قال أبو صالح : تفتح لهم الأبواب^٥ ويقال :
أخرجوا ، فيسرعون فإذا وصلوا إلى الأبواب غلقت^٦ فى وجوههم وردوا
على أقبح حال ، فيضحك^٧ المومنون - انتهى . ويا لها من خيبة وخجلة

(١) من ظ و م ، وفى الأصل : او (٢) من ظ و م ، وفى الأصل : وجوها .
(٣) زيد فى الأصل : اى ، ولم تكن الزيادة فى ظ و م لحذفها (٤) من ظ و م ،
وفى الأصل : هزية (٥) من ظ و م ، وفى الأصل : حتى (٦) زيد فى الأصل :
فى ، ولم تكن الزيادة فى ظ و م لحذفها (٧) من م ، وفى الأصل : وظ :
أبواب (٨) من م ، وفى الأصل : وظ : أغلقت (٩) زيد فى الأصل : عليهم ،
ولم تكن الزيادة فى ظ و م لحذفها .

و سواد وجه و تعب قلب و تقريع نفس من العذاب بالنار و^١ بالشهانة
و العار، حال كون الذين آمنوا ملوكا ﴿على الآراء﴾ أي الأسرة
العالية المزينة التي هي من حسناتها^٢ أهل لأن يقيم المتكسبي بها ﴿ينظرونه﴾
أي يحددون تحديق العيون إليهم كلما أرادوا فيرون / ما هم فيه من
الهوان والذل و العذاب بعد العزة^٣ و النعيم نظر المستفهم ﴿هل ثوب﴾
بناء للمفعول لأن الملهذ مطلق مجازاتهم^٤ ﴿الكفار﴾ أي وقع تثويب
العريقين في الكفر أي إعطاؤهم الثواب و الجزاء على أنهى ما يكون ،
فالجلة^٥ في محل نصب و ينظرون ، ﴿ما كانوا﴾ أي نفس فعلهم بما هو لهم
كالجبلات ﴿يفعلون﴾ [أي -^٦] بدواعيهم الفاسدة و رغباتهم المعلولة ،
١٠ فالجلة^٧ في موضع المفعول ، و قد علم أن لهم الويل الذي افتتحت السورة
بالتهديد به لمن يفعل فعل من لا يظن أنه يجازى على فعله ، و آخرها فيمن
انتقص^٨ الأعراض في خفاء ، [و -^٩] أولها فيمن انتقص الأموال
كذلك ، و جفاء العدل و الوفاء ، و الله الهادي للصواب ، و إليه المرجع
و المآب و إليه المتاب^{١٠} .

(١) من ظ و م ، و في الأصل : او (٢) من ظ و م ، و في الأصل : احسنها .
(٣) من ظ و م ، و في الأصل : العدة (٤) من ظ و م ، و في الأصل : مجاوزتهم .
(٥) من م ، و في الأصل و ظ : والجلة (٦) زيد من ظ و م (٧) من ظ و م ،
و في الأصل : انتقص (٨) زيد من م (٩-٩) سقط ما بين الرقيين من ظ و م .

سورة الانشقاق^١

مقصودها الدلالة على آخر المطففين من أن الأولياء يعمون و الأعداء يعذبون ، لأنهم كانوا لا يقرون بالبعث ولا بالعرض على الملك الذى أوجدهم و رباهم كما يعرض الملوك عبيدهم و يحكمون بينهم فينقسمون إلى أهل ثواب و أهل عقاب ، و اسمها الانشقاق^٢ أدل دليل^٣ على ذلك بتأمل الظرف ه و جوابه الدال على الناقد البصير و حسابه ﴿ بسم الله ﴾ ذى الجلال و الإكرام ﴿ الرحمن ﴾ الذى كملت نعمته فشملت الخاص و العام ﴿ الرحيم ه ﴾ الذى أتى بعد العموم على أوليائه فأسعدهم بآتمام الإنعام . لما ختمت التطفيف بأن الأولياء فى نعيم ، و أن^٤ الأعداء فى جحيم ثوابا و عقابا ، ابتداء هذه بالإقسام^٥ على ذلك فقال : ﴿ اذا السماء ﴾ أى ١٠ على ما لها من الإحكام و العظمة ° و الحكمة الذى لا يقدر على مثلها غيره جلّت قدرته ° ﴿ انشقت لا ﴾ أى فصارت واهية و فتحت أبوابا^٦ فتخربت و تهدمت ، و ذلك بعد القيام من القبور كما مضى فى الحاقة عن إحدى روايتى ابن عباس رضى الله عنهما ﴿ و اذنت ﴾ أى كانت

(١) الرابعة والثمانون من سور القرآن الكريم ، مكية ، وعدد آياتها ٢٥ .

(٢-٣) فى ظ و م : دال (٣) سقط من ظ و م (٤) من ظ و م ، وفى الأصل :

الاقسام (هـ-ه) سقط ما بين الرقيين من ظ و م (٦) فى ظ : أبوابا .

شديدة الاستماع^١ و الطوعية و الانقياد على أتم وجه كمن له اذن واعية
و نفس مطمئنة راضية ﴿لربها﴾ أى لأمر المخترع لها و المدبر لجميع
أمرها، و هى الآن و إن كانت منقادة فائقادها ظاهر لا كثر [الخلق-٢]
و هم المثبتة، و أما المعطلة فربما نسبوا تأثيراتها إلى الطبائع و السكواك،
ه و أما عند الانشقاق فيحصل الكشف التام فلا يبقى لأحد شبهة
﴿و حقت لا﴾ بالبناء للفعول بمعنى أنها مجبولة على أن ذلك حق [عليها-٢]
ثابت لها، فهى حقيقة به لأنها مربوبة له سبحانه، و كل مربوب فهو
حقيق بالانقياد لربه، و هى لم تزل مطيعة / له فى ابتدائها و انتهائها، لكن
هناك يكون الكشف التام لجميع الأنام.

١٠ و لما بدأ بالعالم العلوى لكونه أشرف لأنه أعلى مكانة و مكانا،
ثنى بالسفلى فقال تعالى: ﴿و اذا الارض﴾ أى [على-٢] ما لها من
الصلابة و الثخانة و الكثافة، و أشار بالبناء للفعول إلى سهولة الفعل
فيها عليه سبحانه و تعالى و سرعة اتفعاها مع كونه أعجب من انشقاق
السماء فانه ربما كان فى الشيء لوهيه^٢ من تطاول مرور الزمان عليه
١٥ بخلاف المد فقال: ﴿مدت لا﴾ أى بسطت بسط الأديم و مطت فامتطت
فريد فى سعتها جدا بعد أن تمهدت فصارت دكاء فزال جبالها و آكامها
و تلاها، فلا ترى فيها عوجا و لا أمثا كما أن الأديم إذا مد كان كذلك
فزال تثنيه و اتسع.

(١) من ظ و م، و فى الأصل: الامتناع (٢) زيد من ظ و م (٣) من ظ
و م، و فى الأصل: او مى (٤) من ظ و م، و فى الأصل: فما.

و لما كان الجلد جديرا بأنه إذا مد أن يبين عن كل ما فيه من^١
غيره قال: ﴿والقت ما فيها﴾ أى أخرجت ما فى بطنها من الأموال
والكنوز والاموات إخراجا سريعا كأنها تقذفه قذفا، وذلك أيضا
كاللبساط إذا نقض ﴿وتخلت لا﴾ أى تعمدت وتكلفت الخلو عن ذلك
و الترك له بغاية جهدها، أى فعل ذلك سبحانه [فعلا كانت الأرض ه
كأنها فاعلة له على هذا الوجه، فصارت خلية عن كل شئ كان فى بطنها،
و صار بارزا على ظهرها . و لما كان هذا ربما أوهم انه بغير أمره سبحانه -^٢
و تعالى قال: ﴿واذنت لربها﴾ أى فعلت ذلك باذن^٣ الخالق [لها -^٤
و المرنى و تأثرت فى ذلك عن تأثيره لا بنفسها، وفعلت فيه كله فعل
السميع المجيب ﴿وحقت^٥﴾ أى و كانت حقيقة بذلك كما أن كل مرهوب ١٠
كذلك، و تكرير "إذا" للتنبية على ما فى كل من المجملتين من عظيم
القدرة، و الجواب [محذوف -^٦] لأنه فى غاية الانكشاف بما دل
عليه المقام مع ما تقدم من المطففين و ما قبلها من السور و ما يأتى فى
هذه السورة تقديره: ليحاسبن كل احد على كدحه كله فليثوبن الكفار
ما كانوا يفعلون وليجازين أهل الإسلام بما كانوا يعملون . ١٥

و قال الإمام أبو جعفر ابن الزبير: لما تقدم فى الانفطار التعريف
بالحفظه وإحصائهم على العباد فى كتبهم، و عاد الكلام إلى ذكر ما يكتب
على البر و الفاجر و استقرار ذلك فى قوله تعالى "ان كتاب الأبرار لنى

(١) من ظ و م ، و فى الأصل: عن (٢) زيد من ظ و م (٣) من ظ و م ،
و فى الأصل: فعل .

عليين، و قوله "ان كتاب الفجار لني سجين" اتبع ذلك بذكر التعريف بأخذ هذه الكتب في القيامة عند العرض، و أن أخذها بالإيمان عنوان السعادة، و أخذها وراء الظهر عنوان الشقاء إذ قد تقدم في السورتين قبل ذكر الكتب و استقرارها بحسب اختلاف مضمناها فإنها ^٢ ما هو في عليين و منها ^٣ ما هو في سجين إلى يوم العرض، فيؤتى كل كتابه فأخذه ^٤ يمينه و هو عنوان سعادته، و أخذ [من - ^٦] وراء ظهره و هو عنوان هلاكه، فتحصل ^٥ الإخبار بهذه الكتب ابتداء و استقرارا و تفريقا يوم العرض، و افتتحت السورة بذكر انشقاق السماء و مد الأرض و إلقائها ما فيها و تحليها تعريفا / بهذا اليوم العظيم بما يتذكر به ^٨ من سبقت سعادته / ٧٠٦

١٠ و المناسبة بينه - انتهى .

و لما كان الجواب ما ذكرته، أتبعه شرحه فقال مناديا بأداة صالحة للبعد لأن المنادى أدنى الاسنان بادئا بالاولياء لأن آخر التطفيف الذي هذا شرح له إدخال السرور عليهم: ﴿يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ﴾ [أى - ^٦]

الآنس بنفسه الناسى لربه . و لما كان أكثر الناس منكرا للبعث، أكد

١٥ فقال: ﴿انك كاذب﴾ أى ساع و عامل مع الجهد لنفسك من خير

(١) من ظ و م ، و في الأصل : ذلك (٢-٢) - سقط ما بين الرقيين من ظ و م .
 (٣) - سقط ما بين الرقيين من م (٤) من م ، و في الأصل و ظ : نياق (٥) من م ، و في الأصل و ظ : فأخذه (٦) زيد من ظ و م (٧) من ظ و م ، و في الأصل : فتحصيل (٨) من ظ و م ، و في الأصل : فيه (٩) من ظ و م ، و في الأصل : لبعث .

او شر، و اكثره بما يؤثر خدوشا و شينا و فسادا و شتانا، منتها
 ﴿ الى ربك ﴾ الذى أوجدك و ربك بالعمل بما يريد معنى و بالموت
 حسا، و أشار إلى اجتهد كل فيما^١ هو فيه و خلق له بالتأكيد بالمصدر
 فقال: ﴿ كدحا ﴾ أى عظيما ﴿ فلقية ﴾ أى فتعقب كدحك لقاءك
 لربك، و أنه ينكشف لك أنك كنت فى سيرك إليه كالمتجهد فى لقائه ه
 اجتهد من يسابق فى ذلك آخر، و كل ذلك تمثيل لنفوذ إرادته و مضى
 أقصيته بسبب الانتهاء إليه، و حقيقة تلاقى جزاء ما^٢ وينكشف^٣ لك من عظيم
 أمره [ما -^٢] ينكشف للتلاقى مع من^٤ يلقاه بسبب اللقاء، و هذا أمر
 أنت ساع فيه غاية السعى لأن من كان الليل و النهار مطيته أو صلاه
 بلا شك إلى منتهى سفره شاء أو أبى، فذكر هذا على هذا النمط ح ١٠
 على الاجتهاد فى الإحسان فى العمل لأن من أيقن بأنه^٥ لابد له^٦ من
 العرض على الملك أفرغ جهده فى العمل بما^٧ يحمد عليه عند لقائه .
 ولما كان من المعلوم ان عيد الملك إذا عرضوا [عليه -^٨]، كان
 فيهم المقبول و المردود، بسبب أن كدحهم تارة يكون حسنا و تارة
 يكون سيئا، قال معرفا أن [الأمر -^٩] فى لقائه كذلك [على ما نعهد -^{١٠}]، ١٥
 فمن كان مقبولا أعطى كتاب حسناته يمينه لأنه كان فى الدنيا من

(١) من ظ و م، وفى الأصل: فيها (٢-٢) من ظ و م، وفى الأصل: ثم
 ينكشف (٣) زيد من ظ و م (٤) من ظ و م، وفى الأصل: ما (٥) من ظ
 و م، وفى الأصل: انه (٦) سقط من ظ و م (٧) من ظ و م، وفى الأصل:
 على ما (٨) زيد من م (٩) زيد من ظ .

أهل اليمين أى الدين المرضى^١، و من كان مردودا اعطى كتابه بشأله لأنه كان فى الدنيا مع أهل الشمال وهو الدين الباطل الذى يعمل من غير إذن المالك^٢، فكأنه يفعل من ورائه، فترجم هذا الغرض بقوله سبحانه وتعالى مفعلا [للإنسان - ٢] المراد به الجنس جامعا للضمير بعد أن أفردته تنصيحا على حشر كل فرد: ﴿فأما من أوتى﴾ بناء للمفعول إشارة إلى أن أمور الآخرة كلها قهر و فى غاية السهولة عليه سبحانه وتعالى، و فى هذه الدار للأمر و إن كان كذلك^٣ إلا أن الفرق فى انكشاف ستر الأسباب هناك فلا دعوى لاحد ﴿كتبه﴾ أى صحيفة حسابه التى كتبتها الملائكة وهو لا يدري ولا يشعر ﴿بيمينه﴾ من امامه وهو المؤمن المطيع ﴿فسوف يحاسب﴾ أى يقع حسابه بوعده لا خلف فيه و إن طال الأمد لإظهار الجبروت والكبرياء والقهر ﴿حسابا يسيرا﴾ أى سهلا لا يناقش فيه لأنه كان يحاسب نفسه فلا يقع له المخافة إلا ذهولا، / ٧٠٧ / فلاجل ذلك تعرض أعماله فيقبل حسننها و يعفو عن سيئها .

ولما كان هذا دالا على العفو، أتبعه ما يدل على الإكرام فقال: ١٥ ﴿و ينقلب﴾ أى يرجع من نفسه من غير مزعج برغبة و قبول ﴿الى أهله﴾ أى الذين أهل الله بهم فى الجنة فيكون أعرف بهم و بمنزله

(١) فى ظ : المرتضى (٢) من ظ و م ، و فى الأصل : الملت (٣) زيد من م .
(٤-٤) من ظ و م ، و فى الأصل : انها (٥) زيد فى الاصل : عليه ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م لحذفها (٦-٦) سقط ما بين الرتين من ظ و م (٧) من م ، و فى الأصل و ظ : الى .

الذى أعد له منه بمنزله في الدنيا . و لما كانت السعادة في حصول السرور
من غير قيد ، بنى للمفعول قوله : ﴿ مسرورا^١هـ ﴾ [أى -^١] قد أوتى جنة
و حريرا ، فانه كان في الدنيا في أهله مشفقا من العرض على الله مغموما^٢
مضرورا يحاسب نفسه بكرة و عشيا حسابا عسيرا مع ما هو [فيه -^٢] من
نكد الأهل و ضيق العيش و شرور المخالفين^٣ ، فذكر هنا الثمرة و المسبب هـ
لأنها المقصودة^٤ بالذات ، وفي الشق الآخر السبب و الأصل ، و قد استشكلت
الصديقة أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها هذه الآية بما روى عنها في
الصحيح^٥ بلفظين أحدهما : ليس احد يحاسب إلا هلك ، ، و الثانى
: من نوقش الحساب عذب ، قالت عائشة رضى الله عنها : فقلت : يا رسول
الله ! أليس الله يقول ” فاما من أوتى كتابه “- الآية ، فقال صلى الله عليه
و سلم : إنما ذلك العرض . فان كان اللفظ الأول هو الذى سمعته
فالإشكال فيه واضح ، و ذلك أنه يرجع إلى كلية موجبة هى : كل من
حوسب هلك ، و الآية مرجع إلى جزئية سالبة و هى : بعض من يحاسب
لا يهلك ، و هو نقيض ، و حينئذ يكون اللفظ الثانى من تصرف الرواة ،
و إن كان الثانى هو الذى سمعته فطريق تقرير الإشكال فيه أن يقال : ١٥
المناقشة في اللغة من الاستقصاء و هو بلوغ الغاية ، و ذلك في الحساب

(١) زيد من م (٢) زيد في الأصل : مطرودا ، و لم تكن الزيادة في ظ و م
فخذناها (٣) زيد من ظ و م (٤) زيد في الأصل و ظ : المخاطبين ، و لم تكن
الزيادة في ظ و م فخذناها (٥) من ظ و م ، و في الأصل : المقصود .
(٦) و ارجع ٢ / ٧٣٦ .

بذكر الجليل والحقير والمجازاة عليه، فرجع الأمر أيضا إلى كلية موجبة
 هي «كل من حوسب بجميع أعماله عذب» وذلك شامل لكل
 حساب سواء كان يسيرا أو لا، لأن الأعم يشمل جميع أخصيائه، والآية
 مثبتة أن من أعطى كتابه يمينه يحاسب عليه ولا يهلك، والصديقة
 ٥ رضى الله عنها عالمة بأن الكتاب يثبت فيه جميع الأعمال من قوله تعالى
 "لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها" ومن حديث الحافظين وغير
 ذلك، فرجع الأمر إلى أن بعض من يحاسب بجميع أعماله لا يهلك،
 وحينئذ فالظاهر التعارض فسألت، فأقرها صلى الله عليه وسلم على الإشكال
 وأجابها بما حاصله أن المراد بالحساب في الحديث مدلوله المطابق،
 ١٠ وهو ذكر الأعمال [كلها -'] والمقابلة على كل منها، وذلك هو معنى
 المناقشة، فعنى «من نوقش الحساب» من حوسب حسابا حقيقيا بذكر
 جميع أعماله والمقابلة على كل منها، وأن المراد بالحساب في الآية جزء
 المعنى المطابق / وهو ذكر الأعمال فقط من غير مقابلة، وذلك بدلالة
 ٧٠٨ / التضمن مجازا مرسلًا لأنه إطلاق اسم الكل على الجزء، ولأجل هذا
 ١٥ كانت الصديقة رضى الله تعالى عنها تقول بعد هذا في تفسير الآية:
 يقرر بذنوبه ثم يتجاوز عنها - كما نقله عنها أبو حيان^٢، وعلى ذلك دل
 قوله صلى الله عليه وسلم فيما رواه الشيخان^٣ عن ابن عمر رضى الله عنهما

(١) من ظ و م، وفي الأصل: ام (٢) زيد من ظ و م (٣) راجع البحر
 المحيط ٤٤٦/٨ (٤) راجع صحيح البخارى ١/٣٢٠ وصحيح مسلم ٢/٣٦٠
 ان ٣٤٢

« ان الله تعالى يدنى المؤمن يوم القيامة فيضع كفه عليه و يسره ثم يقول له : أتعرف ذنب كذا - حتى يذكره ^١ بذنوبه كلها و يرى في نفسه أنه قد هلك ، قال الرب سبحانه : سترتها عليك في الدنيا ، و انا أغفرها لك اليوم ، و لفظ " كفه " يدل على ذلك فان كنف الطائر جناحه ، و هو إذا وقع ^٢ فرخه في كفه عامله ^٣ بغاية اللطف ، فالله تعالى أرحم و ألطف ه (و اما من اوتي) أى بغاية السهولة و إن أبى هو ذلك (كتبه) أى صحيفة حسابه ^٤ (و رآه ظهره ^٥) أى فى شماله إيتاء مستغرقا لجميع جهة الوراة التى هى [علم - ^٦] السوء لأنه كان يعمل ما لم يأذن به الله ، فكأنه عمل من ورائه مما يظن أنه يخفى عليه سبحانه ، فكان حقيقا بأن تغل يمينه إلى عنقه ، و تكون شماله [إلى - ^٧] وراء ظهره ، و يوضع كتابه فيها ، ١٠ و هذا احتباك : ذكر اليمين أولا يدل على الشمال ثانيا ، و ذكر الوراة [ثانيا - ^٨] يدل على الامام أولا ، و سر ذلك أنه ذكر دليل المودة و الرفق بالمصاحفة و نحوها فى السعيد ، و دليل الغدر و الاغتيال فى الشقى (فسوف يدعوا) أى بوعد ^٩ لا محالة فى ^{١٠} وقوعه أبدا ^{١١} (ثورا لا) أى حسرة و ندما بنحو قوله : واثبورا ، و هو الهلاك الجامع لأنواع ١٥ المكاره كلها لأن أعماله فى الدنيا كانت أعمال الهالكين .

- (١) من ظ و م ، و فى الأصل : يعرفه (٢-٣) من ظ و م ، و فى الأصل : فى خرفه (٣) زيد فى الأصل و ظ : الله ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها . (٤) من ظ و م ، و فى الأصل : اعماله (٥) زيد من ظ و م (٦) زيد من م . (٧-٧) تكرر ما بين الرقین فى الأصل فقط (٨) سقط من ظ و م .

و لما كان ذلك لا يكون إلا لبلاء كبير، أتبعه ما يمكن ان يكون
علة له فقال: ﴿ويصلى سعيراً^١﴾ أى ويغمس فى النار التى هى فى غاية
الاتقاد و يقاسى حرها و هى عاطفة عليه و محبطة به لأنه كان تابعا
لشهواته التى هى مخفوفة بها فأوصلته إليها و أحاطت به .

٥ و لما ذكر هذا العذاب الذى لا يطاق، أتبعه سببه ترهيباً منه و استعطافاً
إلى التوبه و تحذيراً من السرور فى دار الحزن، فقال مؤكداً تنبيهاً على
أنه لا ينبغي أن يصدق أن عاقلاً يثبت له سرور فى الدنيا: ﴿انه كان﴾
أى بما هو له كالجليلة و الطبع ﴿فى آهله﴾ أى فى دار العمل ﴿مسروراً^٢﴾
أى ثابتاً له السرور بطراً بالمال و الجاه فرحاً به مخلداً إليه مترفاً مع
١٠ الفراغ^٣ و الفرار^٤ عن ذكر حساب الآخرة كما قال فى التى قبلها
” و اذا انقلبوا الى أهلهم انقلبوا فاكهين“، لا يحزن أحدهم لذنب عمله^٥
و لا قيسح ارتكبه، بل يسر بكونه / يأتى له ذلك فهو يحاسب فى الآخرة
حساباً عسيراً^٦ و ينقلب إلى أعدائه مغموماً كسيراً، و قد بان [أن -^٧
الكلام من الاحتباك: ذكر الحساب اليسير الذى هو الثمرة و المسبب
١٥ أولاً يدل على حذف ضده ثانياً، و ذكر السرور فى الأهل الذى هو
السبب [فى -^٨] الثانى يدل على حذف ضده و هو سبب السعادة و هو

(١) فى ظ: ثبت (٢) - سقط من م (٣) من م، وفى الأصل و ظ: مترنها .
(٤-٤) - سقط ما بين الرقعتين من ظ و م (٥) من م، وفى الأصل و ظ: لعمله
(٦) من ظ و م، وفى الأصل: يسيراً (٧) زيد فى الأصل: أهله مسروراً،
و لم تكن الزيادة فى ظ و م لحذفها (٨) زيد من م (٩) زيد من ظ و م .

الغم و محاسبة النفس في الاول ، فهو احتباك في^١ احتباك ، ثم علل ثبات سروره فقال [مؤكدا -^٢] تنبيهها أيضا على أنه لا يصدق أن أحدا ينكر البعث مع ما له من الدلائل التي تفوت الحصر : ﴿ انه ظن ﴾ لضعف نظره ﴿ ان ﴾ أى أنه^٣ ﴿ لن يحور^٤ ﴾ أى يرجع إلى ربه أو ينقص أو يهلك ” وقالوا ما هي الاحياتا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا ه الا الدهر“ فلهذا كان يعمل عمل من لا يخاف عاقبة^٥ ﴿ بلى^٦ ﴾ ليرجع صاغرا ناقصا هالكا ، ثم علل ذلك بقوله مؤكدا لأجل من ينكر : ﴿ ان ربه ﴾ أى الذى ابتدا إنشاءه ورباه ﴿ كان ﴾ أزلا و أبدا ﴿ به ﴾ أى هذا الشقى فى إعادته كما كان فى ابتدائه و [فى -^٧] جميع أعماله و أحواله التى لا يحوز فى عدل عادل ترك الحساب عليها ﴿ بصيرا^٨ ﴾ ١٠ أى ناظرا له و عالما به^٩ أبلغ نظر و^{١٠} أكمل علم ، فتركه مهملا مع العلم بأعماله مناف للحكمة و العدل و الملك ، فهو شئ لا يمكن فى^{١١} العقل بوجه . ولما أخبر سبحانه بانكاره لما أتاه به الرسل من الحشر على وجه موضح للدليل على بطلان إنكاره و لم يرجع ، سبب عنه الإقسام على صحة ذلك لأنه ليس عند التنذير الناصح الشفوق بعد إقامة^{١٢} الأدلة إلا^{١٣} ١٥

- (١) من ظ و م ، وفى الأصل : « و » (٢) زيد من ظ و م (٣) من م ، وفى الأصل و ظ : ان (٤) من ظ و م ، وفى الأصل : العواقب (٥) زيد فى الأصل و ظ : اى ، ولم تكن الزيادة فى م فحذفناها (٦) زيد من م (٧) زيدت الواو فى الأصل ولم تكن فى ظ و م فحذفناها (٨) زيد فى الأصل و ظ : ابلغ ، ولم تكن الزيادة فى م فحذفناها (٩) من ظ ، وفى الأصل و م : من . (١٠-١١) من ظ و م ، وفى الأصل : ولدليل لا .

الايمان على صحة ما قال نظرا منه للنصوح وشفقة عليه ، وكان ترك الحلف على ما هو ظاهر أبلغ من الحلف لما في ذلك الترك من تنبيه المخاطب على النظر و التأمل فقال : ﴿ فلا أقسم ﴾ أى أحلف حلفا عظيما هو كقاموس البحر بهذه الأمور التى سأذكرها لما لها من الدلالة على القدرة ه على الإبداء و الإعادة ، ' لا أقسم بها و إن كانت فى غاية العظم ' بما لها من الدلالات الواضحة لأن المقسم عليه أجل منها و أظهر فهو غنى عن الإقسام ﴿ بالشفق لا ﴾ أى الضياء الذى يكون فى المغرب عقب غروب الشمس أطباقا حمرة ثم صفرة ثم كدرة إلى يياض ثم سواد ، وكذلك الليل اوله يياض بغبرة ثم تتزايد غبرته قليلا قليلا إلى أن يسود مرابدا ١٠ فيوسق كل شئ ظلاما ، سمي شفقا لرقته و منه الشفقة لرقه القلب ﴿ و آلل ﴾ أى الذى يغلبه فيذهب ﴿ و ما وسق لا ﴾ أى جمع فى بطنه و طرد وساق من ذلك الشفق و من النهار الذى كان قبله و النجوم التى أظهرها و غير ذلك من الغرائب التى تدل على أن وجوده بعد أن لم يكن و مذهب ما كان به قادر على الإبداء و الإعادة / و كل ما يريد ٧١٠ / ١٥ ﴿ و القمر ﴾ أى الذى هو آيته ٢ ﴿ اذا اتسق لا ﴾ أى انتظم و استوى واجتمع كاله و تم امره ليلة إبداره بعد أن كان قد غاب أصلا ثم بدأ ملالا خفيا ضيلا دقيقا و لم يزل يزداد حتى يتم ثم ينقص إلى أن يخفى

(١) زبدت الواو فى الأصل و لم تكن فى ظ و م فخذناها (٢) من ظ و م ، و فى الأصل : العظيم (٣) من ظ و م ، و فى الأصل : آية ثانية (٤) من ظ ، و فى الأصل و م : اجمع .

ثم يعود إلى حاله دليلاً أظهر من الشمس على قدرة موجدته كذلك على كل أمر من الإبداء والإعادة .

ولما كانت هذه الأمور عظيمة جداً لا يقدر عليها إلا الله تعالى^١ ولها من المنافع ما [لا-^٢] يعلو حق علمه إلا هو سبحانه وتعالى، وكل منها مع ذلك دال على [تمام-^٣] قدرته تعالى على الذي يراد تقريره^٥ في العقول وإيضاحه من القدرة التامة على إعادة الشيء كما كان سواء، ونفى الإقسام بها دليلاً^٢ على أن ذلك في غاية الظهور، فالأمر فيه غنى عن الإقسام، قال في موضع جواب القسم مقروناً باللام الدالة على القسم ذاكرة ما هو في الظهور والبداهة بحيث لا يحتاج إلى تنبيه عليه بغير ذكره^٤ : (تركين) أى أيها المكلفون - هذا على قراءة الجماعة^{١٠} بضم الباء دلالة على حذف [واو-^٥] الجمع، وقرأ ابن كثير وحزمة والكسائي بفتحها على أن الخطاب للإنسان باعتبار اللفظ (طبقاً) مجاوزاً (عن طبقه) أى حالاً بعد حال من أطوار الحياة وأدوار العيش وغمرات الموت ثم [من-^٦] أمور البرزخ وشؤون البعث ودواهي الحشر بدليل^٧ ما كان لكم قبل ذلك^٨ سواء بتلك القدرة التي كُنت تلك^{١٥} الكوأن^٩ وأوجدت تلك العجائب سواء، فتكونون في تمكّن الوجود في

(١) زيد في الأصل : بما ، ولم تكن الزيادة في ظ و م فحذفناها (٢) زيد من م .
(٣) من ظ و م ، وفي الأصل : دليل (٤) من ظ و م ، وفي الأصل : ذلك .
(٥) زيد من ظ و م (٦) من ظ و م ، وفي الأصل : بذلك (٧) من م ، وفي الأصل : وظ : تلك (٨) من ظ و م ، وفي الأصل : الاكوأن .

كل طبق بحال التمكن على الشيء بالركوب، و كل [حال-'] منها مطابق
للآخر في ذلك فان الطبق ما يطابق غيره، ومنه قيل للغطاء: طبق-
لمطابقته المغطى، و الطبق كل ما ساوى شيئا وجه الارض و القرن من
الزمان أو عشرون سنة، و كلها واضح الإرادة هنا و هو بديهي الكون،
ه فأول أطباق الإنسان جنين، ثم وليد، ثم رضيع، ثم فطيم، ثم يافع،
ثم رجل، ثم شاب؟ ثم كهل، ثم شيخ، ثم ميت، و بعده نشر ثم حشر
ثم حساب ثم وزن ثم صراط ثم مقر، و مثل هذه الأطباق المحسوسة
أطباق معنوية من الفضائل و الرذائل .

و لما ظهر المراد و لم يبق إلا العناد، سبب عن ذلك الإنكار
١٠ عليهم و التوبيخ و التقريع و التهديد، فقال معرضا عن خطابهم إلى الغيبة
إيدانا باستحقاقهم؛ للأخذ إن [لم-'] يرجعوا: ﴿فألهم﴾ أى و أى
شئ هؤلاء الذين أنزلنا عليهم هذا الكتاب المعجز فى أنهم ﴿لا يؤمنون﴾
أى يوقعون الإيمان و يحددونه كل وقت على الاستمرار بكل ما دعا
إليه هذا الكتاب الذى خصهم به ملك الملوك^١ و قد وضحت الدلائل
١٥ و قامت البراهين لاسيما دلائل القيامة هل^٢ هى إلا واحدة من هذه
الأطباق المنتقل إليها لأن من كان اليوم على حالة و غدا على أخرى جدير

(١) زيد من ظ و م (٢) زيد فى الأصل: تم بالغ، و لم تكن الزيادة فى ظ
و م لخذلها (٣-٢) من ظ و م، و فى الأصل: ثم (٤) من م، و فى الأصل
و ظ: لا تحقافهم (٥) من ظ و م، و فى الأصل: لا يوقعون (٦) من ظ و م،
و فى الأصل: الموت (٧) من م، و فى الأصل و ظ: بل .

/ بأن يعلم أن تديره إلى سواء، ومن لم يعلم ذلك فليس لجنونه دواء،
 ومن علم أن تديره [إلى سواء علم أن المشيئة في التدير - ١] إليه
 لا إلى نفسه، وقيل لأبي بكر الوراق: ما الدليل على الصانع؟ قال:
 تحويل الحالات وعجز القوة وضعف الأركان وقهر المشيئة، وفسخ
 العزيمة. (وإذا قرئ) أى من أى قارئ كان (عليهم القرآن) أى هـ
 الجامع لكل ما يفهمهم في دينهم وأحكام الفارق بين كل ملتبس^٢ من
 الحرام والحلال وغير ذلك^٣ (لا يسجدون^٤) أى يخضعون^٥ بالقلب
 ويتذللون للحق بالسجود اللغوي فيسجدون بالقالب السجود الشرعى
 لتلاوته لأنه ملك الكلام، قد أبان^٦ عن معارف لا تحصر، مع الشهادة
 لنفسه بعجزه أنه من عند الله، ليس لهم في ذلك عذر إلا الجهل أو العجز، ١٠
 ولا جهل مع القرآن ولا عجز مع القوة والاختيار.

و لما كان هذا استفهاما إنكاريا معناه النفي، فكان التقدير: إنهم
 [لا - ٥] يؤمنون ولا عذر لهم في ذلك أصلا، أضرب عنه بقوله:
 (بل) ووضع الظاهر موضع المضمّر تعميما^٦ وتنبها على الوصف
 الذى حملهم على التكذيب فقال: (الذين كفروا) أى ستروا مرائى ١٥
 عقولهم الدالة على الحق (يكذبون^٧) أى بالقرآن. وبما دل عليه من

(١) زيد من ظ وم (٢-٢) سقط ما بين الرقيين من م (٣) من ظ وم، وفى
 الأصل: لا يخضعون (٤) من ظ وم، وفى الأصل: بان (٥) زيد من م.
 (٦-٦) من ظ وم، وفى الأصل: الضمير تفهيم.

حقائق العرفان العلوية^١ إلى أوج الإيمان بالواحد الديان ﴿ والله ﴾ اى
والحال أن الملك المحيط بكل شيء قدرة وعلما ﴿ اعلم ﴾ اى منهم
أنفسهم ﴿ بما يوعون ﴾ اى يضعون فى أوعية صدورهم من الكفر
والعداوة بسبب الشهوات الشاغلة لهم^٢ وهى حب الرئاسة وادعاء
الولاهية الشاغلة لهم^٣ عن التدبر^٤ لهذا القرآن وعن شواهد
الموجودات .

ولما كان هذا موجبا لشديد الإنذار ، وضع موضعه تهكما بهم
وإعلاما بأن الغضب قد بلغ منتهاه قوله : ﴿ فبشرهم ﴾ اى أخبرهم^٥ يا أفضل
الخلق و اكلمهم و أعد لهم^٦ خبرا يغير ابشارهم ﴿ بعذاب اليم ﴾ اى
١٠ شديد الألم لشدة إيلاهم ، إن كان لهم يوما من الأيام بشارة فهى هذه .
ولما أخبر عنهم بهذا الهوان ، وكان قد عبر عنهم بأدنى الأسنان
إشارة إلى أن منهم من يقبل الإيمان ، استثنى منهم فقال : ﴿ الا الذين آمنوا ﴾
اى أقرؤا بالإيمان ﴿ وعملوا ﴾^٧ دلالة على صدق إيمانهم ﴿ الصلحت ﴾^٨ .
ولما تقدم أن من حوسب عذب ، و أن الناجى إنما يكون حسابه
١٥ عرضا ، علم أنه ليس للأعمال دخل فى الحقيقة فى الأجر ، وإنما المدار
كما قال النبي صلى الله عليه وسلم على التغمد بالرحمة حتى فى تسمية النعيم أجرا ،

(١) من ظ ، وفى الأصل وم : العلية (٢-٢) سقط ما بين الرقيين من ظ وم .
(٣) من ظ وم ، وفى الأصل : اتدبير (٤) من ظ وم ، وفى الأصل :
متهمكا (٥) زيد فى الأصل و ظ : اى ، ولم تكن الزيادة فى م فخذناها .
(٦-٦) من ظ وم ، وفى الأصل : صدقهم .

أسقط الفاء المؤذنة بالسبب تنبيها على ذلك بخلاف ما في سورة التين لما
يأتى من اقتضاء سياقها للقاء فقال : ﴿ لهم اجر ﴾ أى عظيم ' و نواب
جزيل يعلمه الله تعالى وهو التجاوز عن صغارهم و سترها ' ﴿ غير ممنون ﴾
أى مقطوع أو منقوص أو يمتن عليهم به فى الدنيا و الآخرة / يؤتون ذلك
فى يوم الدين يوم تنشق السماء و تمد الارض و يثوب الكفار ما كانوا
يفعلون ، فقد رجع آخرها على أولها ، واعتلق^٢ مفصلها حق الاعتلاق
بموصلها •



(١ - ١) سقط ما بين الرقین من ظ و م (٢) فى الأصول : يـون - كذا .

(٣) من ظ و م ، وفى الأصل : اعتنق (٤) من ظ و م ، وفى الأصل : الاعتناق .

سورة البروج

مقصودها الدلالة على القدرة على مقصود الانشقاق الذي هو صريح
آخرها من تنعيم الولي وتعذيب الشقي بمن عذبه^١ في الدنيا من لا يمكن
في العادة أن يكون عذابه ذلك إلا من الله وحده تسلياً لقلوب المؤمنين
هـ و تنبيهاً^٢ لهم على اذى الكافرين^٣ ، وعلى ذلك دل اسمها البروج بتأمل
القسم والمقسم عليه وما هدى ذلك السياق إليه* (بسم الله) الذي
أحاط بكل شيء قدرة و علماً (الرحمن) الذي عم الخلائق عدلاً
وحلماً (الرحيم) الذي خص أوليائه بتمام النعمة عليهم عينا كما
أظهره رسماً .

١٠ لما ختم تلك بثواب المؤمن و عقاب الكافر و الاستهزاء به بعد
أن ذكر أنه سبحانه أعلم بما يضر الأعداء من المسكر و ما يرومون
من الإنكاد للأولياء و توعدهم بما لا يطيقون ، و كانوا قد عذبوا المؤمنين
بأنواع العذاب و اجتهدوا في قتله من قدروا عليه منهم ، و بالغوا في
التضييق عليهم حتى ألجأهم إلى شعب أبي طالب و غيره من البروج في
١٥ البلاد ، و مفارقة الأهل و الأولاد ، ابتداء هذه بما أوقع بأهل الجبروت

(١) الخامسة و الثمانون من سور القرآن الكريم ، مكية ، و عدد آياتها ٢٢ .

(٢) من ظ و م ، و في الأصل : عذابه (م) من ظ و م ، و في الأصل : تنبيهاً .

(٤) في ظ و م : الكفار (هـ) من ظ و م ، و في الأصل : عليه (و) في ظ : أوقعه

ممن تقدمهم على وجه معلم أن ذلك الإيقاع منه سبحانه قطعاً ، و معلم
 أن الماضين تجاوزوا ما فعل هؤلاء إلى القذف في النار ، و أن أهل
 الإيمان ثبتوا ، و ذلك لتسليّة المؤمنين و تثبيتهم ، و توعيد الكافرين و توهيتهم
 و تقثيتهم ، فقال مقسماً لأجل إنكارهم و فعلهم^١ في التماهى في عداوة
 حزب الله فعل المنكر ان الله ينتقم لهم^٢ بما يدل على تمام القدرة على هـ
 القيامة : ﴿ و السماء ﴾ اى العالية غاية العلو المحكمة غاية الأحكام^٣
 ﴿ ذات البروج ﴾ اى المنازل^٤ للكواكب السيارة التى ركبها الله تعالى
 على أوضاع^٥ جعل فى بعضها^٦ قوة التسبب الابداء و الإعادة بالإنبات^٧ و فى
 بعضها قوة التربية كذلك ، و فى الأخرى قوة الاستحصاد بأسباب خفية
 أقامها سبحانه لا ترونها ، غير أنكم لكثرة الفهم لذلك صرتم يدركون منه ١٠
 بالتجارب أموراً تدلكم على تمام القدرة ، فنسبها بعضكم إلى الطبيعة لقصور
 النظر فى أسباب الأسباب و كلال الفكر عن النفوذ إلى نهاية ما تصل
 إليه الآلاب ، فاستبدل بالشكر الكفر ، واستدل / بالآيات على ضد ما
 تدل^٨ عليه لجود الذهن و انعكاس الفكر ، و المراد بها المنازل الاثنا عشر :

- (١) زيد فى الأصل : و غفلتهم ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٢-٣) من
 ظ و م ، و فى الأصل : ينتعم (٣) زيد فى الأصل : و هى . و لم تكن الزيادة
 فى ظ و م فحذفناها (٤) زيد فى الأصل : للبروج ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م
 فحذفناها (هـ) من ظ و م ، و فى الأصل : الاوضاع (٦) العبارة من هنا إلى
 التربية ، ساقطة من ظ (٧) من م ، و فى الأصل : و هى للإنبات (٨) من
 ظ و م ، و فى الأصل : دات (٩) من ظ ، و فى الأصل و م : اثني عشر .

الحمل - والثور - والجوزاء - والسرطان - والاسد - والسنبلة - والميزان -
والعقرب - والقوس - والجدي - والدلو - والحوت ، وهى التى
تقطعها الشمس [فى السنة - ^١] ، أو هى الثمانية والعشرون التى يقطعها
القمر فى الشهر ، وهى ^٢ منازل الشمس هذه الاثنا عشر ^٣ بسير القمر فى
٥ كل واحد منها يومين وثلثا ، فذلك ثمانية وعشرون [يوما - ^٤]
و يستمر ^٥ ليلتين ، فذلك شهر ، وهو إشارة الى أن الذى فصل السماء هذا
التفصيل و سخر فيها هذه الكواكب لمصالح الإنسان لا يتركه سدى ، بل
لا بد من دينوته على ما يفعله من خير وشر ، شبهت بالقصور لأنها
تنزلها السيارة و تكون فيها الثوابت و عظام الكواكب ، سميت بروج
١٠ لظهورها ، أو أبواب السماء فان النوازل تخرج منها ، وأصل
التركيب للظهور .

ولما كانت هذه الجملة من القسم دالة على البعث قال تصريحاً :
(واليوم الموعود ^١) أى يوم القيامة الذى تحقق ^٢ الوعد به ^٣ و ثبت
ثبوتاً لا بد منه بما دل عليه من قدرتنا فى مخلوقاتنا و أبا سيناً له أسبابا
١٥ هى عبدة لديكم ^٤ و أتم لاترونها و لاتحسون شيئاً منها و لم تينها لكم
الرسال لقصور عقولكم عنها بأكثر من الدلالة بالأسباب التى ألفتوها

(١) زيد من ظ و م (٢) زيد فى الأصل : اتى هى ، و لم تكن الزيادة فى ظ
و م لحدفناها (٣) من ظ و م ، وفى الأصل : اثني عشر (٤) زيد من م .
(٥) من م ، وفى الأصل و ظ : يستمر (٦ - ٦) من ظ و م ، وفى الأصل : ٥
انوعد (٧) من ظ و م ، وفى الأصل : لكم .

على مثلها من غير فرق غير أنه وإن كان العقل لا يستقل به ولا يفقه^١
منه غير السماع للوعد به من الرسل فهو لا يحيله بعد سماعه .

ولما كان الجمع لأجل العرض، وكان العرض لا بد فيه من شهود
ومشهود عليهم وجدال على عهود، قال منكرًا للابهام للتعظيم والتعميم
مثل " علمت نفس ما احضرت " : (و شاهد) اى كريم من الاولياء^٥
(ومشهود^٦) اى فى نفسه من الأعيان والآثار الهائلة ، أو عليه فانه
[يوم -^٢] تشهدده جميع الخلائق ، و يحضر فيه من العجائب أمور بكل
عنها الوصف ، و يحضره الأنبياء الشاهدون و أمهم المشهود عليهم ،
ولا تبقى صغيرة من الأعمال ولا كبيرة إلا أحصيت ، و فى ذلك أشد
وعيد لجميع العبيد .

١٠

ولما كان جواب القسم [على -^٣] ما دل عليه مقصود السورة
و سوابقها و لواحقها : لتوبن الفريقين الاولياء و الأعداء ، و لتدين
كلا بما عمل ، دل عليه بأفعاله^٤ فى الدنيا ببعض الجبارة فيما مضى ، و فيما
يفعل بجبارة من كذب النبى صلى الله عليه وسلم ، فقال بادئا بمن عذب
بعذاب الله فى القيامة للبداء فى آخر الانشقاق بقسم المكذبين و هم^{١٥}
المحدث عنهم ، معبرا بما يصلح للدعاء و الحقيقة تسلية للمؤمنين و تثبيتا لهم
بما وقع لامثالهم ، و تحذيرا بما كان لاشكالهم : (قتل) اى لعن بأيسر أمر

(١) من ظ و م ، و فى الأصل : لا يفقه (٢) زيد من ظ و م (٣) زيد من م .

(٤) من ظ و م ، و فى الأصل : بامثاله .

/ ٧١٤

و أسهله من كل لاعن لعنا لا فلاح معه، ووقع في الدنيا أنه قتل
 حقيقة / ﴿ اصْحَبِ الْأَخْدُودِ ﴾ أى الخد العظيم، وهو الشق المستطيل في
 الأرض كالنهر، روى أن ملكا من الكفار - وروى عن ابن عباس
 رضى الله عنهما أنه كان من حمير - من ملوك اليمن، وكان قبل مولد
 ه النبي صلى الله عليه وسلم بسبعين سنة، آمن في زمانه ناس كثير، فخذ لهم
 أخدودا في الأرض ومجره نارا و عرض من آمن عليه، فن رجع عن
 دينه تركه، ومن ثبت - وهم الأغلب - قذفه في ذلك الأخدود فأحرقه .
 وقال الإمام أبو جعفر ابن الزبير: وردت هذه السورة في معرض
 الالتفات والعدول إلى إخبار نبي الله صلى الله عليه وسلم بما تضمنته هذه
 ١٠ السورة من قصة أصحاب الأخدود، و [قد - ٢] تقدم هذا الضرب في
 سورة المجادلة و سورة النبا، وينا وقوعه في أنفس السور و متونها وهو
 أقرب فيما بين السورتين و أوضح - انتهى .

ولما ذمهم سبحانه و تعالى، بين [وجه - ٢] ذمهم بيدل اشتغال
 من اخدودهم فقال: ﴿ النار ﴾ أى العظيمة التى صنعوها لعذاب أوليائنا،
 ١٥ و زاد في تعظيمها بقوله: ﴿ ذات الوقود ﴾ أى الشيء الذى نوقد به
 من كل ما يصلح لذلك من الحطب وغيره، و علق بـ « قتل » قوله:
 ﴿ اذم ﴾ أى بظواهرهم و ضمائرهم ﴿ عليها ﴾ أى على جوانب أخدودها

(١) راجع المعالم ٧/ ١٩١ (٢) من م، وفي الأصل و ظ: اقبل (م) زيد في
 الأصل: في، ولم تكن الزيادة في ظ و م لخذفها (٤) زيد من ظ و م .
 (٥) من م، وفي الأصل و ظ: التى .

(قعود^١) أى يحفظونها و يفعلون بما^١ يأمرهم ملكهم فى امرها من إلقاء الناس وغيره فعل القاعد المطمئن الذى ليس له شغل غيرها (وم على ما يفعلون) أى خاصة بقوة دواعيهم إلى فعله و رغبتهم فيه من الفتنة بالعرض على النار وغيره مكررين ذلك الفعل (بالموثنين) أى الراسخين فى الإيمان الذى^٢ لم يثنهم العذاب عنه (شهود^٣) هـ أى يشهد بعضهم لبعض عند الملك أنه لم يقصر فيما أمره^٢ به و يشهدون يوم القيامة بما تشهد^٤ به عليهم أيديهم و أرجلهم على أنفسهم بهذا الظلم ، و يشهد بعضهم على بعض^٥ و يعادى بعضهم بعضا^٥ ، و يحيل كل على الآخر طمعا فى النجاة .

و لما كان هذا الفعل العظيم لا يكون من عاقل إلا لسبب^١ يليق ١٠ به ، بين أنه إنما هو لسبب يعد منه ، فقال على طريقة^٢ :

ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم بهن فلول من قراع السكتائب :

(وما تقموا) أى أنكروا و كرهوا (منهم) من الحالات و كان دينالهم و نقصا فيهم (الآن يؤمنوا) أى يجددوا الإيمان مستمرين

عليه (بالله) أى الملك الأعلى الذى له جميع صفات الكمال . ١٥

(١) من م ، وفى الأصل و ظ : بما (٢) من م ، وفى الأصل و ظ : الذين .
(٣) من ظ و م ، وفى الأصل : امر الله (٤) من ظ و م ، وفى الأصل : شهد .
(٥-هـ) من ظ و م ، وفى الأصل : عند الملك (٦) من م ، وفى الأصل و ظ : سبب (٧) زيد بعده فى الأصل : الإعجاب ولا عجب فيهم غير أن سبق فيهم ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م لحذفها .

ولما كان ربما أوهم ترك معالجته سبحانه لهم. لكونهم يعذبون من
 آمن به لأجل الإيمان به ما [لا - '] يليق ، نفى ذلك بقوله واصفا له
 بما يحقق وجوب العبادة له و تفرد به : ﴿ العزيز ﴾ أى الذى يغلب من
 أراد ولا يغلبه شيء ، فلا يظن إمكانه من أهل ولايته لعجز ، بل هو
 ٥ يتلهم ليُعظم أجورهم و يعظم عقاب أعدائهم و يعظم الانتقام منهم
 ﴿ الحيد ﴾ أى المحيط بجميع / صفات الكمال ، فهو يثيب من أصيب فيه
 / ٧١٥ أعظم ثواب ، و ينتقم من آذاه بأشد العذاب ، و قرر ذلك بقوله :
 ﴿ الذى له ﴾ أى خاصة ﴿ ملك السموات و الارض ﴾ أى على جهة
 العموم مطلقا ، فكل ما فيها جدير بأن يعبد و وحده ولا يشرك به شيئا .
 ١٠ ولما قدم سبحانه التحذير بالشاهد و المشهود ، و ان الكافرين شهود
 على أنفسهم ، زاد فى التحذير بأنه سبحانه [أعظم - '] شهيد فى ذلك
 اليوم و غيره ^٢ فهو لا يحتاج إلى غيره ، ولكنه أجرى ذلك على ما
 تتعارفه فقال : ﴿ والله ﴾ أى الملك الأعظم الذى له الإحاطة الكاملة
 ﴿ على كل شيء ﴾ [أى - '] هذا الفعل و غيره ﴿ شهيد ﴾ أى أتم
 ١٥ شهادة لا يغيب عنه شيء أصلا ، ولا يكون شيء ولا يبقى الا بتديره ،
 و من هو بهذه الصفات العظيمة لا يهمل أولياءه أصلا ، بل لا بد أن

(١) زيد من ظ و م (٢) من ظ و م ، وفى الأصل : نعظم (٣) زيد فى الأصل :
 لا شريك له ، ولم تكن الزيادة فى ظ و م لحذفناها (٤-٤) مس ظ و م ، وفى
 الأصل : فلا (٥) من ظ و م ، وفى الأصل : يتعارف .

ينتقم لهم من أعدائه ويعليهم بعلائه . و لذلك قال مستأنفا جوابا لمن يقول : فما فعل بهم ؟ مؤكدا لإنكار الكفار ذلك : ﴿ ان الذين فتنوا ﴾ أى خالطوا من الأذى بما لا تحتمله القوى فلا بد أن يميل^١ أو يحيل فى أى زمان كان ومن أى قوم كانوا ﴿ المؤمنين و المؤمنات ﴾ أى ذوى الرسوخ فى وصف الإيمان .

و لما كانت التوبة مقبولة قبل الغررة^٢ ولو^٣ طال الزمان ، عبر بأداة التراخى فقال : ﴿ ثم لم يتوبوا ﴾ أى عن ذنوبهم و كفرهم . و لما كان سبحانه لا يعذب أحدا إلا بسبب ، سبب عن ذنبهم و عدم توبتهم قوله : ﴿ فاهم ﴾ أى خاصة لأجل كفرهم ﴿ عذاب جهنم ﴾ أى الطبقة التى تلقى داخلها بغاية الكراهة و التجهم ، هذا فى الآخرة ﴿ ولهم ﴾ أى مع ١٠ ذلك فى الدارين لأجل فتنتهم لأولياء الله ﴿ عذاب الحريق ﴾ أى العذاب الذى من شأنه المبالغة فى الإحراق بما أحرقوا من قلوب الأولياء ، و قد صدق سبحانه قوله هذا فيمن كذب النبي صلى الله عليه و سلم باهلا كهم شر إهلاك^٤ مغلوبين مقهورين مع أنهم كانوا قاطعين بأنهم غالبون^٥ كما فعل بمن كان قبلهم ، فدل ذلك على أنه على كل شئ قدير ، فدل^٦ ١٥ على أنه يبدئ و يعيد .

(١) من ظ و م ، و فى الأصل : ما (٢) من ظ و م ، و فى الأصل : يميل .
(٣-٢) من ظ و م ، و فى الأصل : فلو (٤) زيد فى الأصل : وهم ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م لحذفها (٥) من م ، و فى الأصل وظ : غافلون (٦) من م ، و فى الأصل وظ : ودل .

ولما ذكر عقاب المعاندين بادئاً به لأن المقام له ، أتبعه ثواب العابدين ،
 فقال مؤكداً لما لأعدائهم من إنكار ذلك : ﴿ ان الذين امنوا ﴾ أى
 أقروا بالإيمان ولو على أدنى الوجوه من المقدوفين فى النار وغيرهم من
 كل طائفة فى كل زمان ﴿ وعملوا الصلحت ﴾ تصديقا لإيمانهم وتحقيقاً
 ه له . ولما كان الله سبحانه من رحمته قد تفعمد أوليائه بعنايته ولم بكلهم
 إلى أعمالهم لم يجعلها سبب سعادتهم فلم يقرن بالفاء قوله : ﴿ لهم ﴾ أى
 جزاء^٢ مقاساتهم لنيران^٢ الدنيا من نار الأخدود الحسية التى ذكرت ،
 ومن نيران الغموم والأحزان المعنوية التى يكون المباشر لأسبابها غيره
 سبحانه فيكون المقاسى لها مع حفظه للدين^٢ كالتفاضل على الجمر ﴿ جئت ﴾
 ١٠ أى فضلاً منه ﴿ تبحرى ﴾ وقرب مناها بالجاء فقال : ﴿ من تحتها ﴾ أى تحت
 غرفها وأسرتها وجميع أماكنها ﴿ الأنهر ﴾ يتلذذون / يبردها فى نظير
 ذلك الحر الذى صبروا عليه فى الدنيا ويروقههم النظر إليها مع خضرة
 الجنان والوجوه الحسان الجالبة [للسرور الجالية - °] للأحزان .

/ ٧١٦

ولما ذكر هذا الذى يسر النفوس و يذهب البؤس ، [فذلكه - °]
 ١٥ بقوله : ﴿ ذلك ﴾ أى الامر العالى الدرجة العظيم البركة^٢ ﴿ الفوز ﴾

- (١) زيد فى الأصل و ظ : من الأزمان ، ولم تكن الزيادة فى م لحذفناها .
 (٢ - ٢) من ظ و م ، وفى الأصل : لمقاساتهم نار (٣) من ظ و م ، وفى
 الأصل : باندين (٤) زيد فى الأصل : من ، ولم تكن الزيادة فى ظ و م لحذفناها .
 (٥) زيد من ظ و م (٦) زيد فى الأصل و ظ : وهو ، ولم تكن الزيادة فى
 م لحذفناها .

أى الظفر بجميع المطالب لا غيره (الكبيره) كبيرا لا تفهمون منه أكثر من ذكره بهذا الوصف على سبيل الإجمال، وذلك أن من كبره أن هذا الوجود كله يصغر عن أصغر شيء منه .

ولما كان لا يثيب ويعذب على هذا الوجه إلا من كان فى غاية العظمة، قال معللا لفعله ذلك دالا بذلك التعليل على ما له من العظمة ه التى تنقاصر الأفكار دون عليائها، مؤكدا لما للأعداء من الإنكار: (ان بطش ربك) أى أخذ المحسن إليك المدبر لأمرك أعداء الدين بالعنف والسطة و غاية الشدة (لشديده) أى شدة يزيد عنفها على ما فى البطش من العنف المشروط فى تسميته، فهو عنف مضاعف.

ولما كان هذا البطش لا يتأتى إلا لكامل القدرة، دل على كمال قدرته ١٠ واختصاصه بذلك بقوله مؤكدا لما لهم من الإنكار: (انه) وزاد التأكيد مبتدأ آخر ليدل على الاختصاص فقال: (هو) أى وحده (يبدئ) أى يوجد ابتداء أى خلق أراد على أى هيئة أراد (ويعيد) أى ذلك المخلوق بعد إفنائه فى أى وقت أراد، وغيره لا يقدر على شيء

من ذلك، وليس هذا الضمير بفصل لأنه لا يكون إلا والخبر ٢ لا يكون ١٥ إلا معرفة، أو شبه بها فى أنه لا يلحقه دأل، المعرفة مثل خير منك، وأجاز المازنى وقوعه قبل المضارع لمشابهة الاسم و امتناع دخول دأل، عليه

(١-١) من ظ و م، وفى الأصل: الشدة و غاية السطوة (٢) من م، وفى الأصل و ظ: التوكيد (٣-٣) سقط ما بين الرقيين من ظ (٤) من ظ و م، وفى الأصل: أو .

فأشبه المعرفة ، [و - ١] قال : و لا يكون قبل الماضي لأن الماضي لا يشبه الاسم ، قال الرضى : و ما قاله دعوى بلا حجة [و - ٢] مثل " و مكر أولئك هو يبور " ليس بنص في كونه فصلا لجواز كونه مبتدأ ما بعده خبره ، و نقض قوله في الماضي بقوله تعالى " و انه هو اضحك ه و ابكى " - الآية .

و لما ذكر سبحانه بطشه ، و كان القادر على العنف قد لا يقدر على اللطف ، و إن قدر فربما [لم - ٢] يقدر على الإبلاغ^٢ في ذلك ، و كان لا يقدر على محو الذنوب أعيانها و آثارها عن كل أحد بحيث لا يحصل لصاحبها عقاب و لا عتاب من أحد أصلا إلا من كان قادرا على كل شيء ،
 ١٠ قال مينا لجميع ذلك دليلا على أنه الفاعل المختار ، و مؤكدا لخروجه عن العوائد : ﴿ و هو ﴾ أى وحده ﴿ الغفور ﴾ أى المحامد^٤ لأعيان الذنوب و آثارها اذا أراد بحيث لا يحصل لمن محاذنه كدر من جهة ذلك الذنب أصلا ﴿ الودود ﴾ أى الذى يفعل بمن^٥ أراد فعل المحب الكثير المحبة فيجيبه^٦ إلى ما شاء و يلقي على صاحب الذنب الذى محاه عنه ودا أى محبة كبيرة واسعة و يجعل له في قلوب^٧ الخلق رحمة ، و مادة «ود» تدور على الاتساع كما بينته في سورة الروم ، و زاد الأمر / تأكيدا بذكر ما

/ ٧١٧

- (١) زيد من ظ و م (٢) زيد من م (٣) من ظ و م ، وفي الأصل : ابلاغ .
 (٤) من ظ و م ، وفي الأصل : الماحى (٥) من ظ و م ، وفي الأصل : لمن .
 (٦) من ظ و م ، وفي الأصل : الكبير (٧) من ظ و م ، وفي الأصل : متحه - كذا (٨) من ظ و م ، وفي الأصل : قلب .

لا ينافع أصلاً في اختصاصه به تشريقاً له [و - ١] تنبيهاً على أنه أعظم المخلوقات : ﴿ ذو العرش ﴾ أى أعز الأعظم أو السرير الدال على اختصاص الملك بالملك و انفراده بالتدبير و السيادة و السياسة ، الذى به قوام الأمور ﴿ المجيد ﴾ أى الشريف الكريم العظيم فى ذاته و صفاته الحسن الجليل الرفيع العالى الكثير العطاء - هذا إذا رفع على أنه صفة له ذو ، و كذا ه إن جر على أنه صفة للعرش فى قراءة حمزة و الكسائى .

و لما كان الاختصاص ^٢ يدل قطعاً ^٢ على كمال القدرة ، أتج ذكر هذه الاختصاصات قوله : ﴿ فعال ﴾ أى على سبيل التكرار و المبالغة ﴿ لما يريد ﴾ لا يؤده شيء من الأفعال سواء كانت منسوبة إليه من غير واسطة ^٢ أو نسبت ^٢ فى الظاهر إلى غيره . و لما تمت الدلالة على أن بطشه ١٠ شديد ، قرره بما وجد من ذلك و ذكره به تخويفاً لقومه و تسلياً له لأن النظر فى المحسوسات أمكن فى النفوس فقال : ﴿ هل ائتلك ﴾ أى يا أعظم خلقنا ﴿ حديث الجنود ﴾ أى اذكر ما أتاك مما حدث لهم من بطشنا و ما وقع بهم من سطوانا لتكذيبهم رسلنا عليهم أفضل الصلاة و السلام بحيث صار حديثاً يتلى ، و ذكرنا بين الخلق لعظمته لا يلى ، ١٥ و الجنود جمع جند بالضم و هو العسكر المعد للقتال و الأعوان و المدينة ، و الكل ناظر إلى النجدة العظيمة و الغلبة الزائدة .

و لما كان المعلوم من السياق أن المراد من حديثهم ما حصل لهم

(١) زيد من م (٢-٢) من ظ و م ، وفى الأصل : قطعاً يدل (٣-٣) من م ، وفى الأصل : و انسب ، وفى ظ : و نسب .

من البطش لتكذيب الرسل لا سيما في البعث الذي السياق له، و كان
الواقع من بيانه بآيات موسى و صالح عليها الصلاة والسلام ايين مما وقع
بآيات غيرهم ممن تقدم زمنه على هذه الأزمنة^١، و كانت أمة كل نبي^٢
من النبيين و أتباع فرعون تحوى أصنافا من الخلق كثيرة، حكي أن طليعته
٥ يوم تبع بنى إسرائيل و غرق كانت ستمائة ألف، أبدل من "الجنود"
إعلاما بانهم أعداء^٣ الله قوله: ﴿فرعون﴾ و كذا أتباعه الذين كانوا
أشد أهل زمانهم و أعتام و أكثرهم رعونة في دعوى الإلهية منه
و التصديق منهم^٤، و كان هذا من عماوة قلوبهم مع ظهور علامات الربوبية
السمائية و الأرضية^٥، و الرسوخ^٦ في التكذيب و السفه و الخفة و الطيش
١٠ مع رؤية تلك الآيات العظيمة على كثرتها و طول زمنها حتى دخل البحر
على أمان من الفرق مع أن^٧ خطر الفرق به في تلك الحالة لم يكن يخفى
على من له^٨ أدنى مسكة من عقله فأغرقه، الله و من معه أجمعين و لم يبق
منهم أحدا، فلعنة الله عليه و على^٩ من كان معه من^{١٠} أتباعه^{١١} و أتباعهم^{١٢} الطائفة
الاتحادية العربية الفارضية / الذين يكنى في ظهور^{١٣} كفرهم تصويهم
١٥ فرعون الذي اجمع على كفره جميع الفرق ﴿وتمودته﴾ الذين حملتهم الخفة

/ ٧١٨

(١) في ظ: الأمة (٢) سقط من ظ و م (٣) من ظ و م، وفي الأصل؛
اعد (٤) سقط ما بين الرقين من ظ و م (٥) من ظ و م، وفي الأصل؛
رسوخهم (٦) من ظ و م، وفي الأصل؛ انه لو (٧) من ظ و م، وفي
الأصل: به (٨) من م، وفي الأصل و ظ: ظهورهم (٩) في ظ
و م: التي .

على أن عقروا الناقة بعد رؤيتهم إياها تتكون^١ من الصخرة الصماء غير مجوزين أن الذى خرق العادة باخراجها^٢ ذلك يهلكهم فى شأنها، وقد جمع سبحانه بهما بين العرب والعجم والإهلاك بالماء الذى هو حياة كل شيء والصيحة التى هى اشارة الساعة، وإنما كانت آياتها^٣ آيين لأن آية نمودناقة خرجت من صخرة صماء، ومن آيات موسى عليه الصلاة والسلام إبداع القمل الذى لا يحصى كثرة من السكبان، وإبداع الضفادع كذلك والجراد وإحياء العصا مرة بعد أخرى، ولا شك عند عاقل أن من قدر على ذلك ابتداء من شيء لا أصل له فى الحياة فهو على إعادة ما كان قبل ذلك حيا أشد قدرة.

ولما كان التقدير: نعم [قد - °] أتانى ذلك وعلمت من خبرهما ١٠ وغيره أنك قادر على ما تريد، ولكن [الكفار - ٦] لا يصدقونى، عطف عليه قوله: ﴿ بل الذين كفروا ﴾ أى جاہروا بالكفر من هؤلاء القوم وغيرهم وإن كانوا فى أدنى رتبة ﴿ فى تكذيب لا ﴾ أى لما رأوا من الآيات لا مستند لهم فيه وهو شديد محيط بهم لا تباعهم أهواءهم وتقليدهم أباهم، فهم لا يقدرّون على الخروج من ذلك التكذيب الذى صار ظرفا ١٥ لهم بعد سماعهم لأخبار هؤلاء المهلكين ورؤية بعض آثارهم، وبعد ما أقمت لهم من الأدلة على البعث فى هذا القران المعجز، ولم يعتبروا

(١) من ظ و م ، وفى الأصل : فتكون (٢) زيد فى ظ : من (٣) من ظ و م ، وفى الأصل : آيتهما (٤) من ظ ، وفى الأصل : هو قادر ، وفى م : هو . (٥) زيد من م (٦) زيد من ظ و م .

بشيء من ذلك لما عندهم من داء الحسد، فخالهم اعجب من حالهم فحذرهم^١
مثل ما لهم .

ولما كان هذا ربما أروهم ان تكذيبهم على غير مراده سبحانه
و تعالى، قال دافعا لذلك مؤكدا [قدرته -^٢] على أخذهم تحذيرا لهم
٥ وتسلية^٣ لمن كذبوه : ﴿والله﴾ أى و الحال أن الملك الذى اختص بالجلال
والإكرام ﴿من ورائهم﴾ أى من كل جهة يوارونها أو تواريهم، و ذلك
كل جهة ﴿محيطه﴾ [فهو محيط -^٤] بهم من كل جهة بعلمه وقدرته، فهو
كناية عن أنهم فى قبضته لا يفوتونه بوجه كما أنه لا يفوت من صار فى
القبضة باحاطة العدو به من غير مانع، فهو سبحانه قادر على أن يحل بهم
١٠ ما أحل بأولئك، و لعله خص الورا لآن الإنسان يحصى ما وراءه ولأنه
جهة الفرار من المصائب .

ولما كان من^٥ تكذيبهم، وهو اعظم تكذيبهم، طعنهم فى أعظم
آيات القرآن بأن يقولوا: هو كذب محتلق، إنما هو أساطير الأولين،
أى أكذوباتهم لا حقائق لما يخبر به مع أنه قد أقام الدليل الأعظم
١٥ لنفسه بنفسه بما له من الإعجاز على أنه حق، قال معبرا بالضمير أيذانا بأنه

- (١) من ظ و م ، وفى الأصل : فحذر (٢) زيد من م (٣) زيد فى الأصل : له
صلى الله عليه وسلم ، ولم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٤) زيد من ظ و م .
(٥) زيد فى الأصل و ظ : فهو ، ولم تكن الزيادة فى م فحذفناها (٦) من ظ
وم ، وفى الأصل : بهؤلاء (٧) من ظ و م ، وفى الأصل : ولا سكان من جملة .
(٨) ريدت الواو فى الأصل و ظ ، ولم تكن فى م فحذفناها .

لعظمه في كل قلب لاغية له اصلا، ليس لاحد حديث^١ إلا فيه، بانيا على ما تقديره: ليس الامر كما يزعم الكفار في القرآن: ﴿بل هو﴾ أى هذا القرآن الذى لا يأتيه الباطل^٢ / من بين يديه ولامن خلفه تنزيل من حكيم حميد ﴿قرآن﴾ أى جامع لكل منقبة جليلة بالغ الذروة العليا في كل شرف ﴿مجيد﴾ أى شريف كريم ليس فيه شيء من^٣ شوائب^٤ الدم^٥ عزيز [عظيم-^٦] شريف عال جواد حسن الخلال وحيد في نظمه ومعانيه المغنية والمشاهدة حاو لمجامع الحمد^٧ ليس بقول مخلوق ولا هو مخلوق بل هو صفة الخالق بل هو جواد بكل ما يراد منه من المحاسن لمن صدقت نيته وطهرت طويته، وعلت همته وكرمت سجيته، فهو يأتى له بمجده أن يلم بساحته طعن بوجه من الوجوه، ومجده تجريب احكامه من بين ١٠ عاجل ما شهد وآجل ما علم بعالم ما شهد، فكان معلوما بالتجربة المتينة بما تواتر من القصص الماضى^٨ وما شهد له من الأثر الحاضر وما يتجدد مع الأوقات من أمثاله وأشباهه وأشكاله، فكذب من قال إنه شعر أو كهانة أو سحر - أو غير ذلك من الأباطيل.

ولما وصفه في نفسه بما يأتى له لحاق شيء من شبهة، وصف ١٥

محله في الملا' الأعلى إعلاما بأنه لا يطرأ عليه ما يغيره فقال: ﴿في لوح﴾^٩

(١) من ظ و م ، وفي الأصل : حدث (٢) من ظ و م ، وفي الأصل : الباطن .

(٣-٢) من ظ و م ، وفي الأصل : الشوايب للذم (٤) زيد من م (٥) من م ،

وفي الأصل وظ : المحامد (٦) من ظ و م ، وفي الأصل : الماضية (٧) زيد في

الأصل وظ : اى ، ولم تكن الزيادة في م لحذفها .

وهو كل صفيحة^١ [عريضة -^٢] من خشب أو عظم أو غيرهما
 (محفوظ ع) أى له الحفظ دائماً على أتم الوجوه من كل خلل [ومن -^٢]
 أن يصل [إليه -^٢] إلا الملائكة الكرام ، قال حجة الإسلام الغزالي
 رحمه الله تعالى في كتاب الموت من الإحياء : يعبر عنه تارة باللوح ، وتارة
 ٥ بالكتاب المبين ، وتارة بامام مبين ، لجميع ما جرى في العالم وما سيجرى
 مكتوب فيه كتباً لا يشاهد* بهذه العين ، وليس مما نعهده من الألواح ،
 فلوحة تعالى لا يشبه ألواح خلقه كما أن ذاته تعالى لا تشبه ذوات خلقه ،
 ومثاله مثال قلب الإنسان في حفظ القرآن مثلاً كلماته وحروفه ، ولوقتش
 قلبه لم يوجد فيه شيء ولا ينظر ذلك إلا نبي أو ولي بقرب من درجته -
 ١٠ هذا معنى كلام الإمام رحمه الله تعالى ، وقرأ نافع بالرفع صفة للقرآن
 لحفظه من التغيير^٣ والتبديل^٤ والتحريف وكل شبهة وريب في نظمه
 أو معناه كما أن البروج محفوظة في لوح السماء المحفوظ ، بل القرآن
 بذلك أولى لأنه صفة الخالق في بيان وصفه لما خلق على الوجه الآتم
 الأعدل لأنه ترجمة ما أوجده الله سبحانه في الوجود ، فصح قطعاً أنه
 ١٥ لابد أن يصدق في كل ما أخبر به ، ومن أعظمه أنه سبحانه يحشر الناس
 للدينونة بالثواب والعقاب كما دان [من -^٣] كذب أوليائه في الدنيا

(١) من م ، وفي الأصل و ظ : صحيفة (٢) زيد من ظ و م (٣) زيد من م .
 (٤) راجع ٤ / ٣٤ (٥) من م ، وفي الأصل و ظ : لا يشاهده (٦-٦) سقط ما
 بين الرقيين من م .

بمثل ذلك فأخذ أعداءه وانجى أوليائه . فرجع الختام منها على المبتدأ ،
و تعانق الافتتاح بالمتهى ، فافتضى ذلك تنزيه المتكلم [به - '] عن أن
يترك شيئاً فضلاً عن الأنفس بغير حفظ و عن كل ما لا يليق . وإثبات
الكلمات له و الأكتليات بكل طريق^٢ - والله أعلم بالصواب ، وإليه المرجع
والمآب ، وإليه المهرب و المتأب^٣ .

٥



(١) زيد من ظ (٢) من م ، و في الأصل و ظ : بغير (م) زيد في الأصل :
انتهى ، و لم تكن الزيادة في ظ و م فحذفناها (٤ - ٤) سقط ما بين الرقبتين
من ظ و م .

سورة الطارق

/ ٧٢٠

مقصودها / بيان مجد القرآن في صدقه في الإخبار بتنعيم أهل الإيمان، وتعذيب
 أهل الكفران، في يوم القيامة حين تبلى الصرائر و تكشف الخبائث
 [الضائر^٢ -] عن مثقال^٢ الذر وما دون المثقال، مما دروته^١ الحفظة الكرام
 ه في صحائف الأعمال، بعد استيفاء الآجال، كما قدر في أزل الآزال، من غير
 استعجال، ولا تأخير عن الوقت المضروب ولا إهمال، واسمها الطارق
 أدل ما فيها على هذا الموعود الصادق بتأمل القسم والمقسم عليه حسب
 ما اتسق^١ الكلام إليه ﴿ بسم الله ﴾ الذي له^١ الكمال كله ﴿ الرحمن ﴾
 الذي وسع الخلائق^١ فضله^١ وعدله ﴿ الرحيم ه ﴾ الذي خص أوليائه
 ١٠ بتوفيقه فظهر عليهم جوده^١ وإحسانه و كرمه^١ و فضله .

لما تقدم [في -^١] آخر البروج أن القرآن^١ في لوح^١ محفوظ
 لأن^١ منزله محيط بالجنود من المعاندين وبكل شيء، أخبر أن من إحاطته
 حفظ كل فرد من جميع الخلائق [المخالفين -^{١١}] و الموافقين المؤلفين،

- (١) السادسة و الثمانون من سور القرآن الكريم، مكية، وعدد آياتها ١٧ .
 (٢) زيد من ظ (٣) من م، وفي الأصل و ظ : مثاقيل (٤ - ٤) من ظ
 و م، وفي الأصل : ما تدوته (٥) من ظ و م، وفي الأصل : الآزال .
 (٦) من م، وفي الأصل : اتسق، وفي ظ : اتساق (٧) زيد في الأصل : الجمال
 و، ولم تكن الزيادة في ظ و م لحذفها (٨ - ٨) - قط ما بين الرقين من م .
 (٩) زيد من م (١٠) من ظ و م، وفي الأصل : وإن (١١) زيد من ظ و م .

ليجازى على اعماله يوم إحقاق الحقائق و قطع العلائق ، فقال مقسما على ذلك لإنكارهم له : ﴿ و السماء ﴾ أى ذات الأنجم الموضوعة لحفظها من المردة لأجل حفظ [القرآن - ١] المجيد الحافظ لطريق الحق ، قال الملوى : [و - ٢] المراد بها [هنا - ٢] ذات الأفلاك الدائرة لا السماوات العلى [بما - ٢] جعل فيها من ليل ونهار ودوئتهما ثلاثمائة وستين ٥ درجة لا تغير أبدا في هذه [الدار - ٣] بنقص و [لا - ٢] زيادة بنصف درجة ولا دقيقة ولا ثانية ولا ما دون ذلك ، بل كلما زاد أحدهما شيئا نقص من الآخر بحسابه . عرف ذلك من العقل والنقل والتجربة فعرف أنه يحفظ [حفيظ - ٢] حي لا يموت ، قويم لا يغفل ولا ينام - انتهى ٥
ولما أقدم بالسماء لما لها من الشرف والمجد تنبئها على ما فيها ١٠ من بدائع الصنع الدالة على القدرة الباهرة ، أقسم بأعجب ما فيها وهو جنس النجوم ثم بأغريبه وهو المعد للحراسة تنبئها على ما فى ذلك من غرائب القدرة فقال : ﴿ و الطارق لا ﴾ أى جنس الكواكب الذى يبدو ليلا ويخفى نهارا ، و يطرق مسترقى السمع فيبدد شملهم و يهلك من أراد الله منهم لأجل هداية [الناس - ٢] بالقرآن فى الطرق المعنوية و ظهوره ١٥ و إشراقه فى السماء لهـدایتهم فى الطرق الحسية ، و هو فى الأصل

- (١) من ظ و م ، و فى الأصل : اعمالهم (٢) زيد من ظ و م (٣) زيد من م .
(٤) من ظ و م ، و فى الأصل : رتبها (٥) من ظ و م ، و فى الأصل : ستون .
(٦) من م ، و فى الأصل و ظ : باه (٧) سقط من ظ (٨) من ظ و م ، و فى الأصل : بديع .

لسالك الطريق ، و اختص عرفا بالآتى ليلا لانه يجد الابواب مغلقة فيحتاج
إلى طرقها ، ثم استعمل للبادى فيه كالنجم .

و لما كان الطارق [يطلق - ١] على غير النجم أبهمه أولا ثم

عظم المقسم به بقوله : ﴿ وما أدراك ﴾ أى عرفك^٢ يا أشرف خلقنا
٥ عليه الصلاة والسلام وإن حاولت معرفة ذلك و بالغت فى الفحص

عنه ﴿ ما الطارق لا ﴾ ثم زاده تهويلا بتفسيره بعد إبهامه مرة أخرى
بقوله تعالى : ﴿ النجم الثاقب لا ﴾ أى المتوهج العالى المضئ كأنه يثقب

الظلام بنوره فينفذ فيه ، يقال : / أثقب نارك للوقد ، أو يثقب بضوئه / ٧٢١

الافلاك فتشف عنه ، أو يثقب الشيطان بناره إذا استرق السمع ، والمراد
١٠ الجنس أو معهود^٣ بالثقب وهو زحل ، عبر عنه أولا بوصف عام ثم فسره

بما يخصه تفخيما لشأنه لعلو مكانه .

ولما ذكر الذى دل به على حفظ القرآن عن التليس و على حفظ

الإنسان ، ذكر جوابه فى حفظ النفوس التى جعل فيها قابلية لحفظ

القرآن فى الصدور ، ودل على حفظ ما خلق لاجلها من هذه

١٥ الأشياء المقسم بها على حفظ الإنسان لأنها إذا كانت محفوظة عن

أدنى زيغ وهى مخلوقة لتدبير^٤ مصالحه فأ^٥ الظن به ؟ فقال مؤكدا [غاية

التأكيد - ١] لما للكفرة^٦ من إنكار ذلك والظن [فيه - ١] :

(١) زيد من م (٢) فى ظ : يقال (٣) من ظ و م ، وفى الأصل : اعرفك (٤) من

ظ و م ، وفى الأصل : للتوقد (٥) زيد فى الأصل : أيضا ، ولم تكن الزيادة

فى ظ و م فخذناها (٦) من ظ و م ، وفى الأصل : لتدبير (٧) من ظ و م ، وفى

الأصل : بما (٨) من ظ و م ، وفى الأصل : للفكرة .

(ان) بالتخفيف من الثقلية في قراءة الجمهور [أى - ١] أن الشأن^١
 (كل نفس) أى من الأنفس مطلقا لا سيما نفوس الناس (لما عليها)
 أى بخصوصها^٢ لا مشارك لها في ذاتها^٣ (حافظه) أى رقيب عتيد
 لا يفارقها، والمراد به الجنس من الملائكة، فبعضهم لحفظها من الآفات،
 وبعضهم لحفظها من الوسواس^٤، وبعضهم لحفظ أعمالها وإحصائها^٥
 بالكتابة، وبعضهم لحفظ ما كتب لها من رزق وأجل و«شقاوة أو» سعادة
 «ومشى» (٩) ونكاح وسفر وإقامة^٦، فلا يتعدى شيئا^٧ من ذلك نحن قسمنا
 نحن قدرنا^٨، فان قلت: إن الحافظ الملائكة، صدقت، وإن قلت: إنه
 الله، صدقت، لانه الأمر لهم والمقدر على الحفظ^٩، والحافظ [لهم - ١]
 من الوهن والزيغ، فهو الحافظ الحقيقي، واللام في هذه القراءة هى ١٠
 الفارقة بين المخففة والنافية «وما»، مؤكدة بنفى [صدر - ٩] ما أثبتته
 الجملة، «وحافظ» خبر «إن»، ويجوز أن يكون الظرف الخبر، و«حافظ»
 مرتفع به، وقرأ ابن عامر وعاصم وحمزة بتشديد «لما»، على أنها
 بمعنى «إلا»، و«إن» نافية بمعنى «ما»، والمستثنى منه «كل نفس»، وخبر
 النافية محذوف تقديره: كائنة أو موجودة [أو نحوهما - ٩]، والمستثنى ١٥
 «نفس» موصوفة بـ«عليها حافظ»، ويحتمل أن يكون حالا فمحله يحتمل

(١) زيد من م (٢) من م، وفي الأصل وظ: شان (٣-٣) سقط ما بين الرقيين
 من ظ و م (٤) من ظ و م، وفي الأصل: الوسواس (٥-٥) من ظ و م،
 وفي الأصل: شقاء (٦-٦) سقط ما بين الرقيين من م (٧) من م، وفي الأصل
 وظ: شئ (٨) من ظ و م، وفي الأصل: القط (٩) زيد من ظ و م.

الرفع بأنه خبر الثاني [في - ١] هذا الاستثناء المفرغ عند^١ بنى نعيم، وذهب
بأنه خبر^٢ عند غيرهم^٣، أو حال من «نفس»، لأنها عامة، والتقدير: ما كل
نفس موجودة إلا نفس كائنا أ. كائن عليها حافظ، والنسبة بين مفهومي
القراءتين^٤ أن المشدد أخص لأنها دائمة مطلقه، والمخففة مطلقة عامة،
٥ ولا يظن أن المشددة غير مساوية للمخففة، فضلا عن أن تكون أخص
لأن حرف النفي دخل على «كل»، وهو من أسوار السلب الجزئي كما
تقرر^٥ في موضعه فينحل إلى أن بعض النفوس ليس إلا عليها حافظ،
[وإنما - ١] كان لا يظن ذلك لأنها تنحل لما فيها من الحصر المتضمن
للفي و الإثبات إلى جملتين، إحداهما إثبات [الحفظ - ١] للنفس^٦
١٠ / ٧٣٢ الموصوفة والأخرى سلب^٧ نقيضه عنها، لأنه من قصر / الموصوف على
الصفة، ونقيض الكلية الموجبة الجزئية السالبة أي ليس كل نفس عليها
حافظ، [والسالبة الجزئية أعم من السالبة الكلية، فإذا نقيتها قلت : ليس
ليس كل نفس عليها حافظ - ١] فهو سلب السلب الجزئي، وإذا سلب السلب
الجزئي [سلب الكلي - ١] لما تبين أنه أخف. وإذا اتنى الأعم اتنى الاخص
١٥ فلا شيء من الأنفس ليس عليها حافظ، فأحل الكلام إلى : لا نفس

(١) زيد من ظ و م (٢) من ظ و م ، وفي الأصل : عنه (٣) من ظ و م ، وفي
الأصل : عندهم (٤) من ظ ، وفي الأصل و م : القرآن (٥) من ظ و م ، وفي
الأصل . تقدر (٦) زيد في الأصل و ظ : المحفوظة . ولم تكن الزيادة في ظ
م لحذفها (٧) من ظ و م ، وفي الأصل : سبب (٨) من ظ و م ، وفي
الأصل : لا .

كائنة إلا نفس عليها حافظ ، وإن كان لفظ « ليس كل » من أسوار
الجزئية لما مضى ، فصارت الآية على قراءة التشديد مركبة من مطلقة عامة
هى « كل نفس عليها ^١ حافظ » بالفعل ، ومن سلب نقيضها ، هو ^٢ الدائمة
[المطلقة - ^٣] الذى هو « دائما ليس كل نفس عليها [حافظ - ^٣] » ورفع
بأن يقال : ليس دائما ليس كل نفس عليها حافظ ، [اى ليس دائما كل ^٥
نفس ليس عليها حافظ ، و ^٤ ذلك على سبيل الحصر و قصر الموصوف
على الصفة ، معناه أن الموصوف لا يتعدى صفته التى قصر عليها ، فأقل
الأمور أن لا يتجاوزها إلى عدم الحفظ ، وذلك معنى الدائمة المطلقة وهو
الحكم بثبوت المحمول للوضوع ما دام ذات الموضوع موجودة ، وهى
على قراءة التخفيف مطلقة عامة أى حكم فيها بثبوت المحمول للوضوع بالفعل ^{١٠}
و هو الجزء الأول مما ^٥ انحلت إليه قراءة التشديد ، فمفهوم الآية فى
قراءة التشديد أخص منه فى قراءة التخفيف ، لأن كل دائم كان بالفعل ،
ولا ينعكس - هذا إذا نظرنا إلى نفس المفهوم من اللفظ مع قطع النظر ^١
عن الدلالة الخارجية ، وأما بالنظر إلى نفس الأمر فالجهة الدوام فلا
فرق ، غير أنه دل عليها بالأفظ فى قراءة التشديد دون قراءة التخفيف - ^{١٥}
والله تعالى أعلم .

و قال الإمام ^٦ أبو جعفر ابن الزبير رحمه الله تعالى : لما قال الله

(١) تكرر فى الأصل فقط (٢) من ظ وم ، وفى الأصل : هى (م) زيد من ظ
وم (٤) زيد فى الأصل : من ، ولم تكن الزيادة فى ظ وم لحذفها (٥) من
ظ وم ، وفى الأصل : بما (٦) زيد فى الأصل وظ : الكلى ، ولم تكن الزيادة
فى م لحذفها (٧) فى ظ وم : الأستاذ .

سبحانه تعالى في سورة البروج « والله على كل شيء شهيد » ، والله من ورائهم محيط ، و كان « في ذلك »^١ تعريف العباد بأنه سبحانه و تعالى « لا يغيب عنه »^٢ شيء و لا يفوته شيء و لا ينجم منه^٣ هارب ، اردف ذلك بتفصيل يزيد^٤ إيضاح ذلك^٥ التعريف الجملي من شهادته سبحانه و تعالى ه على كل شيء و إحاطته به^٥ فقال تعالى « ان كل نفس لما عليها حافظ » ، فأعلم الله سبحانه و تعالى بخصوص كل نفس من يحفظ أنفسها . ما يلفظ من قول الالديه رقيب عتيد ، يعلم العبد أنه ليس بمهمل و لا مضيع ، و هو سبحانه و تعالى^٦ الغني عن كتب الحفظه و إحصائهم^٧ أو شهادة الشهود من الأعضاء و غيرهم ، وإنما كان ذلك لإظهار عدله ١٠ سبحانه و تعالى « ان الله لا يظلم » فقال ذرة ، و لا أقل من المثقال^٨ ، ولكن هي سنته حتى لا يبقى لأحد حجة و لا تعلق ، و أقسم سبحانه و تعالى على ذلك تحقيقاً و تأكيداً يناسب القصد المذكور - انتهى .

و لما كان التقدير : لأنه لا بد^٩ له^٩ من العرض على الخالق سبحانه و تعالى / لأن التوكيل بالإنسان لا يكون إلا لعرضه على الملك الديان صاحب الأمر و البرهان^{١٠} و محاسبته له^{١٠} على ما كان^{١١} ، كان التقدير : يحفظ أعمالها ١٥

/ ٧٢٣

(١-١) من م ، وفي الأصل و ظ : ذلك (٢-٢) من ظ و م ، وفي الأصل : لا يخفى عليه (٣-٣) سقط ما بين الرقین من ظ و م (٤-٤) من ظ و م ، وفي الأصل : أيضاً لذلك (٥) من ظ و م ، وفي الأصل : بكل شيء (٦) زيد في الأصل : هو ، و لم تكن الزيادة في ظ و م لحذفها (٧) من ظ و م ، وفي الأصل : بانه (٨) سقط من م .

و يكتبها ليحاسبها الملك على ذلك ، فليسبب عنه قوله تعالى : ﴿ فلينظر ﴾
 أى بالبصرة ﴿ الانسان ﴾ أى الآنس بنفسه الناظر فى عطفه إن كان يسلك
 فى ذلك ﴿ مم ﴾ أى من أى شئ ، و بنى للفعول العامل فى [من - ١]
 أمر بالنظر وهو قوله : ﴿ خلقه ﴾ إعلاما بأن الدال هو مطلق الخلق ،
 و تنبيهها على تعظيم الفاعل بأن العلم به غير محتاج إلى ذكره^٢ باللفظ لأنه ه
 لا يقدر على صنعة من صناعته^٣ غيره ، و أمر الإنسان بهذا النظر ليعلم
 بأمر مبدئه أمر معاده ، فان من قدر على الابتداء قدر على^٤ الإعادة قطعا ،
 فاذا صح عنده ذلك اجتهد فى أن لا يمل على حافظيه إلا ما يرضى الله
 تعالى يوم عرضه على الملك الديان^٥ ليسره وقت حسابه .

ولما نبه بالاستفهام على أن هذا أمر مهم جدا ينبغى لكل أحد ١٠
 أن يترك جميع مهماته و يتفرغ للنظر فيه فانه يكسبه السعادة الابدية
 الدائمة^٦ ، و كان الإنسان - مع كونه ضعيفا عاجزا - لا ينفك عن شاغل
 و مفتر ، فلا يكاد يصح له نظر ، تولى سبحانه و تعالى شرح ذلك عنه
 فأجاب الاستفهام بقوله : ﴿ خلق ﴾ أى^٧ الإنسان على أيسر وجه و أسهله
 بعد خلق آية آدم عليه الصلاة و السلام من تراب ، و أمه حواء عليها ١٥
 السلام من ضلعه^٨ ﴿ من ماء دافق لا ﴾ أى هو^٩ - لقوة دفق الطبيعة له -

(١) زيد من ظ و م (٢) من ظ و م ، وفى الأصل : ذكر (٣) من ظ و م ،
 وفى الأصل : صانعه (٤) سقط من ظ و م (٥) سقط من م (٦) من ظ ، وفى
 الأصل و م : ضام (٧) زيد فى الأصل : دافق ، ولم تكن الزيادة فى ظ و م
 فحذفناها .

كأنه يدفق بنفسه^١ فهو إسناد مجازي ، و الدفق لصاحبه ، أو هو مثله لابن ،
 أي ذى دفق ، و الدفق صب فيه دفع ، ولم يقل : مائين^٢ - إشارة إلى أنهما
 يجتمعان في الرحم [و - ٢] يمتزجان أشد امتزاج بحيث يصيران
 ماء^٣ واحدا .

و لما كان^٤ المراد به ماء الرجل و ماء المرأة قال : (يخرج)
 و بعض باثبات الجار فأفهم الخروج عن مقره بقوله^٥ : (من بين الصلب)
 أي صلب الرجل و هو عظم مجتمع من عظام مفلكه أحكم ربطها غاية
 الإحكام من لدن الكاهل إلى عجب الذنب (و الترائب^٦) أي ترائب
 المرأة ، و هي^٧ عظام الصدر حيث تكون^٨ القلادة ، و صوبه ابن جرير^٩ ،
 ١٠ أو ما ولى الترقوتين منه ، أو ما بين الشدين و الترقوتين [أو - ٤] أربع
 أضلاع من يمين الصدر ، و أربع من يسره^{١٠} ، أو اليدين و الرجلان و العينان ،
 و على كل تقدير شهوتها من أمامها و شهوة الرجل فيما غاب عنه من
 ورائه ، و لو نزع الخافض لأفهم أن الماء يملأ^{١١} البين المذكور و لم يفهم
 أنه يخرج عن صاحبي البين ، قال البيضاوي^{١٢} : ولو صح أن النطفة تتولد

(١) من م ، وفي الأصل و ظ : نفسه (٢) زيد في الأصل و ظ : فيه ،
 و لم تكن الزيادة في م لحذفها (٣) زيد من م (٤) سقط من ظ و م (٥) زيد
 في الأصل : الماء ، و لم تكن الزيادة في ظ و م لحذفها (٦) في ظ و م : في
 قواه (٧) من ظ و م ، وفي الأصل : هو (٨) زيد في الأصل : محل وضع ،
 و لم تكن الزيادة في ظ و م لحذفها (٩) راجع ٨٠ / ٣٠ (١٠) من ظ و م ،
 وفي الأصل : يسره (١١) راجع الأنوار ص : ٧٩٤ .

من فضل المضم [الرابع - ١] و تفصل عن جميع الأعضاء حتى تستعد
لأن يتولد منها مثل تلك الأعضاء، ومقرها^٢ عروق ملتف بعضها ببعض^٣
عند الآتين، / فلا شك أن الدماغ أعظم الأعضاء معونة في توليدها،
ولذلك تشبهه ويسرع الإفراط في الجماع^٤ بالضعف فيه وله خليفة وهو
النخاع وهو في الصلب، وشعب كثيرة نازلة إلى الترائب وهما أقرب
إلى أوعية المنى فلذلك^٥ خصا بالذكر . وقال الملوي : فالذى أخرجه
من ظروف^٦ عظام الصلب والترائب إلى أن صيره في محله من الآتين
إلى [أن - ٧] دقق واعتنى بعد ذلك بنقله من خلق إلى خلق بعد كل
أربعين يوما إلى أن صيره إنسانا يعقل ويتكلم ويبني القصور، ويهدم^٨
الصخور، قادر على بعثه .

١٠

ولما علم بالحفظ و الخلق في الأطوار المشار إليها أنه خلق لأمر
عظيم وهو الحساب، وثبت بالقدرة على ابتدائه من هذا الماء و بتطوره
في الحالات المشار إليها^٩ بذكر الماء، المعلومة لكل أحد القدرة على الإعادة
بلا فرق إلا كون الإعادة على ما نعرف أسهل، وكان العرب ينكرونها،
قال مؤكدا استئنافا لمن يقول : قد نظرت في ذلك فه : (انه) ١٥

(١) زيد من ظ (٢) من م ، وفي الأصل و ظ : مقصرها (٣) من م ، وفي
الأصل و ظ : ببعض (٤ - ٥) من م ، وفي الأصل و ظ : افراط بالجماع .
(٥) من م ، وفي الأصل و ظ : ولذلك (٦) في ظ : حلزون (٧) زيد من ظ
و م (٨) زيد في الأصل : انقصور وينحت ، ولم تكن الزيادة في ظ و م
لحذفها (٩) زيد في ظ : بالتنبيه .

أى خالقه القادر على ما ذكر من شؤون؛ المدلول على عظمه ببناء «خلق»
 للفعول (على رجعه) أى رجع الإنسان بالبعث و رده إلى حالته الأولى
 و خلقه الأول كما كان قبل الموت و على رد هذا الماء الدافق إلى مجاريه
 التى خرج منها و حله إلى المائية بعد انعقاده عظمها و لحما و دما (لقادره)
 ٥ أى لثابتة قدرته على ذلك أتم ثبات ، 'فنن أيسر' ما يكون عنده سبحانه
 و تعالى [رده - ٢] بعد شيخوخته على عقبه بأن يجعله كهلا ثم شابا
 ثم طفلا ثم مضغة ثم علقه ثم نطفة ثم يدفعه إلى ذكر الرجل و رحم
 المرأة ثم إلى صلبه و ترائبها وهو أهون عليه ، و ذلك كقدرته على رده
 بالبعث ، و عبر به عنه ، و لم يقل : أن الله - مثلا لأنه أقعد لأنه يقال لكل

١٠ إنسان : من أخرجك على^٢ هذه الهيئة فصيرك^٣ على هذه الصفة ؟ فإذا قال :
 القادر على كل شيء بقدرته الكاملة ، قبل له : و بتلك القدرة بعينها يعيدك ،
 و لو سمي له اسم غير الضمير لكان ربما قال : [ليس - ٢] هو خالق .
 و لما كان هذا يحرك السامع غاية التحريك لأن يقول : متى تكون
 رجعه له ؟ قال مجيبا له : (يوم تبلى) و بناه^٤ للفعول إشارة مع التنبيه
 ١٥ على السهولة إلى [أن - ١] من^٦ الأمر البين غاية البيان أن الذى ييلوها^٧

(١-١) من ظ و م ، و فى الأصل : فايسر (٢) زيد من ظ و م (٣) من م ،
 و فى الأصل و ظ : من (٤) من ظ و م ، و فى الأصل : ثم صيرك (٥) من ظ
 و م ، و فى الأصل : بنى هذا (٦) زيد فى الأصل و ظ : بين ، و لم تكن الزيادة
 فى م لخذفناها (٧) من ظ و م ، و فى الأصل : يتلوها .

هو الذى يرجعها ، و هو الله سبحانه و تعالى من غير احتياج إلى ذكره^١
 ﴿ السراثر لا ﴾ أى كل ما انطوت عليه الصدور من العقائد والنيات ،
 و^٢ أخفته الجوارح من الإخلال^٣ بالوضوء و الغسل و نحو ذلك من
 جميع الجنائيات ، بأن تخالط السراثر فى ذلك اليوم ، و هو يوم القيامة ، من
 الأمور الهائلة ما يميلها^٤ فيحيلها عما هى عليه فتعود جهرا^٥ بعد أن كانت ه
 سرا / ، فيميز طيبها من خبيثها و يحازى عليه صاحبه .

٧٢٥ /

و لما كان المانع من جزائه عند^٦ إظهار^٧ سراره إما هو نفسه
 أو أحد ينصره ، قال مسيب^٨ عن إظهار ما يجتهد فى^٩ إخفائه : ﴿ قاله ﴾
 أى الإنسان الذى أخرجت سراره ، و أعرق فى التعميم و النفي فقال :
 ﴿ من قوة ﴾ أى يمنع بها نفسه من الجزاء ﴿ ولا ناصره ﴾ أى ينصره ١٠
 فيمنعه من^{١١} تقوذ الحكم فيه . و ليس الدفع إلا بهذين الأمرين : قوة قائمه به
 أو قوة خارجة عنه .

و لما اشتملت هذه الجمل على وجازتها على الذروة العليا من البلاغة
 فى إثبات البعث و الجزاء و الوجدانية له سبحانه و تعالى إلى غير ذلك
 من بحور العلوم ، فثبت أن القرآن كلام الله سبحانه و تعالى ، فثبت ان ١٥

(١) من م ، و فى الأصل و ظ : ذكر (٢) من ظ و م ، و فى الأصل : ثم .
 (٣) من ظ و م ، و فى الأصل : الاخلال (٤) من ظ و م ، و فى الأصل :
 يجلبها (٥) زيد فى الأصل : و علانية ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م لحذفها .
 (٦) من ظ و م ، و فى الأصل : عن (٧) فى ظ : اظهاره (٨) من ظ و م ، و فى
 الأصل : متافقا .

كل ما فيه حق مع منازعتهم^١ في ذلك [كله^٢]، اقضى الحال الإقسام
 على حقيقته فقال: ﴿و السَّمَاءُ﴾ أى التى كان المطلع^٣ الإقسام بها و وصفها
 بما يؤكد العلم بالبعث الذى هو منبع العلوم والتقوى فعليه^٤ مدار السعادة
 فقال: ﴿ذات الرجوع لا﴾ التى ترجع بالدوران إلى الموضع الذى ابتدأت
 ٥ الدوران منه فترجع^٥ الأحوال التى كانت و تصرمت من الليل و النهار
 و الشمس و القمر و الكواكب و الفصول من الشتاء و ما فيه من برد
 و مطر، و الصيف و ما فيه من حر و صفاء و سكون^٦ و غير ذلك^٧ و النبات
 بعد تهشمه و صيرورته ترابا محتلطا بتراب الأرض و ترجع الماء على قول
 من يقول: إن السحاب يأخذه من البحر و يعلو به فبصره فى الهواء
 ١٠ ثم يردّه إلى الأرض - و غير ذلك من الأمور الدال^٨ كل منها قطعاً على
 أن فاعل ذلك^٩ قادر على إعادة كل ما فى كذا كان من غير فرق
 أصلاً .

ولما ذكر الأمر العلوى بادئاً به اشرفه، اتبعه السفلى فقال تعالى:
 ﴿و الأرض﴾ أى مسكنكم الذى أتم ملاسوه و معانوه كل وقت
 ١٥ و ملاسوه ﴿ذات الصدع﴾ أى التى تنصدع و تنشق فيخرج منها النبات

(١) من ظ و م ، وفى الأصل : مسارعته (٢) زيد من ظ و م (٣) من ظ
 و م ، وفى الأصل : مطلع (٤) من ظ و م ، وفى الأصل : و عليه (٥) من ظ
 و م ، وفى الأصل : فيرجع (٦-٧) تكرر ما بين الرقبتين فى الأصل فقط (٧) زيد
 فى الأصل : على ، ولم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٨) زيد فى الأصل :
 قطعاً ، ولم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها .

و العيون بدما و اعادة دلالة ظاهرة على البحث ، فجمع بالقسم العالم العلوى الذى هو كالرجل والسفلى الذى هو كالمراة ، فكما أن الرجل يسقيها من مائه فتصدع [عن الولد ، فكذلك السماء تسقى الارض فتصدع - ١] عن النبات ، [و كما أنها تتصدع عن النبات - ١] بعد فئائه و صيرورته رفانا فيعود كما كان فكذلك تتصدع عن الناس بعد فئائهم فيعودون كما كانوا باذن ربها^٢ من غير فرق أصلا .

و لما كانت هذه كلها براهين قاطعة و دلائل باهرة ساطعة على حقيقة القرآن و إتيانه بأعلى البيان ، فكان من المستبعد جدا طعنهم فى القرآن بعد هذا البيان^٣ ، قال تعالى منها على ذلك بالتأكيـد معبرا بالضمير إشارة لما مضى إلى أنه المحدث عنه الآن ، فهو الثابت فى جميع الأذهان لا غية ١٠ [له - ١] عن شىء منها أصلا (انه) أى القرآن الذى / أخبر بهذه ٧٢٦ / الإخبارات التى هى فى غاية الوضوح و تقدم أنه مجيد و فى لوح محفوظ ، و أن الكفرة فى تكذيب به ، و لا سيما ما تضمن منه الإخبار بالبعث : (لقول فصل لا) أى جدا يراد به فصل الأمور ، وله من العرافة فى الفرق^٤ بين الحق و الباطل ما صار به يطلق عليه نفس الفصل ، ثم أكد ١٥ الأمر لشدة إنكارهم^٥ و جحدهم و تغطيتهم الحق بالباطل^٦ فقال : (و ما هو)

(١) زيد من ظ و م (٢) من ظ و م ، و فى الأصل : من (٣) من ظ و م ، و فى الأصل : الله تعالى (٤) من م ، و فى الأصل و ظ : حقيقة (٥) من م ، و فى الأصل و ظ : على (٦) - قط من ظ و م (٧) من م ، و فى الأصل و ظ : الفصل (٨ - ٨) - قط ما بين الرقعتين من م .

أى القرآن^١ فى باطنه و [لا - ٢] ظاهره ﴿ بالهزل^٢ ﴾ اى بالضعيف^٣
المردول الذى لا طائل تحته ، فمن حقه ما هو عليه الآن من كونه مهيبا
فى القلوب معظما فى الصدور يرتفع به قارئه و سامعه عن أن [يلم - ٤]
بهزل و يعلو به فى أعين العامة^٥ و الخاصة .

٥ و لما كان ثبات هذا على هذا الوجه مقتضيا و لا بد رجوعهم عن
العناد ، [فكان ذلك محركا للسامع إلى تعرف ما كان من أمرهم ، استأنف
قوله دلالة على بقائهم على الإنكار و أكدده تنبيها على أن بقاءهم
على العناد - ١] مع هذا مستبعد جدا ﴿ انهم ﴾ أى الكفار ﴿ يكيّدون ﴾
أى بما يعملون فى امره من الحيل^٦ ﴿ كيدا لا ﴾ فى إبطاله و إطفاء نوره
١٠ باثباتك أو^٧ إخراجك أو قتلك أو تنفير الناس عنك و الحال أنه لا قوة
لهم^٨ أصلا على ذلك^٩ و لا ناصر لهم بوجه من الوجوه^{١٠} و سعى جزاؤه لهم
سبحانه كيدا مشاكلة ، و لأنه خفى عنهم و مكروه إليهم فهو على صورة الكيد
فقال : ﴿ واكيد ﴾ اى أنا بآتمام^{١١} اقتدارى ﴿ كيدا جليما ﴾^{١٢} باستدراجى

(١) سقط من م (٢) زيد من م (٣) من ظ و م ، وفى الأصل : بالضعف .
(٤) زيد من ظ و م (٥) من ظ و م ، وفى الاصل : العالم (٦) زيد فى الأصل :
البغضاء البعداء ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م لحذفها (٧) من ظ و م ، وفى
الأصل : الخيلة (٨) من م ، وفى الاصل و ظ : و (٩-٩) سقط ما بين الرقيين
من ظ و م (١٠) من ظ و م ، وفى الأصل : بتمام (١١) زيد فى الأصل :
و كيف و هو موجد القدرة لغيره ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م لحذفها .
(١٢) زيد فى الاصل : اى يكون ذلك ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م لحذفها .

لهم ' إلى توغلهم فيما يفضني ' ليكمل ما يوجب ^٢ أخذى لهم من حيث لا يشعرون .

ولما كان هذا معلما بأنهم عدم لا اعتبار بهم ، قال مسيبا عنه تهديدا لهم ياله من تهديد ^٣ ما أصعبه ^٤ : (فهل) أى تمهيدا عظيما بالتدرج .
ولما كان فى المكذبين فى علم الله من يؤمن فليس مستحقا لإيقاع مثل هذا التهديد ، عبر بالوصف المقتضى للرسوخ فقال : (الكافرين) أى هـ
فلا تدع عليهم ولا تستعجل لهم بالإهلاك ، فانا لانعجل ^٥ لانه لا يعجل بالعقوبة إلا من يخاف الفوت ، حكى أن الحجاج كان سيجنه من رخام و أرضه من رصاص ، فكان يتلون بتلون الأوقات ، فوقت الحر جهنم ، و وقت البرد زمهرير ، فرببه يوما فاستغاثوا فظأطأ رأسه لهم و قال :
اخسؤا فيها و لا تكلمون ، فأخذت الأرض قوائم جواده فرفع طرفه إلى السماء ١٠
و قال : سبحانه لا يعجل بالعقوبة إلا من يخاف الفوت ، و انطلق من وقته ^٦ ،
فان العجلة - [وهى - °] إيقاع الشيء فى غير وقته الأليق به - نقص فانه لا يعجل إلا من يكون [ما يفعل - °] المستعجل عليه خارجا عن قبضته .
و لما كانت صيغة التفعيل ربما أفهمت التطويل ، أكد ذلك مجردا للفعل دلالة على أن المراد بالأول إيقاع الإمهال مع أن زمنه قصير بالتدرج ١٥
ليطمئن المهمل بذلك ^٧ و تصير له [به - °] قوة عظيمة و درته ؟ و عزيمة

(١-١) من ظ و م ، وفى الأصل : بتوغلهم فى كل ما يقتضى (٢) من ظ و م ،
وفى الأصل : بذلك (٣-٣) سقط ما بين الرقین من ظ و م ، و زيد فى
الأصل : قوله (٤-٤) سقط ما بين الرقین من ظ و م (٥) زيد من ظ و م .
(٦) زيد فى الأصل : وهذا ، ولم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٧) من ظ و م ، وفى الأصل : به .

صادقة لأن ما يقولونه مما تشدكرأهه / النفوس له ، فلا يقدر أحد على
 الإعراض عنه إلا بمعونة عظيمة : ﴿ امهلهم ﴾ أى بالإعراض عنهم مرة
 واحدة بعد التدرج [لما صار لك على حمله من القوة بالتدرج - ١]
 الذى أمرت به سابقا ﴿ رويدا ﴾ أى إمهالا يسيرا فستكون عن قريب
 ٥ لهم أمور ، وأى أمور تشفى الصدور ، وهو تصغير داروداء تصغير
 ترخيم ، قال ابن برجان : وهى كلمة تعطى الرفق ، وهذا الآخر هو المراد
 بما فى أولها من أن كلا منهم و من غيرهم محفوظ بحفظه مضبوطة أقواله
 وأفعاله و ' حركاته و سكناته ' وأحواله ، فإن ذلك مستلزم لأنه^٢ فى القبضة ،
 فقد^٣ اتقى الطرفان على أعظم [شأن بأين - ١] برهان ، و وقع أول
 ١٠ هذا الوعيد يوم بدر ثم تولى^٤ فكأهم و تحقيرهم^٥ و إسفاهم إلى أن
 ذهب كثير منهم بالسيف و كثير منهم [بالموت - ١] حتف الانتف إلى
 النار ، وبقى الباقون فى الصغار إلى أن أعزم الله بجز الإسلام ، و صاروا
 من الأكابر الأعلام^٦ ، تشريفا^٧ و تكريما و تعظيما^٨ لهذا النبى الكريم^٩
 عليه أفضل الصلاة و السلام^{١٠} - والله تعالى هو أعلم بالصواب .

(١) زيد من ظ و م (٢-٢) - قط ما بين البرقين من ظ و م (٣) من م ، و فى
 الاصل و ظ : انه (٤) من ظ و م ، و فى الأصل : رجم و (٥) من ظ و م ،
 و فى الأصل : تول (٦) من ظ و م ، و فى الأصل : تحقير (٧) من ظ و م ،
 و فى الأصل : الأعيان (٨) زيد فى الأصل : على ربه ، ولم تكن الزيادة فى ظ
 و م فحذفناها .

سورة سبح^١ و تسمى الأعلى

قال الملوى : و كان النبي صلى الله عليه و سلم [يحجها - ^١] لكثرة ما اشتملت عليه من العلوم والخيرات - مقصودها إيجاب^٢ التنزيه للأعلى^٣ سبحانه و تعالى عن أن يلحق ساحة^٤ عظمته شيء من^٥ شوائب النقص^٦ كاستعجال في أمر من إهلاك الكافرين أو غيره أو العجز عن البعث أو إهمال الخلق ه سدى ينبغي بعضهم على بعض بغير حساب ، أو أن يتكلم بما [لا - ^٧] بطابق الواقع أو بما يقدر أحد أن يتكلم بمثله كما أذنت بذلك^٨ الطارق بجملها و شرحته هذه مفصلا ، و على ذلك دل كل من اسميها سبح و الأعلى ﴿ بسم الله ﴾ الذى له العلى كله فلا نقص يلحقه ﴿ الرحمن ﴾ الذى عم جوده ، فكل^٩ موجود هو الذى أوجده و كل حيوان هو الذى ١٠ يريه و يرزقه ﴿ الرحيم ه ﴾ الذى [من - ^{١٠}] كان من حربه فانه يلزمه الطاعة و يسرها له^{١١} و يوفقه ^{١٢} .

- (١) السابعة و الثمانون من سور القرآن الكريم ، مكية ، و عدد آياتها ١٩ .
 (٢) زيد من ظ و م (٣) من ظ و م ، و فى الأصل : ايجاد (٤) من ظ و م ، و فى الأصل : للعلی الأعلى (٥) من ظ و م . و فى الأصل : بساحة (٦ - ٦) من ظ و م ، و فى الأصل : الشوائب (٧) زيد فى الأصل : سورة ، ولم تكن الزيادة فى ظ و م لخذلتها (٨) من ظ و م ، و فى الأصل : بكل (٩) من ظ و م ، و فى الأصل : لها (١٠) من ظ و م ، و فى الأصل : يرفق به انتهى .

لما تضمن أمره سبحانه في آخر الطارق بالإمهال^١ النهى عن الاستعجال،
 الذى هو مزه عنه لكونه [نقصا-^٢] ، وأشار نفي الهزل [عن القرآن-^٣]
 إلى أنهم^٤ و صموه بذلك وهو في غاية البعد [عنه-^٥] إلى غير ذلك مما أشير
 إليه فيها ونزه نفسه الأقدس سبحانه [عنه-^٦] ، أمرأ كل خلقه رسوله
 ٥ المنزل عليه هذا القرآن صلى الله عليه وسلم بتنزيه اسمه لانه وحده العالم
 بذلك حق علمه ، وإذا نزه^٧ اسمه عن أن يدعو به وثنا أو غيره
 أو يضعه في غير ما يليق به ، كان لذاته سبحانه أشد تنزيها ، فقال^٨ مرغبا
 في الذكر لاسيما بالتنزيه الذى هو نفي المستحيلات لأن التخلي قبل التحلي ،
 شارحا لأصول الدين مقدما للالهيات التى هى النهايات^٩ من الذات ثم
 الصفات لاسيما / القيومية ثم الأفعال على النبوات ، ثم أتبع ذلك النبوة
 ١٠ / ٧٢٨ ليعرف العبد ربه على ما هو عليه من الجلال والجمال ، فيزول عنه داء
 الجهل الموقع في التقليد ، وداء الكبر الموقع في إنكار الحقوق ، فيعترف^{١٠}
 بالعبودية و الربوبية ، مثنيا عليه سبحانه بالجلال ثم الجمال فيعبده على
 ما يليق به من امثال أمره واجتناب نهيه تعظيما لقدره : (سبح)
 ١٥ أى نزه وبرئى تنزيها وبرئة^{١١} عظيمتين جدا قويتين شديديتين^{١٢}
 (اسم ربك) أى المحسن إليك بعد إيجادك على صفة الكمال بتريتك

(١) زيدت الواو في الأصل و ظ ، ولم تكن الزيادة في م فحذفناها (٢) زيد من
 ظ و م (٣) م ظ و م ، وفي الأصل : انه (٤) من ظ و م ، وفي الأصل :
 نزل (٥) من ظ و م ، وفي الأصل : قال (٦) من ظ و م ، وفي الأصل :
 البهات (٧) من ظ و م ، وفي الأصل : معترف (٨-٩) في ظ و م : عظيمة
 جدا جدا قوية شديدة .

على أحسن الخلال^١ حتى كنت في غاية^٢ الجلال والجمال^٣.

ولما كان الإنسان محتاجا في أن تكون حياته طيبة ليتمكن مما يريد إلى ثلاثة أشياء: كبير ينتمى إليه ليكون له به رفعة ينفعه بها عند مهماته، ويدفع عنه عند ضروراته، ومقتدى يربط^٤ به نفسه عند ملهاته، وطريقة مثل تتركبها^٥ - كما أشار إليه قوله صلى الله عليه وسلم «رضيت بالله رباً» وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبياً ورسولاً وبالإسلام ديناً أرشده صلى الله عليه وسلم إلى أن الانقطاع إليه^٦ أعلى الجاه، فقال واصفا لمن أمره بتسييحه باثبات ما له من الواجبات بعد نفي المستحيلات كما أشار إليه «سبحانك وبمحمداً»: ﴿الاعلى ٧﴾ [أى - ٢] الذى له وصف الاعلوية في المكانة^٨ لا المكان على الإطلاق عن كل شائبة نقص^٩ وكل سوء من الإلحاد^{١٠} في شيء من أسمائه بالتأويلات الزائفة وإطلاقه على غيره مع زعم أنها فيه سواء، وذكره^{١١} خالياً عن التعظيم وغير ذلك ليكون راسخاً في التنزيه^{١٢} فيكون من أهل العرفان الذين يضيئون على الناس مع كونهم في الرسوخ كالآلات الشاحنة التي هي مع علوها لا تنزعج، وقد ذكر سبحانه

(١) من ظ و م، وفي الأصل: الحال (٢-٣) من ظ و م، وفي الأصل: الجمال والجلال (٢) من ظ و م، وفي الأصل: يربطه (٤) سقط من م (ه) في ظ: يركبها (٦) من ظ و م، وفي الأصل: سبحانه وتعالى بقوله (٧) زيد من ظ و م (٨) من ظ و م، وفي الأصل: المكاتب (٩) زيد في الأصل: عن، ولم تكن الزيادة في ظ و م لحذفها (١٠) من ظ و م، وفي الأصل: ذكراً. (١١-١٢) من ظ و م، وفي الأصل: بالتنزيه.

هذا المعنى معبرا 'عنه بجميع' جهاته [الأربع - '] في ابتداء سور أربع
استيعابا لهذه الكلمة الحسنى الشريفة من جميع جهاتها ، فابتداء^٢ سورة
الإسراء التي هي سورة الإحسان به سبجن ، المصدر الصالح لجميع معانيه إعلاما
بأن هذا المعنى ثابت له مطلقا غير مقيد بشيء من زمان أو غيره ، ثم فني
هـ بالماضي في أول الحديد والحشر والصف تصريحاً بوقوع ما أفهمه المصدر
في الماضي الذي يشمل أزل الآزال^١ إلى وقت الإنزال ، ثم ثلث في أول
الجمعة والتغابن بالمضارع لأن يفهم مع ما أفهم المصدر والماضي
دوام التجدد ، فلما تم ذلك من جميع 'وجوهه توجه' الامر شخصت به
سورته ، و قد مضى في أول الحديد والجمعة ما يتم هذا .

١٠ و لما كان الإبداع أدل ما يكون مع التنزه^٣ على الكمال لاسيما النور
الذي هو سبب الانكشاف والظهور ، مع أنه تفصيل^٤ لقوله 'مم خلق' ،
و هو أدل شيء على البعث المذكور في ' [يوم -^٢] تبلى السرائر ، قال
مينا للفاعل الذي أهمه لوضوحه في 'مم خلق' مرغبا في الفكر / في أفعاله
سبحانه و تعالى الذي هو السبب الأقرب للسعادة بالدلالة عليه بما له من
١٥ الجائزات بعد الترغيب في الذكر الذي هو المهي^٥ للفكر : (الذي خلق)

(١-١) من ظ و م ، وفي الأصل : به عن جميع (٢) زيد من ظ و م (٣) من
ظ و م ، وفي الأصل : في ابتداء (٤) من ظ و م ، وفي الأصل : الازل (٥-٥) من
م ، وفي الأصل : و ظ : اموره (٦) من م ، وفي الأصل و ظ : انتزيعه .
(٧) من ظ و م ، وفي الأصل : لفصل .

أى أوجد من العدم أى له صفة الإيجاد لكل ما أرادته لا يعسر عليه شيء
 ﴿فسوى﴾ أى أوقع مع الإيجاد وعقبه التسوية فى كل خلق بأن جعل
 له ما يتأتى معه كإله و يتم معاشه ، و عدل بين الأمزجة الأربعة الماء
 و الهواء و النار و التراب بعد أن قهرها على الجمع مع التضاد لئلا
 تنفاسد ، و ذلك بالعلم التام و القدرة الكاملة دلالة على تمام حكمته وفعله ه
 بالاختيار .

وقال الأستاذ أبو جعفر ابن الزبير : لما قال سبحانه و تعالى
 مخبرا عن عمه الكفار فى ظلام حيرتهم ”انهم يكيدون كيدا“ وكان وقوع
 ذلك من العيد المحاط بأعمالهم و دقائق أنفاسهم و أحوالهم من أقبح
 مرتكب و أبعد عن المعرفة بشيء من عظيم أمر الخالق جل جلاله ١٠
 و تعالى علاؤه و شأنه ، أتبع سبحانه ذلك بأمر نبيه صلى الله عليه وسلم
 بتنزيه ربه الأعلى عن شنيع اعتدائهم و افك افتراءهم ، فقال ”سبح
 اسم ربك الأعلى“ أى نزّهه عن قبيح مقالهم ، و قدم التنبيه على التنزيه فى
 أمثال هذا و نظائره و وقوع ذلك أثناء السور [و - ٧] فيما بين
 سورة و أخرى ، و أتبع سبحانه و تعالى من التعريف بعظيم قدرته و على ١٥
 حكمته بما يبين ضلالهم فقال ”الذى خلق فسوى و الذى قدر فهدى“

(١) من ظ ، و فى الأصل و م : اراد (٢) زيد فى الأصل : التسوية ، ولم تكن
 الزيادة فى ظ و م لخذفتها (٣) من ظ و م ، و فى الأصل : مع (٤) من ظ و م ،
 و فى الأصل : مكبرا (٥) من ظ و م ، و فى الأصل : عامة (٦) من ظ ، و فى
 الأصل و م : ابعده (٧) زيد من م .

تبارك الله أحسن الخالقين ، و تنزه عما يتقوله ' المفترون - انتهى .

و لما كان جعل الأشياء على أقدار متفاوتة مع الهداية إلى ما وقع الخلق له على أوجه ' متفاضلة مع التساوى فى العناصر مما يلى التسوية ، وهو من خواص الملك الذى لا يكون إلا مع الكمال . أتبعه به بالواو

٥ دلالة على تمكن الأوصاف فقال : (و الذى قدر) أى أوقع تقديره فى أجناس الأشياء وأنواعها^٢ و أشخاصها^٣ و مقاديرها و صفاتها و أفعالها و آجالها ، و غير ذلك من أحوالها ، فجعل البطش للبدن و المشى للرجل و السمع للأذن و البصر للعين و نحو ذلك (فهدى^٤) أى أوقع بسبب تقديره و عقبه الهداية لذلك الذى وقع التقدير من أجله من الشكل

١٠ و الجواهر و الأعراض التى هيأه بها لما يليق به طبعاً أو اختياراً بخلق الميول و الإلهامات ، و نصب الدلائل و الآيات لدفع الشرور و جلب الخيور ، فترى الطفل أول ما يقع من البطن يفتح فاه للرضاعة ، و غيره من سائر الحيوانات يهتدى إلى ما ينفعه من سائر الانتفاعات ، فالخلق لا بد له من التسوية ليحصل الاعتدال ، و التقدير لا بد له من / الهداية / ٧٣٠

١٥ ليحصل الكمال .

و لما كانت دلائل التوحيد تارة بالنفس و تارة بالآفاق ، و نبه بآيات النفس ، فلم يسبق إلا آيات الآفاق ، و كان النبات من آياتها

(١) من م ، و فى الأصل و ظ : يقوله (٢) من ظ و م ، و فى الأصل : ا على وجه (٣ - ٣) سقط ما بين الرقنين من ظ (٤) من م ، و فى الأصل و ظ : الإلهامات - كذا .

أدل المخلوقات على البعث قال : ﴿ والذى أخرج ﴾ أى أوقع لإخراج
 ﴿ المرعى ميلا ﴾ بما أنزل من المعصرات فأثبت ما ترعاه الدواب من النجم
 وغيره بدأ وإعادة ، فدل ذلك على تمام قدرته لاسيما على البعث لأنه
 سبحانه و تعالى أقدر على جمع الأموات من الأرض بنفسه بعد أن
 تفتتوا من الماء على جمعه للنبات الذى كان تفتت في الأرض و صار هـ
 [ترابا و - ١] إخراجهم كما كان في العام الماضي بأذنه سبحانه و تعالى و هو
 خلق من مخلوقاته .

ولما كان إيباسه و تسويده بعد اخضراره و نموه في غاية الدلالة
 على تمام القدرة و كمال الاختيار بمعاينة الاضداد على الذات الواحدة
 قال تعالى : ﴿ فجعله ﴾ أى بعد اطوار من زمن إخراجهم ﴿ غثاء ﴾ أى ١٠
 كثيرا ، ثم أنهاه فأبيضه و هشمه و مزقه فجمع السيل بعضه إلى بعض فجعله
 زبدا و هالكا و باليا و فانا على [وجه - ١] الأرض ﴿ أحوى ﴾ أى
 في غاية الرى حتى صار أسود يضرب إلى خضرة ، أو أحمر يضرب إلى
 سواد ، أو اشتدت خضرته فصارت تضرب إلى سواد ، و قال القزاز
 رحمه الله في ديوانه : الحوة شية من شيات الخيل ، و هى بين الدهمة ١٥
 و الكمة ، و كثر هذا حتى سَمَا كل أسود أحوى - انتهى . فيجوز أن
 يريد حينئذ أنه أسود من شدة ييبسه لحوته الرياح و جمعته من كل أوب
 (١) زيد من ظ و م (٢-٢) من ظ و م ، و في الأصل : فهو (٣) من ظ و م ،
 و في الأصل : حوى .

حيث تفتت ، فكل من الكلمتين فيها حياة وموت ، و آخر الثانية لتحملها
لأن دلالتها على الحضرة أتم ، فلو قدمت لم تصرف إلى غيرها ، فدل جمعه
بين الأضداد على الذات الواحدة على كمال الاختيار ، و أما الطباع
فليس لها من " التأثير الذى " أقامها سبحانه فيه إلا الإيجابى كالنار متى أصابت
شيئا أحرقته ، و لا تقدر بعد ذلك أن تنقله إلى صفة أخرى غير التى^٢
أثرتها فيه ، و أشار بالبداية و النهاية إلى تذكر ذلك ، و أنه على سبيل
التكرار فى كل عام الدال على بعث الخلائق ، و خص المرعى لأنه أدل
على البعث لأنه لما لا ينبته الناس ، و إذا انتهى تهشم و تفتت و صار ترابا ،
ثم يعيده سبحانه بالماء على ما كان عليه سواء [كما يفعل بالأموات سواء-^٤]
١٠ من غير فرق أصلا .

و لما استوفى سبحانه و تعالى وصف من أمره صلى الله عليه وسلم
بتسبيحه بما دل على أوصاف جماله و نعوت كبريائه و جلاله ، و شرح ما
له سبحانه من القدرة التامة على الإبداع و الهداية و التصرف فى الأرواح
الحسية و المعنوية بالنشر و الطى و القبض و البسط ، فدل على تمام أصول
الدين بالدلالة على وجوده^٥ / سبحانه على^٦ سبيل التنزل^٧ من ذاته إلى صفاته
ثم إلى أفعاله فتم ما للخالق ، أتبعه ما للخلائق و بدأ^٨ بما لأشرف^٩

(١) من ظ و م ، و فى الأصل : ليحتملها (٢-٢) من م ، و فى الأصل و ظ :
التأثيرات التى (٣) فى ظ : الذى (٤) زيد من ظ و م (٥) من ظ و م ، و فى
الأصل : وجود (٦) من م ، و فى الأصل و ظ : الى (٧) من م ، و فى الأصل
و ظ : اشرك (٨-٨) من ظ و م ، و فى الأصل : باشر ف .

خلقه المنزل عليه هذا الذكر تقديرا للنبوة التي بها تتم السعادة بالحقائق
الواصلة من الحق إلى عبده^١، التي بها يتم أمره من القوتين العلية ثم
العملية بقبول الرسالة بعد التوحيد، لأن حياة الإنسان لا يتم طيبها
إلا بمقتدى يقتدى به من أقواله وأفعاله وسائر أحواله، ولا مقتدى^٢
مثل المعصوم عن كل ميل الموجب ذلك الحب من كل ما يعرف حاله، هـ
والحب في الله أعظم دعائم الدين، فقال معللا للأمر بالتسبيح للوصوف
بالجلال والجمال دالا^٣ [على - ^١] أنه يحيى ميت الأرواح بالعلم كما يحيى
ميت الأشباح بالأرواح ﴿سنقرئك﴾ أى نجعلك بمظمتنا بوعدا خلف
فيه على سبيل التكرار بالتجديد والاستمرار قارئا، أى جامعا لهذا الذكر
الذى هو حياة الأرواح بمنزلة حياة الأشباح، الذى تقدم أنه قول فصل، ١٠
عالما به كل علم، ناشرا له فى كل حى، فارقا به [بين - ^١] كل ملتبس، وإن كنت
أميّا لا تحسن الكتابة ولا القراءة، ولذلك سبب عنه قوله: ﴿فلا تلقى﴾
أى شيئا منه ولا من غيره ليكون فى ذلك آيتان: كونك تقرأ وأنت أمى،
وكونك تنبئ عن المستقبل فيكون كما قلت فلا تحرك [به - ^٢]
لسانك عند التنزيل لتعجل به ولا تتعب نفسك فان علينا حفظه فى ١٥
صدرك وإنطاق^٤ لسانك به .

ولما كان سبحانه وتعالى ينسخ من الشريعة ما يشاء بحسب المصالح
تخفيفا^٥ لما له بهذه الأمة من الرفق، قال لافتا القول إلى سياق الغيبة

(١) فى ظ: العبد (٢) من م، وفى الأصل و ظ: بالمقتدى (٣) من ظ، وفى
الأصل وم: دال (٤) زيد من م (٥) زيد من ظ وم (٦) من ظ، وفى
الأصل: إن طال، وفى م: انطال (٧) من ظ وم، وفى الأصل: تحقيقا .

إعلاماً بأن ذكر 'الجلالة أعظم من التصريح بأداة العظمة : (إلا ما شاء الله) ' أى الملك الأعظم الذى له الأمر كله ، أن تنساه لأنه نسخه ، أو لتظهر عظمته فى أن أعظم الخلق يغلبه القرآن لأنه صفة الله فتسمى الآية أو الكلمة ثم تذكرها تارة بتذكير أحد من آحاد أمتك و تارة ه بغير ذلك .

و لما كان الفاعل لهذه^٢ الأمور كلها لاسيما الإقراء و الحكم على ما يقرأ^٣ بأنه لا ينسى إلا ما شاء منه إلا يكون لا محيط العلم ، قال تعالى مصرحاً بذلك مؤكداً لاجل إنكار أهل القصور فى النظر لمثله^٤ جارياً على أسلوب الغيبة معبراً بالضمير إشارة الى تعالىه فى العظمة إلى ١٠ حيث تنقطع أمانى الخلق عن إدراكه بما كثر من أفعاله^٥ : (إنه) أى الذى مهما شاء كان^٦ "أما قولنا لشيء إذا اردناه ان نقول له كن فيكون"^٦ .

و لما كان المراد بيان إحاطة علمه سبحانه و تعالى ، و أن نسبة الجلى و الخفى من جهره بالقرآن و تريده على قلبه سرا و غير ذلك إليه على ١٥ حد سواء^٧ ، و كان السياق للجلى ، ذكرهما مصرحاً بكل منهما^٨ مقدماً للجلى^٩

- (١) من ظ و م ، و فى الأصل : ذلك (٢) من م ، و فى الأصل و ظ : بهذه .
 (٣) من ظ و م ، و فى الأصل : تقرأها (٤) من ظ و م ، و فى الأصل : بمثله .
 (٥) من ظ و م ، و فى الأصل : احفال (٦-٦) سقط ما بين الرقيين من ظ و م .
 (٧) زيد فى الأصل : لا ، ولم تكن الزيادة فى ظ و م لخذفناها (٨-٨) فى ظ و م : و قدم الجلى .

٧٣٢ /

لأن هذا^١ مقامه ، و ذكره بوصفه معبرا عنه بالاسم الدال على إحاطة علمه به فقال : / ﴿ يعلم الجهر ﴾ أى ثابت له هذا الوصف على سبيل التجدد والاستمرار فى الإقراء و القراءة وغيرهما . ولما ذكره باسمه ليدل [على - ٢] أنه يعلمه مطلقا لا بقيد كونه جهرا ، قال مصرحا بذلك : ﴿ وما يخفى^٣ ﴾ أى يتجدد خفاؤه من القراءة وغيرها^٤ على أى حالة كان ه الإخفاء ، فدل على علمه به إذا جهر به بطريق الأولى .

ولما ذكر الإلهيات والنبوة وأشار إلى النسخ ، أشار إلى أن الدين المشروع له هو الحنيفية السمحة ، وأنه سبحانه وتعالى لا يقيمه فى شئ . بنسخ أو غيره إلا كان هو الأيسر [له - ٥] والآرق ، لأن الرفق والعنف يتغيران بحسب الزمان ، فقال مينا للقوة العملية أثر بيانه للعملية^٦ : ﴿ ونيسرك ﴾ ١٠ أى نجعلك أنت مهيا مسهلا [ملينا - ٦] موقفا ﴿ ليسرى ﴾ أى فى حفظ الوحي و تدبره^٧ و غير ذلك من الطرائق^٨ و الحالات كلها التى هى لينة سهلة خفيفة^٩ - كما أشار إليه قوله " كل ميسر لما خلق له " ولهذا لم يقل : ونيسر لك ، لأنه هو مطبوع على حبها .

ولما كمله صلى الله عليه وسلم و هيأه سبحانه وتعالى للآيسر ١٥ و يسره غاية التيسير ، سبب عنه وجوب التذكير لكل احد فى كل حالة

(١) زيد فى الأصل : هو ، ولم تكن الزيادة فى ظ و م لحذفها (٢) زيد من م .
(٣) من م ، وفى الأصل وظ : غيره (٤) زيد من ظ و م (٥) زيد فى الأصل : فقال ، ولم تكن الزيادة فى ظ و م لحذفها (٦) فى ظ : تدبره (٧) فى ظ : الطريق (٨) من ظ و م ، وفى الأصل : حنيفه .

تكميلاً لغيره شفقة على خلق الله بعد^١ لما له في نفسه فان الله ساعات
 [له - ^١] فيها نفحات تقضى فيها الحاجات، وذلك لانه قد^٢ صار كالطيب
 الحاذق في علاج المرضى فيقوم بنفع عباده لشكره [بعد - ^١] ذكره
 باذن منه إشارة إلى [أن - ^١] التلبذ يحتاج إلى إذن المشايخ وتركيتهم،
 هـ [وإلى - ^١] أن أعظم الادواء أن يقتصر الإنسان على ما عنده ولا يطلب
 الزدياد بما ليس عنده من خير الزاد فقال تعالى: ﴿فذكر﴾ أى بهذا
 الذكر الحكيم، و عبر بأداة الشك إيهاماً للاطلاق الكلى فقال:
 ﴿ان نفعت الذكرى﴾ أى إن جوزت نفعها وترجيته [ولو كان - ^٢]
 على وجه ضعيف - بما أشار إليه تأنيث الفعل بعد ما أفادته أداة الشك،
 ١٠ ولا شك أن الإنسان لعدم علمه^٣ الغيب لا يقطع بعدم نفع أحد بل
 لا يزال على رجاء منه وإن استبعده، ولهذا كان النبي صلى الله عليه وسلم
 لا يزال يدعو إلى الله تعالى وإن اشتد الأمر، ولا يحقر أحداً أن يدعو
 ولا يئس من أحد وإن اشتد عليه، و^٤ الأمر بالإعراض عن^٥ وتولى ونحو ذلك
 [إما هو بالإعراض عن الحزن عليه ومن تقطيع النفس لأجله حسرات ويُنحو
 ذلك - ^٢] .

١٥ ولما أمره بالتذكير لكل^٦ أحد، قسم الناس له إلى قسمين: قسم يقبل
 العلاج^٦، وقسم لا يقبله، إعلالاً بأنه سبحانه وتعالى عالم بكل من القسمين

(١) زيد من ظ و م (٢) سقط من ظ و م (٣) زيد من م (٤) من ظ و م ،
 وفي الأصل: لعلمه (٥) من م ، وفي الأصل و ظ : بكل (٦) من م ، وفي
 الأصل و ظ : الصلاح .

جملة و افرادا على التعيين ولم يزل عالما بذلك ، و لكنه لم يعين ابتلاء
منه لعباده لتقوم له الحجة عليهم بما يتعارفونه بينهم و له الحجة البالغة ،
فقال حاثا على شكر الجوانح [من] العقل ونحوه والجوارح من القلب واللسان
وغيرهما : ﴿ سيذكر ﴾ أى بوعده لاخلف فيه ولو على أخفى / وجوه ١
التذكر - بما أشار إليه الإدغام ﴿ من يخشى ٢ ﴾ أى فى جلته ٣ نوع خشية ، ه
و هو السعيد لما قدر له فى نفسه من السعادة العظمى لقبول الخيفة السمحة
فيذكر ما يعلم منها فى نفسه فيتعظ ، فان الخشية [حاملة - ٢] على
كل خير فيتنعم بقلبه و قاله فى الجنة العليا و يحى فيها ٤ حياة طيبة ٥ من
غير سقم و لا توى ، دائما بلا آخر و انتها .

ولما ذكر من يجب حبه فى الله ذكر من يفيض فى الله ، و علامة ١٠
الحب الاقتداء ، و علامة البغض التجنب و الانتهاء و الابتداع و الإباء ،
فقال : ﴿ و يتجنبها ﴾ أى يكلف نفسه و فطرته ٦ الأولى المستقيمة
تجنب ٦ الذكري التى نشاء تذكيره بها من أشرف الخلائق و أعظمهم و صلة
بالخالق . و لما كان هذا الذى يعالج نفسه على العوج ٧ شديد العتو
قال : ﴿ الاشقى ٨ ﴾ أى الذى له هذا الوصف على الإطلاق لأنه خالف ١٥
أشرف الرسل فهو لا يخشى فكان أشقى الناس ، كما أن من آمن به

(١) من ظ و م ، وفى الأصل : وجه (٢) من ظ و م ، وفى الأصل : جملة .
(٣) زيد من ظ و م (٤-٤) سقط ما بين الرقيين من ظ و م (٥) من ظ و م ،
وفى الأصل : نكرته (٦) من ظ و م ، وفى الأصل : بخنب (٧) من ظ و م ،
وفى الأصل : المهجوع .

أشرف ممن آمن بمن قبله من الرسل عليهم الصلاة والسلام .
 و لما ذكر وصفه الذى أوجب له العمل ' السى' ، ذكر ' جزاءه
 فقال : ﴿ الذى يصلى ﴾ أى يباشر مباشرة^٢ الغموس [بقلبه -^٢] وقالبه
 مقاسيا ﴿ النار الكبرى ﴾ [أى -^٢] التى هى أعظم الطبقات وهى
 ه السفلى لانه^٤ ليس فى طبعه أن يخشى ، بل هو كالجلود الآقسى لانه
 جاهل مقلد أو متكبر معاند ، أو المراد نار الأخرى فانها^٥ أعظم من نار
 اله البرزخ و أعظم من نار الدنيا بسبعين جزأ ، فلهذا استحقت أن تتصف
 بأفعل التفضيل على الإطلاق ، والآية من الاحتباك : ذكر الثمرة^٦ فى
 الأول^٩ وهى الخشية دليلا على حذف ضدها من الثانى ، وهى القسوة الناشئة
 ١٠ على الحكم بالشقاوة ، و ذكر الأصل والسبب فى الثانى وهو الشقاوة دليلا
 على حذف ضده فى الأول وهو^{١١} السعادة ، فالإسعاد سبب و الخشية
 ثمرة ، والإسقاء سبب و القساوة ثمرة و مسبب ، وكذا ما نبه من النار
 وما نشأ عنها ، وسر ذلك [أنه -^٢] ذكر مبدأ السعادة أولا حشا
 عليه ، و مآل الشقاوة ثانيا تحذيرا منه ، قال المولى : ولا شك أن القرآن
 ١٥ العظيم على أحسن ما يكون من البراعة فى التركيب و بداعة الترتيب

(١) من ظ و م . وفى الأصل : المبين ذكره (٢) من ظ و م ، وفى الأصل :
 يباشره (٣) زيد من ظ و م (٤) زيد فى الأصل وظ : انذى ، ولم تكن الزيادة
 فى ظ و م لحدتها (٥-٥) من ظ و م ، وفى الأصل : فهو (٦) من ظ و م ،
 وفى الأصل : و (٧) من م ، وفى الأصل وظ : فانه (٨-٨) سقط ما بين
 الرقمن من م (٩-٩) من ظ و م ، وفى الأصل : أولا (١٠) من ظ و م ، وفى
 الأصل : هى (١١) من ظ و م ، وفى الأصل : فالسعادة .

و كثرة العلوم مع الاختصار وعدم التكرار ، فيكتفى في موضع بالثمرة
 بلا سبب و في آخر^١ بالسبب بلا ثمرة لدلالة الأول على الثاني و الثاني
 على الأول ، فيضم السبب إلى الثمرة و الثمرة إلى السبب كما يطلق القضاء
 و^٢ يكتفى به عن القدر ، و يطلق القدر و يكتفى به عن القضاء ، و كذلك^٣
 يذكر الحكم و يتركان فيدل عليهما فتذكر^٤ الثلاثة ، و يظهر بمثال و هو ه
 أن من أراد إقامة دولاب يهندس أولا موضع البئر بسهمه و ترسه و مداره
 / و حوضه الذي يصب فيه الماء و جداوله التي ينساق منها ، فهذا هندسة
 ٧٣٤ / و تدبير و حكم و إرادة ، فإذا صنع ذلك و أنهى سعى قضاء و إيجادا و تأثيرا ،
 فإذا ركب على الجبال قواديس تحمل مقدارا من الماء معينا إذا نزلت
 إلى الماء أخذته ، و إذا صعدت فانتهت^٥ و أرادت الهبوط فرغته^٦ فتصرف^٧
 الماء من جداوله^٨ إلى ما صنع له كان ذلك قدرا فهو النهاية ، ففى ذكر
 واحد من الثلاثة : الحكم و القضاء و القدر ، دل على الآخر .

ولما كان ما هذا شأنه يهلك على ما جرت به العادة في أسرع
 وقت ، فإذا كان من شأنه مع هذا العظم أنه لا يهلك كان ذلك دليلا
 واضحا على أنه لا يعلم كنه عظمة مقدره^٩ إلا هو سبحانه و تعالى فأشار^{١٠}
 إلى ذلك بالتعبير بأداة التراخي إعلاما بأن مراتب هذه الشدة في التردد

(١) من م ، و في الأصل و ظ : الآخر (٢) من ظ و م ، و في الأصل : ثم .
 (٣) من ظ و م ، و في الأصل : لذلك (٤) من ظ و م ، و في الأصل : مذكر .
 (٥) من ظ و م ، و في الأصل : لو انتمت (٦) من م ، و في الأصل و ظ :
 فرغته (٧) في ظ : مداركه (٨) من ظ و م ، و في الأصل : مقدراه .

بين^١ الموت و الحياة لا يعلم علوها عن شدة الصلى إلا الله تعالى فقال :
 ﴿ثم لا يموت فيها^٢﴾ أى لا يتجدد له فى هذه النار موت و إن طال
 المدى . و لما كان من يدخل النار فلا تؤثر فى موته قد يكون ذلك إكراما
 له من باب خرق العوائد، احترز عنه بقوله : ﴿ولا يحيي^٣ه﴾ أى حياة
 ه . تنفعه لأنه ما تزكى فلا صدق و لا صلى .

و لما ثبت بهذا أن لهذا هذا الشقاء الأعظم، فكان التقدير : لأنه
 لم يزك نفسه لأنه [ما - ٢] كان مطبوعا على الخشية، أتج و لا بد قوله
 تعالى دالا على الدين التكليفى و هو اجتناب و اجتناب، لجمع الاجتناب
 و الاجتناب بالنزكية بالتبطل بالأبواب و الملازمة للأعقاب بامثال
 ١٠ الأمر و اجتناب النهى بالمجاهدات المقربات^٤ إليه سبحانه و تعالى، المنجيات
 بعد ما حذر من المهلكات، للسارة فى محابه و مراضيه اجتماعا^٥ على العبادة
 الموصلة للخالق بعد حصول الكمال و التكميل فانه لا بد فى الحياة الطيبة
 بعد الانتهاء إلى ذى الجاه العريض^٦ و الاقتران بمن لا يزيع من الارتباط
 بطريقة مثلي^٧ يحصل بها الاغتراب^٨ ليصل بها إلى المقصود و يعمر أوقاته
 ١٥ بوظائفها لئلا يحصل له خلل و لا ضياع لنفائس الأوقات و لا غفلة

(٢) من ظ و م ، وفى الأصل : من (٢) وقع فى الأصل قبل « ولا يحيى »
 و الترتيب من ظ و م (٣) زيد من ظ و م (٤) فى ظ و م : القربات .
 (٥) من ظ و م ، وفى الأصل : اجتماع (٦) من ظ و م ، وفى الأصل :
 انعرض (٧) من ظ و م ، وفى الأصل : مثل (٨) من ظ و م ، وفى
 الأصل : الاحتياط .

يستهو به بها قطاع الطريق : (قد اقلع) أى فاز بكل مراد (من زنى)
 أى أعمل نفسه فى تطهيرها من فاسد الاعتقادات و الأخلاق و الأقوال
 و الأفعال و الأموال و تنمية أعمالها القلبية و القالية و صدقة أموالها ،
 و ذلك هو التسييح الذى [أمر - ١] به أول السورة و ما تأثر عنه ، من عمل
 هذا فهو الأسعد .

٥

و لما كان أعظم الأعمال المزيكية الذكر و الصلاة قال تعالى :
 (و ذكر) أى بالقلب و اللسان ذكر و ذكر - بالكسر و الضم (اسم ربه)
 أى صفات المحسن إليه فانه إذا ذكر الصفة / سر بها فأفاض باطنه على
 ظاهره ذكر اللفظ الدال عليها ، و إذا ذكر ذلك اللفظ و هو الاسم الدال
 عليها انطبع فى قلبه ذكر المسمى (فصل ث) أى الصلاة الشرعية لأنها أعظم ١٠
 الذكر ، فهي أعظم عبادات البدن كما أن الزكاة أعظم عبادات المال ،
 و من فعل ذلك استراح من داء الإعجاب و ما يتبعه من النقائص الموجبة
 لسوء الانقلاب ، و كان متخلقا بما ذكر من أخلاق الله فى أول السورة
 من التخلّى عن النقائص بالتركية ٢ ، و التحلى بالكالات بالذكر و الصلاة
 لأنه لعظمته لا يتأهل لذكره إلا من و اظب الى [ذكر - ١] اسمه فلا ١٥
 يشقى فلا يصل النار الكبرى بوعده لاخلف فيه - فالآية * من الاحتباك فى

(١) زيد من ظ و م (٢) من ظ و م ، وفى الأصل : الأموال (٣) زيد فى الأصل :
 و التجلى ، ولم تكن الزيادة فى ظ و م لحذفها (٤) زيد فى الأصل : والله اعلم ،
 ولم تكن الزيادة فى ظ و م لحذفها (٥) من ظ و م ، وفى الأصل : و الآية .

الاحتباك: ذكر أولا الصلى دليلا على حذف^١ ضده ثانيا، وثانيا الزكية
 دليلا على حذف ضدها أولا، وقد تكفل ذكر الزكية والذكر.
 والصلاة من أسباب التداوى^٢ بالإضجاع ثم الأشرطة ثم الأغلبية،
 والآية صالحة لإرادة زكاة الفطر وتكبيرات العيد وصلاته وإن
 ه كانت السورة مكية وفرض الصيام بالمدينة، لأن العبرة بعموم اللفظ
 لإحاطة علمه سبحانه وتعالى بالماضى والحال^٣ والاستقبال على حد
 سواء؛ قال الرازى فى اللوامع: وتقدم زكاة الفطر على صلاة العيد،
 وكان ابن مسعود رضى الله تعالى عنه يقول: رحم الله امرءا تصدق
 ثم صلى - ثم يقرأ هذه الآية، وإن كانت السورة مكية، فإنه يجوز أن
 ١٠ يكون النزول سابقا على الحكم كما قال تعالى: وأنت حل بهذا البلد -
 والسورة مكية، وظهر أثر الحل يوم الفتح - انتهى، وأخذه من
 البغوى، وزاد البغوى^٤ أن ابن عمر رضى الله عنهما كان يأمر نافعا
 رضى الله عنه بنحو ما قال ابن مسعود رضى الله عنه، ويقول: إنما
 نزلت هذه الآية فى هذا. وروى البزار^٥ عن عوف بن مالك الأشجعى
 ١٥ رضى الله تعالى عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه كان يأمر بزكاة
 الفطر قبل أن يصلى صلاة العيد ويتلو^٦ هذه الآية، وفى السند كثير بن

(١) من ظ وم، وفى الأصل: حفظ (٢) زيد فى الأصل: وهو، ولم تكن
 الزيادة فى ظ وم فحذفناها (٣) من ظ وم، وفى الأصل: وال كذا (٤) من ظ وم،
 وفى الأصل: اخذ (٥) راجع المعالم ١٩٦ / ٧ (٦) راجع مجمع الزوائد ١٣٦ / ٧ -
 (٧) من م، وفى الأصل و ظ: يتلوه.

عبد الله - حسن له الترمذى وضعفه غيره - ' والله أعلم ' .

ولما كان التقدير: و انتم لا تفعلون^٢ ذلك ، أو [و - ٢] ثم لا يفعلونه
- على القراءتين ، عطف عليه قوله بالخطاب فى قراءة الجماعة على الالتفات

الدال على تناهى [الغضب - ٢] ، منها على المعاملات بسبب التداوى الرابع^٤

وهو الاستفراغ بنى الرذائل و الحباث بالذم على ما ينبغى البراءة منه ه

والحث على ما يتعين تحصيله تحصيلا لحسن الرعاية: (بل تؤثرن) أى

تختارون و تختصون^٦ بذلك على وجه الاستعداد ، أيها الأشقياء ، وبالغيب

على الأصل عند أبى عمرو (الحياة الدنيا) أى الدنية بالفناء الحاضرة ،

مع أنها [شرو - ٢] فانية ، اشتغالا بها لأجل حضورها كالحيوانات

/ التى هى مقيدة بالمحسوسات ، فاستغرق اشتغالكم بها أوقاتكم و منعكم عن ذكر ١٠ / ٧٣٦

[اسم - ٢] الله المنهى إلى ذكر الله و المهيى له ، و عن تركية نفوسكم ،

فأوقعكم ذلك فى داء القيقب و هو البطن ، و الدبدب و هو الفرج ،

و حب المال المؤدى إلى شر الأعمال ، و تتركون الآخرة (و^٧ الآخرة)

[أى - ٨] و الحال أن الدار التى هى غاية الخلق و مقصود الأمر ، العالية^٩

(١-١) - قط ما بين الرقين من ظ و م (٢) من ظ و م ، وفى الأصل : لا تفعلون .

(٣) زيد من ظ و م (٤) فى ظ : الابع - كذا (٥) زيد فى الأصل و ظ :

انتهى قال ، و لم تكن الزيادة فى م لحذفها (٦-٦) من ظ و م ، وفى الأصل :

يجاورون و يخفون - كذا (٧) ليست الواو فى الأصل فقط (٨) زيد من م .

(٩) تكرور فى الأصل فقط .

المبرنة عن العتب، المنزهة^١ عن الخروج عن الحكمة (خير) أى [من-^٢]
 الدنيا على تقدير التسليم لأن فيها خيرا لأن نعيمها خالص لا كدر فيه
 بوجه (وابقى^٣) أى منها على تقدير المحال فى الدنيا من أن تباديها
 إلى وقت زوالها تسمى بقاء، لأن نعيم الآخرة دائم لا انقطاع له أصلا،
 هـ وما كان [باقيا -^٤] لا يعادل بما يقضى بوجه من الوجوه، فمن علم
 ذلك - وهو أمر لا يجهل - اشتغل بما يحصل الآخرة وبقى الدنيا بقسميها
 من الأعيان الحسية والشهوات المغنوية من^٥ 'الرغوات النفسانية' والمستلذات
 الوهمية، والآية من الاحتباك: ذكر الإيثار والدنو أولا 'يدل على'
 الترك والعلو ثانيا، وذكر الخير والبقاء ثانيا يدل على ضدتهما أولا، وسر
 ١٠ ذلك أنه لا يؤثر الدنو إلا دنى فذكره أولا لأنه أشد فى التنفير، وذكر
 الخير والبقاء ثانيا لأنه أشد فى الترغيب .

ولما كانت هذه النتيجة - اتى هى الفلاح بالتركية وما تبعها - خالصة
 السكتب المنزلة التى بها تدير^٦ البقاء الأول، وصفها ترغيا فيها بوصف
 جمع القدم المستلزم للصحة بتوارد^٧ الأفكار على تعاقب الأعصار، لأن
 ١٥ ما مضت عليه السنون ومرت على قبوله الدهور تكون النفس أقبل
 للاذعان [له-^٨] وأدعى إلى إلزامه، وأفاد مع القدم أن المنزل عليه صلى الله
 عليه وسلم ليس بدعا من الرسل عليهم الصلاة والسلام بل هو على

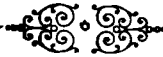
(١) من ظ، وفى الأصل و م: المنزه (٢) زيد من م (٣) زيد من ظ و م.
 (٤-٤) من ظ و م، وفى الأصل: الرغوات النفسية (ه-ه) من ظ و م،
 وفى الأصل: بدلا عن (٦) من ظ و م، وفى الأصل: قدير - كذا (٧) من م،
 وفى الأصل و ظ: التوارد .

منهاجهم، فرد رسالته من بينهم لايقول به منصف لاسيما وقد زاد عليهم في المعجزات و [سائر - ١] الكرامات بقوله مؤكدا لأجل من يكذب : (ان هذا) أى الوعظ العظيم بالتسبيح الذى ذكر فى هذه السور^٢ وما تأثر عنه من الزكية بالذكر الموجب للصلاة و الإعراض عن الدنيا والإقبال على الآخرة، لأنه جامع لكل خير، وهو ثابت فى كل^٣ شريعة لأنه المقصود^٥ بالحكم^٤ فهو لايقبل النسخ (لنى الصحف الاولى^٦) فمن تبع هذا القرآن الذى هو فى هذه الصحف الربانية فقد تحلى من زينة اللسان بما^٧ ينقله من البيان الذى هو فى غاية التحرير و عظم الشأن وما يعلمه من المغنيات بما يكون أو كان، ونسيه أهل هذه الأزمان، فاستراح من ضلال الشعراء والكهان، الموقعين فى الإثم و العدوان، فان القرآن جمع المديح/ الفائق^٨ ١٠ / ٧٣٧ و النسيب الرقيق فى وصف الخور و الرقيق و الفخر الحماسى و الهجاء البليغ لأعداء الله، و الترويج الجاذب للقلوب و الترهيب الزاجر و الملمح الخيرية و الحدود الشرعية - إلى غير ذلك من أمور لا تنصل إليها الشعراء، و لا ينتهى إلى أدنى جناها بلاغات البلغاء .

و لما كان ذلك^٩ عاما خص من بينه تعظيما لقدر هذه الموعظة ١٥

(١) زيد من ظ و م (٢) من م، وفى الأصل و ظ : السورة (٣-٣) من ظ و م، وفى الأصل : بكل (٤) من ظ و م، وفى الأصل : فى الحكم (٥) زيد فى الأصل : يقبله و، ولم تكن الزيادة فى ظ و م لحذفها (٦) من ظ و م، وفى الأصل : يسه (٧) من ظ و م، وفى الأصل : السابق (٨) زيد فى الأصل لذلك، ولم تكن الزيادة فى ظ و م لحذفها .

أعظم الأنبياء الأقدمين ، فقال مبدلاً مشيراً إلى الاستدلال بالتجربة :
 ﴿صحف إبراهيم﴾ قدمه لأن صحفه أقرب إلى الوعظ كما نطق به حديث
 أبي ذر رضى الله تعالى عنه ﴿وموسى﴾ ختم به لأن الغالب على كتابه
 الأحكام ، و المواعظ فيه قليلة ، ومنها^٢ الزواجر البليغة كاللعن لمن خالف
 أوامر التوراة التى أعظمها البشارة بمحمد صلى الله عليه وسلم ، والإخبار
 بأنهم^٣ يخالفونها كما [هو -^٤] مذكور فى أواخرها مع أن ذكر النبيين
 عليهما الصلاة والسلام على الأصل فى ترتيب الوجود والأفضلية ، وقد
 حث آخرها على التزكى^٥ وهو التطهر^٦ من الأدناس الذى هو معنى التزهد
 والتخلق بأخلاق الله بحسب الطاقة ، وكان فى إتيانه والتذكير به
 ١٠ إعلام بأن الله تعالى لم يهمل الخلق من^٧ البيان [بعد أن خلقهم -^٨]
 لأنه لم يخلقهم سدى ، لأن ذلك من العبث^٩ الذى هو من أكبر النقائص
 [وهو سبحانه منزّه عن جميع شوائب النقص -^٩] - فقد رجع آخرها
 على أولها ، وكان تنزيه الرب سبحانه وتعالى وتنزيه النفس أيضاً غاية
 معولها^{١٠} - والله الموفق للصواب ،^{١١} وإليه المرجع والمآب^{١٢} .



(١) من ظ و م ، وفى الأصل : فى (٢) من ظ و م ، وفى الأصل : فيها .
 (٣) زيد فى الأصل : كانوا ، ولم تكن الزيادة فى ظ و م لحذفها (٤) زيد
 من ظ و م (٥) من ظ و م ، وفى الأصل : الذكر (٦) من ظ و م ، وفى
 الأصل : التطهير (٧) من ظ و م ، وفى الأصل : عن (٨) من ظ و م ، وفى
 الأصل : التعتت (٩) فى ظ : مقولها (١٠-١٠) سقط ما بين الرفيعين من ظ و م -

خاتمة الطبع

لقد تم - و الحمد لله - طبع الجزء الحادى والعشرين من تفسير
”نظم الدرر فى تناسب الآى والسور“ للشيخ العلامة برهان الدين
أبى الحسن إبراهيم بن عمر البقاعى الشافعى رحمه الله تعالى يوم الاثنين
٣ / جمادى الأولى سنة ١٤٠٤ هـ = ٦ / فبراير سنة ١٩٨٤ م، تحت
إشراف مدير الدائرة وسكرتيرها صاحب الفضيلة السيد شرف الدين
أحمد - قاضى المحكمة العليا سابقا - بارك الله جهوده، وضاعف له أجوره .
و نولى مهمة تصحيحه والتعليق عليه مصحح الدائرة أخى الفاضل
محمد عمران الأعظمى الأنصارى العمرى (أفضل العلماء - جامعة مدراس)
وقام بقراءة ملازمه مصحح الدائرة السيد الفاضل القاضى محمد عطاء الله
النقشبندى القادرى (كامل الجامعة النظامية) - حفظهما الله .
و اهتم بتقيقه وإنهائه خادم العلم والعلماء مقدم هذه الخاتمة -
كان الله له ولوالديه .

و يتلوه الجزء النهائى مستهلا بسورة الفاشية .
و نهائيا نسأل الله مولانا الكريم أن ينفعنا به و يوفقنا لما يحبه
و يرضاه، وهو المسئول لحسن الخاتمة، ونصلى ونسلم على من علم فوائده الخير
و خواتمه سيدنا و مولانا محمد وعلى آله و صحبه أجمعين، و آخر دعوانا
أن الحمد لله رب العالمين .

المستمسك بحبل الله المتين

المفتى محمد عظيم الدين

رئيس قسم التصحيح بدائرة المعارف العثمانية